مركز تحقيق التراث

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء الثامن عشر

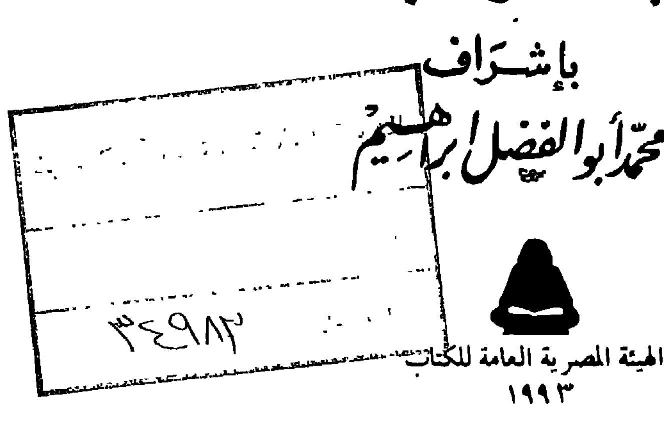
تحقيق

عبد الكريم إبراهيم العزباوي

إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني

بإشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا هو الجزء الثامن عشر من كتاب الأغانى فى طبعته الجديدة الكاملة ، وقد قام بتحقيقه الأستاذ عبد الكريم العزباوى ، عدا أخبار ذى الرمة فهى مما حققه الأستاذ على محمد البجاوى ضمن ماقام به من تحقيق الجزء السابع عشر ، ووضعت فى أول هذا الجزء لضرورة تنسيق أحجام الأجزاء ، وقمت بمراجعته جميعه .

وقد قام الأستاذ العزباوى بمقابلته على النسخ المخطوطة ، سواء فى ذلك النسخ التى سبق لدار الكتب الرجوع إليها فيما حققته من أجزاء أو النسخ التى جدّت بعد ذلك ، متبعاً فى ذلك منهج اللجنة من اعتبار جميع النسخ أصولا يكمل بعضها بعضاً ، مع الإشارة إلى الفروق فى الحواشى ، كما قام بالتعليق عليه وفقاً لمنهج اللجنة أيضاً ، من شرح الغريب وتوضيح المبهم ، فى قصد واعتدال .

وقد تضمن هذا الجزء من التراجم التى سقطت من طبعة بولاق ترجمتى عروة بن أذينة ومخارق مما وجد فى بعض المخطوطات ؛ وقد وضعت كل ترجمة فى موضعها حسب المخطوطات التى وردت فيها ، كما تضمن بعض الأشعار والأخبار فى بقية التراجم مما لم يرد فى طبعة بولاق ، ووضع كل فى مكانه ، وألحقت به الفهارس الفنية وفقاً لما أخرجته دار الكتب من أجزاء مع إدخال بعض التعديلات .

وعلى هذا النهج يسير تحقيق الأجزاء الباقية من الرجوع إلى جميع الأصول وإدخال التراجم التى سقطت من طبعة بولاق فى موضعها من بعض المخطوطات ، وكذلك ما يعثر عليه فى هذه المخطوطات من أخبار وأشعار مع التعليق حيث يقتضى الأمر ، مما يعين على فهم نصوص الكتاب فى سهولة ويسر ، لتكون هذه الطبعة إن شاء الله — كما قلنا فى مقدمة الجزء الأول — هى الطبعة الكاملة لكتاب الأغانى فى حدود النسخ التى رُجع إليها فى تحقيقه .

والله الموفق والهادى إلى الصواب .

شوال سنة ١٣٩٠ هـ
ديسمبر سنة ١٩٧٠ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذكر ذى الرمة وخبره

نسبه

اسمه غَيْلانُ بن عُقْبة بن مسعود بن حارثة بن عَمْرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عدىّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

أقوال فى سبب تلقيبه ذا الرمة

وقال ابن سلاّم : هو غيلان بن عقبة بن بهيش[1] بن مسعود بن حارثة بن عمرو ابن ربيعة[2] بن مِلْكان . ويكنى أبا الحارث ، وذو الرمة لقبٌ . يقال: لقَّبته به ميَّة ؛ وكان اجتاز بخبائها وهى جالسةٌ إلى جَنْب أمها فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمها : قومِى فاسقيه . وقيل : بل خرق إداوته لمّا رآها ، وقال لها : اخرُزِى لى هذه ، فقالت : والله ما أُحسِنُ ذلك ، فإنى لخرقاء . قال : والخَرْقاء التى لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قَوْمها ، فقال لأمها : مُرِيها أن تسقِيَنى ماء ، فقالت لها : قومى يا خَرْقاء فاسقيه ماء ، فقامت فأتَتْه بماءٍ ، وكانت على كتفه[3] رُمَّةٌ ؛ وهى قطعة من حَبْل ، فقالت : اشرب يا ذا الرُّمَّة ؛ فلُقِّب بذلك .

وحكى ابنُ قُتَيْبة[4] أن هذه القصة جرت بينه وبين خَرْقاء العامريَّة .

وقال ابن حبيب : لُقِّبَ ذا الرمة لقوله[5] :

* أشعَثَ باقى رُمَّةِ التقليدِ *

(١) كذا فى المشتبه ، والقاموس ، واللآلى ، وابن خلكان . وفى الأصول : « نهيس » .

(٢) ج : « بن عمرو بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة » .

(٣) ج : « كفه » .

(٤) الشعر والشعراء ٥٠٩ .

(٥) اللسان ١٥ : ١٤٣ ونوادر المخطوطات لابن حبيب ٣٠١ والشعر والشعراء ٥٠٨ .

وقيل : بل كان يُصيبه فى صِغَره فَزَعٌ ، فكُتِبت[1] له تميمة ، فعلّقها[2] بحَبْل ، فلُقِّب بذلك ذا الرُّمَّة .

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن محمد بن صالح العدوىّ ، عن أبيه ، وعن أشياخه ، وعِدّة من أهل البادية من بنى عدىّ ، منهم زُرْعة بن أذبول[3] وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم :

١١١ / ١٦

أنّ أمّ ذى الرّمة جاءت إلى الحُصَيْن بن عبدة بن نُعيم العدوىّ[4] وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتسابًا بما يقيم لهم صلاتَهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ، إن ابنى هذا يُرَوَّع بالليل ، فاكتب لى مَعاذةً أُعلّقها على[5] عنقه ، فقال لها : ائتينى برَقّ أكتب فيه ، قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم فى غير رقّ أن يكتب له ؟ قال : فجيئينى بجلد[6] ، فأتته بقطعة جلد غليظ ، فكتب له مَعاذة فيه ، فعلّقته فى عنقه ، فمكث دَهرًا . ثم إنها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَيْن وهو جالس فى ملأ من أصحابه ومَواليه ، فدنَتْ منه ، فسلّمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل ، ألا تسمع قولَ غَيْلان وشِعْرَه ؟ قال : بلى . فتقدّم فأنشده ، وكانت المَعاذةُ مشدودةً على يساره فى حبل أسود ، فقال الحصين : أحسن ذو الرمة ، فغلبت عليه .

كان له إخوة كلهم شعراء

وقال الأصمعىّ : أمّ ذى الرمة امرأة من بنى أسد يُقال لها ظبية ، وكان له إخوة لأبيه وأمّه شعراء منهم مسعود ، وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرمّة ويذكر ليلى بنته :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... وليلَى كِلانا مُوجَعٌ مات وافِدُهْ[7]

---

(١) ب ، س : « فكتبت له أمه » .
(٢) ا : « فتعلقها » .
(٣) ب ، س ، ف : « دبول » .
(٤) جـ : « العذرى » .
(٥) ف : « فى عنقه » .
(٦) جـ : « بقطعة جلد » .
(٧) جـ : « واحده » .

ولمسعود يقول ذو الرمة[١] :

صـوت

أقولُ لمسعود بِجَرْعاء مالكٍ وقد همَّ دَمْعِي أن تَسِحَّ أوائِلُهْ
ألا هل تَرَى الأظعان جاوَزْنَ مُشرِفاً من الرمل أو سالت بِهِنَّ سلاسلُهْ[٢]

٥ غنّى فيه يحيى بن المكىّ[٣] ثانى ثقيل بالوسطى ، على مذهب إسحاق من رواية عَمرو .

ومسعود الذى يقول[٤] يرثى أخاه أيضاً ذا الرمّة ، ويرثى أوْفَى بن دَلْهَم ابنَ عمه ، وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُرْوَى عنه الحديث .

وقال هارون بن[٥] الزيات : أخبرنى ابن حبيب ، عن ابن الأعرابىّ ، قال :

١٠ كان لذى الرمة إخوة ثلاثة[٦] : مسعود ، وجِرْفاس ، وهشام ، كلّهم شعراء ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبنى عليها ذو الرمة أبياتاً أُخر ، فينشدها الناس ، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه[٧] :

نعى الركبُ أوفى حين آبَتْ رِكابُهم لعَمْرِى لقد جاءوا بشَرٍّ فأوجعوا[٨]
نعَوْا باسِقَ الأخلاقِ لا يُخْلِفونَه تكادُ الجبالُ الصُّمُّ منه تَصدَّعُ

١٥ (١) ديوانه ٤٦٦ .

(٢) ف : « أو حاذت . . . سوائله » . ومشرف : موضع . وسلاسل الرمل : ما انعقد واتصل .

(٣) ف : « يحيى المكى » . (٤) فى ف : « يقول فيه أيضاً » .

(٥) ف : « بن محمد الزيات » .

(٦) فى ابن سلام : وكانوا إخوة ثلاثة : غيلان وأوفى ومسعود . وقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : وكان

٢٠ لذى الرمة إخوة ثلاثة : هشام وأوفى ومسعود ، فجعلهم أربعة إخوة .

(٧) ابن سلام ٤٨١ وشرح الحماسة ٢ : ١٤٧ والكامل ١ : ١٥٣ .

(٨) ا : « فأوجفوا » ، تصحيف .

خوى المسجدُ المعمورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهم ... فأضحى بأَوْفَى قومُهُ قد تضعضعوا

تعزَّيتُ عن أَوْفَى بغَيْلاَنَ بَعْدَه ... عَزاءً وجَفنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنى أوفَى المصيباتُ[1] بعده ... ولكنْ نِكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ[2] أَوْجَعُ

وأخوه الآخر هشام، وهو رَبَّاه[3]، وكان شاعرا. ولذى الرمّة يقول:

٥

أغَيلانُ إن تَرجع قُوى الوُدِّ بيننا ... فكلُّ الذى وَلّى من العيش[4] راجع

فكنْ مثلَ أقصَى الناسِ عندى فإننى ... بطول التَّنائى مِنْ أخِى السوء قانِعُ

يقول شعرا لأخيه هشام فيجيبه

وقال ذو الرمة لهشام أخيه[5]:

أغَرَّ هشاماً من أخيه ابنِ أُمِّه ... قوادمُ ضَأنٍ أقبلَتْ ورَبِيعُ[6]

وهل تُخلِفُ الضأنُ الغِزَارُ أخا النَّدى[7] ... إذا حلّ أمرٌ فى الصُّدُورِ فَظِيعُ

١٠

١١٢ / ١٦

فأجابه هشام فقال:

إذا بانَ مالِى مِنْ سَوامِكَ لم يكُنْ ... إليك وربِّ العالمين رُجوعُ

فأنتَ الفتى ما اهتزّ فى الزَّهَرِ النَّدى[8] ... وأنتَ إذا اشتدّ الزمانُ مَنُوعُ[9]

وذكر المهلَّبيّ[10] عن أبى كَرِيمة النحوىّ، قال:

---

(١) ا: «أوفى المصائب».
(٢) القرح: الجرح.
(٣) ف: «رثاه».
(٤) ف: «من للدهر».
(٥) ديوانه ٣٥٤.
(٦) فى الديوان: «قوادم ضأن يسرت وربيع».
(٧) الديوان: «ولا تخلف ... أخا الفتى».
(٨) ف: «ما اهتز فى الدهر للندى».
(٩) ف: «هلوع».
(١٠) ف: «المشائى».

١٥

٢٠

ذو الرمة وأخوه مسعود يقولان شعرا فى ظبية سنحت لهما

خرج ذو الرمّة يسير مع أخيه مسعود بأرضِ الدَّهناء، فسنحت لهما ظَبيةٌ، فقال ذو الرمة[١]:

أقُولُ لدَهناويةٍ عَوْهَجٍ جرَتْ ... لنا بين أعلى بُرْقةٍ بالصَّرائمِ[٢]

أيا ظَبْيَةَ الوَعْساء بين جُلاجِلٍ ... وبين النَّقا آ أنتِ أمْ امّ سالمٍ!

٥ وقال مسعود[٣]:

فلو تُحسِنُ التشبيهَ والنعْتَ لم تقُلْ ... لِشاةِ النَّقا آ أنْت أم أمّ سالم

جعلت لها قرنَيْن فوق قُصاصِها[٤] ... وظِلْفَين مُسْوَدَّين تحت القوائم

وقال[٥] ذو الرمة[٦]:

هِيَ الشِّبْهُ لولا مِذْرواها وأُذْنُها ... سواء ولولا مَشْقَةٌ فى القوَائم[٧]

١٠ وكان ذو الرمّة كثيراً ما يأتى الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة، وكان طُفيليّا.

كان طفيليا

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنى الحسن بن علىّ، قال: حدثنى ابن[٨] سعيد الكِنْدىّ، قال: سمعت ابن عيّاش يقول:

حدثنى مَنْ رأى ذا الرمّة طفيليًّا يأتى العُرُسات[٩].

---

(١) ديوانه ٦٢١. (٢) الديوان: «لنا بين أعلى عرفة بالصرائم».

١٥ ودهناوية: ظبية من ظباء الدهناء. والصرائم: الرمال. وعوهج: طويلة. وبرقة: موضع.

(٣) ف: «فقال له مسعود».

(٤) قصاص الشعر: حيث تنتهى نبتته من مقدمه أو مؤخره. (القاموس).

(٥) ف: «فقال». (٦) ديوانه ٦٢٢.

(٧) الديوان: «إلا مدرييها وأذنها ... وإلا مشقة، وفى ا: ... إلا مدرييها»، والمذروان من الرأس:

٢٠ ناحيتاه. والمدرى: القرن. والمشقة: الرقة أو فرجة فى قوائمها.

(٨) ف: «حدثنى على بن سعيد».

(٩) العرسات: جمع عرس، بالضم وبضمتين: طعام الوليمة.

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدثنى هارون بن الزيات ، قال : أخبرنى محمد بن صالح العدوىّ ، قال : قال زُرعة بن أذبول :

بعض صفاته

كان ذو الرمّة مدوَّر الوجه ، حسن الشَّعرة جَعْدها ، أقنى ، أنزع ، خفيف العارضين ، أكحل ، حسن الضحك[1] ، مُفَوَّها ، إذا كلمك كلَّمك أبلغ الناس ، يضع لسانَه حيث يشاء .

وقال حمّاد بن إسحاق : حدثنى إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، عن عمته عافية وغيرها من أهله :

أنهم رأوا ذا الرمّة باليمامة عند المُهاجِر بن عبد الله شيخاً أجْنَأ[2] سِناطا[3] متساقطا .

وقال هارون[4] بن الزيات : حدثنى علىّ بن أحمد الباهلىّ ، قال : حدثنى ربيح النميرىّ ، قال :

اجتمع الناس مرةً وتحلَّقوا على ذى الرمة ، وهو ينشدهم ، فجاءت أمه فاطّلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة . وكان دميا شختا[5] أجْنَأ فقالت أمه : استمعوا إلى شِعْره ، ولا تنظروا إلى وجهِه .

قال هارون : وأخبرنى يعقوب بن السكِّيت ، عن أبى عدنان ، قال : أخبرنى أسيد الغنوىّ ، قال :

---

(١) جـ : « حسن المضحك » .

(٢) الأجنأ : من يشرف كاهله على صدره .

(٣) السناط ، بالكسر والضم : الخفيف العارض ، أو الذى لا لحية له اصلا .

(٤) جـ : « هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات » .

(٥) ا : « وكان ذميا شيخا » . والشخت : الدقيق الضامر خلقة لا هزالا .

سمعتُ ببادِيتنا من قوم هَضَبوا فى الحديث[١] أنَّ ذَا الرُّمَّة كان تِرْعِيَّةً [٢]، وكان كِنازَ اللحم مربوعاً قصيراً، وكان أنفه ليس بالحسن.

الفرزدق وجرير يحسدانه

أخبرنى ابن عمّار، عن سليمان بن أبى[٣] شيخ، عن أبيه، عن صالح ابن سليمان قال:

٥ كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمّة، وأهلُ البادية يُعجبهم شعرُه.

كان صالح بن سليمان راوية لشعره

قال: وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذى الرمّة، فأنشد يوماً قصيدةً له، وأعرابىّ من بنى عدىّ يسمع، فقال: أشهد عَنَّك — أى أنَّك — لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تتلوه[٤]، وكان يحسَبه قرآناً.

إعجاب الكميت بشعره

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثنى هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح ١٠ العدوىّ، قال: قال حمّاد الراوية:

قال الكُميت حين سمع قول ذى الرمة[٥]:

أعاذِلُ قد أكثرتِ مِنْ قول قائلٍ وعَيْبٌ على ذى الوُدّ[٦] لَوْمُ العواذلِ

١١٣ / ١٦

هذا والله مُلهم، وما عِلْم بَدوىّ بدقائق[٧] الفطنة وذخائر كَنْز العقل المعَدّ لذوى الألباب! أحسنَ ثم أحسن.

١٥ قال محمد بن صالح: وحدثنى محمد بن كُناسة بذلك عن الكميت، وقال:

---

(١) هضب الرجل فى الحديث: أفاض. وفى ح: «هضبوا الحديث»

(٢) رجل ترعية بالتشديد، وقد يخفف: يجيد رعية الإبل.

(٣) ف: «أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن أحمد بن سليمان بن أبى شيخ».

(٤) ف: «ما نلوته». (٥) ديوانه ٥٠٠.

٢٠ (٦) فى الديوان: «وعيب على ذى اللب». (٧) ف: «بدقائق فهم الفطنة».

لما أنشد قولَه فى هذه القصيدة[١] :

دعانى وما دَاعِى الهوى مِنْ بلادِها إذا ما نأتْ خَرْقاءُ عنِّى بِغافلِ

فقال الكميت : لله بلادُ هذا الغلام ! ما أحسن قوله ! وما أجود وصفه ! ولقد شفع[٢] البيتَ الأول بمثله فى جودة الفهم والفطنة ، وقال[٣] قولَ مُستسلم .

قال ابن كناسة : وقال لى حمّاد الراوية : ما أخّرَ القومُ ذِكْرَه إلّا لحداثة سنّه ، وأنهم حسدوه . ٥

آراء قيلت فى شعره

قال محمد بن صالح : وقال لى خالد بن كلثوم وأبو عمرو : قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف[٤] :

لم يكن أحدٌ من القوم فى زمانه أبلغَ من ذى الرمة ، ولا أحسن جوابا ؛ كان كلامه أكثر من شعره . ١٠

وقال الأصمعىّ : ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريّين وغيرهم شكا حُبًّا أحسن من شكوى ذِى الرمّة ، مع عِفّةٍ وعَقْلٍ رَصِين .

قال : وقال أبو عبيدة :

ذو الرمة يخبر فيُحسن الخبر ، ثم يردّ على نفسه الحجةَ من صاحبه[٥] فيحسن الردّ ، ثم يعتذر فيحسن التخلص ، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف فى الحكم . ١٥

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا أبو أيوب المدينىّ ، قال : حدثنا الفضل ابن إسحاق الهاشمىّ ، عن مولًى لجدّه ، قال :

رأيتُ ذا الرمة بسوق المِرْبَد ، وقد عارضه رجلٌ يهزأُ به ، فقال له : يا أعرابىّ ، أتشهد بما لم تَرَ ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ؟ قال : أشهد أنَّ أباك ناك أمّك .

---

(١) ديوانه ٤٩٢ . (٢) جـ : « شيع » . (٣) ف : « فقال » . ٢٠
(٤) جـ : ... وأبو عمرو على بن حزام وأبو المطرف . (٥) حـ : « من صاحبته » .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ ، قال : حدثنى عمّى عُبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل ، قال :

كان جرير عند بعض الخلفاء ، فسأله عن ذى الرمّة ، فقال : أخذ من طريف الشعر وحَسَنِه[١] مالم يسبقه إليه أحد غيره .

٥ أخبرنى وكيع[٢] ، عن حماد بن إسحاق ، قال : قال حماد الراوية :

قدم علينا ذو الرمة الكوفة ، فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدثنى أبو عبيدة ، عن أبى عمرو ، قال : خُتِم الشعْرُ بذى الرمة ، وخُتِم الرَّجَز برُؤبة .

قال : فما تقول فى هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كَلٌّ على غيرهم ؛ إنْ قالوا حسنا

١٠ فقد سُبِقوا إليه ، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم .

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنىّ ، عن بعض أصحابه ، عن حمّاد الرّاوية ، قال :

أحسَنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس ، وذو الرمة أحسنُ أهل الإسلام تشبيها .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ ، عن عمه عبيد الله ، عن ابن حبيب ،

١٥ عن عمارة بن عقيل :

أنَّ جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بنى أُمَيّة ، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراد[٣] عن ذى الرمة ، فكلاهما قال : أخَذ من طريف الشعر وحَسَنِه[٤] ما لم يسبقه إليه غيره ، فقال الخليفة : أشهد لاتفاقكما[٥] فيه أنه أشْعَرُ منكما جميعا .

---

(١) جـ : « ووحشيه » .

٢٠ (٢) حـ : « محمد بن خلف وكيع . قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ... » .

(٣) ا : « انفراده » .

(٤) ف : « ووحشيه » .

(٥) ف : « أشهد على اتفاقكما » .

أخبرنى جحظة(١) ، عن حماد بن إسحاق ، قال : حدثنى أبى قال :

أنشِد الصَّيْقَلُ شِعْرَ ذى الرمة فاستحسنه ، وقال : ماله قاتله الله ! ما كان إلاّ رُبيقَة ، هلاّ عاش قليلا(٢) !.

وقال هارون بن محمد : أخبرنى علىّ بن أحمد الباهلىّ ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق البلخىّ ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن ابن شُبرمة ، قال : سمعت ذا الرمة يقول : إذا قلتُ : كأنّه ، ثم لم أجد مخرجا فقطع(٣) الله لسانى .

١١٤ / ١٦

قال هارون : وحدثنى(٤) العباس بن ميمون طائع ، قال : قال الأصمعىّ : كان ذو الرمّة أشعرَ الناس إذا شبَّه ، ولم يكن بالمُفْلِق .

وحدثنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال :

كان لذى الرمة حظٌّ فى حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين ، كان(٥) علماؤنا يقولون : أحسَنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤُ القيس ، وأحسَنُ أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمة .

لقاؤه بمية وشغفه بها

أخبرنى محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد ، عن أبيه ، عن أبى عقيل عمارة بن عقيل ، عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير ، عن جارية كانت لأم مىّ ، قالت :

كنا نازلين بأسفل الدهناء ، وكان رهط ذى الرُّمة مجاورين لنا ، فجلست مية ـ وهى حينئذ فتاة حين نَهد ثدياها أحسن من رأيته ـ تغسل ثياباً لها ولأمها فى بيت منفرد ، وكان بيتاً رثّا قد أخلق ، ففيه خروق ، فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها ، فأقبل ذو الرُّمة حتى دخل إلينا ، ثم سلّم ، ونَشد ضالّةً وجلس ساعةً ثم خرج . فقالت مية : إنى لأرى هذا العدوىّ(٦) قد رآنى منكشفة واطلع علىّ من

(١) ح : « أحمد بن جعفر جحظة » .
(٢) ح : « ما كان إلا زنبقة ، ألا عاش قليلا » ! والربقة : العروة من الحبل ، وتصغيرها ربيقة .
(٣) ح : « ولم أجده فقطع » .
(٤) ح . « وحدثنى محمد بن العباس » .
(٥) ج : « وكان » .
(٦) فى المختار : « العذرى » .

حيث لا أدرى ؛ فإنّ بنى عدىّ(١) أخبث قوم فى الأرض ، فاذهبى فقُصِّى أثره ، فخرجت فوجدته ما يثبتُ مُقامه ، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر من ثلاثين طرقة(٢) ، كل ذلك يدنو فيطلّع إليها ، ثم يرجع على عَقِبيه ، ثم يعود فيطلّع إليها ، فأخبرتها بذلك ، ثم لم ننشب أن جاءنا شِعرُه فيها من كل وَجْه ومكان(٣) .

رواية أخرى فى ذلك

٥ وذكر علىّ بن سعيد بن بشر الرازىّ : أن هارون بن مسلم بن سَعْد حدّثه عن حسين(٤) بن براق الأسدىّ ، عن عمارة بن ثقيف ، قال :

حدثنى ذو الرّمّة أنّ أول ماقاد المودّةَ بينه وبين ميّة أنه خرج هو وأخوه وابن عمه فى بِغاء إبلٍ لهم ، قال : بينا(٥) نحن نسير إذ وردْنا على ماءٍ وقد أجهدنا العطش ، فعدلنا إلى حِوَاء(٦) عظيم ، فقال لى أخى وابن عمى : ائت الحِوَاء فاستَسْقِ لنا(٧) ، فأتيتهُ

١٠ وبيْنَ يدَيْه فى رواقه عجوزٌ جالسة. قال : فاستسقيتُ ، فالتفتَتْ وراءها فقالت : يامىّ ، اسْقِى هذا الغلام ، فدخلتُ عليها فإذا هى تنسج(٨) عِلْقَةً لها ، وهى تقول :

يا مَنْ يرى(٩) بَرْقاً يمُرُّ حِينا زَمْزَمَ رَعْداً وانتحى يمينا(١٠)

كأنَّ فى حافاتِهِ حنينا(١١) أو صوتَ خيل ضُمَّرٍ يرْدِينَا

قال : ثم قامت تصبُّ فى شَكْوَتَى(١٢) ماء ، وعليها شَوْذب(١٣) لها ، فلما

١٥ (١) فى المختار : « بنى عذرة » . (٢) طرقة : مرّة من الطرق .
(٣) انفردت ف بهذا الخبر .
(٤) ف : « غصين بن براق » . (٥) ف : « فبينا » .
(٦) فى المختار : « خباء » . والخباء والحواء ، ككتاب : جماعة البيوت المتدانية .
(٧) ف : « فاستسق لنا ماء » .
٢٠ (٨) فى المختار : « تمسح علقة لها » ، وفى ف : « تنسج شقة لها » . والعلقة : قميص بلا كمين ، وقيل : ثوب صغير يتخذ للصبى .
(٩) فى المختار : « رأى » .
(١٠) فى المختار : « ... على يبرينا . . وانتحى حنينا »
(١١) المختار : « جنينا » (١٢) الشكوة : وعاء من أدم للماء واللبن .
٢٥ (١٣) الشوذب : ثوب طويل .

انحطّتْ على القرْبة رأيْتُ مُوَلّى لم أر أَحْسنَ منه، قال: فلهَوْتُ بالنظر إليها، وأقبلَتْ تصبُّ الماء فى شَكْوَتى والماء يذهبُ يميناً وشمالا. قال: فأقبلت علىّ العجوز (١ وقالت: يابنىّ ألهتْكَ مىّ عما بعثك أهلُك له، أماترى الماء يذهب يميناً وشمالاً! » ١)

فقلتُ: أما والله ليطولنّ هُيامى بها.

قال: وملأْتُ شَكْوَتى، وأتيتُ أخى وابْنَ عمى، ولففتُ رأسى، فانتبذتُ ناحيةً، وقد كانت مىّ قالت: لقد كلّفك أهلُك السَّفَرَ علَى ما أرى من صغرك وحداثة سنك، فأنشأتُ أقول[٢]:

قد سَخِرَتْ[٣] أُختُ بنى لَبيدِ منّى ومِنْ سَلْمٍ ومِنْ وَليدِ[٤]

رأتْ غُلامَىْ سَفَرٍ بعيدِ يَدَّرِعانِ اللَّيْلَ ذا السُّدودِ[٥]

* مثل ادِّرَاعِ اليَلْمَقِ[٦] الجديد *

قال: وهى أول قصيدة قلتها ثم أتممتها:

* هل[٧] تعرف المنزل بالوَحِيدِ *

ثم مكثتُ أَهِيمُ بها فى دِيارها عشرين سنة.

ذوالرمة وزوج مىّ

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ، عن النوفلىّ[٨]، قال: سمعتُ أبى يقول: ضاف ذوالرّمّة[٩] زَوْجَ مىّ فى ليلةٍ ظلماء، وهو طامع فى ألاّ يعرفه زَوْجُها، فيدخله بيْتَه[١٠]، فيراها ويكلّمُها، ففطن له الزَّوْجُ وعرفَه فلم يُدْخِلْه، وأخرج إليه

(١-١) من ا، ف، والمختار.

(٢) ديوانه ٥٧

(٣) الديوان: «قد عجبت».

(٤) الديوان: «وهزئت منى ومن مسعود».

(٥) يدرعان: يلبسان. والسدود: الظلمات.

(٦) اليلمق: القباء، فارسى معرب.

(٧) الديوان ١٥٠، وأولها:

ألا يادار مية بالوحيد كأن رسومها قطع البرود

(٨) ح: «حدثنى على بن محمد النوفلى».

(٩) أى نزل ذو الرمة ضيفا عليه.

(١٠) ف: «بيته ويقريه».

قِرَاه ، وتركه بالعَرَاء[١] ، وقد عرفته مَيّةُ ؛ فلما كان فى جَوْفِ الليل تغنى غناء الرُّكبان قال[٢] :

أراجعــةٌ يامىُّ أيامُنا الأُلَى بذِى الأَثْل أملاً ، مالهنَّ رجوعُ !

فغضب زوجُها ، وقال : قُومِى فصيحى به : يابْنَ الزانية ، وأىُّ أيامٍ كانت لى[٣] معك بذى الأثل ! فقالت : ياسبحان الله ، ضَيْفٌ ، والشاعر يقول ! فانتضى السيفَ ، وقال : والله لأضربنَّكِ به حتى تأتِى عليك أو تقولِى[٤] ، فصاحت به كما أمرها زَوْجُها ، فنهض على[٥] راحلته ، فركبها وانصرف عنها مُغْضباً يُريد أن يصرفَ مودَّته عنها إلى غيرها . فمرَّ بفَلْج فى رَكْبٍ ، وبعضُ أصحابه يريد أن يرقع خُفَّه ، فإذا هو بجوارٍ خارجات مِنْ بيت يُرِدْنَ آخر ، وإذا خرقاء فيهنّ — وهى امرأةٌ من بنى عامر — فإذا جاريةٌ حُلْوَةٌ شَهْلاَء[٦] ، فوقعَت عَيْنُ ذى الرُّمة عليها ، فقال لها : ياجارية ، أترقَعين لهذا الرجل خُفَّه ؟ فقالت تَهزَّأ به : أنا خَرْقاء لا أُحسِن أن أعمل ؛ فسمّاها خرقاء ، وترك ذِكر مىّ ؛ يُريد أن يغيظَ بذلك ميّا . فقال فيها قصيدتين أو ثلاثا ، ثم لم يلبث أن مات .

١١٥ / ١٦

قال شعرا فى خرقاء يغيظ به ميا

لقاؤه بجرير والمهاجر بن عبدالله

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن الأصمعىّ ، عن عمارة بن عقيل ، قال : قال جرير : خرجتُ مع المُهاجِر بن عبد الله إلى حَجَّةٍ ، فلقينا ذا الرُّمة، فاستنشده المهاجر فأنشده[٧] :

ومِنْ حاجتى لَوْلاَ التَّنَائى ورُبّما منحتُ الهوَى مَنْ ليس بالمُتَقارِبِ

(١) ف : « وتركه بالعراء وراحلته » .
(٢) ديوانه : ٣٥٢ وروايته فى الديوان : « أيامنا التى * بذى الرمث » .
(٣) ف : « كانت لنا » .
(٤) ف : « أو لتقولن » ، وفى المختار : « أو لتقولين » .
(٥) ف : « إلى راحلته » .
(٦) الشهل ، محركه وبالضم : أقل من الزرق فى الحدقة وأحسن منه . (القاموس) .
(٧) ديوانه ٥٦ .

عطابيلُ بيضٌ مِنْ ربيعة عامرٍ عِذابُ الثنايا مُثقَلاتُ الحقائب[١]
يَقِظْنَ الحِمَى والرَّمْلُ منهن مَحْضَرٌ[٢] ويَشْرَبْنَ ألبانَ الهِجان النجائب

فالتفت إلىّ المهاجر، وقال: أتراه مجنونا!

رأى لجرير فى بيت قاله

أخبرنى أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البَيْدَاء الرِّياحىّ، قال:
قال جرير: قاتل اللهُ ذا الرمّة حيث يقول[٣]:

ومُنْتَزِعٍ مِنْ بين نِسْعَيْهِ جِرّةً[٤] نشيجَ الشَّجَا جاءت إلى ضِرْسِه نَزْرَا[٥]

أما والله لو قال: «ما بين جَنْبَيْهِ» لما كان عليه مِنْ سبيل.

أخبرنى الطوسىّ وحبيب[٦] المهلبىّ، عن ابن شبّة، عن أبى غزالة[٧]، عن هشام ابن محمد الكلبىّ، عن رجل من كندة، قال:

جرير وأبو عمرو ابن العلاء يصفان شعره

سئل جرير عن شِعْرِ ذى الرمة فقال: بَعَرُ ظِبَاءٍ، ونُقَطُ عَرُوسٍ، يضمَحِلُّ[٨] عن قليل.

أخبرنى أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان أبو عَمْرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذى الرّمة نُقَط [عروسٍ يضمحل عن قليل][٩] وأبعار لها مَشَمٌّ فى أول شمّة[١٠]، ثم تعودُ إلى أرواح البَعَر.

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة:

---

(١) فى الديوان: .... من ذؤابة عامر * رقاق الثنايا مشرفات الحقائب
وعطابيل: بيض طوال حسان.
(٢) فى الديوان: ... منهن مربع، والهجان: الكرام. والنجائب: الكرام من الإبل. ويقظن: ينزلنه فى القيظ، وفى ا: «يعظن».
(٣) ديوانه ١٧٣. (٤) ف: «درة». (٥) ا: «نزر».
(٦) ف: «وحبيب بن نصر المهلبى». (٧) ف: «ابن غزالة».
(٨) ف: «أى يضمحل عن قريب». (٩) من ابن سلام.
(١٠) ابن سلام: «شمها».

الفرزدق يعجب بشعره ولا يعده من فحول الشعراء

وقف الفرزدقُ على ذى الرمّة وهو ينشد قصيدته (الحائية)[١] التى يقول فيها[٢] :

إذا ارْفَضّ أطرافُ السِّياط وهُلِّلَتْ جُـــرومُ المطايا عذَّبتهنّ صَيْدَحُ[٣]

فقال[٤] ذوالرمة : كيف تسمعُ يا أبا فِراس ؟ قال : أسمعُ حسناً ، قال : فمالى لا أُعَدُّ فى الفحول من الشعراء ؟ قال : يمنعك من ذلك ويُباعدك[٥] ذِكرُك الأبعار وبكاؤك الديار ، ثم قال[٦] :

ودَوِّيَّةٍ لو ذُو الرُّمَيْمةِ رَامَها[٧] لقصَّر عنها ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ[٨]

قطعتُ إلى معـــروفها منكراتها إذا اشتدّ آلُ الأمْعَزِ المتوضِّحُ[٩]

وقال عمر بن شبّة فى هذا الخبر : فقام إليه ذو الرمة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئا ، فقال : إنهما بيتان ، ولن أزيد عليهما شيئا .

قال : وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبى عمرو[١٠] : إنما شعره نقط عروس تضمحل عمّا قليل ، وأبعار ظباء لها مشمّ فى أول شمها ، ثم تعود إلى أرواح الأبعار[١١] .

وكان[١٢] هوَى ذِى الرُّمّة مع الفرزدق على جَرِير ؛ وذلك لِمَا كان بين جرير وابن لجأ

---

(١) كذا فى ف . (٢) ديوانه ٨٧ .

(٣) ارفض : تفرق من العرق . والجرم : الجسد ، وهللت جرومها : صارت كالأهلة من الهزال . وصيدح : اسم ناقة ذى الرمة .

(٤) ف : « ثم قال » . (٥) ف : « ويتقاعد بك » .

(٦) ديوانه ١٤٧ . (٧) ف : « أمها » ، والدوّية : المفازة .

(٨) س : « ذو الرمام » ، وفى الديوان :

* بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح *

وذو الرميمة ، تصغير ذى الرمة ، ورامها بصيدح : ابتغى قطعها بناقته صيدح .

(٩) ف : « إذا امتد » . وفى ابن سلام ٤٦٩ ، والديوان :

* إذا خب آل دونها يتوضح *

الأمعز : المكان الصلب الكثير الحصى . المتوضح : المستبين .

(١٠) ا : « قال : وكان أبو عمرو يقول » .

(١١) ف : « البعر » . (١٢) ابن سلام ٤٦ .

كان هواه مع الفرزدق على جرير

التَّيْمىّ، وتَيْمٌ وعدىٌّ أخوان من الرِّباب، وعُكْلٌ أخوهم، ولذلك يقول جرير لعُكل[١]:

فلا يضغَمَنَّ الليثُ عُكْلاً بغِرّةٍ وعُكلٌ يَشمُّونَ الفَرِيسَ المنيَّبا

الفَرِيس هاهنا ابن لجأ، وكذلك يفعل السبع[٢] إذا ضغم[٣] شاةً ثم طُرد عنها، أوسبقته، أقبلت الغنمُ تشمُّ موضع الضَّغْم، فيفترسها[٤] السبع، وهى تشم، ولذلك قال جرير لبنى عدىّ[٥]:

١١٦ / ١٦

وقُلْتُ نضاحةً لبَنِى عَدِىٍّ ثيابَكُم ونَضْحَ دَمِ القَتِيلِ[٦]

يحذِّر عَدِيًّا ما لَقِي ابنُ لَجَأ.

الفرزدق ينتحل أبياتا له

أخبرنى أبو خليفة، عن ابن سلام[٧] أنّ أبا يحيى الضبىّ قال: قال ذو الرمّة يوْماً: لقد قلتُ أبياتا إنّ لها لعَرُوضا وإن لها لمرادا ومعنى بعيدا. قال له الفرزدق: ماهى؟ قال: قلت[٨]:

أحِين أعاذَتْ بى تميمٌ نساءها[٩] وجُرِّدْتُ تجرِيدَ اليمانى من الغِمْدِ

ومَدَّت بضَبْعَىَّ الرِّبابُ ومالِكٌ وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائى بنوسَعْدِ

ومن آلِ يَرْبُوعٍ زَهاءٌ كأنه زُهَا اللَّيْلِ[١٠] محمودُ النِّكايةِ والرِّفْدِ

فقال له الفرزدق: لا تعودَنَّ فيها، فأنا أحقُّ بها منكَ، قال: والله

(١) ديوانه ١٤ وابن سلام ٤٦٩. (٢) ف: «الليث».
(٣) ضغم السبع الشاة: عضها، أو عضها دون النهش. (٤) ف: «فيفترها».
(٥) البيت فى ديوانه ٤٣٧.
(٦) نضاحة، أى نضحا. والنضح: الرشاش يصيب الثوب من دماء أو ماء.
(٧) ف: «حدثنا أبو عبد الله بن سلام قال».
(٨) ابن سلام ٤٧٠ والموشح ١٦٩، ١٧٠، ١٧١ وديوان ذى الرمة ١٤٢.
(٩) س: «نسامهم». والمثبت فى ا، ج، وابن سلام، وفى الموشح، وديوان ذى الرمة ١٤٢.
(١٠) ديوانه: «دجا الليل».

لا أعودُ فيها ولا أنشدها أبداً إلاّ لك ، فهى قصيدة الفرزدق التى يقول فيها [١] :

وكُنَّا إذا القَيْسِىُّ نَبَّ عَتُوده ضَرَبْنَاه فوْقَ الأُنثيين على الكَرْدِ [٢]

— الأُنثيان : الأذنان . والكَرْد : العُنُق —

وروى هذا الخبر حمّاد عن أبيه ، عن أبى عبيدة ، عن الضحاك الفقيمىّ [٣] قال :

٥ بينا أنا بكاظمة وذو الرمّة يُنْشِدُ قصيدته التى يقول فيها :

* أحينَ أعاذَتْ بى تَمِيمُ نساءها [٤] *

إذا راكبان قد تدلّيا مِنْ نَقْب [٥] كاظمة مُقنَّعان فوقفا ، فلما فرغ ذو الرمّة حسر الفرزدقُ عن وَجْهه وقال لِرَاوِيته [٦] : يا عُبيد ، اضمُمْ إليك [٧] هذه الأبيات . قال له ذو الرمة : نشدتُك الله يا أبا فراس ! فقال له : أنا أحقُّ بها منك ،

١٠ وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات .

حدّثنا محمد ، قال : حدثنا أبو الغرّاف ، قال :

المهاجاة بينه وبين هشام المرئى .

مرّ ذو الرمّة بمنزل لامرئ القَيْس بن زيد مَناة يُقال له : مَرْأة [٨] ، به نَخْل ، فلم ينزلوه ولم يقروه ، فقال [٩] :

نَزلْنَا وقد طال [١٠] النهارُ وأوْقَدَتْ علينا حصى المَعزاءِ [١١] شَمسٌ تنالُها

١٥ أنخْنَا فظَلَّلنا بأبْرَادِ يُمْنَةٍ عِتاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقالُها [١٢]

(١) ديوانه ٢١ واللسان (كرد) والمعرب ٢٧٩ والموشح ١٧٠ وابن سلام ٤٧١ .
(٢) س : « وكان ... إلى الكرد » ، والمثبت من المراجع السابقة . والعتود : الجدى القوى .
(٣) ف : « عن الضحاك بن القاسم » . (٤) س : « نساءهم » .
(٥) ف : « بيت » . (٦) حـ « للراوية » .
(٧) جـ : « اضم هذه » . (٨) ابن سلام ٤٧١ . (٩) ديوانه ٥٤٢ .
٢٠ (١٠) ف : « وقد طاب النهار » ، وفى الديوان : « وقد غار النهار » .
(١١) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحصى .
(١٢) فى الديوان : بنيننا علينا ظل أبراد يمنة على سمك أسياف قديم صقالها
اليمنة : ضرب من برود اليمن .

فلمـا رآنا أهـلُ مَرْأَةَ أغلقوا مخادعَ لم تُرْفَعْ لخـيرٍ ظِـلالُها(١)
وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امرئِ القيسِ قَرْيةٌ كِرامٌ صَـوَادِيها لِئامٌ رِجالُها(٢)

فلجّ الهجاء بين ذى الرُّمة وبين هشام المرئىّ ، فمرّ الفرزدق بذى الرمة وهو ينشد(٣):

صـوت

وقَفْتُ على رَبْـعٍ لِمَـيَّةَ ناقتى فـا زِلْتُ أبْـكِى عنـده وأُخَاطِبُهْ ٥
وأسـقِيهِ حتى كاد مما أبُثُّـه تُـكلِّمنى أحجـارُه ومَلَاعِبُـه

غنّى(٤) فيه إبراهيم ثانى ثقيل مُطلق فى مجرى البنصر ، وسيأتى خبره بعد ؛ لئلا ينقطع هذا الخبر .

فقال له الفرزدق : ألهاك البكاء(٥) فى الديار ، والعبدُ يرتجز(٦) بك فى المقابر(٧) ، ١٠
يعنى هشاما .

وكان(٨) ذو الرُّمَّةِ مُستَعْلِياً هشاماً حتى لقى جَرِيرٌ هشاماً ، فقال : غلبك العبدُ ، يعنى ذا الرّمة ، قال : فما أصنع يا أبا حَزْرَة ، وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ ، والرَّجَزُ لا يقوم للقَصيد فى الهِجَاء ؟ ولو رَفَدْتَنى(٩) ، فقال جرير ــ لتُهمَتِه ذا الرُّمّة بالميل(١٠)

---

(١) فى الديوان : « فلما دخلنا جوف مرأة غلقت * دساكر ... » .
والدساكر : جمع دسكرة ، وهى بناء كالقصر ، حوله بيوت الأعاجم ، تكون فيها الشراب والملاهى ، ١٥
أراد بها هاهنا البيوت عامة .

(٢) سميت مرأة باسم امرئ القيس . والصوادى : جمع صادية ؛ وهى النخل التى بلغت عروقها الماء وطالت ، فهى لاتحتاج إلى سقى . وفى ا : « كدام صواديها » .

(٣) ديوانه ٣٨ ، ابن سلام ٤٧٢ . (٤) ا : « غناه إبراهيم » .

(٥) فى ابن سلام : « التبكاء » . (٦) فى ابن سلام : « يرجز بك » . ٢٠

(٧) فى حـ ، وابن سلام : « فى المقبرة » . (٨) ابن سلام : ٤٧٣ .

(٩) حـ ، وابن سلام : « فلو رفدتنى » ، ورفده : أعانه .

(١٠) فى ابن سلام : « وميله إلى الفرزدق » .

١١٧/١٦

إلى الفرزدق ــ : قل له(١) :

غَضِبْتُ لرَجْلٍ منْ عَدِىّ تشمَّسوا ... وفى أىِّ يَوْمٍ لم تَشَمَّسْ رجالُها(٢)

وفيم عَدِىٌّ عند تَيْمٍ من العُلَا ... وأيامنا اللّاتى تُعَدُّ فَعَالُها

وضَبَّةُ عَمِّى يا بْنَ جُلٍّ(٣) فلا تَرُمْ ... مَسَاعِىَ قومٍ ليس منكَ سِجالُها (٤)

٥ يُمَاشِى عَدِيًّا لؤمُها ، لا تُجِنُّه ... من الناس ما مسَّت عَدِيًّا ظِلالُها(٥)

فقل لعدىٍّ تَستعنْ بنسائها ... علىَّ فقد أعْيا عَدِيًّا رِجالُها

أذَا الرُّمِّ قد قَلَّدْتَ قومَك رُمَّةً ... بطيئاً بأمر المُطْلَقين انحلالُها

قال أبو عبد الله : فحدثنى أبو الغَرَّاف ، قال :

لما بلغت الأبياتُ ذا الرمة قال : والله ما هذا بكلام(٦) هشام ، ولكنه كلامُ ابن

١٠ الاتان(٧) .

أخبرنا أبو خليفة ، قال : حدثنا ابن سلاّم ، قال : وحدثنى(٨) أبو البَيْدَاء قال :

لما سمعها(٩) قال : هُوَ والله يَنتمى شِعْرَ حنظلىٍّ عُذرىٍّ(١٠)، وغلب هشام على

ذى الرّمة بها .

---

(١) ديوان جرير ٤٨٦ وابن سلام ٤٧٣ .

١٥ (٢) ابن سلام : « غضبت لرهط ... » ، قال محققه : ويروى : « عجبت لرحل » ، و « غضبت لرحل » ، بالحاء المهملة . وتشمس : قعد فى الشمس أو انتصب لها .

(٣) بنو جل بن عدى بن عبد مناة بن ود .

(٤) السجال : المساجلة والمباراة والمفاخرة .

(٥) ف : « ... ضلالها » ، وفى ابن سلام : ... ما مشت عد يا رجالها » .

٢٠ (٦) ا ، ف : « كلام » .

(٧) ابن الأتان ، يعنى جريرا .

(٨) ابن سلام ٤٧٤ .

(٩) ف : « فلما سمعها » .

(١٠) ف : « نجودى » ، وابن سلام « غدرى » .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدثنى أبو عبيدة ، قال : حدثنى فلان المرئىّ ، قال: أتانا جرير على حمار ، وأنا لا أعرفه ، فأُتى بنبيذ فشرب ، فلما أخذ فيه قال : أين هشام ؟ فدُعى ، فقال له : أنشدنى ما قلتَ فى ذى الرّمة ، فأنشده ، فجعل كلما أنشده قصيدةً قال : لم تصنع شيئاً ، ثم قال له : قد دَنَا رَوَاحِى فارْدُدْ [١] هذه الأبيات ومُر شُبّانكم بروايتها ، وذكر الأبيات التى أولها قوله [٢] :

* غَضِبْتَ لرَجْلٍ [٣] من تميم تَشَمَّسُوا *

ذو الرمة يعاتب جريرا فيجيبه بأبيات يهجو بها هشاما

قال : فغلبه هشام بها ، فلما كان بعد ذلك لقى ذو الرّمة جريراً فقال : تعصَّبْتَ على خالك للمرئىّ . فقال جرير : حيث فعلتُ ماذا ؟ قال : حين تقولُ للمرئىّ كذا وكذا ، فقال جرير : لأنك [٤] ألهاك البكاء فى دار ميّة حتى استقبَحتْ [٥] محارمُك .

قال : وقول ذى الرّمة : تعصَّبْتَ على خالك ، أنّ النوّار بنت جُلّ [٦] أمّ حَنْظلَة ابن مالك ، وهى من رَهْط ذى الرّمة ، وكذلك عنى جرير بقوله :

ولولا أن تقــولَ بنو [٧] عــدىّ ... ألم تك أمَّ حنظـلة النوّارُ
أتتــكم يا بنى مِلْــكانَ منّى ... قصـائدُ لا تعاورُها البِحارُ [٨]

فقال ذو الرّمة : لا ، ولـكن اتهمْتَنى بالَميْل مع الفرزدق عليك ، قال : كذلك هو ، قال : فوالله مافعلتُ ، وحلف له بما يُرضيه ، قال : فأنشدنى ماهجوتَ به المرئىّ ، فأنشده قوله [٩] :

نَبَتْ عَيْنَاك عن [١٠] طلَلٍ بِحُزْوَى ... عَفَتْه الريح وامتضح [١١] القِطَارا

---

(١) حـ : « فارو هذه الأبيات » .
(٢) ساقط من جـ .
(٣) انظر التعليق السابق ، حاشية ٢ ص ١٩ .
(٤) ف : « لا ، بل » .
(٥) ف : « حتى استبيحت » .
(٦) ا : « بنت خال » .
(٧) فى ا : « بنى عدىّ » .
(٨) فى ف : « التجار » .
(٩) ديوانه ١٩٣ .
(١٠) ا : « من طلل » . وحزوى : موضع بنجد .
(١١) ف ، والديوان : « وامتنح » ، وامتنح ، من المنحة وهى العطية ، وامتضح ، من مضح عرضه : شانه .

فأطال[١] جدّا ، فقال له جرير : ماصنعتَ شيئا ، أفأرفدك ؟ قال : نعم ، قال : قل[٢] :

يَعُدُّ الناسبُون إلى تميم بُيوتَ المجْدِ[٣] أربعةً كبارا
يَعُدُّون الرِّبابَ وآلَ سَعْدٍ[٤] وعَمْراً ثم حنظلةَ الخيارا
ويَهْلِك بينها المَرَئىُّ لَغْواً كما ألغَيْتَ فى الدِّيَةِ الحُوَارا

٥ ([٥]ويروى : ويذهب بينها[٥]) .

فغلبه[٦] ذو الرّمة بها .

قال : حدثنى محمد بن عمر الجرجانىّ[٧] ، قال : حدثنى جماعة من أهل العلم أنّ ذا الرّمة مرّ بالفرزدق فقال له : أنشدنى أحْدَث ما قلت فى المرئىّ ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ، ثم قال : أعِد ، فأعاد ، فقال . كذبت وأيم الله ، ١٠ ما هذا لك ، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْن منك ، وما هذا إلاّ شعرُ ابن الأتان[٨] .

١١٨ / ١٦

فلما سمعها المرئىّ جعل يلطم رأسَه ، ويصرخ ويَدْعو بوَيْله ، ويقول : قتلنى جرير ، قتله الله ! هذا والله شعره الذى لو نقطت منه نقطةٌ فى البحر لكدّرته ، قتلَنى ، وفضحَنى .

فلما استعلَى ذو الرمة على هشام أتَى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا : يا أباحَزْرة ، ١٥ عادتُك الحسنى ، فقال : هيهات ، ظلمتُ أخوالى ، قد أتانى ذو الرّمة ، فاعتذر إلىّ ، وحلف[٩] فلستُ أُعينُ عليهم .

---

(١) جـ : « فأطالها » . (٢) ديوان ذى الرمه ١٩٦ .
(٣) الديوان : « بيوت العز » . (٤) الديوان :
يعدون الرباب لهم وعمراً وسعداً ثم ...
٢٠ (٥-٥) كذا فى جـ . (٦) فى ف : « فغلب » .
(٧) ما : « الجرجانى » . و ف : « الجرجرائى » .
(٨) يريد جريرا . (٩) ف : « وحلف لى » .

فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتَب وقد طلع بمكاتبته، فأعطوه عشرة أعنز، وأعانوه على مكاتبته، فقال أبياتاً عَيْنيَّة يفضِّل فيها بنى امرئ القيس على بنى عدىّ، وهشاما على ذى الرّمّة، ومات ذو الرّمّة فى تلك الأيام، فقال الناس: غَلَبه هشام.

قال ابن النّطّاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئىّ، فقال الناس: غلبه، ولم يغلبه؛ إنما مات قبل الجواب. ٥

يتحدث عن شعره

أخبرنى اليزيدىّ[١]، عن محمد بن الحسن الأحول، عن بعض أصحابه، عن الشَّبْو بن قُسيم العُذْرىّ[٢]، قال:

سمعتُ ذا الرّمّة يقول: مِنْ[٣] شعرى ما طاوعنى فيه القولُ وساعدنى، ومنه ما أجهدْتُ نفسى فيه، ومنه ما جُننت به جنُونا؛ فأما ما طاوعنى القول فيه فقولى[٤]:

* خليلىّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحلِ * ١٠

وأما ما أجهدتُ نفسى فيه فقولى: [٥]

* أأنْ تَوَسّمت من خَرْقاء منزلة *

أما ما جُننت به جنونا فقولى[٦]:

* ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكِبُ *

---

(١) ح: «محمد بن العباس اليزيدى». ١٥

(٢) ح: السير بن قسيم العدوى. (٣) ح: «فى».

(٤) ديوانه ٤٩١ وعجز البيت:

* بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل *

(٥) ديوانه ٥٦٧ وفى الديوان:

أعن ترسمت ٢٠

ماء الصبابة من عينيك مسجوم

(٦) ديوانه ١ وتمامه:

* كأنه من كلى مفرية سرب *

جرير يتمنى أن ينسب إليه شعر لذى الرمة

أخبرنى علىّ بن سليمان ، عن محمد بن يزيد ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جَرِير يقول : ما أحببتُ أن يُنسب إلىّ مِن شعر ذى الرمة إلا قوله :

* ما بالُ عينِكَ منها الماء يَنْسَكِبُ *

فإن شيطانه كان له فيها ناصحا .

٥ أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال :

قال حمّاد الراوية : ما تمم ذو الرمة قصيدته التى يقول فيها :

* ما بالُ عَينْك منها الماء ينسكب *

حتى مات ، كان يَزِيد فيها منذ قالها حتى تُوفّى .

ذو الرمة وخياط فى سوق المربد

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبى عدنان ، قال : أخبرنا جابر بن

١٠ عبد الله بن جامع بن جرموز الباهلىّ ، عن كثير بن ناجية ، قال :

بينا ذوالرمة ينشد بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون إليه، إذا هو بخيّاط يطالعه ، ويقول : يا غيلان

أأنتَ الذى تستنطق الدارَ واقفاً ... مِنَ الجهل هل كانت بكنّ حلولُ ؟

فقام ذو الرمّة وفكّر زمانا ، ثم عاد فقعد فى المِرْبَد ينشد ، فإذا الخياط قد وقف

١٥ عليه ، ثم قال[1] :

أأنت الذى شبّهت عَنْزاً بقفرةٍ ... لها ذَنَبٌ فوق اسْتها أُمَّ سالمِ ؟

وَقَرْنانِ إمّا يَلزقا بكَ يَتْركا[2] ... بجَنْبَيك يا غيلانُ مِثلَ المواسِمِ

جعلت لها قرنين فوق شواتها[3] ... ورَابَك منها مَشْقَةٌ فى القوائمِ

(١) حـ : « فقال » . (٢) حـ : « يلزمانك يثنيا » .

٢٠ (٣) الشواة : الشوى ، والشوى : قحف الرأس . وفى ف : « فوق ثيابها » .

فقام ذو الرمة فذهب، ولم يُنشد بعدها فى المِرْبد حتى مات الخياط . قال: وأراد الخياط بقوله هذا قولَ ذى الرمة[١] :

أقول لدَهْنَاوِيّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ لنا بين أعلَى بُرقةٍ فى الصَّرائم[٢]

أيا ظبية الوَعْسَاء بين جُلاَجِلٍ وبين النَّقَا آأنتِ أم أمُّ سالِمِ ؟

هى الشِّبْهُ لولا مِدْرِياها[٣] وأذْنُها سواء وإلاَّ مَشْقَةٌ فى القَوَائم ٥

فانتبه ذو الرُّمة لذلك، فقال[٤] :

١١٩/١٦ أقولُ بذِى الأَرْطَى عشيّةَ أَرشَقَتْ[٥] إلى الرَّكْبِ أعناقُ الظِّباءِ الخَوَاذلِ[٦]

لأدماء[٧] مِنْ آرام بين سُوَيقَةٍ وبين الجِبال[٨] العُفْرِ ذاتِ السَّلاَسِلِ

أرى فيكِ من خرقاء يا ظبيةَ اللِّوَى مشابهَ جُنِّبْتِ[٩] اعتلاقَ الحبائِلِ

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدُها ولونك لولا أنها غيرُ عاطِلِ[١٠] ١٠

فى البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم[١١] .

---

(١) ديوانه ٦٢١ .

(٢) فى الديوان « ... بين أعلى عرفة بالصرائم » . وفى ف « بين أعلى عجمة فالصرائم » .

(٣) فى الديوان : « إلا مدريها » . والمدريان : القرنان .

(٤) ديوانه ٤٩٥ . ١٥

(٥) فى الديوان : « عشية أتلعت ... » ، وفى ف : « أشرفت » .

(٦) حـ : « أعناق المطى » .

(٧) فى الديوان : « لأدمانة من وحش » ، وأدمانة : ظبية .

(٨) فى الديوان : « ... الحبال » ، بالحاء المهملة ، قال : والحبال يعنى حبال الرمل . والعفر : الحمر . والسلاسل من الرمل : ما تعقد منه . ٢٠

(٩) جـ : « جنته » ، والمثبت من ا والديوان ؛ يدعو لها ألا تعلق فى حبالة الصائد .

(١٠) حـ والديوان : « إلا أنها » . والعاطل : التى لا حلى عليها .

(١١) حـ : « لإبراهيم الموصلى » .

رؤبة يعجز عن تفسير بيت قاله الراعى فيفسره له ذو الرمة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش[١] ، عن أبى سعيد السكرىّ ، عن يعقوب ابن السكِّيت ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبى الغرّاف ، قال :

قال ذو الرمة لرُؤْبة : ما عَنَى الراعى بقوله[٢] :

أَنَاخا بأَسْوَا الظَّنّ ثمّتَ عرَّسَا قَلِيلاً وقد أبقى سُهَيْلٌ فعرَّدا

٥ فجعل رُؤبة يقول : هى كذا هى كذا ، لأشياء لا يقبلها ذو الرمّة ، فقال له رؤبة : فمهْ ؟ وَيْحَك ! قال : هى الأرض بين المَـكلئة وبين المُجْدِبة .

الوليد بن عبد الملك يسأل الفرزدق وجريراً عن ذى الرمة

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبى عَدْنان ، عن إبراهيم بن نافع :

أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره ، فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قال : أفتعلم أحداً أشعر منك ؟ قال : لا ، إلاّ أن غلاما من بنى عدىّ ١٠ ابن كعب يركبُ أعجازَ الإبل ، وينعت الفَلَوات . ثم أتاه جرير فسأله ، فقال له مثل ذلك . ثم أتاه ذو الرمة فقال له : ويحك ! أنتَ أشعر الناس ، قال : لا ، ولـكنْ غلام من بنى عقيل يُقال له : مُزاحم : يسكن الرَّوضات يقول وحشيًّا من الشعر لا تقدرُ على أن تقول مثلَه .

كثيرة تقول شعراً فى مى وتنحله ذا الرمة

قال : وكان ذو الرمة يتشبّب[٣] بمىّ بنت طُلبَة بن قيس بن عاصم المنقرىّ ، ١٥ وكانت كثيرةُ[٤] أمةً مُولّدة لآلِ قيس بن عاصم ، وهى أم سَهْم بن بُرْدة اللص الذى

---

(١) ف : « على بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد » .
(٢) ابن سلام ٤٧٧ ، وروايته :

أناخا بأشوال طروقاً بخبة قليلا وقد أعيا سهيل فعردا

وفى اللسان (خبب) والمخصص ١٠ : ١٧٣ :

٢٠ أناخوا بأشوال إلى أهل خبة طروقاً وقد أقعى سهيل فعردا

وفى ﺣ :

أناخا بأشراط وظلا بخبة طروقا وقد أقعى سهيل فعردا

(٣) ﺣ : « يشبب » . (٤) ابن سلام : « كنزة » .

قتله سِنَان بن مُحَيِّس (١) القشيرىّ أيام محمد بن سليمان، فقالت كثيرة (٢) :

على وَجْهِ مَىٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ وتحت الثيابِ الخِزْىُ لو كان بَادِيا

ألم تر أنّ المـاء يخبثُ طعْمُهُ ولو كان لَوْنُ الماء فى العين صَافيا (٣)

ونحلتْها ذا الرّمة، فامتعض من ذلك، وحلف بجهد (٤) أيمانه ما قالها.

قال: وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دَهْرى، وأفنيتُ شبابى أُشبّب بها وأمْدَحُها (٥)، ثم أقول هـذا ! ثم اطّلع على أنّ كثيرة قالتهما، ونحلتهما إياه.

مية لا ترد عليه السلام فيغضب ويقول فى ذلك شعراً

وقال هارون بن محمد: حدثنى عبد الرحمن بن عَبْد الله، قال: حدثنى هارون بن سعيد، قال: حدثنى أبو المسافر الفقعسىّ، عن أبى بكر بن جَبَلة الفقعسىّ، قال:

وقف ذو الرمة فى رَكْبٍ معه على مَيّة، فسلّموا عليها، فقالت: وعليكم إلاّ ذا الرمة (٦)، فأحفظه ذلك وغمّه ما سمع منها بحضرة القوم (٧)؛ فغضب وانصرف وهو يقول:

أيَا مىّ قد أشمتِّ بى ويحك العِدَا وقطّعتِ حَبْلاً كان يا مىّ باقيـا

فيا مىّ لا مرجوعَ للْوَصْلِ بيننا ولـكنّ هَجْـراً بيننا وتَقَاليا

ألم تر أنّ (٨) المـاء يَخْبثُ طعْمُهُ وإنْ كان لون المـاء فى العين صافيا

(١) ا : « ابن محسر » ، والمثبت من ف وابن سلام .

(٢) ابن سلام : « كنزة » ، والشعر فى ابن سلام ٤٧٦ وأمالى الزجاجى ٥٧ والحماسة ٤ : ٥٣ والشعر والشعراء ٥١٩ .

(٣) فى هامش حـ من نسخة : « وإن كان ... » .
وفى الديوان ٦٧٥ « ... أن الماء يخلف طعمه » .

(٤) حـ : « جهد » .

(٥) س : « وأمذقها » ، والمثبت من ا ، ف ، وابن سلام .

(٦) حـ : « الا ذوالرمة » .

(٧) حـ : « فأحفظه ما سمع منها بحضرة القوم » .

(٨) ا : « ألم ترين » ، والمثبت من الديوان .

محمد بن الحجاج الأسيدي يلتقي بمية وهي عجوز

١٢٠ / ١٦

أخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ، عن[1] ابن مَهْرُويه، عن ابن النطّاح، عن محمد ابن الحجاج الأسيديّ من بني أسيد بن عمرو بن تميم، قال:

مررتُ على ميّة وقد أسنّت، فوقفت عليها وأنا يومئذ شابّ فقلت: يا ميّة؛ ما أرى ذا الرمة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول: [2].

٥

صوت

أما[3] أنتَ عن ذِكراكِ ميّةَ مُقْصِرُ ... ولا أنتَ ناسِي العَهْدِ منها فتذكُرُ

تَهِيمُ بها ما تستفيقُ ودُونَها ... حِجابٌ وأبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّرُ

قال: فضحكت وقالت: رأيتَني يا بنَ أخي وقد ولّيتُ وذهبَتْ محاسني، ويرحم الله غَيْلان؛ فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسنُ من النارِ الموقدة في الليلة القَرَّة في

١٠ عَيْنِ المقرور، ولن تبرحَ حتى أُقيمَ عندك عُذره[4]، ثم صاحت: يا أسماء، اخرجي؛ فخرجت جاريةٌ كالمَهَاةِ ما رأيتُ مثلها، فقالت: أمَا لمن شبّب بهذه وهوِيَها عُذر؟ فقلت: بلى، فقالت: والله لقد كنت أزمان كنتُ مثلها أحسنَ منها، ولو رأيتَني يومئذ لازْدَرَيْتَ هذه ازدراءك إياي اليوم، انصرف راشدا.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أبو سوّار الغنوي يصف مية

١٥ أخبرني[5] أبو خليفة، قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوّار[6] الغنويّ: رأيت مَيّة وإذا معها بَنُون لها صغار، فقلت: صِفْها لي، فقال: مسنونةُ الوجه،

---

(١) ف: «قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه».

(٢) الأبيات في ديوانه ٦٦٦.

(٣) في ح: «وما». (٤) ف: «علذره في».

٢٠ (٥) الخبر في ابن سلام ٤٧٦. (٦) ح: «ابن سوار».

طويلة الخد[١]، شمّاء الأنف، عليها وَسْم جمال، فقالت: ما تلقَّيْتُ[٢] بأحدٍ من بنىّ هؤلاء إلاّ فى الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمّة فيها؟ قال: نعم، كانت تسحّ سحًّا، ما رأى أبوك مثله.

فأمّا ابن قتيبة فقال فى خبره[٣]:

مية تجعل لله عليها أن تنحر بدنة يوم ترى ذا الرمة

مكثت ميَّة زماناً لا ترى ذا الرمّة وهى تسمع مع ذلك شِعْرَه، فجعلت لله عليها أنْ تنحرَ بدَنة يوم تراه، فلما رأته رجلا دميا أسود، وكانت من أجمل الناس قالت: واسوأتاه! وابؤساه[٤] واضيعة بدَنتاه! فقال ذو الرمة:

على وَجْه مَىٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ وتحت الثيابِ الشَّيْنُ لوكانَ بادِيا

قال: فكشفت ثوبَها عن جسدها، ثم قالت: أشيناً ترى لا أُمَّ لك! فقال:

ألم تَرَ أنَّ الـمـــاء يخبُثُ طَعْمُهُ وإنْ كان لونُ الماء أبيضَ صافيا

فقالت: أمّا ما تحت الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شينَ فيه، ولم يبق إلا أنْ أقول لك: هلمَّ، حتى تذوق ما وراءه، ووالله لا ذقْتَ ذاك أبداً، فقال:

فيا ضيعةَ الشِّعرِ الذى لجّ فانقضَى بِمَىَّ ولم أملكْ ضـلالَ فؤادِيا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك، فعاد لما كان عليه من حُبِّها.

محمد بن على الجبيرى يلتقى بالنوار ابنة مية ويتذاكران شعراً لذى الرمة

وذكر محمد بن علىّ بن حَفْص الجُبَيرىّ[٥] الحنفىّ — من ولد أبى جُبيرة — أنَّ النوَّار بنت عاصم المنقرية ـ وأمّها ميّة صاحبة ذى الرمة ـ أخبرته، وقد ذكر عندها ذا الرمة[٦]، وأنشدها قوله فى أمها[٧]:

---

(١) فى ابن سلام: «الحدين».
(٢) تلقت المرأة: حبلت.
(٣) الشعر والشعراء ٥٠٩.
(٤) ساقط من ف، وهو فى الشعر والشعراء.
(٥) حـ: «الحميرى».
(٦) ف: «ذو الرمة».
(٧) ديوانه ٧٩، ٨٣ من قصيدته التى مطلعها:

أمنزلتى مىّ ســـلام عليكمـــــــا على النأى، والنائى يـــود وينصح

هى البُرْء والأسقام والهمُّ والمُنَى وموتُ الهوى فى القَلْب منى المبرِّحُ[١]
وكان الهوى بالنأى[٢] يُمْحَى فيمَّحى وحُبُّكِ عندى يَستَجِدُّ ويربح

يربح ، أى يزيد الربح[٣] . هكذا ذكره الأصمعىّ .

إذا غيَّر النأىُ المحبِّين لم أجد رَسِيسَ الهوى[٤] مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبرح

٥ فلما سمعت قوله :

* إذا غيَّرَ النَّأىُ المحبِّين ... *

قالت : قبَّحه الله ، هو الذى يقول أيضاً :

على وَجْه مَىٍّ مَسحةٌ مِنْ مَلاحةٍ وتحت الثياب الشَّين[٥] لو كان باديا

فقلت لها : أكانت ميَّة جدَّتك ؟ قالت : لا ، بل أُمِّى ، فقلت لها : كم تَعُدِّين ؟

١٢١/١٦

١٠ قالت : ستين سنة .

أخبرنى الحسين[٦] بن يحيى ، قال: قال حماد : قرأتُ على أبى ، عن محمد بن سلام ، قال:

كانت مىّ صاحبة ذى الرمة من وَلد طلبة بن قيس بن عاصم المنقرىّ ، وكانت لها بنت [عم] [٧] من ولد قيس يقال لها : كثيرة[٨] أم سلهمة ، فقالت على لسان ذى الرمة :

* على وَجْه مىٍّ مَسْحَةٌ من مَلَاحة *

١٥ الأبيات . فكان ذو الرمة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه ، ويحلفُ أنه ما قالها[٩] قطّ .

أخبرنى بهذا الخبر أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أبى الغرّاف الضبىّ[١٠] بمثله ، وقال فيه :

---

(١) حـ : « للأسقام والهم والمنى » ، وفى الديوان :
هى البرء والأسقــام والهم ذكرها وموت الهــوى لولا التنائى المبرح
٢٠ (٢) الديوان : « وبعض الهوى بالبحر » .
(٣) حـ : « يزيد كما يزيد الربح » .
(٤) فى الديوان : ... لم يكد * رسيس الهوى ....
(٥) حـ والديوان : « الخزى » .
(٦) ا . « الحسن بن يحيى » .
(٧) ساقط من ف .
(٨) انظر الحاشية ٤ ص : ٢٥ .
(٩) حـ : « ما قاله » .
(١٠) حـ : « الفقعسى » .

إن كثيرة مولاة لهم ، وهى[١] أمّ سلهمة اللص الذى قتلته خَيْلُ محمد بن سليمان ، والله أعلم .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبي [٢] ، عن ابن شبّة ، عن المدائنىّ ، عن سلمة[٣] عن محارب ، قال :

كان ذو الرمّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، فقيل له : كيف تقول : عُزَيْر ابن الله أو عزير بن الله ؟ فقال : أكثرهما حروفا .

أخبرنى إبراهيم بن أيُّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، قال :

ذو الرمة يكتب

قال[٤] عيسى بن عمر : قال لى [٥] ذوالرمة : ارفع هذا الحَرْفَ ، فقلتُ له : أتكتب ؟ فقال بيده[٦] على فيه : اكتم[٧] علىّ فإنه عندنا عَيْب .

أخبرنى ابنُ دُريد ، عن أبى حاتم ، عن الأصمعىّ ، عن محمد بن أبى بكر المخزومىّ ، قال :

رؤبة يتهمه بسرقة شعره

قال رؤبة : كلما قلتُ شعراً سرقه ذو الرمّة ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال : قلت[٨] :

* حَىُّ الشهيقِ ميّتُ الأنفاسِ *

فقال هو[٩] :

يَطْرحَن بالمهارق الأغفالِ كلَّ جَهيضٍ لَثِقِ السِّرْبالِ
* حىُّ الشهيق مَيِّتِ الأوصالِ *

(١) حـ : « وأمها » . (٢) ف : « وحبيب بن نصر » .
(٣) حـ : « عن مسلمة بن محارب » . (٤) الشعر والشعراء ٥٠٧ .
(٥) ج : « قال ذوالرمة » . (٦) يريد : أشار بيده على فيه .
(٧) الشعر والشعراء : « أى اكتم على » .
(٨) الشعر والشعراء ٥١٦ ، وفيه : « موقى المطايا حية الأنفاس » .
(٩) ديوانه ٤٨٢ الشعر والشعراء ٥١٦ .
والمهارق : الصحف ؛ شبه الفلوات بها . والأغفال : اللواتى لا علم بها . والجهيض : الولد الذى سقط لغير تمام . السربال ، يعنى جلده . وفى ف : « كل حنين » . وفى ب : « كل حصين » .

فقلت له : فقوله والله أجودُ من قولك ، وإن كان سرقه منك ، فقال : ذلك[١] أخمّ لى .

يحدثنا عن منزلته من الراعى

أخبرنى ابن عبد العزيز[٢] عن ابن شبّة قال :

قيل لذى الرمة : إنما أنت راوية الراعى . فقال : أما والله لئن قيل ذاك ما مَثلى ومَثله إلاّ شابٌ صحِب شيخاً ، فسلك به طرقاً ثم فارقه ، فسلك الشابُّ بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ .

أخبرنى محمد بن أحمد بن الطّلاّس ، عن الخراز[٣] عن المدائنىّ ، وأخبرنى به[٤] إبراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن ابن أخى الأصمعىّ ، عن عمه ، دخل حديثُ بعضِهم فى حديث بعض قال :

إنما[٥] وضع من ذى الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح ، وقد مدح بلال ابن أبى بردة فقال[٦] :

لا يحسن الهجاء والمدح

رأيتُ النـاس ينتجعون غَيثاً فقلتُ لِصَيْدحَ : انتَجِعِى بِلالاَ

فلما أنشده قال له : أولم ينتجعنى غير صَيْدح ؟ يا غلام ، أعطه حَبْل قَتٍّ لصَيْدَح ، فأخجله .

أخبرنى أبو خليفة ، عن ابن سلّام قال : حدثنى أبو الغرّاف قال :

عاب الحكم بن عَوانة الـكلبىُّ ذا الرمة فى بعض قوله فقال فيه[٧] :

فلو كنتَ من كَلْبٍ صميماً[٨] هجوتـكُم جميعا ولـكن لا إخالُكَ من كَلْب[٩]

(١) حـ : « ذاك » .
(٢) حـ : « محمد بن عبد العزيز » .
(٣) حـ : « عن أحمد بن الحارث الخراز » .
(٤) حـ « وأخبرنى إبراهيم » .
(٥) حـ : « وإنما » .
(٦) ديوانه ٤٤٢ .
(٧) ابن سلام ٤٨٢ ، ديوانه ٥٣ .
(٨) الديوان . وفى الأصول : « صحيحاً » .
(٩) الديوان وابن سلام . وفى بعض الأصول : « فى كلب » .

ولكنما أُخبِرتُ أنك مُلْصَقٌ كما أُلصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ القَعْبِ[١]
تَدَهْدَى فخرَّتْ ثُلْمَةٌ من صميمه[٢] فَكيفَ بأخرى[٣] بالغِراء وبالشَّعْبِ

أخبرنى أبو خليفة، عن ابن سلاّم[٤] قال: وحدثنى أبو الغرّاف قال:

١٢٢ / ١٦

ذو الرمة وبلال ابن أبى بردة يحتكمان إلى أبى عمرو بن العلاء فى رواية شىء من شعر حاتم

دخل ذو الرمّة على بلال بن أبى بُردة، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً، فأنشده بلال أبياتَ حاتم طيِّئٍ قال[٥]:

لحا اللهُ صُعْلُوكًا مُناهُ وهمُّهُ مِنَ العَيْشِ أن يلقى لَبُوساً ومَطْعَما
يَرَى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُه مِنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما[٦]

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرمة: يرى الخَمْص تعذيباً، وإنما الخِمْسُ للإبل، وإنما هو خَمْص البطن، فمحكَ بلال ـ وكان مَحِكًا[٧] ـ وقال: هكذا أنشدنيه[٨] رُوَاة طيِّئٍ، فردّ عليه ذوالرمة، فضحك[٩]، ودخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدهما؟[١٠] وعرف أبو عمرو الذى به فقال: كِلاَ الوَجْهَيْنِ جائز، فقال: أتأخذون عن ذِى الرمة؟ فقال: إنه لفصيح وإنا لَنأْخذُ عنه بتمريضٍ. وخرجا من عنده، فقال ذو الرمة لأبى عَمْرو: واللهِ لولا أنى أعلم[١١] أنك حطبْتَ فى حَبْلِه وملت[١٢] مع هواه لهجوتُك هِجاء لايقعدُ إليك اثنان بعده.

(١) الديوان: «ولكننى خبرت»، وثلمة الإناء: موضع الكسر من شفته. والقعب: القدح.
(٢) ف. وفى ا، س: «صحيحه».
(٣) فى الديوان وابن سلام: «فلز بأخرى».
(٤) ابن سلام ٤٨٣. (٥) ديوان حاتم ٢٥ وابن سلام ٤٨٣.
(٦) فى ابن سلام: «من قلة الهم».
(٧) كذا فى ابن سلام. ومحك: نازع فى الكلام وتمادى فى اللجاجة، وفى ف: «وكان ضحوكا».
(٨) فى ابن سلام: «أنشدنيهما». (٩) ابن سلام: «فمحك».
(١٠) حـ: «كيف تنشدها». (١١) حـ وابن سلام: «أعلمك».
(١٢) ابن سلام: «وقلت فى هواه».

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدثنى هارون بن محمد الزيات، قال : حدثنى حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال : قيل لبلال بن جرير : أىّ شعر ذى الرمة أجود ؟ فقال[1] :

أجود شعره فى رأى بلال بن جرير

* هل حبل خَرْقاء بَعْدَ اليَوْمِ مَرْمُوم *

٥ إنها مدينة الشعر .

حدثنا[2] أبو خليفة ، عن ابن سلّام ، قال :

رأىٌ لابن سلام فى ذى الرمة

كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتادة من الحسن وابن سيرين، كان يَرْوِى عنهما ويروى عن الصحابة ، وكذلك ذو الرمّة،هو دونَهما ويساويهما فى بَعْضِ شعره[3].

أخبرنى[4] الجوهرىّ قال : حدثنا ابن شبّة ، عن ابن معاوية[5] ، قال : قال حماد ١٠ الراوية :

قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نَرَ أحسنَ ولا أفصحَ ولا أعلم بغريبٍ منه ؛ فغمَّ ذلك كثيراً من أهل المدينة[6] ، فصنعوا له أبياتاً وهى قوله :

جماعة من الكوفة يصنعون له أبياتا

رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها ... من الدّهر يدرى كيف خَلْقُ الأباعرِ

فقال : شظايا معْ ظبايا ألا لنا ... وأجفل إجفال الظَّلِيم المبادرِ

١٥ فقلت له : لا ذُهْلَ مِلْكَيْل بعدما ... مَلا نَيفَق التُّبَّان منه بعاذر

قال : فاستعادها مرتين أو ثلاثا، ثم قال : ما أحسب هذا من كلام العرب .

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ ، عن العباس بن ميمون طائع ، قال : حدثنا أبو عثمان المازنىّ ، عن الأصمعىّ ، عن عنبسة النحوىّ ، قال :

ذو الرمة وعنبسة النحوى

---

(١) ديوانه ٥٦٩ ، وفيه : « ... بعد الهجر » ، وتمامه :

٢٠ * أم هل لها آخــر الأيام تكليم *

(٢) ابن سلام ٤٦٦ . (٣) فى ابن سلام « الشعر » .

(٤) ج : « وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى » .

(٥) ج : « عن أحمد بن معاوية الباهلى » . (٦) ج : « من أهل الكوفة » .

قلت لذى الرمة وسمعته ينشد ويقول :

وعَيْنَانِ قال اللهُ كُونَا فكانَتا فَعُولَيْنِ بالألْبَاب ما تَفعَلُ الخمْرُ

قال : فقلت له : فهلاَّ قلتَ : فَعُولان ؟ فقال : لو قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، كان خيرا لك ؛ أى أنك أردْتَ القَدر ، وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب ، وأراد عنبسة : وعينان فَعولان .

وروى هذا الخبرَ ابنُ الزيَّات[١] ، عن محمد بن عبادة ، عن الأصمعىّ ، عن العلاء ابن أسلم ، فذكر مثله .

يغير شعره لرأى قاله ابن شبرمة

وحكى أن إسحاقَ بن سُوَيد المعارِضَ له قال : وأخبرنى الأخفش قال : حدثنى محمد بن يزيد النحوىّ ، قال : حدثنى عبد الصمد بن المعذَّل قال : حدثنى أبى ، عن أبيه قال :

قدم ذو الرمّة الكوفة فوقف يُنشد الناس بالكُناسة قصيدته الحائيّة، حتى أتى على قوله[٢] :

إذا غَيَّر النَّأْىُ المُحِبِّين لم يَكَدْ رَسيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرُمة : يا غَيْلان ، أراهُ قد برِح . فشنق[٣] ناقته ، وجعل يتأخّر بها ويفكر . ثم عاد فأنشد قوله :

* إذا غَيَّر النَّأْىُ المحبين لم أجِدْ *

قال: فلما انصرفت حدّثتُ أبى، فقال: أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذى الرُّمّة ما أنشد ، وأخطأ ذو الرُّمّة حين غيّر شعرَه لقول ابن شبرمة ، إنما هذا مثل قول الله عز وجل :﴿ ظُلُماتٌ بَعضُها فوق بعض إذا أخرج يدَه لم يَكَدْ يَراها ﴾[٤] وإنما معناه لم يرها ولم يكد .

(١) ح : « هارون بن محمد الزيات » . (٢) ديوانه ٧٨ .
(٣) ح : « فشنق لناقته » ، وشنق البعير : كفه بزمامه حتى ألزق ذفراه بقادمة الرحل ، أو رفع رأسه وهو راكبه . (٤) سورة النور ٤٠ .

بلال بن أبى بردة يأمر له بعشرة آلاف درهم

أخبرنى الجوهرىّ ، عن ابن شُبرمة ، عن يحيى بن نجيم[(١)] قال :

قال رؤبة لبلال بن أبى بُردة : علام تعطى ذا الرمة ؟ فوالله إنه ليَعْمِد إلى مقطّعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال : والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

٥ أخبرنى إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبّة : حدثنا[(٢)] إسحاق الموصلىّ ، عن الأصمعىّ ، قال[(٣)] :

رجل بمربد البصرة يراجعه فى شعر ينشده

قال رجل : رأيت ذا الرّمة بمربَد البصرة وعليه جماعة مُجتَمعة وهو قائم ، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار ، وهو ينشد ، ودموعُه تجرى على لحيته[(٤)] :

* ما بالُ عَينِك منها الماء يَنْسَكِبُ *

١٠ فلما انتهى إلى قوله[(٥)] :

تُصْغِى إذَا شدَّها بالكُورِ جانحةً حتى إذا ما استوَى فى غَرْزِها تَثِبُ

قلتُ : يا أخا بنى تميم ، ماهكذا قال عَمُّك ، قال : وأىّ أعمامى يرحمك الله ؟ قلتُ : الراعى ، قال : وما قال ؟ قال : قلت : قوله[(٦)] :

ولا تُعْجِل المرءَ قبلَ الوُرو كِ وَهْىَ بركبته أَبْصَرُ[(٧)]

١٥ وهِىَ إذَا قَام فى غَرْزِها كَمثل السفينةِ إذ تُوقَرُ[(٨)]

---

(١) جـ : « أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنى يحيى بن نجيم قال : ».
(٢) جـ : « قال حدثنا » ، والخبر فى الشعر والشعراء ٥١٧ .
(٣) جـ : « عن رجل أخبرنى قال » .
(٤) ديوانه ١ ، وتمامه :
٢٠ * كأنه من كلى مفرية سرب *
(٥) ديوانه ٨ .
(٦) الشعر والشعراء ٥١٨ ، الموشح ٢٧٧ ، أمالى المرتضى ١ : ٢٧٩ ، اللآلى ٨٩٨ ، اللسان (ورك) .
(٧) الشعر والشعراء :
ولا تعجل المرء قبل البرو ك ، وهى بركبتها أبصر
٢٥ (٨) الشعر والشعراء : « أو أوقر » .

وَمُصْغِيَةٍ خَدَّهَا بالزِّما مِ فالرأسُ منها لَهُ أصعَرُ[١]

حتى إذا ما اسْتَوَى طبقَتْ كما طَبَّقَ المِسحَلُ[٢] الأغبَرُ

قال: فأرتج عليه ساعة، ثم قال: إنه نَعَتَ ناقةَ مَلِكٍ، ونَعتُ ناقة سُوقةٍ. فخرج منها على رءوس الناس.

روايات فى سبب تشبيبه بخرقاء

فأما السبَبُ بين ذى الرمة وخَرقاء فقد اختلف فيه الرواة؛ فقيل: إنه كان يَهْواها، وقيل: بل كاد بها ميّة، وقيل: بل كانت كَحّالة فداوَت عينه فشبّب بها. ٥

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى[٣]، عن النوفلى، عن أبيه:

أن زوج ميّة أمرها أن تَسُبَّ ذا الرمة غَيْرةً عليها، فامتنعت، فتوعّدها بالقتل، فسبّته فغضب، وشبّب بخرقاء العامريّة؛ يَكيدُ ميّة بذلك، فما قال فيها إلا قصيدتين أو ثلاثا حتى مات. ١٠

أخبرنى حبيب بن نصر، عن ابن شبة، عن العُتبى، عن هارون بن عتبة قال:

شبّب ذو الرمّة بخرقاء العامرية بغير هَوًى؛ وإنما كانت كحّالة فداوَتْ عَيْنَهُ من رمَد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبّين حتى أعطيك؟ فقالت[٤]: عشرة أبيات تشبّب بى؛ ليرغبَ الناس فىّ إذا سمعوا أنّ فىّ بقية للتشبيب، ففعل.

كان الحاج يمرون بخرقاء

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: ١٥

كان ذو الرمة شبّب[٥] بخَرْقاء إحدى نساء بنى عامر بن ربيعة، وكانت تحُلُّ فَلْجا[٦]، ويمرّ بها الحاجّ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم، وكانت تجلس معها فاطمة

(١) الشعر والشعراء: «وواضعة خدها للزمام». وأصعر: مائل.
(٢) المسحل: الحمار الوحشى. وانظر الموشح ٢٧٧.
(٣) جـ: «قال: حدثنا على بن محمد النوفلى». ٢٠
(٤) جـ: «لى عشر بنات أيامى، فشبب بى ليرغب الناس فيهن».
(٥) ف: «يشبب».
(٦) فى ابن سلام ٤٧٧: «فلجة».

بنتها ـ فحدثنى مَنْ رآها ـ فلم[1] تكن فاطمة مثلها ، وكانت تقول : أنا مَنْسَكٌ من مَنَاسِك الحج ؛ لقول ذى الرمّة فيها[2] :

١٢٤ / ١٦

تمامُ الحجِّ أنْ تقِفَ المطايَا على خَرْقَاء واضِعةَ اللِّثَامِ

خرقاء تسأل القحيف العقيل أنْ يشبب بها

قال ابن سلاّم فى خبره[3] : وأرسلت خرقاء إلى القُحَيْف العقيلىّ تسأله أن يشبب بها فقال :

صوت

لقد أرسلتْ خرقاء نَحوِى جَرِيّها[4] لتجعلَنِي خَرْقَاء فِيمَن أضلَّتِ
وخَرْقَاء لا تزدادُ إلاّ مَلاحــةً ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلّتِ

خرقاء تسقى ذا الرمة وهى لا تعرفه

حدثنى حبيبُ بن نصر، عن الزّبير، عن موهوب[5] بن رشيد، عمَّن حدثه ، قال:
نزل ركب بأَبى خرقاء العامِريّةِ ، فأمر لهم بلبن فسُقُوه ، وقصَّر عن شابّ منهم ، فأَعطته خرقاء صَبوحَها وهى لاتعرِفهُ ، فشربه، ومضَوا فركبوا،فقال لها أبوها: أتعرفين الرجلَ الذى سقيتِه صَبوحك؟ قالت: لا والله ، قال: هو ذو الرمة القائل فيكِ الأقاويل، فوضعت يدَها على رأسها ، وقالت : واسوأتاه وابؤساه ! ودخلت بيتها ، فما رآها أبوها ثلاثا .

المفضــل الضّبىّ يزور خرقاء

حدثنى إبراهيم بن أيوب ، عن ابن قتيبة قال : قال[6] الضبيّ :
كنتُ أنزل على بعض الأعراب إذا حجَجْتُ ، فقال لى يوما : هل لك إلى أن أُرِيَك خَرْقَاء صاحبة ذى الرمّة ؟ فقلت : إن فعلتَ فقد بررت . فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعدَل بى عن الطريق قَدْر ميل ، ثم أتينا أبيات شَعر ، فاستفتح

(١) جـ وابن سلام « قال : لم تكن » .
(٢) ديوانه ٦٧٣ ، ابن سلام ٤٧٨ .
(٣) ابن سلام ٤٧٩ .
(٤) جريها : رسولها .
(٥) ف : « حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا موهوب .. » وفى س : « موهب » ، والمثبت فى ا .
(٦) ف : « قال المفضل الضبى » .

بيتاً ففتح له ، وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة[1] بها قوّة ، فسلَّمَتْ وجلَسَتْ ، فتحدثنا ساعة ، ثم قالت لى : هل حججتَ قطّ ؟ قلت : غير مرة . قالت : فما منعك من زِيارتى ؟ أما علمت أنّى منْسَك من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعتَ قول ذى الرمة :

تمام الحجِّ أن تقِفَ المطايا على خَرْقَاء واضعة اللّثامِ ٥

أخبرنى وكيع ، عن أبى أيوب المدائنىّ[2] عن مصعب الزبيرىّ ، قال : شبَّب ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة .

رواية أخرى فى لقاء ذى الرمة بخرقاء

قال هارون بن الزيات : حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم ، عن محمد بن يعقوب ، عن أبيه قال :

رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانُها ، وإنّ فى ديباجة وجهها لبقيّة ، فقلت : ١٠ أخبرينى عن السبب بينك وبين ذى الرّمة ، فقالت : اجتاز بنا فى رَكْبٍ ونحن عدّة جوارٍ على بعض المياه ، فقال : أسفِرن ، فسفرن غَيرِى ، فقال : لئن لم تُسْفِرى لأفضَحنّك ، فسفرت ، فلم يزل يقول حتى أزبد، ثم لم أرَه بعد ذلك .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزّبير بن بكار قال : حدثنى موهوب ابن رشيد ، قال : حدثنى جدِّى ، قال : ١٥

كنتُ مع خرقاء ذى الرمة إذ نزل ببابها ركب من بنى تميم فأمر لهم بلبن فَسُقوه ، وقصُر اللبن عن شاب منهم ، فأمرت له خرقاء بغَبوقها ، فلما أن رَحل عنهم الركب قال لها أبوها : يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غَبوقَك اليوم ؟ قالت : لا والله ما أعرفه ، قال : ذاك ذو الرمة ، فوضَعت يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه ! ودخلت خدرها . ٢٠

---

(١) ف : « حُسَّانة » .
(٢) ا ، ب : « المدينى » .

قال الزبير : وحدثنى عبد الله بن إبراهيم الجمحىّ ، قال : حدثنا أبو الشّبل المعدىّ قال :

كانت خَرْقاء البَكّائية أصْبَحَ من القَبَس ، وبَقِيَتْ بقاء طويلا حتى شَبَّب بها القُحَيف[1] العقيلىّ .

خرقاء وصباح ابن الهذيل

أخبرنا أبو الحسن الأسدىّ ، عن أحمد بن سليمان ، عن أبى شَيْخ ، عن أبيه ، عن علىّ بن صالح بن سليمان[2] عن صباح بن الهذيل أخى زُفَر بن الهذيل ، قال :

خرجتُ أريدُ الحجّ ، فمررتُ بالمنزل الذى تنزله خرقاء ، فأتيتُها ، فإذا امرأة جَزْلة ، عندها سماطان[3] من الأعراب تحدّثهم[4] وتُنَاشدُهم ، فسلّمتُ فردّتْ ، ونَسَبَتْنى ، فانتسبتُ لها وهى تُنْزِلنى ، حتى انتسبت[5] إلى أبى ، فقالت : حسبك أكرمتَ[6] ما شئت ، ما اسمك ؟ قلت : صباح ، قالت : وأبو من ؟ قلت : أبو المُغلّس ، قالت : أخذت أول الليل وآخره ، قال : فما كان[7] لى همّةٌ إلاّ الذّهاب عنها .

١٢٥ / ١٦

الحجاج الأسدى يزور خرقاء ، وتنشده شعراً لها فى ذى الرمة

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح : حدثنى محمد بن الحجاج الأسدىّ التيمىّ ــ وما رأيت تميمياً أعلم منه ــ قال :

حججتُ فلما صرت بمَرّان منصرفاً ، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له فجئته فاستنشدته[8] ، فقال لى : إليك عنّى ، فإنى مشغول عنك . وألححتُ عليه فقال : أرشدك إلى ما بعض ما تحبّ ، انظر إلى ذلك البيت الذى يَلْقَاكَ فإن فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذى الرمة ؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد ، فقالت : ادْنُه ، فدنوت ، فقالت : إنك لحضرىّ ، فمن أنت ؟ قلت :

(١) ج : « شبب بها العجيف » .
(٢) ج : « عن أحمد بن سليمان بن صباح » .
(٣) السماط : الصف . (٤) ف : « تحادثهم » .
(٥) ج : « حتى انتهيت » . (٦) ج : « كرمت » . (٧) ج : « فما كانت » .
(٨) ف : « فحييته واستنشدته » .

من بنى تميم ـ وأنا أحسبُ أنها لا معرفةَ لها بالناس ـ قالت : مِن أىِّ تميم ، فأعلمتُها ، فلم تزل تنزلنى حتى انتسبتُ إلى أبى ، فقالت : الحجاجُ بن عُمَير بن يزيد ؟ قلت : نعم ، قالت : رحم الله أبا المثنَّى ! قد كُنَّا نَرْجُو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد ، قلت : نعم ، فعاجَلَتْه المنيَّةُ شابًّا ، قالت : حيَّاك الله يا بنىّ وقرَّبك ، مِنْ أين أقبلت ؟ قلتُ : من الحج . قالت : فما لكَ لم تمرّ بى وأنا أحَدُ مناسك الحج ؟ إنَّ حجَّك ناقص ، فأقم حتى تحجّ أو تكفِّر بعِتْق . قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعتَ قول غَيْلان عمِّك :

تمامُ الحجِّ أنْ تقِفَ المطايَا على خَرْقَاءَ واضعة اللثّامِ

قال : وكانت وهى قاعدة بفناء البيت كأنها قائمةٌ من طولها ، بَيْضاء شهلاء ، فخمة الوجه . قال : فسألتُها عن سنِّها ، فقالت : لا أدرى إلاَّ أنى كنْتُ أذكر شَمِرَ بن ذى الجَوْشن حين قتل الحُسين عليه السلام ، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسَّمها فى قومه ، قالت : وكان أبى قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمالات ، قال : ولما أنشدتنى خرقاء بَيتَ ذى الرّمة فيها قلت : هيهات يا عمّة ، قد ذهب ذلك منك ، قالت : لا تقل[1] يا بنىّ ، أما سمعتَ قول قُحيف[2] فىّ :

وخَرْقاء لا تزدادُ إلاَّ ملاحةً ولو عُمِّرت تعميرَ نُوح وجلَّتِ

ثم قالت : رحم الله ذا الرمة ، فقد كان رَقيقَ البَشرة ، عَذْبَ المنطِق ، حَسَن الوصف ، مُقاربَ الرّصف ، عفيف الطَّرْف ، فقلت لها : لقد أحسنت الوصف ، فقالت : هيهاتَ أن يدركه وصفىَ ، رحمه الله ، ورحم مَنْ سمَّاه اسمه . فقلت : ومَن سمّاه ؟ قالت : سيد بنى عدىّ الحُصَيْن بن عَبدة بن نُعيم ، ثم أنشدتنى لنفسها فى ذى الرمة :

(١) ا : « لا تنفل » .
(٢) ا ، والمختار : « عجيف » . وانظر المختار ٦ : ٦٣ .

لقد أصبحتَ بنى فَرْعى مَعَدٍّ مكانَ النّجم فى فَلَكِ السماء
إذا ذُكرت محاسنُه تدرَّت بِحارُ الجود من نحو السماء[1]
حُصينُ شادَ باسمِك غيرَ شَكٍّ فأنتَ غِياثُ مَحْلٍ بالفِناء
إذا ضَنّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ تَشُجُّ بحارُ جُودك بارتواء
٥ لقد نُصِرت بِإِسمِك أرضُ قَحطٍ كما نُثِرت[2] عدىٌّ بالثَّراء

فقلت: أحسنتِ يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إى وربى، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربَّيتِ شُكْرَها من ذِكرها، فقالت: أثقلنا حقُّها، ثم قالت: اللهم غَفْراً، هذا فى اللفظ، ونحتاج إلى العمل.

رجل من بنى النجار يمر ببيت خرقاء ويحادث ابنتها

أخبرنى جحظة، عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كُناسة، عن خُثيم ١٠ ابن حِجِّيّة العِجلىّ، قال: حدثنى رجل من بنى النجار، قال:

خرجتُ أمشى فى ناحية البادية، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بَيْتٍ فقمت[3] أُكلّمها فنادتنى عجوز من ناحية الخِباء: ما يقيمك على هذا الغزال النّجدىّ؟ فوالله ما تنالُ[4] خَيْراً منه ولا ينفعك، قال: وتقول هى: دَعيه يا أمّاه يكن كما قال ذو الرمة[5]:

١٢٦ / ١٦

١٥ وإن لم يكن إلاّ مُعرَّسُ ساعةٍ قليلاً فإنى نافعٌ لِى قَليلُها

فسألتُ عنهما، فقيل لى: العجوز خرقاء ذى الرمة والفتاة بِنتها.

ذو الرمة يموت وله أربعون سنة

وتوفى ذو الرمة فى خلافة هشام بن عبد الملك، وله أربعون سنة. وقد اختلفت[6] الرواةُ فى سبب وفاته.

(١) ما: «ماء السماء». (٢) جـ: «مطرت».
٢٠ (٣) ف: «فوقفت».
(٤) حـ: «لا تصيب».
(٥) ديوانه ٥٥٠. وفيه: «فإن لم يكن إلا تَعَلُّلُ». (٦) جـ: «اختلف».

روايات مختلفة فى وفاته

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، عن أبى سعيد السُّكَّرىّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت: أنه بلغ أربعين سنة ، وفيها توفى[1] ، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ، ودفن[2] بِحُزْوَى ، وهى الرملة التى كان يذكرها فى شعره .

أخبرنى[3] أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنى ابن أبى عدىّ قال :

قال ذو الرمة : بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين [سنة] [4] .

قال ابنُ سلّام : وحدثنى أبو الغرّاف أنه مات وهو يريد هشاما ، وقال فى طريقه فى ذلك[5] :

بلادٌ بها أهلُونَ لستُ ابْنَ أهلها … وأُخْرَى بها أهلون ليس بِها أَهلُ

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك : حدثنى القاسم بن محمد الأسدىّ ، قال : حدثنى جبرُ بن رِياط قال :

أنشد ذو الرمة الناس شعراً له ، وصف فيه الفلاة بالثَّعلبية[6] ، فقال له حَلْبَسٌ الأسدىّ : إنك لتنعتُ الفلاةَ نَعْتاً لا تكون مَنِيَّتُكَ إلا بها .

قال: وصَدرَ ذو الرمة على أحد جُفْرَىْ بنى تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة، فلما أشرف على البصرة[7] قال[8] :

وإنّى لعائِفها وإنى لخائفٌ … لِما قال يَوْمَ الثَّعْلَبِيَّة حَلْبَسُ[9]

(١) جـ : « مات » . (٢) جـ : « فدفن » .
(٣) ابن سلام ٤٨٠ . (٤) من ابن سلام .
(٥) جـ : « تلك » . والبيت فى ديوانه ٤٥٨ وابن سلام ٤٨٠ . وفى ف ، والديوان : « ليسوا بأهلها » ، وفى ف بعد البيت : « ويروى : ليسوا بأهلنا » .
(٦) [illegible] « [illegible] » والثعلبية : من منازل طريق مكة .
(٧) جـ : « الفلاة » . (٨) ديوانه ٦٦٨ .
(٩) جـ : « التغلبية حابس » والمثبت فى الديوان والمختار .

قال : ويقال إن هذا آخر شعر قاله . فلما توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنفرَتْ منه ، ولم تكن تنفر منه ، وعليها شرابُه وطعامُه ، فلما دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال إنه قال عند ذلك[١] :

ألاَ أبلغِ الفِتيانَ[٢] عنِّى رِسالةً أهِينوا[٣] المَطايا هُنَّ أهْلُ هَوانِ

فقد تركَتْنِى صَيْدَحُ بمَضَلَّةٍ لِسانِىَ مُلْتَاثٌ مِنَ الطَّلَوَانِ[٤]

قال هارون : وأخبرنى أحمد بن محمد الكلابىّ بهذه القصة ، وذكر أن ناقته وردت على أهله فى مياههم ، فركبها أخوه ، وقصّ أثره ، حتى وجده ميّتاً وعليه خِلَعُ الخليفة ، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه .

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز[٥]، عن الرّياشىّ، عن الأصمعىّ، عن أبى الوَجيه، قال:

دخلتُ على ذى الرمة وهو يجود بنفسه ، فقلت له : كيف تجدُك ؟ قال : أجِدُنى والله أجد مالا أجد[٦] أيام أزعم أنى أجد مالم أجد حيث أقول[٧] :

كأنّى غداةَ[٨] الزُّرْقِ[٩] يامىُّ مُدْنَفٌ يجودُ بنَفْسٍ قد أحَمَّ[١٠] حِمَامُها

حِذارَ اجْتذامِ البَيْنِ أقرانَ نِيّةٍ مُصَابٌ[١١] ولوعاتُ[١٢] الفؤادِ انْجِذامُها

(١) ديوانه ٦٧٥ . (٢) ف : « الركبان » .
(٣) ا : « أهين » .
(٤) الطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .
(٥) حـ : « عمر بن عبد العزيز بن أحمد » .
(٦) حـ : « ما أجد » . (٧) ديوانه ٦٣٧ .
(٨) حـ : « كأنى يوم البين » .
(٩) حـ : « الرزق ... يكيد بنفس » . وفى الديوان : « يكيد بنفس » .
(١٠) الديوان : « أجم » . وأحم : دنا وقرب . والحمام : الموت .
(١١) حـ والديوان : « مصيب » .
(١٢) حـ : « كروعات » ، وفى الديوان : « لوقرات الفؤاد » .

قال : وكان آخر ما قاله[١] :

يارِبِّ قد أشرفَتْ نفْسِي وقد عَلِمَتْ عِلْماً يقيناً لقد أحصَيْتَ آثارى
يا مُخرجَ الرُّوح من جسمى إذا احتُضِرَت وفارجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنى عن النّارِ

١٢٧ / ١٦

قال أبو الوجيه : وكانت مَنيَّتُه هذه فى الجُدَرِىّ ، وفى ذلك يقول[٢] :

ألَمْ يَأتِها أنّى تلبَّستُ بعدها مُفوَّفةً صَوّاغُها غيرُ أخرقِ[٣] ٥

نسخت من كتاب هارون بن الزيات : حدثنى عبد الوهاب بن إبراهيم الأزدىّ ، قال : حدثنى جَهْم بن مَسْعَدة ، قال : حدثنى محمد بن الحجاج الأسدىّ ، عن أبيه ، قال:

وردت حَجْراً وذو الرمة به ، فاشتكى شكايته التى كانت منها منيّتُه ، وكرهتُ أن أخرج حتى أعلم بما يكون فى[٤] شكاته ، وكنت أتعهّده ، وأعوده فى اليوم واليومين ، فأتيته يوماً وقد ثَقُل، فقلت : ياغيلان ، كيف تَجِدُك ؟ فقال : أجدنى ١٠
والله يا أبا المثنى اليوم فى الموت ، لا غداة[٥] أقول :

كأنى غداة الزُّرق[٦] يامىّ مدنَفٌ يكيد بنَفْسٍ قد أحمّ حِمامُها

فأنا والله الغداة فى ذلك[٧]، لا تلك الغداة .

قال هارون بن الزيات : حدثنى موسى بن عيسى الجعفرىّ ، قال : أخبرنى أبى قال : أخبرنى رجل من بنى تميم، قال : ١٥

كانت ميتة ذى الرمة أنه اشتكى النَّوْطة[٨] فوَجِعها دَهراً ، فقال فى ذلك[٩] :

ألِفتُ كلابَ الحىّ حتى عرَفْنَنى ومُدَّتْ نِساجُ[١٠] العنكبوت على رَحْلِى

---

(١) ديوانه ٦٦٧ . (٢) ديوانه ٦٧٠ .
(٣) جـ : «تبدلت». وفى الديوان : « غير أخرقا » .
(٤) جـ : « من شكاته » . (٥) جـ : « لا فى غداة » . ٢٠
(٦) جـ : « الرزق » . (٧) جـ : « فى ذلك اليوم » .
(٨) النوطة : ورم فى الصدر ، أو غدة فى البطن مهلكة . (القاموس) .
(٩) ديوانه ٤٩١ .
(١٠) فى الديوان : « أتتنى ... ومدت نسوج » ، وفى المختار : « ومدت مسوح » .

قال: ثم قال لمسعود أخيه : يا مسعود ، قد أجدنى تماثلتُ وخفّت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بنى مروان ، فهل لك بنا فيهم ؟ فقال : نعم ، فأرسله إلى إبله يأتيه[١] منها بلبن يتزوده ، وواعده مكاناً ، وركب ذو الرمة ناقته نَقَمَصت به ، وكانت قد أُعفِيت[٢] من الركوب ، وانفجرت[٣] النَّوْطة التى كانت به . قال : وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً ، وإن العلّة التى كانت بى انفجرت . فأرسل إلى أهله فَصَلّوا[٤] عليه ، ودفن برأس حُزْوَى ، وهى الرملة التى كان يذكرها فى شعره .

قبره بالدهناء

نسخت من كتاب عبيد الله[٥] بن محمد اليزيدىّ : قال أبوعبيدة وذكر هارون[٦] ابن الزيات ، عن محمد بن علىّ بن المغيرة ، عن أبيه ، عن أبى عبيدة ، عن المنتجع بن نبهان قال :

لما احتُضِر ذو الرمة قال : إنى لست ممن يدفن فى الغموض والوِهاد ، قالوا : فكيف نصنع بك ونحن فى رمال الدهناء ؟ قال: فأين أنتم من كُثبان حُزْوَى ؟ — قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولها من الرمال — قالوا : فكيف نحفر لك فى الرمل[٧] وهو هائل ؟ قال : فأين الشجرُ والمدَرُ والأعوادُ ؟ قال : فصلّينا عليه فى بطن الماء ، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكِباش ، وهى أقوى على الصُّعود فى الرمل من الإبل . فجعلوا قبره هناك وزبَّروه[٨] بذلك الشجر والمدر ، ودلّوه فى قبره ، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء ، وأنت بالدَّوّ[٩] على مسيرة ثلاث .

قال هارون : وحدثنى محمد بن صالح العدوىّ ، قال : ذكر أبو عمرو المرادىّ :

(١) ا : « ليأتيه » . (٢) ف : « عفت » . (٣) ف : « فانفجرت » .
(٤) المختار : « فأتوه وصلوا عليه» . (٥) ف : « عبد الله » .
(٦) ف : « وذكر هارون بن محمد الزيات » . (٧) ف : « رمل هائل » .
(٨) ا : « ودثروه » . والزبر أصله طى البئر بالحجارة .
(٩) ياقوت : الدو : أرض ملساء بين مكة والبصرة .

إن قبر ذى الرمة بأطراف عَناق من وسط الدّهناء مقابل الأواعس ، وهى أجبُل شوارعُ يقابلن الصَّريمة[١] صريمة النَّعام ، وهذا الموضع لبنى سعد ويختلط معهم الرِّباب .

قال هارون : وحدثنى هارون بن مسلم ، عن الزِّيادىّ ، عن العلاء بن بُرْد ، قال :

ما كان شىء أحبَّ إلى ذى الرمة إذا ورد ماء من أن يَطْوِىَ ولا يَسْقِىَ[٢] ، فأخبرنى مخبر أنه مر بالجفْر وقد جَهَده العطش ، قال : فسمعته يقول :

يا مخرجَ الرّوح من جِسْمى إذا احتُضِرتْ
وفارجَ الكرْب زَحْزِحْنِى عن النار

ثم قضى .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ ، عن عمه ، عن عيسى بن عمر ، قال :

كان ذو الرمة ينشد الشعر ، فإذا فرغ قال : والله لأَكسعنَّك[٣] بشىء ليس فى حسابك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

كان حسن الصلاة والخشوع

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ ، ووَكِيعٌ ، عن أبى أيوب ، قال : حدثنى أبو معاوية الغلابىّ ، قال :

كان ذو الرّمة حسنَ الصلاة، حسن الخشوع ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال: إن العبد إذا قام بين يدى الله لحقيق أن يخشع .

(١) ا : « الصرمة » .
(٢) ف : « ولا يستكى » .
(٣) كسعه : ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه .

أخوه مسعود يرثيه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي قال : حدثني عبد الرحمن ، عن عمه ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال :

كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيرا إلى منزلي فقال لي يوماً ، وقد بلغ قريباً من منزلي : أنا الذي أقول في أخي ذي الرمة:

٥ إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني   وليلَى كلانا مُوجَعٌ مات وافدُه[1]

فقلتُ له : مَن ليلى ؟ فقال : بنت أخي ذي الرمة .

(١) ف : « قائده »

ذكر خبر إبراهيم
فى هذه الأصوات الماخوريّة

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز، عن ابن شبّة ، عن إسحاقَ الموصلىّ، عن أبيه، قال : صنعت لحناً فأعجبنى ، وجعلت أطلب له شعراً ، فعَسَر ذلك علىّ ، فأُريتُ فى المنام كأن رَجلا لقينى ، فقال لى: يا إبراهيم، أوقد أعياك شِعرٌ لغنائك هذا الذى تُعجَب به ؟ ٥ قلت : نعم . قال : فأين أنت من قول ذى الرمة[١] :

أَلا يا اسْلَمِى يا دارَ مىّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاً بجرعائكِ القَطْرُ

قال : فانتبهتُ فرحاً بالشعر ؛ فدعوت من ضرب علىّ فغنيتهُ ، فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلما عملت هذا الغناء فى شعر ذى الرمة نبّهت عليه وعلى شعره ، فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها[٢] : ١٠

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَـلامٌ عليكما ... هل الأزمنِ اللّائى مَضَيْنَ رَواجعُ !

وغنّيت بها الهادى فاستحسنها، وكاد يطير فرحا، وأمر لـكل صوت بألف دينار.

نسبة مافى هذا الخبر من الغناء

صـوت

ألا يا اسلمى يا دار مىٍّ على البِلَى ... ولا زال مُنهلاً بجرعائك القَطْرُ . ١٥

ولو[٣] لم تـكونى غير شامٍ بقفرةٍ ... تجرُّ بها الأذيالَ صيفِيَّةٌ كُدرُ[٤]

(١) ديوانه ٢٠٦ . (٢) ديوانه ٣٣٢ .

(٣) فى الديوان : « فإن لم تكونى » .

(٤) شام : جمع شامة ؛ وهى بقعة تخالف لون الأرض . صيفية : رياح فيها كدر وغبرة .

عروضه من الطويل. وقوله : يا اسلمى هاهنا نداء، كأنه قال: يادارمىّ اسلمى ، ويا هذه اسلمى ، يدعو لها بالسلامة . ومثله قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ألاَ يسجدوا[1] لله الذى يُخرج الخَبْءَ فى السّموات والأرض ﴾ ، فسّره أهلُ اللغة هكذا ، كأنه قال : يا قوم اسجدوا لله . ومىّ ترخيم ميّة إلا أنه أقامه هاهنا مقام الاسم الذى لم يرخّم فنوّنه .

٥ وقوله : على البلى ، أى اسلمى وإن كنتِ قد بَليت . والمنهلُّ : الجارى، يقال : انهلّ المطرُ انهلالا ، إذا سال . والجرعاء والأجرع من الرمل : الكثير الممتد . والشام : موضع يخالف لون الأرض ، وهو جمع، واحدته شامة . والقفر : ما لم يكن فيه نبات ولا ماء ، تجر بها الأذيال صيفية يعنى الرياح الصيفية الحارة . وأذيالها : مآخيرها التى تسفى التراب على وجه الأرض ، شبهها بذيل المرأة ، وعنى بها أوائلها .

١٠ والكُدْر : التى فيها الغبرة من القتام والفِجاج ؛ فهى تُعَفِّى الآثار وتدفنها . غنّاه إبراهيم الموصلىّ ماخوريًّا بالوسطى . ومنها[2] :

١٢٩ / ١٦

صــوت

أمنزلتَىْ مىٍّ سَــلامٌ عليكما ... هل الأَزْمُنُ اللائى مَضينَ رواجعُ!

وهل يرجعُ التّسليمَ أويكشف العَمَى ... ثلاثُ الأثافِى والدِّيارُ البلاقعُ![3]

١٥ توهمتُهــا يوماً فقلتُ لصاحبى ... وليس لهـا إلاَّ الظباءُ الخواضعُ[4]

ومَوْشيّةٌ سُحْمُ[5] الصّياصِى كأنها ... مُجَلَّلَةٌ حُوٌ عليهـا البراقعُ

عروضه من الطويل . غنّاه إبراهيم ماخوريًّا بالوسطى . والأزمن والأزمان جمع

(١) على قراءة التخفيف . وانظر القرطبى ١٣ : ١٨٦ . والآية فى سورة النمل ٢٥ .

(٢) ديوانه ٣٣٢ . (٣) الديوان : « الرسوم البلاقع » .

٢٠ (٤) ج : « الخواشع » .

(٥) الأسحم : الأسود ؛ وجمعه سحم . وأصل الصياصى الحصون والمعاقل ؛ ولما كانت البقر تحمى بقرونها سميت قرونها صياصى . يقول : كأن البقر خيل مجللة . حو : دهم ، يعنى الخيل .

زمان . والعمى : الجهالة . والأثافىّ الثلاث هى الحجارة التى تنصب عليها القدْر، واحدتها أُثفيّة . والخواضع من الظباء : اللاتى قد طأطأت رءوسها . والموشيّة : يعنى البقر . والصّيامى : القرون واحدتها صيصية . والمجلّلة : التى كأن عليها جِلالا[1] سودا . والحُوّة : حمرة فى سواد . ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله[2] :

٥

صـوت

قِفِ العَنْسَ[3] ننظرْ نظرةً فى ديارها   وهـل ذاك من داء الصبابة نافعُ ؟[4]

فقـال : أما تَغْشَى لِمـيّةَ منزلا   من الأرض إلا قُلتَ : هل أنا رابعُ ؟[5]

وقلّ لأطـلالٍ لمىٍّ تحـيّةٌ[6]   تُحيّـا بهـا أو أن تُرشّ المدامعُ

العَنْس : الناقة . والرابع : المقيم . وقلّ لأطلال ، أى ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله . وتُرِش المدامع ، أى تـكثر نضحها الدموعَ . غناه إبراهيم الموصلىّ ماخوريا . ١٠

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذرىّ، عن الحرمازىّ، قال :

مرّ الفرزدق على ذى الرمة وهو ينشد :

* أمنزلتى مىٍّ سلام عليـكما *

فلمّا فرغ قال له : يا أبا فراس ، كيف ترى ؟ قال : أراك شاعرا . قال : فما أقعدنى عن غاية الشعراء ؟ قال : بكاؤك على الدِّمن ، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل . ١٥

ذو الرمة وعصمة ابن مالك يزوران مية

حدثنى ابنُ عمار والجوهرىّ ، وحبيب المهلّبىّ ، عن ابن شبّة[7] ، عن إسحاق الموصلىّ، عن مسعود بن قند ، قال:

---

(١) ج : « أجلالها » . (٢) ديوانه ٣٣٣ .

(٣) ب ، الديوان : « العيس » . والعَنْسُ : الناقة الصلبة القوية .

(٤) ا : « رافع » . (٥) الديوان ، ج : « هل أنت رابع » . ٢٠

(٦) الديوان : « وقل إلى أطلال مى تحية » .

(٧) ج : « حدثنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، وحبيب بن نصر المهلبى . قالوا : حدثنا عمر بن شبة ... » .

تذاكرنا ذا الرمة يوماً فقال عصمة بن مالك : إياى فاسألوا عنه ، قال : كان حُلْوَ العينين، حَسَنَ النغمة، إذا حدَّث لم تسأم حديثه ، وإذا أنشدك بَرْبَرَ[1] وَجشَّ صوته ، جمعنى وإيَّاه مَرْبع مرَّة ، فقال لى : هيا عِصْمَة ، إن ميَّة من مِنْقر ، ومِنْقر أخبث حىّ وأقفاه لأثرٍ ، وأثبته فى نظر، وأعلمه بشرّ ، وقد عرفوا آثار إبلى ، فهل عندك من ناقة نَزْدَارُ[2] عليها ميَّة ؟ قلت : إى والله عندى الجُؤذَر بنت يمانية الجدَلِىّ ، قال : فعلىَّ بها . فأتيتُه بها ، فركب وردفتُه فأتينا محلّة ميّة ، والقوم خُلوف والنساء فى الرحال ، فلمَّا رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مىّ ، وأنخنا قريبا وأتيناهنَّ ، فجلسنا إليهنَّ ، فقالت ظريفة منهنَّ : أنشِدْنا يا ذا الرمة . فقال لى : أنشِدْهنَّ يا عصمة . فأنشدتُ قصيدتَه التى يقول فيها[3] :

نظرتُ إلى أظعانِ مَىٍّ كأنها ... ذُرا النَّخْل أو أثلٌ تميل ذوائبُهْ

فأسبلت العينانِ والقلبُ كاتمٌ ... بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّت عليه سواكبُهْ

بكاء فتًى خاف الفِراقَ ولم تُجِلْ ... جوائلَها أسرارُه ومعاتبُهْ[4]

قالت الظريفة : فالآن فلْتجِلْ ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[5] :

وقد حلفتْ بالله ميّة ما الذى ... أحدّثها إلاّ الذى أنا كاذبُهْ

إذاً فرمانِى الله من حيثُ لا أرى ... ولا زال فى أرضى عدوٌّ أحارِبُهْ

فقالت ميّة : ويحك ياذا الرُّمة ! خَفِ الله وعواقبَه . ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله :

إذا سَرَحَتْ من حبّ مىٍّ سوارحٌ ... على القلب أبّتْه جميعاً عوازِبُهْ

(١) بربر فى كلامه : أكثر منه . والبربرة : الجلبة والصياح .

(٢) ازداره : زاره .   (٣) ديوانه ٣٩ .

(٤) جـ : « ومغايبه » . وفى الديوان : «هوى آلف جاء الفراق فلم تجل» .

(٥) ديوانه ٤٢ .

فقالت الظريفة . قتلنِه قتلك اللهِ ! فقالت مية : ما أصحّه وهنيئا له ! فتنفّس ذو الرُّمة تنفيسةً كادَ حرُّها يطير بلحيتى ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[1] :

إذا نازعتْك القولَ ميّةُ أو بدَا ... لك الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالبُهْ

فيا شئتَ من خدٍّ أسيلٍ[2] ومنطقٍ ... رخيمٍ ومن خَلْقٍ تَعلّل جادبُهْ[3]

فقالت الظريفة : فقد بدا لك الوجه وتُنُوزِعَ[4] القولُ ، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها ميّة : قاتلك الله ! فماذا تأتين به ! فتضاحكت الظريفة وقالت : إن لهذين لشأنا فقوموا بنا عنهما ، فقامت وقمن معها[5] ، وقمت فخرجت ، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلامهما ، فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذى خلّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال ، فأتيته فقلت : انهض بنا فقد ثاب القوم فودّعها فركب وردفته وانصرفنا . ومنها[6] :

صــوت

إذا هبّتِ الأرْواحُ من أىّ جانبٍ ... به أهلُ مىٍّ هاج قلبي هبُوبُها

هوًى تذرِف العينانِ منــه وإنّما ... هوى كلِّ نفس حيثُ كان حبيبُها

الغناء لإبراهيم ماخورىّ بالوسطى عن الهِشامىّ .

(١) ديوانه ٤٢ .
(٢) الديوان : « فبالك من خدّ أسيل » .
(٣) جاديه : عاتبه .
(٤) جـ : « من متوزع القلب » .
(٥) جـ : « وهن » .
(٦) ديوانه ٦٦ وفيه : « من نحو جانب » .

صـــوت

إنى تُذكِّرنى الزُّبـــيرَ حمامةٌ   تدعُو بمجمعِ نخلتين هَـــديلا
أفتَى النَّدى وفتَى الطِّعان قتلتمُ   وفتَى الرِّياح إذا تَهُبّ بَلِيلا
لو كنتَ حُرًّا يابن قينِ مجاشعٍ   شيَّعْتَ ضَيفَكَ فَرْسَخاً أو مِيـــلاَ

وفى أخرى : فرسخين وميلا .

قالت قريشٌ : ما أذلَّ مُجاشعاً   جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلا !

الشعر لجرير ، يهجو الفرزدق ويعيِّره بمقتل عشيرته الزُّبيرَ بن العوَّام يوم الجمل ، والغناء للغريض ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو .

١٣١
١٦

ذكر مقتل الزبير وخبره

الزبير وعلى بن أبي طالب

حدّثنا أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار ، وأحمدُ بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة قالا : حدثنا المدائنيّ ، عن أبي بكر الهُذَلِيّ ، عن قتادَة قال :

سار أميرُ المؤمنين علىّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزّاوية[١] يريد طلْحةَ والزّبيرَ وعائشةَ ، وصاروا من الفرُضة[٢] يريدونه ، فالتقَوْا عند قصر عُبَيْدالله بن زياد يوم الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين ، فلما تَراءى الجَمْعان خرج الزّبير على فرسٍ وعليه سلاحُه ، فقيل لعلىّ صلوات الله عليه : هذا الزّبير ، فقال : أماَ والله إنه أحرَى الرجلين إن ذُكِّر بالله أن يَذْكُره ، وخرج طلحة ، وخرج علىّ عليه السلام إليهما ، فدَنا منهما حتى اختلفَت أعناقُ دَوابِّهم ، فقال لهما : لعمرى لقد أعدَدْتما خَيْلاً ورجالا[٣] ، إن كنتُما أعددتما عند اللهِ عُذرا فاتقيَا اللهَ ولا تَكُونَا ﴿ كالّتِي نَقَضَت غَزْلَها من بعد قُوّةٍ أنْكاثاً[٤] ﴾ ألم أَكُن أخاكُما في دينِكما تحرِّمانِ دمى وأُحرِّم دماءكما ؟ فهلْ من حدَثٍ أَحَلَّ لكما دمى ؟ فقال له طلحة[٥] : ألّبتَ الناسَ على عثمان ، فقال : ياطلحةُ ، أتطلبُنى بدم عثمان ؟ فلعَن الله قَتَلَةَ عثمان ، يازبير ، أتذكر يوم مررتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فى بَني غَنْم ، فنظر إلىّ وضحك ، وضحكتُ إليه ، فقلتَ : لايدعُ ابنُ أبي طالب زَهْوَه ، فقال : مَهْ ليس بمزهوٍّ ، ولتقاتلنّه وأنتَ له ظالم ، فقال : اللهمّ نعم ، ولو ذُكِّرتُ ماسِرتُ مسيرى هذا ، والله لا أُقاتلك أبدا . وانصرف علىّ صلواتُ الله عليه إلى أصحابه وقال : أما الزّبير فقد أعطى الله عهداً ألاّ يُقاتِلَنى .

(١) الزاوية : عدة مواضع ، منها موضع قرب البصرة .
(٢) فى ب : « الفريضة » .
(٣) فى التجريد « وسلاحاً » .
(٤) النحل ٩٢ .
(٥) فى التجريد : « فقالا : ألبت ... » .

قال : ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ فى موطن مُذْ عَقَلْتُ إلاَّ وأنا أعرِفُ فيه أمرِى غيرَ موطنى هذا ، قالت : وماتُريد أن تصنع ؟ قال: أدعُهم وأذهب ، فقال له ابنه عبدُ الله : أجمعْتَ بين هذين الغارّين[1] حتى إذا حدَّد بعضُهم لبعض أردتَ أن تذهب وتَتْرُكَهم ؟ أَخَشِيتَ[2] رايات ابن أبى طالب وعلمتَ أنّها تحملها فِتيةٌ أنجاد . فأحفظه ، فقال : إنى حَلَفْتُ ألاَّ أُقاتله . قال : كفِّرْ عن يمينك وقاتلْه ، فدعا غلاما له يُدعَى مَكْحولاً فأعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمىّ :

لم أرَ كاليوم أخا إخوانِ[3] أعجبَ من مُكفِّرِ الأيْمانِ
بالعِتقِ فى مَعْصِيَةِ الرَّحمنِ

وقال بعضُ شُعرائهم :

يُعتِق مَكْحولاً لصَوْن دينِهْ كفّارةً لله عن يمينِهْ
والنَّكْثُ قد لاح على جَبينِهْ

حدثنى ابنُ عمّار[4] والجوهرىّ قال : حدثنا ابن شبّة[5] عن علىّ بن محمد النوفلىّ عن الهذلىّ ، عن قَتادة ، قال : مقتل الزبير

وقف الزبير على مسجد بنى مُجاشِع فسأل عن عياضِ بن حمّاد ، فقال له النعمانُ ابن زمام : هو بوادى السِّباع فمضى يريده .

حدثنى ابن عمّار والجوهرىّ ، عن عُمر ، قال : حدّثنى المدائنىّ ، عن أبى مِخنَف ، عمّن حدَّثه عن الشعبىّ ، قال :

خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النَّجيب[6]، ثم رجع.

---

(١) الغار : الجيش الكثير . وفى ب : « العارين » .
(٢) فى بيروت : « أحسست » .
(٣) فى التجريد : « أخا خوان » .
(٤) ف : « أحمد بن عبيد الله بن عمار »
(٥) ف : « عمر بن شبة » .
(٦) هب : « النحيت » .

قال : وحدثنا عن مسلمة بن محارب ، عن عوف ، وعن أبى اليقظان ، قالا :

مرّ الزّبير ببنى حمّاد فدعوه إلى أنفسهم فقال : اكفونى خيركم وشرّكم ، فوالله ما كفوه خيرهم وشرّهم . ومضى ابنُ فرتنى إلى الأحنف وهو بعِرق سُويقه ، فقال : هذا الزّبير قد مرّ ، فقال الأحنف : ما أصنع به ! جمع بين غارَين من المسلمين ، فقتل بعضهم بعضاً ، ثم مرّ يريد أن يلحق بأهله . فقام عَمْرو بن جُرمُوز وفُضالةُ بن حابس ونُفَيع بن كعب أحدُ بنى عوف[1] — ويقال نُفَيع بن عُمَير — فلحقوه بالعِرق ، فقُتِل قبل أن ينتهى إلى عِياض ، قتله عمرو بن جُرمُوز .

حدثنى أحمد بن عيسى بن أبى موسى العِجْلِىُّ الكوفىّ ، وجعفرُ بن محمد بن الحسن العلوىّ الحسنىّ[2] ، والعباسُ بن علىّ بن العبّاس وأبو عبيد الصَّيرفىّ ، قالوا : حدثنا محمد ابن علىّ بن خَلَف العطّار ، قال : حدّثنا عمرو بن عبد الغفار ، عن سفيان الثورىّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علىّ بن الحسين عليه السلام ، قال : حدثنى ابنُ عباس قال :

قال لى علىّ صلوات الله عليه : ائتِ الزبير فقل له : يقولُ لك علىُّ بن أبى طالب نشدتُك الله ، ألستَ قد بايَعتنِى طائعاً غيرَ مُكرَه . فما الذى أحدثتُ فاستحللتَ به قِتالى ؟

وقال أحمد بن يحيى فى حديثه : قل لهما : إن أخاكما يقرأُ عليكما السلام ويقول : هل نَقِمتُما علىَّ جوْراً فى حكم أو استئثارا بفَىْء ؟ فقالا : لا ، ولا واحدةً منهما ، ولكن الخوْف وشدَّة الطمع .

وقال محمد بن خلف فى خبره : فقال الزبير : مع الخوف شدَّة المطامع ، فأتيتُ عليًا عليه السلام فأخبرتُه بما قال الزبير ، فدعا بالبغْلة فركبها وركِبْتُ معه ، فدَنَوا حتى

(١) فى الطبقات ٣ — ٧٨ : « عمير بن جرموز التميمى ، وفضالة بن حابس التميمى ، ونفيع أو نفيل ابن حابس التميمى » .
(٢) فى ف : « الحينى » .

اختلفت أعناقُ دابّتيهما فسمعتُ عليًّا صلوات الله عليه يقول: نشدتُك الله يا زبير، أتعلم أنّي كنتُ أنا وأنتَ في سقيفة بني فلان تعالجني وأعالجك فمرَّ بي — يعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم — فقال: كأنّك تُحبّه! فقلت: وما يمنعني! قال: أما إنه ليُقاتلنّك وهو لك ظالم. فقال الزبير: اللهمَّ نعم، ذكّرتني ما نسيت، وولّى راجعاً.

٥ ونادى منادي عليّ: ألا لا تقاتلوا القومَ حتى يستشهدوا منكم رجلا، فما لبث أن أُتي برجل يتشحّط[1] في دمه، فقال عليٌّ عليه السلام: اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد. وأمر الناسَ فشدُّوا عليهم، وأمر الصُّرَّاخَ فصرخوا: لا تُذَفِّفوا[2] على جريح ولا تتبعوا مُدبِرًا، ولا تقتُلوا أسيرا.

حدثنا إبراهيمُ بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزوميّ، عن سعيد بن محمد الجرميّ،

١٠ عن أبي الأحوص، عن عاصم بن بهدلةَ، عن زِرِّ بن حُبيش، ولا أحسبه إلا قال:

كنت قاعداً عند عليٍّ عليه السلام، فأتاه آتٍ فقال: هذا ابن جُرموز قاتلُ الزبير ابن العوّام يستأذن على الباب، قال: ليدخُلَنَّ قاتلُ ابن صفيّة النّار، إنى سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن لكلّ نبيٍّ حواريًّ وإنّ حواريَّ الزبير».

أخبرني الطُّوسيّ وحَرَميّ، عن الزُّبير، عن عليّ بن صالح[3]، عن سالم بن عبدالله

١٥ ابن عروة، عن أبيه: أن عَمْراً أو عُوَيمر بنَ جُرْمُوز[4] قاتل الزبير أتى مُصْعَباً حتى وضع يده في يده، فقذفه في السجن، وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره، فكتب إليه عبدُ الله: بئس ما صنعت، أظننتَ أنّي أقتل أعرابيًّا من بني تَميم بالزُّبير! خَلِّ سبيلَه، فخلّاه.

أخبرني الطوسيّ والحَرَميّ، عن الزُّبير، عن عمه قال: قُتِل الزبيرُ وهو ابنُ عاتكة ترثي الزبير

٢٠ (١) تشحط في الدم: تضرج به. (٢) ذففه وذف عليه: أجهز عليه.

(٣) في ف: «أخبرني الطوسي الحرمي بن أبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير بن بكار».

(٤) ف: «عمرو بن عمير بن جرموز».

١٣٣ / ١٦

سبعٍ وستين سنة أو ستٍّ وستين سنة ، فقالت عاتِكةُ بنت زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل ترثيه :

غَدَر ابنُ جُرْموزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يوم اللقــاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ[١]

يا عمرُو لو نَبَّهتَه لوجــدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ اللسان ولا اليَدِ[٢]

شَلَّتْ يمينُك إن قتلتَ لمُسلِماً ... حَلَّت عليك عقوبةُ المُسْتَشْهِدِ[٣]

إنّ الزُّبير لذُو بلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سَجِيَّته كريمُ المَشْهَدِ ٥

كم غمرةٍ قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك يابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ[٤]

فاذهب فما ظَفِرت يداك بمثلِه ... فِيمن مضىَ مِمن يَروحُ ويَغْتَدِى[٥]

وكانت عاتكةُ قبل الزبير عند عُمرَ ، وقبل عُمَر عند عبد الله بن أبى بكر .

عبد الله بن أبى بكر وعاتكة

أخبرنى بخبرها محمدُ بن خَلَف وكيع ، عن أحمد بن عمرو بن بكر ، قال : حدثنا أبى قال : حدثنا الهَيْثَمُ بن عَدِىّ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن . ١٠ وأخبرنا وَكيع ، قال : حدثنى إسماعيل بن مجمعٍ[٦] عن المدائنىّ .

وأخبرنى الطوسىّ والحَرَمىّ ، قالا : حدثنا الزبير ، عن عمّه ، عن أبيه ، وأخبرنى اليزَيدىّ ، عن الخليل بن أسَد ، عن عمرو بن سعيد ، عن الوَليد بن هشام ابن يحيى الغَسّانىّ .

وأخبرنى الجوهرىّ ، عن ابن شَبَّة ، قال : حدثنا محمد بن موسى الهُذَلىّ ، وكل ١٥

(١) البهمة : الشجاع ، ويراد بالبهمة هنا الجيش . والمعرد : الهارب المحجم من قرنه .

(٢) فى ف : « السنان » . وفى التجريد : « البنان » . وفى الطبقات : ٣-٧٩ : «رعش الجنان» .

(٣) هب ، التجريد ، الطبقات : « المتعمد » .

(٤) الفقع : نوع من الكمأة ، والقردد : المستوى ، ويقال للذليل : فقع قرقرة ، وفقع القردد . وفى ف : « يابن نبع القردد » . وفى ب : « يوم نقع » . ٢٠

(٥) فى هب : « فيما مضى ممن يروح و يغتدى » . وفى ف : « فيما مضى فيما تروح وتغتدى » .

(٦) ف : محمد .

واحد منهم يَزيدُ فى الرواية وينقُص منها، وقد جمعت رواياتهم قالوا :

تزوج عبدُ الله بن أبى بكر الصدِّيق عاتِكةَ بنتَ زيد بن عمرو بن نُفَيل، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ فى عقلها ومنظرها وجزالةِ رأيها، وكانت قد غلبته على رأيه فمرّ عليه أبو بكر أبوه وهو فى عِلِّيَّة[1] يناغيها[2] فى يوم جمعة، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة، ثم رجع وهو يُناغيها، فقال : ياعبد الله أجَمَّعْتَ[3] ؟ قال : أوَصلّى الناس ؟ قال : نعم — قال : وقد كانت شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها — فقال له أبو بكر : قد شغلتْك عاتِكةُ عن المعاش والتجارة، وقد ألهتك عن فرائض الصلاة[4] طلِّقها، فطلّقها تطليقة، وتحولت إلى ناحية[5]، فبَيْنَا أبو بكر يصلِّى على سطح له فى الليل إذْ سمِعه وهو يقول :

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ[6] ... وما ناح قُمْرِىُّ الحَمَامِ المُطَوَّقُ

أعاتِكُ قلبِى كلَّ يوم وليـلة ... لديك بما تُخفى النفوسُ مُعلَّقُ

لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأىٌ ومنطقٌ ... وخَلْق مصونٌ فى حياءٍ ومصدَّقُ[7]

فلم أرَ مثلى طلّق اليوم مثلَها ... ولا مثلَها فى غير شىء تُطلَّقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقّ له، فقال : يا عبد الله، راجع عاتكة، فقال : أُشهِدك أنى قد راجعتُها . وأشرف على غلام له يقال له أيْمَن، فقال له : يا أيْمن، أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى، أُشهِدُك أنى قد راجعت عاتكَةَ، ثم خرج إليها يجرى إلى مؤخَّر الدار وهو يقول :

---

(١) العلية « بالضم والكسر » : بيت منفصل عن الأرض .

(٢) فى المختار : « يداعبها » .

(٣) جمع : شهد الجمعة .

(٤) فى التجريد، بيروت، المختار : « فرائض الله تعالى » .

(٥) فى ف، هب : « ناحية الدار » .

(٦) ما ذر شارق : ما طلعت الشمس حين تشرق .

(٧) فى الخزانة ٤ — ٣٥١ : « ... ورأى ومنصب * وخلق سوى فى الحياة ومصدق » .

أعاتِكُ قد طُلِّقتِ فى غير رِيبَةٍ ورُوجعتِ[1] للأمر الذى هو كائنُ
كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحٌ على الناس فيه أُلفةٌ وتبايُنُ
وما زال قلبى للتَّفرُّق طائراً وقلبى لما قد قرَّب اللهُ ساكِنُ[2]
لِيهْنِكِ أنى لا أرى فيكِ سَخْطةً وأنكِ قد تمَّتْ عليكِ المحاسنُ
فإنكِ مِمَّنْ زيَّن اللهُ وجهَــه وليس لِوَجْهٍ زانَه اللهُ شائِنُ

١٣٤ / ١٦

قال : وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألاَّ تتزوَّج بعده ، فلما مات من السهم الذى أصابه بالطائف ، أنشأت تقول :

فللّه عيناً مَنْ رأى مثلَه فتًى[3] أكَرَّ وأحمَى فى الهياجِ وأصْبرَا
إذا شُرِعت فيه الأسنَّةُ خاضَها إلى الموت حتى يترُكَ الرُّمحَ أحمرَا
فأقسمتُ لا تنفكُّ عينى سَخِينةً عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِىَ أغبرا[4]
مدَى الدَّهرِ ما غنّت حمامةُ أيكةٍ وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المنوَّرَا

عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب ، فقالت : قد كان أعطانى حديقةً على ألا أتزوجَ بعده ، قال : فاستفتى ، فاستفتَت علىَّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : رُدِّى الحديقةَ على أهله وتزوَّجى . فتزوجت عمر فسَرَّح[5] عمر إلى عِدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم علىّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه — يعنى دعاهم — لما بَنَى بها ، فقال له علىّ : إنَّ لى إلى عاتِكَةَ حاجةً أريد أن أذكُرَها إياها ، فقل لها تَستتِر حتى أكلِّمها ، فقال لها عمر : استَتِرى يا عاتكة فإنَّ ابن أبى طالب يريد أن يكلمك ،

(١) فى ف : « زوجت » .
(٢) فى ف ، والمختار ، والتجريد : « فقلبى لما قرت به العين ساكن » .
(٣) فى التجريد : «مثل هالك » .
(٤) فى ف : أصفرا .
(٥) فى المختار : « فسير » .

فأخذت عليها مِرْطَها[1] فلم يظهر منها إلا ما بدا من بَراجمها[2]، فقال يا عاتكةُ :

فأقسمتُ لا تنفكُّ عيني سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جِلدِىَ أغبَرَا[3]

فقال له عمرُ : ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : وما أرادتْ إلى أن تقول مالا تفعل ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾[4] وهذا شيء كان فى نفسى أحببتُ والله أن يَخرُجَ . فقال عمر : ماحَسَّنَ[5] الله فهو حَسَنٌ، فلما قُتِل عمر، قالت تَرثيه :

عينُ جُودِى بعَبْرةٍ ونَحيبِ لا تَمَلِّى على الإمامِ النَّجِيبِ

فَجَعَتْنا المَنُون بالفـارِس المعْـ لَم يوم الهِيَـاجِ والتَّلْبِيبِ

عِصْمَةَ اللهِ والمُعِـينِ على الدَّهْـ رِ غِياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ

قل لأهْلِ الضَّرَّاء والبُؤْسِ مُوتُوا قد سَقَتْه المَنونُ كأسَ شَعُوبِ

وقالت تَرثيه أيضاً :

صـوت

مُنِـعَ الرُّقادُ فنادَ عَينِيَ عِيدُ[6] مِمَّا تَضَمَّن قَلبِىَ المَعْمُودُ

يا ليـلةً حُبِست علىَّ نُجومُها فَسَهِرْتُها والشامِتُون هُجُـودُ[7]

قد كان يُسهِرُنى حِذارُك مَرَّةً فاليوم حقَّ لِعَيْـنِيَ التَّسْهِيدُ

أبكى أميرَ المُؤْمنِـين ودُونَه لِلزَّائِرين صَـفائِحٌ وصَـعِيدُ

غنى فيه طُوَيس خَفيف رمل عن حَّاد والهشامىّ .

(١) المرط : كساء من صوف أو خزّ .

(٢) البراجم : مفاصل الأصابع إذا قبض الشخص كفه نشزت .

(٣) فى ف : « أصفراً » . (٤) الصف ٣ .

(٥) فى ب . ما أحسن .

(٦) عيد : ما اعتاد من مرض أو حزن ونحوه . وفى ب : عود .

(٧) فى ف ، المختار : « نحست » بدل « حبست » . و« الساهرون رقود » بدل : « والشامتون هجود » .

الزبير بن العوام وعاتكة

١٣٥ / ١٦

فلما انقضت عِدَّتها خطبها الزُّبَيْر بن العوّام فتزوّجها ، فلما ملكها قال: ياعاتكة ، لا تخرُجى إلى المسجد ، وكانت امرأة عَجْزاء بادِنة . . فقالت : يابن العوّام ، أتريد أن أدَع لغَيْرتك مُصَلًّى صَلَّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فيه ؟ قال : فانى لا أمنعك ، فلما سَمِع النداء لصلاة الصبح توضّأ وخرج ، فقام لها فى سَقيفة بنى ساعِدَة ، فلما مرَّت به ضَرَب بيده على عجيزتها ، فقالت : مالك قطع اللهُ يدك ! ورجعتْ ، فلما رَجع من المسجد قال : ياعاتكة ، مالى لم أرك فى مُصلّاك ؟ قالت : يرحمُك الله أبا عبدالله ، فَسَد الناسُ بعدَكَ ، الصلاة اليوم فى القَيْطُون[1] أفضلُ منها فى البَيْت ، وفى البيت أفضل منها فى الحُجْرة . فلما قُتل عنها الزُّبير بوادى السّباع رثته فقالت :

غَدَر ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يوم اللقاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ

يا عَمرُو لو نَبَّهْتَه لوجدْتَه ... لاطائشاً رعِشَ اللسان ولا اليَدِ

هبِلَتْك أمُّك إن قَتَلْت لَمُسْلِماً ... حَلَّت عليك عقُوبةُ المُتَعَمِّدِ

الحسين بن على وعاتكة

فلما انقضت عدَّتها تزوَّجها الحُسينُ بنُ علىّ بن أبى طالب عليهما السلام ، فكانت أوّلَ من رفع خدَّه من التراب — صلى الله عليه وآله ولعَن قاتِلَه والرّاضى به يوم قُتل — وقالت ترثيه :

وحُسَيْناً فلا نَسِيتُ حُسَيْناً ... أقصدَتْه أسِنَّةُ الأعداء[2]

غادَروه بكَرْبَلاء صَرِيعًا ... جادَتِ المُزنُ فى ذَرَى كَرْبلاء

ثم تأيَّمت[3] بعده ، فكان عبد الله بن عمر يقول : من أراد الشّهادة فليتزوّج بعاتكة . ويقال : إن مروان خطَبها بعد الحُسَين عليه السلام فامتنعت عليه ، وقالت : ما كنت لأتَّخِذ حَماً[4] بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنا الخليل بن أسد قال : حدثنى العمرىّ قال : حدثنا أسامة بن زيد ، عن القاسم بن محمد قال :

---

(١) القيطون : المخدع .

(٢) أقصدته أسنّة الأعداء : أصابته فلم تخطئه .

(٣) تأيمت : مكثت ولم تتزوج .

(٤) فى ف ، المختار : « حمواً » .

لم يزل السهم الذى اصاب عبد الله بن أبى بكر عند أبى بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم ، فقال : من يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيد بن عبيد من بنى علاج : هذا سهمى وأنا بريتهُ ، وأنا رشتهُ ، وأنا عقبته ، وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر : فهذا السهم الذى قتل عبد الله ، والحمد لله الذى أكرمه بيدك ، ولم يهنك بيده .

طويس يغنى شعراً لعاتكة

أخبرنى اليزيدىُّ ، عن الزُّبير ، عن أحمد بن عُبَيْد الله بن عاصم بن المُنْذِر بن الزبير ، قال : لما قُتِل الزبير وخلتْ عاتكة بنتُ زَيْد ، خطبها علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام فقالت له : إنى لأضَنّ بك على القتل يا بنَ عمّ رسول الله .

أخبرنى الحُسَيْن بنُ يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن محمد بن سَلّام قال : حدثنى أبى قال :

١٠ بينا فِتية من قريش ببطن مُحسِّر يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعارَ إذ أقبل طُوَيس وعليه قميص قُوهِىّ[1] وحَبَرة قد ارتدَى بها ، وهو يَخطِرُ فى مِشْيته ، فسلّم ثم جلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد الله غَنِّنا شِعراً مليحاً له حديث ظريف ، فغنّاهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثى عمر بن الخطاب :

مَنَعَ الرُّقادُ فعادَ عَيْنِىَ عِيدُ ... مِمّا تَضَمَّن قَلْبِىَ المعمودُ

١٥ الأبيات ، فقال القوم : لِمَنْ هذه الأبيات يا طُوَيس ؟ قال لأجْمل خلق الله وأشأمهم ، فقالوا : بأنفسنا أنت ، من هذه ؟ قال : هى والله من لا يُجهَل نَسبُها ولا يُدفَع شرفُها ، تزوّجت بابن خليفة نبى الله ، وثَنَّت بخليفة خليفة نبىّ الله ، وثَلَّثت بحَوارِىّ نبىّ الله ، وربّعت بابن نبى الله[2] وكُلاًّ قَتَلتْ . قالوا جميعاً : جُعِلْنا فداك ، إنّ أمر هذه لعجيب ، بآبائنا أنت من هذه ؟ قال : عاتكةُ بنتُ زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل . فقالوا :

٢٠ نعم ، هى على ما وصَفْتَ ، قوموا بنا لا يُدرِك مجلسَنا شؤمُها . قال طُوَيس : إن شُؤْمَها قد مات معها ، قالوا : أنت والله أعلم منّا .

(١) قميص قوهى : أبيض .
(٢) فى ف : « وربعت بابن بنت رسول الله » . وفى المختار : « وربعت بابن رسول الله » .

صـوت

يا دَنانيرُ قد تَنَكَّرَ عَقْلى ... وتَحيَّرتُ بين وَعْدٍ ومَطْل

شَغَفِى شافِعِى إليكِ وإلّا ... فاقتُلِينى إن كنتِ تَهْوَين قَتْلِى

١٣٦
١٦

الشعرُ والغِناء لعَقِيد مولى صالح بن الرشيد، خفيف ثقيل، وفيه لعريب رمل بالوسطى، وهذا الشعر يقوله فى دنانيرَ مَوْلاة البرامكة، وكان خَطَبها فلم تُجبه، وقيل: بل قاله أحدُ اليزيديين ونَحَلَه إيّاه.

ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد[١]

كانت مولاة ليحيى ابن خالد البرمكى

كانت دنانيرُ مولاة يحيى بن خالد البرمكىّ وكانت صفراء مولَّدة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهنّ وأكملهنّ أدباً وأكثرهنّ رِواية للغناء والشعر ، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثِر مصيرَه[٢] إلى مولاها ويقيم عندها ويَبرّها[٣] ويفرِط، حتى شكته زبيدةُ إلى أهله وعُمومته ، فعاتبوه على ذلك .

لها كتاب فى الأغانى

ولها كتابٌ مجرّد فى الأغانى مشهور ، وكان اعتمادُها فى غنائها على ما أخذته من بذْل وهى خَرّجتْها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَذْل عنهم مثل : فُلَيح ، وإبراهيم ، وابن جامع ، وإسحاق ، ونُظرائهم .

أخبرنى جحظة ، قال : حدّثنى المكّىُّ عن أبيه قال :

كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايِي[٤] دنانيرَ جارية البرامكة ، فكثيراً ما كانت تَغلبنا .

عرضت على إبراهيم الموصلى صوتا من صنعتها فأعجبه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشّيعىّ ، عن ابن شبّة ، قال : حدثنى إسحاق الموصلىّ ، قال : قال لى أبى : قال لى يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عمِلت صوتا اختارتْه وأُعْجِبت به ، فقلت لها : لا يشتدُّ إعجابُك حتى تعرِضيه على شَيخك ، فإن رضِيَه فارضَيه لنفسك ، وإن كرهه فاكرهيه ، فامضِ حتى تعرضَه عليك . قال : فقال لى أبى : فقلت له : أيها الوزير فكيف إعجابُك أنت به ؟ فإنك والله ثاقب الفِطنة صحيحُ التّمْييز[٥] ، قال: أكرهُ أن أقولَ لك: أعجبنى فيكون عندك غيرَ مُعجِب، إذ كنت عندى رئيس صناعتك ، تَعرِف منها مالا أعرف ، وتقف من لطائفها على مالا أقِف ، وأكرهُ

---

(١) ب ، الدر المنثور : عقيل .

(٢) هب ، المختار . « مسيره » .

(٣) هب ، المختار : « ويقيم عنده ويبره » .

(٤) عايا فلانا : ألقى عليه كلاماً لا يهتدى لوجهه . وفى : هب ، ب ، بيروت : « نعانى » .

(٥) هب ، ف : « ثاقب الرأى عالى الفطنة » .

أن أقول لك : لا يُعجبنى ، وقد بلغ من قلبى مبلغاً محموداً ، وإنما يتمّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويباً . قال : فمضيتُ إليها ، وقد تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بى إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءك إبراهيمُ فاعْرِضى عليه الصوتَ الذى صنعتِه واستحسنتِه ، فإن قال لك : أصبتِ سَرَرتِنى بذلك ، وإن كَرِهه فلا تُعلِمينى . لئلا يزول سُرورِى بما صنعتِ . قال إسحاق : قال أبى : فحضرتُ الباب فأُدخِلتُ ، وإذا الستارة قد نُصِبت ، فسلّمت على الجارية من وراء الستارة ، فردّت السلام، وقالت : يا أبتِ أعرِضُ عليك صوتاً قد تقدّم لاشكّ إليك خبرُه ، وقد سمعتُ الوزيرَ يقول : إن الناسَ يُفتَنون بغنائهم ، فيُعجبهم منه مالا يُعْجِب غيرهم ، وكذلك يفتنون بأولادهم، فيحسُنُ فى أعينهم منهم ماليس يحسن ، وقد خشِيت على الصوت أن يكون كذلك ، فقلتُ : هاتِ ، فأخذت عودَها وتغنَّت تقول :

صوت

نَفْسِى أكنتُ عليك مُدّعِياً أم حين أزمع بَيْنَهم خُنتِ !

إن كنتِ مولعةً بذكرهمُ فعلى فراقِهِمُ ألا مُتِّ !

قال: فأعجبنى والله غاية العجب واستخفّنى الطرب ، حتى قلت لها : أعيديه ، فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعا أُصلحه وأغيّره عليها لتأخذَه عنّى ، فلا والله ما قَدرتُ على ذلك ، ثم قلتُ لها : أعيديه الثالثة فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفّى ، فقلت : أحسنتِ يا بنيّة وأصبت ، وقد قطعت عليك بحُسن إحسانك وجودة إصابتك أنك فائدةُ المعلمين[1] ؛ إذ قد صرت تُحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة ، قال : ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد ، فقال : كيف رأيت صنعةَ ابنتك دنانير ؟ قال : أعزَّ الله الوزير ،

(١) ب ، بيروت : « وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك فائدة المعلمين » . وفى ف : « وقد قطعت عنك بحسن اختيارك وجودة إصابتك فائدة المعلمين » .

والله ما يُحْسِن كثيرٌ من حُذَّاق المغنِّين مثلَ هذه الصنعة ، ولقد قلتُ لها : أعيديه وأعادته علىَّ مرات ، كلُّ ذلك أُريد إعناتها ، لأجتلبَ(١) لنفسى مدخلا يؤْخذ عنّى ويُنسب إلىّ ، فلاوالله ماوجدته ، فقال لى يحيى : وصفُك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها ، وقد ـ والله ـ سررتنى وسأسرُّك ، فوجّه إلىّ بمال عظيم .

اشتراها يحيى بن خالد من رجل من أهل المدينة

٥ وذكر محمدَ بنُ الحَسَن الكاتب ، قال : حدَّثنى ابن المكّى ، قال :

كانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرّجها وأدَّبها ، وكانت أروى الناس للغناء القديم ، وكانت صفراء صادقةَ الملاحة ، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها .

الرشيد يعجب بها فتعلم أم جعفر وتشكوه إلى عمومته

وكان الرشيد يسير(٢) إلى منزله فيسمعُها ، حتى ألفها واشتد عَجَبُهُ(٣) بها فوهب لها هبات سنيةً ، منها أنه وهب لها فى ليلة عيد عِقْداً ، قيمته ثلاثون ألف دينار ، فَرُدَّ عليه فى ١٠ مصادرة البرامكة بعد ذلك . وعلمت أمّ جعفر خبرَه فشكته إلى عُمُومته ، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه ، فقال : مالِى فى هذه الجارية من أرَبٍ فى نفسها ، وإنما أرَبى فى غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحقت أن يؤْلَف غناؤُها وإلا فقولوا ماشئتم ، فأقاموا عنده ، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تُلحّ فى أمرها فقبلت ذلك ، وأهدت إلى الرّشيد عَشْرَ جوارٍ ، منهن: ماردة أم المعتصم ، ١٥ ومراجل أم المأمون ، وفاردَة(٤) أم صالح .

وقال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات : أخبرنى محمد بن عبد الله الخُزاعِىّ قال :

حدثنى عَبَّاد البشرىّ(٥) قال : مررتُ بمنْزِل من منازل طريق مَكّة يقال له

(١) ف : « لأحتال » . (٢) ف : يصير .
٢٠ (٣) ف : إعجابه .
(٤) فى ب : مارية «أم المعتصم» . وفى ف : فارد « أم صالح » .
(٥) ف : « النشوى » وفى المختار : « النسوى » .

النَّبَّاج ، فإذا كِتابٌ[١] على حائط فى المنزل ، فقرأتُه فإذا هو : النَّيْكُ أربعة ؛ فالأول شَهْوة ، والثانى لَذَّة ، والثالث شِفاء ، والرابع دَاء[٢] ، وحِرٌ إلى أَيْرَيْن أحوجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْن ، وكتبتْ دَنانيرُ مولاة البرامكة بخَطِّها .

أخبرنى إسماعيل بن يونس ، عن ابن شَبَّة : أن دنانير أُخذت عن إبراهيم الموصلىّ حتى كانت تُغَنِّى غِناءه ، فتَحْكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتَنى ودنانيرُ باقية فما فقدتنى .

دنانير تصاب بالعلة الكلبية

قال : وأصابتها العلّةُ الكَلْبِيَّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدةً[٣] ، فكان يحيى يتصدّق عنها فى كل يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنها كانت لا تصومه ، وبقيت عند البرامكة مدة طويلة .

أخبرنى ابنُ عَمَّار ، وابن عبد العزيز ، وابن يونس ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق .

الرشيد يأمر بصفع دنانير حتى تغنى

وأخبرنى جَحْظَةُ ، عن أحمد بن الطّيّب : أنّ الرشيد دعا بدنانيرَ البرمكيّة بعد قتله إيَّاهم ، فأمرها أن تُغَنِّى ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنى آليتُ ألاّ أُغَنِّى بعد سَيِّدى أبدا ، فغضب ، وأمر بصَفْعِها ، فصُفِعت ، وأُقيمت على رجليها ، وأُعطيت العُود ، وأخذته وهى تبكى أحرَّ بكاء ، واندفعت فغنّت :

١٣٨ / ١٦

صوت

يا دارَ سَلْمَى بنازِحِ السَّنَدِ ... بين الثَّنايا ومَسْقَطِ اللَّبَدِ
لَمَّا رأيتُ الدِّيارَ قد دَرَسَتْ ... أيقنتُ أنَّ النَّعيم لم يَعُدِ

(١) الكتاب هنا الكتابة . وفى المختار : « وإذا على الحائط مكتوب ماصورته ... » .
(٢) ف : « دواء » .
(٣) ف : « مرة واحدة » .

الغناء للهُذَلِىّ خَفِيف ثقيل أول مطلق فى مَجْرى الوُسْطى ، وذكر علىّ بن يحيى المُنَجّم وعمرو أنه لسِياط فى هذه الطريقة .

قال : فَرَقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المَهْدىّ فقال له : كيف رأيتَها ؟ قال : رأيتُها تَخْتِلُه برفق ، وتَقْهَرُه بحِذْق .

خطبها عقيد فردته وبقيت على حالها إلى أن ماتت

٥ قال علىّ بن محمد الهشامىّ[١] : حدثنى أبو عبد الله بن حَمْدون أن عَقِيداً[٢] مولى صالح بن الرشيد خَطَب دَنانيرَ البرمكيّة ، وكان هَوِيَها وشُغِف بذكرها ، فردّته ، واستَشْفَع عليها مولاه صالح بن الرشيد ، وبَذْل ، والحُسَين بن محرز ، فلم تُجبه وأقامت على الوفاء لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد قوله :

يا دنانيرُ قد تَنَكَّرَ عَقْلِى ... وتَحيّرتُ بين وَعْدٍ ومَطْلِ

١٠ شَغَفِى[٣] شافِعِى إليك وإلاّ ... فاقْتُلِينى إن كنتِ تَهْوَيْنَ قَتْلِى

أنَا بالله والأمــير وما آ ... ملُ من موعد الحُسَين وبَذْلِ

ما أُحِبُّ الحياةَ يا حِبُّ[٤] إن لم ... يجمع الله عاجلا بكِ شَمْلِى

فلم يعطِفْها ذلك على ما يُحِبّ ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

وكان عَقِيدٌ حَسَنَ الغِناء والضرب قليلَ الصَّنْعة ، ما سَمِعنا منه بكبير[٥] صَنْعة ، ١٥ ولكنه كان بمَوضِع من الحِذْق والتّقدُّم .

---

(١) فى ف ، بيروت : « البسامى » .

(٢) فى ب ، الدر المنثور : « عقيلا » .

(٣) فى ب ، الدر المنثور : « شغفى » .

(٤) فى هب ، الدر المنثور ، ب : « يا أخت » . والحب : الحبيب .

٢٠ (٥) فى ف ، هب ، بيروت : « بكثير » .

قال محمد بن الحسن : حدثنى أبو حارثة[١] عن أخيه أبى معاوية قال : شهدتُ إسحاق يوما وعَقِيدٌ يُغنّيه :

صوت

هلاّ سألتِ ابنةَ العَبْسِيّ ما حَسَبِى عند الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ

وجالت الخيلُ بالأبطال عابسةً شُعْثَ النواصى عليها البِيضُ تأتَلِقُ ٥

الشعر يقال إنه لعَنْتَرة ولم يصحَّ له ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى . قال : فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويُصفّق حتى والَى بين أربعة أرطال ، وسأله بعضُ مَنْ حضر : مَنْ أحسنُ الناسِ غناء ؟ قال : مَنْ سقانى أربعةَ أرطال .

أبو حفص الشطرنجى يقول فيها شعرا يغنيه ابن جامع

وفى دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنْجِيّ :

صوت[٢] ١٠

أشبهكِ المسكُ وأشبهتِهِ قائمةً فى لونه قاعدهْ

لا شك إذ لونُكما واحدٌ أنّكما من طينةٍ واحدهْ

غنّاه ابن جامع هزَجا بالبنصر وقيل إنه لأبى فارة .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن علىّ بن محمد النوفلىّ ، عن مَوْلاة ابن جامع أنّ مولاها كان يهوى جارية صفراء . فقال فيها هذا الشعر وغنّى فيه ، وأظن ١٥ هذا وهما ؛ لأنا لم نسمع لابن جامع بشعر قط ، ولعله غنّاه فى شعر أبى حَفْص الشِّطْرنجىّ . فظننته له .

ومما غنّاه عَقِيد فى دنانير والشعر للموصلىّ إلا البيت الأول فليس[٢] له) .

(١) فى ب : « أبو جارية » .

(٢-٢) كذا فى ف ، هب وهذا الصوت وما يليه من خبر خلت منه نسخة بولاق . ٢٠

عقيد يقول فيها شعرا ويغنيه

صوت

هَـذِى دَنانيرُ تَنْسانِى فأذْكرُها وكيف تنسى مُحبًّا ليس يَنْساها!
واللهِ واللهِ لو كانت إذا بَرَزَت نَفسُ المُتَيَّمِ فى كَفَّيْهِ ألْقاها

والشعر والغناء لعقيد، ولحنــه من الرَّمل المطلق فى مجرى الوسطى، وفيه هزج خفيف مُحدَث.

٥

قال أحمد بن أبى طاهر: حدثنى علىٌّ بن محمد قال: حدثنى جابر بن مُصْعَب، عن مُخارِق، قال:

المغنون والجوارى يغنون عند الأمين بشعر عقيد فيها

مرَّت بى ليلةٌ ما مَرَّ بى قطّ مثلُها. جاءنى رسولُ محمدالأمين وهو خليفة، فأخذنى وركضَ بى إليه ركْضاً، فحين وافَيْتُ أُتِىَ بابراهيم بن المهدى[1] على مثل حالى، فنزلنا، وإذا هو فى صحن لم أرَ مثله قد مُلِىء شمعا من شمع محمد الأمين الكِبار، وإذا به واقف ثم دخل فى الكَرْح[2]، والدار مملوءة بالوصائف يُغنِّين على الطبول والسّرنايات[3] ومحمد فى وسطهنّ يرتكِض فى الكَرْح، فجاءنا رسولُه، فقال: قُوما فى هـذا الباب مما يَلِى الصَّحْن، فارفعا أصواتكما مع السرناى أين بَلَغ، وإيّاكما أن أسمعَ فى أصواتكما تقصيرا عنه، قال: فأصغَيْنا فإذا الجَوارِى والمُخَنَّثون يزْمُرون ويضربون:

١٠

١٣٩ / ١٦

١٥

هَذِى دنانيرُ تَنْسانى وأذكرها وكيف تنسى مُحِبًّا ليس ينساها!
أعوذُ باللهِ من هِجران جاريةٍ أصبحتُ من حبّها أهذِى بذكراها
قد أُكمِلَ الحسنُ فى تركيب صورتها فارتجَّ أسفلُها واهتزَّ أعلاها

---

(١) فى ف، المختار، بيروت: «إبراهيم الموصلى».
(٢) أصل معنى الكرح بيت الراهب. وفى ف، بيروت، المختار. «وإذا محمد قد دخل فى الخدم».
(٣) السرنايات: من آلات الصفير. وفى ب: «السرنابات والسرنابى».

٢٠

قامت تَمَشَّى فليت الله صَيَّرنى ذاكَ الترابَ الذى مَسَّتْه رِجلاها

واللهِ واللهِ لو كانت إذا برزت نفسُ المُتَيَّم فى كَفَّيه ألقاها

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناى ونَتْبَعَه حذراً من أن نخرج عن طبقته ، أو نقصر عنه إلى الغداة ، ومحمد يجولُ فى السكرْح ما يسأمه ، يدنو إلينا مرة فى جولانه ويتباعد مرَّة ، وتحولُ الجوارِى بيننا وبينه حتى أصبحنا .

صوت

ألا طَرَقَتْ أسماء لا حين مَطْرَقِ ... وأنَّى إذا حلَّتْ بنَجْرانَ نلتقِي

بِوَجٍّ وما بالى بِوَجٍّ وبالُها[1] ... ومَنْ يلقَ يوماً جِدَّة الحبِّ يُخْلَقِ

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لخُفاف بن نُدْبة ، والغناء لابن مُحْرِز خفيف ثقيل أول بالسَّبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق أيضا ، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لِمَعْبَد ثانى ثقيل بالوسطى ، وفيه لعلُّويه خفيف رمل بالوسطى ، وفيه للقاسم بن زُرْزُور[2] خفيف رمل آخر صحيح فى غنائه ، وفيه لابن مِسْجَح ثقيل أول ، عن إبراهيم ، ويحيى المكىّ ، والهِشامىّ ، وفيه لمخارق رمل بالبِنصر .

(١) ف ، بيروت : « ألحت بنوح ما لنوح وما لها » .

(٢) فى هب : « زرور » . وفى ف : « زرزر » .

أخبار خفاف ونسبه

نسبه

هو خُفاف بن عُمَيْر[١] بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان بن مضر بن نِزار ، ونُدْبة أمه وهى أمةٌ سوداء ، وكان خفاف أسودَ أيضا ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم ، وجعله ابنُ سَلّام فى الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُوَيْرة ، ومع ابنى عَمّه صَخْر ومعاوية ابنى عمرو بن الشريد ، ومالك ابن حِمار الشَّمْخِىّ[٢].

أخبرنى أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام ، قال :

أحد فرسان العرب وأغربتهم

كان خُفاف بن نُدْبة — وهى أمه — فارسا شجاعا شاعراً ، وهو أحدُ أغْرِبة العرب[٣] ، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشَّريد أغار على بَنى ذُبيان يوم حَوْزة[٤] ، فلما قتلوا معاوية ابن عمرو قال خُفاف : والله لا أَرِيم اليوم أو أُقيدُ به سيِّدَهم ، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارسُ بنى فَزارة وسيِّدهم فطعنه فقتله ، وقال :

فإن تكُ خَيلى قد أُصيب صَميمُها ... فعمْدًا على عينى تَيَمَّمْتُ مالِكا

رفعتُ له ما جرَّ إذ جَرَّموته[٥] ... لأَبْنِىَ مَجْداً أو لأثأر هالِكا

أقول له والرُّمح يأطِر مَتْنَهُ : ... تأمَّلْ خُفافاً إنَّنى أنا ذَلِكا[٦]

---

(١) فى هب ، ب : « عمرو » .

(٢) فى المختار : « مالك بن حماد الجشمى » . وفى ب : « مالك بن حماد الشحمى » .

(٣) أغربة العرب : سودانهم ، منهم جاهليون وإسلاميون . انظر المحيط (غرب) .

(٤) فى ف : « يوم الحريرة » وفى ف : « يوم الجزيرة » .

(٥) فى الخزانة ٢ — ٤٧٠ « نصبت له علوى وقد خام صحبتى » . وفى ف : « دلفت له يا حز ... »

(٦) يأطر : يثنى . والمتن : الظهر ، يريد ظهر مالك .

قال ابن سلّام : وهو الذى يقول :

١٤٠ / ١٦

يا هِنْدُ يا أُختَ بنى الصّارِدِ   ما أنا بالباقِ ولا الخالد

إن أُمسِ لا أملِكُ شيئاً فقد   أملكُ أمر المَنْسِر الحارد[1]

فى هذين البيتين لعُبَيْد الله بن أبى غسّان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامىّ .

يناك من العباس ابن مرداس ، والعباس يرد عليه

٥ أخبرنى عمّى ، عن عبد الله بن سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن عُمَر[2] بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن الحجاج السُّلَمىّ قال :

كان بَدء ما كان بين خُفاف بن نُدْبة والعباس بن مرداس أنّ خُفافاً كان فى مَلإٍ من بنى سُلَيم فقال لهم : إن عباس بن مِرْداس يريد أن يبلُغ فينا مابلغَ عباس بن أنَس، ويأبَى ذلك عليه خصالٌ قَعَدْن به ، فقال له فتى من رهط العبّاس : وما تلك الخصالُ

١٠ يا خُفاف ؟ قال : اتقاؤه بخَيْله عند الموت ، واستهانَتُه بسبَايا العرَب ، وقتلُه الأسرى ، ومُكالبَتُه للصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمنَّيْنا موتَه ، فانطلق الفتى إلى العبّاس فأخبره الخبر ، فقال العبّاس : يابن أخى ، إن لم أكن كالأصمّ فى فضله فلستُ كخُفافٍ فى جهْله ، وقد مضى الأصمُّ بما فى أمس وخَلّفَنى بما فى غَد ، فلما أمسى تَغَنَّى ، وقال :

١٥ خُفافُ ما تزال تجرُّ ذيلاً   إلى الأمرِ المُفارِق للرَّشادِ

إذا ما عايَنَتْكَ بنو سُلَيمٍ   ثَنَيْت لهم بداهيةٍ نآدِ[3]

(١) ب : « المنسر الجارد » وفى هب : « رأى اليسر الجارد » . والمنسر : الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو من الأربعين إلى الخمسين أو إلى الستين أو من المائة إلى المائتين . والحارد : المجتمع الخلق الشديد .

(٢) فى ب : « عمرو بن خالد » .

٢٠ (٣) نآد : شديدة .

وقد عِلم المَعاشِرُ من سُلَيْم بأنّى فيهمُ حَسَنُ الأيادِى
فأوردْ يا خُفافُ فقد بُليتم بَنِى عوف بحَيّةِ بطْن وادى

قال : ثم أصبح فأتى خُفافاً . وهو فى ملَإٍ من بنى سُليْم ، فقال : قد بلغنى مقالتُك ياخُفاف ، والله لاأشتُم عِرضَك ولا أسُبُّ أباكَ وأمَّك ، ولكنّى رامٍ سوادك بما فِيك[(١)] وإنك لتعلم أنى أحمِى المصافَّ[(٢)] وأتكرَّمُ على السَّلَب[(٣)] وأطلق الأسيرَ وأصونُ السبِيّة . وأما زعمُك أنى أتّقى بخَيْلِى الموتَ فهاتِ من قومِك رجلا اتّقيتُ به . وأما استهانتى بسَبايا العرب فإنى أحذُو القوم فى نسائهم بفعالهم فى نسائنا ، وأما قتلى الأسرى فإنى قتلتُ الزُّبيدىّ بخالك ، إذ عجزتَ عن ثأرك . وأما مُكالبتى الصعاليكَ على الأسلاب ، فوالله ما أتيتُ على مسلُوب قطّ إلا لُمتُ سالبه . وأما تمَنّيك موتى . فإن مِتُّ قبلك فأغنِ غَنائى ، وإن سُلَيما لتعلم أنى أخفُّ عليهم مؤُونة ، وأثقلُ على عدوِّهم وطأةً منك ، وإنّك لتعلم أنى أبحتُ حِمَى بنى زُبيد ، وكسرتُ قَرْنَيِ الحارث[(٤)] وأطفأتُ جَمْرةَ خَثعم ، وقلّدت بنى كِنانة قلائدَ العار ، ثم انصرف . فقال خُفافٌ أبياتا لم يحفظ الشيخُ منها إلا قوله :

ولم تقتُل أسيرَك من زُبيدٍ بخالى بل غدَرْتَ بمُستفادِ
فَزَنْدُك فى سُلَيْم شرُّ زَنْدٍ وزادُك فى سُلَيْم شرُّ زادِ

فأجابه العباس بقوله :

ألا مَنْ مُبلِغٌ عنّى خُفافاً فإنّى لا أحاشِى من خُفافِ
نكحتَ وليدةً ورضعتَ أخرَى وكان أبوكَ تحمِلُهُ قَطافِ

---

(١) السواد : الشخص . وفى ب : « ولكن رى سوادك بما فيك » .
(٢) المصافّ : مواقف القتال .
(٣) فى ب ، بيروت : « وأتكلم على السبى » .
(٤) فى ب ، هب : « وكسرت قوى بنى الحارث » .

١٤١ / ١٦

فلستُ لحاصنٍ إن لم تَزُرْها … تثيرُ النقعَ من ظَهْرِ النِّعافِ[(١)]

سراعاً قد طواها الأينُ دُهْماً … وكُمْتاً لونُها كالوَرْس صافِ[(٢)]

ابن عم للعباس يحرضه على الحرب

قال : ثم كفّ العباس وخُفاف حتى أتى ابنُ عم للعباس يُكنى أبا عَمْرو بن بَدر ، وكان غائباً ، فقال : يا عباس ، ما تقولُ فيك خيراً إلاّ وهو باطل ، قال : وكيف ذلك ، ٥ ويحك ! قال : أخبرْنى عنك ، أكُلُّ الذى أقررتَ[(٣)] به من خُفاف فى نفيه أباك وتهجينه عرضك ، ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك ؟ قال : لا ، ولا واحدة منهما ، ولكنى أحببت البُقْيا ، قال : فاسمع ما قلتُه ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

أرى العباس ينفُض مِذْرَوَيْه[(٤)] … دَهِينَ الرأس تَقْلِيه النساء

وقد أزرَى بوالده خُفافٌ … ويُحسَب مثله الداء العَياء[(٥)]

١٠ فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ … فإن السَّبَّ تُحسنُه الإماء

ولا تكذِب وأهْدِ إليه حرباً … مُعَجَّلَةً فإن الحرب داء

أذلَّ اللهُ شرَّكما قَبِيلاً … ولا سَقَتْ له رُشْماً سَماء

العباس وخفاف يلتقيان بقومهما ويقتتلان قتالا شديدا

قال العباس : قد آذنتُ خُفافا بحرب ، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما ، فاقتتلوا قتالا شديداً يوما إلى الليل ، وكان الفضل للعباس على خفاف ، فركب إليه مالك بن عوف ١٥ ودُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَمىّ فى وجوه هَوازن ، فقام دُرَيد خطيباً فقال: يامعشر بنى سُلَيم ، إنه أعجلنى إليكم صدرٌ وادٌ ورَأىٌ جامع ، وقد ركب صاحباكم شرَّ مطيّة ، وأوضعا

---

(١) فى ف : « فلست بحاصن إن لم تروها » والحاصن : العفيفة . والنعاف : جمع نعف ، وهو المكان المرتفع فى اعتراض .

(٢) فى ف ، المختار ، هب : سواهم بدل سراعا ، ودهم وكمت « بالرفع » .

٢٠ (٣) فى ب : « خبرنى عن أصل الذى أقررت به ... الخ » .

(٤) المذروان : طرفا الإلية . وجاء ينفض مذرويه : جاء باغيا يتهدد .

(٥) فى هب : « وسبك مثله الداء العياء » . وفى المختار : « ولكن نسله الداء العياء » .

إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذِلّ المغلوب[١] ، ثم جلس ، فقام مالكُ ابن عوف[٢] فقال : يامعشر بنى سُلَيم ، إنكم نزلتم منزلا بَعُدت فيه هَوازن ، وشَبِعت منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائل ، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزِعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوّكم بقَرْنٍ أعضَبَ وكَفٍّ جَذْمَاء ، قال : فلما أمسينا تغنى دُرَيد بن الصِّمَّة فقال :

دريد بن الصمة ومالك بن عوف يحذرانهما عاقبة الحرب

سُلَيمُ بنَ منصور ألمّا تُخَبَّرُوا ... بما كان من حَرْبَىْ كُلَيْبٍ وداحِسِ

وما كان فى حرب اليَحابِرِ[٣] من دم ... مباحٍ وجَدْعٍ مؤلمٍ للمَعاطِسِ

وما كان فى حَرْبَىْ سُلَيم وقبلهم ... بحرب بُعاثٍ من هلاك الفوارسِ

تسافهت الأحلامُ فيها جَهالةً ... وأُضرِم فيها كلُّ رَطب ويابِسِ

فكُفُّوا خُفافاً عن سفاهةِ رأيِهِ ... وصاحِبَه العبّاسَ قبل الدَّهارسِ[٤] ١٠

وإلاّ فأنتم مثلُ مَنْ كان قبلكم ... ومَنْ يعقِلِ الأمثالَ غيرُ الأكايسِ

وقال مالكُ بن عوف النَّصْرِىّ .

سُليم بن منصور دعوا الحربَ إنما ... هى الهُلكُ للأقْصَيْن أو لِلأقاربِ

ألم تعلمُوا ما كانَ فى حرب وائلٍ ... وحرب مُرادٍ أو لُؤَىّ بن غالبِ

تفرّقت الأحياء منهم لَجاجةً ... وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ ١٥

فما لِسُلَيمٍ ناصرٌ من هَوازنٍ ... ولو نُصِرُوا لم تُغن نُصرةُ غائبِ

(١) فى ب : « ويذم المطلوب » .
(٢) فى ب : « مالك بن أوس » .
(٣) فى ب : « البحائر » ، تحريف .
(٤) الدهارس : الدواهى .

١٤٢
١٦

قال: ثم أصبحنا ، فاجتمعت بنو سُلَيم ، وجاء العبّاس وخُفافٌ ، فقال لهما دُريد ابن الصِّمّة ولجن معشر من قومهما : يا هؤلاء ، إن أوَّلكم كان خيرَ أوَّلٍ ، وكل حيّ سَلَف خيرٌ من الخلف ، فكُفُّوا صاحبيكم عن لَجاج الحرب وتهاجي الشعر ؛ قال : فاستحيا العباس فقال : فإنا نكف عن الحرب ، ونتهادى الشعر ، قال: فقال دُرَيد : فإن كنتما لابد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودَعا الشّتم ، فإن الشّتم طريقُ الحرب ، فانصرَفا على ذلك . فقال العباسُ بن مِرْداس :

دريد بن الصمة يحملهما على الكف عن الحرب وتهادى الشعر من غير شتم

٥

فأبلغْ لدَيْك بنى مالكٍ ... فأنتم بأنبائنا أخْـبَرُ
فأما النَّخيلُ فليست لنا ... نخيلٌ تُسقَّى[1] ولا تُؤبَّرُ
ولكنْ جمعاً كجِذْل[2] الحِكا ... ك فيه المُقنَّع والحُسَّرُ
مغاويرُ تحمل أبطالنـا ... إلى الموت سابحةٌ ضُمَّرُ
وأعددتُ للحرْب خَيفانةً ... تُديم الجِراء[3] إذا تَخْطِرُ
صَنيعاً كقارورة الزّعفرا ... ن مما تُصانُ ولا تُؤثَرُ

١٠

ويقال : صَبِيغاً . قال : فأجابه خُفافٌ فقال :

أعبّاسُ إنّ استعارَ القَصيـ ... ـدِ فى غير مَعْشَره[4] مُنكَرُ
علامَ تَناولُ مالا تَنالُ ... فتقطعُ نفسَك أو تَحسرُ[5]

١٥

(١) فى ف ، بيروت : « يجف » .
(٢) الجذل عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به .
(٣) فى ب ، بيروت : الحداء .
(٤) فى ف : « موضعه »
(٥) ف . تحسر .

٢٠

فإنّ الرِّهانَ إذا ما أُريد فصاحبُه الشامخُ المُخْطِرُ(١)
تَخاوَصُ لم تستطعْ عُدّةً(٢) كأنك من بُغضِنا أعوَرُ
فقصرُك مَأثورةٌ إن بَقِيـ تُ أصحو بها لك أو أسكرُ(٣)
لسانى وسيفى معا فانظُرَنْ إلى تلك أيُّهما تُبْـدَرُ

قال : فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتّهاجى ، قال عباس : إنى واللهِ ما رأيت لخُفافٍ مثلا إلا شِبام بنى زُبَيد(٤) فإنه كان يَلقَى من ابن عمه ثَرْوانَ بنِ مُرّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف ، فلما لَجَّ فى شتمه تركه وما هو فيه ، فقال : ٥

وهبتُ لثَروانَ بن مُرَّةَ نفسَه وقد أمكَنَتنى من ذُؤَابَتِه يدِى
وأحمِلِ ما فى اليوم من سُوء رأيِهِ رَجاء التى يأتى بها اللهُ فى غدِ(٥)

فقال خُفاف : إنى والله ما وجدتُ لعباس مثلا إلا ثَرْوَان بنى زُبَيد ، فإنه كان يَلقى من شِبام ما ألقى من العباس من الأذى ، فقال ثَرْوَان : ١٠

رأيتُ شِباماً لا يزال يَعيبُنى فلِلّه ما بالى وبالُ شِبامِ !
فقَصْرُك منّى ضربةٌ مازِنيّةٌ بكفٍّ فتًى فى القوم غيرِ كَهامِ
فتُقصِر عنى يا شِبامُ بنَ مالكٍ وما عَضَّ سيفى شاتمى بحَرامِ

فقال عباس : جزاك الله عنى يا خُفاف شرًّا ، فقد كنتُ أخفَّ بنى سُلَيم من دمائها ظَهرًا ، وأخمَصها بطناً ، فأصبحتِ العرب تُعَيِّرنى بما كنت أعيب عليها من ١٥

(١) فى ف ، هب : « السابح المحضر » .
(٢) فى هب ، ف ، بيروت : « تخاوص لم تستطع غيره » . وتخاوص : غض من بصره شيئا .
(٣) ف : « فقصرك ما بعده ... أو أشكر » .
(٤) فى ب : « شبام بن زبيد » . ٢٠
(٥) فى ف : « رجاء الذى يأتى به الله فى غد » .

الاحتيال وأكل الأموال ، وصرت ثقيل الظّهر من دمائها مُنْفَضِجَ(١) البطن من أموالها ، وأنشأ يقول :

١٤٣ / ١٦

ألم ترَ أنّى تركتُ الحروبَ   وأنّى نَدِمت على ما مَضَى
ندامةَ زارٍ على نفسه   لتلك التى عارُها يُتَّقى
فلم أُوقِد الحربَ حتى رَمَى   خُفافٌ بأسهُمه مَنْ رَمَى
فإن تعطِف القومَ أحلامُهم   فيرجِعَ من وُدِّهم ما نأى
فلستُ فقيرًا إلى حرْبِهم   وما بىَ عن سلْمِهم من غِنَى

فقال خُفاف :

أعبَّاسُ إمّا كَرِهتَ الحروبَ   فقد ذُقتَ من عَضِّها ما كَفَى
أألْقَحْتَ حرباً لها شِدَّة   زَماناً تُسعِّرُها باللَّظَى
فلمّا تَرَقَّيْتَ فى غيِّها   دَحضْتَ وزَلَّ بكَ المرتَقَى
فلا زِلتَ تبكِى على زَلَّة   وماذا يَرُدُّ عليك البُكا
فإن كنتَ أخطأتَ فى حرْبنا   فلسْنا نُقيلُك هذا الخطا
وإن كُنتَ تطْمَعُ فى سلْمِنا   فزاوِلْ ثَبيرًا ورُكْنَىْ حِرَا

أخبرنى حبيبُ بن نصر المُهلَّبىّ قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدّثنى مسعودُ بن عيسى العَبْدىّ ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفَزارىّ ، وكان علّامةً بأمر قيس ، قال :

كان خُفاف بن نُدْبَةَ فى جماعة من قومه ، فقال : إنّ عباس بنُ مرداس ليُريد أن

(١) فى هب : « منفضخ البطن » . ومنفضج البطن : متفخه .

يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس ، وتأبى عليه خصالٌ قعدْن به عن ذلك ، فقال فتى من رَهْط عباس : ما تلك الخصال يا خفاف ؟ قال : اتّقاؤه بخيله عند الموت ، ومكالبتُه الصعاليك على الأسلاب ، وقتلُه الأسرى ، واستهانتُه بسبايا العرب، وأيم الله، لقد طالت حياتُه حتى تمنَّينا موتَه ، فانطلق الفتى إلى العباس فحدّثه الحديث ، فقال العباس : يا بن أخى إلاّ أكن كالأصمّ فى فضله فلست كخُفافٍ فى جهله ، وقد مضى الأصمّ بما فى أمس ، وخلّفنى لِمَا فى غد ، فلما أمْسَى تغنَّى ، فقال :

خُفافُ أما تزال تجرُّ ذَيلاً ... إلى الأمر المقرِّب للفسادِ
وقد علم المعاشرُ من سُلَيْم ... بأنّى فيهمُ حَسَنُ الأيادى
وأنّى يوم جَمْعِ بنى عُطَيْفٍ ... حملت بحالكٍ وَهِج المرَادِى[1]
وأنى لا أُعَيَّر فى سُلَيْم ... بردِّ الخيلِ سالمةَ الهوادِى
وأنّى فى مُلِمَّةِ كلّ يوم ... أَقِى صَحْبِى وفى خيلِى تمادِى
ولم أسلب بحمد الله كَبْشاً ... سِلاحاً بين مختلف الصِّعادِ[2]
ولم أحلُل لمُحْصَنَةٍ نِطاقاً ... ولم أرَ عِتقَها إلا مُرادِى
فأوردْ يا خُفاف فقد مُنِيتم ... بنى عوفٍ بحيّة بطن وادى

فلما أصبح أتى خُفافا وهو فى ملأ من قومه ، فقال : قد بلغنى مقالُك يا خُفاف ، وأيم الله ، إنك لتعلم أنى أحمِى المصافّ[3] ، وأكره السلَب ، وأطلِق الأسير ، وأصون السَّبِيَّة .

فأمّا زعمك أنّى أتّقى بخيلى عند الموت فهاتِ لى من قومك رجلاً اتّقيتُ به ،

(١) المرادى : جمع مردى ، وهو الحجر الذى تكسر به الصخور .
(٢) الكبش : سيد القوم وقائدهم ، والصعاد : القنا المستويات .
(٣) المصاف : مواقف القتال . وفى ف : المصاب .

وأما قتلى الأسرى فإنى قتلتُ الزُّبيدىَّ بخالك ، وأما سَلْبى الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطّ إلّا لُمتُ سالبَه ، وأما استهانتى بالسَّبايا فإنى أحذو القوم فى سباياهم فِعالهم فى سبايانا ، وأما تمنِّيك موتِى فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائى ، ثم انصرف فقال خُفاف مُجيباً للعباس عن قوله :

٥ لعمرُ أبيك يا عبّاسُ إنى لمُنْقَطِعِ الرِّشاء من الأعادِى
وإنى قد تعاتِبُنى سُلَيْم على جَرِّ الذيولِ إلى الفسادِ
أكُلَّ الدهر لا تَنفَكّ تجرى إلى الأمر المفارق للسَّدادِ
إذا ما عاينَتْكَ بنُو سُلَيم تَبيتُ لهم بداهيــة نــآدِ
فزَندك فى سُلَيْم شَرُّ زَنْدٍ وزادُك فى المعاشر[1] شَرُّ زادِ
١٠ ألا لله دَرُّك من رئيسٍ إذا عادَيْتَ فانظُر مَنْ تُعادِى
جريْتُ مُبَرِّزًا وجَريتَ تكبو على تعَبٍ فهل لك من مَعادِ
ولم تقتل أسيرَك من زُبَيْدٍ بخــالى بل غدرت بِمُستَقادِ
ومُستقاد : الزُّبيدىّ .

وإنّ رهط خُفاف لاموه وقالوا : اكفُفْ عن الرجل . فقال : كيف أكفّ عن رجل يريد أن يَبتزنا أمرنا بغير فضل . وقال رهطُ العباس له : أيها الرجل ، اكفُفْ، ١٥ فقل قولا جميلا ، وقال العبّاس عند ذلك :

هل تعرف الطَّلَل القديمَ كأنّه وشْمٌ بأسفل ذى الخيام مُرَجَّعُ
بقِيتْ معــارِفُه على مَرّ الصَّبا بعد الجميع كأنه قد يَمْرَعُ
دارُ التى صادت فؤادك بعد ما شَمِلَ المَفارِقَ منك شيبٌ أروعُ
٢٠ وزعمتَ أنّك لا تُراحُ إلى الصِّبا وعَلَتْك منه شبيبةٌ لا ترجعُ

---

(١) فى المختار : وزادك فى سليم .

يأيها المرء السفيهُ ألاَ ترى   أنى أضرُّ إذا هَوِيتُ وأنفعُ
وأعيش ما قَدَرَ الإلهُ على القِلَى   وأعِفُّ نفسى عن مطامع تُطمِعُ
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى   نفسى إلى الأمر الدنىّ تطلَّعُ
وأردُّ ذا الضِّغْن اللئيمَ برأيه   حتى يموت وليس فينا مَطمعُ
لله دَرُّك لا تَمَنَّ مماتَنا   فالموتُ وَيحك قصْرُنا والمرجعُ
لو كان يَهلِك مَنْ تَمَنَّى موتَه   حلّت عليك دُهَيَة لا ترْقَعُ
ومكثت فى دار الهوان موطَّأً   بالذلّ ليس لدارِكم مَنْ يمنعُ

فقال خُفافٌ مجيباً له :

عَجِبتْ أُمامَةُ إذ رَأَتْنِيَ شاحباً   خَلَقَ القميص وأنَّ رأسِيَ أصلَعُ
وتنفست صُعُدًا فقلتُ لها : اقصرِى   إنى امرؤ فيما أضرّ وأنفعُ
مهلاً أبا أنس فإنى للّذى   خلّى عليك دُهيّةً لا ترْقَعُ
وضَرَبْتُ أُمَّ شئون رأسك ضربةً   فاستكَّ منها فى اللّقاء المسمَعُ
تَسْلَىَّ حَذْوُ نعالها ولربما   أحذو العِدَا ولكلّ عادٍ مَصرعُ
لا تفخرَنّ فإنَّ عُودِيَ نبعةٌ   أعيت أبا كَرِبٍ وعُودُك خِرْوَعُ(١)
ولقد أقود إلى العدوّ مقلِّصاً   سَلِسَ القِيادِ له تَليلٌ أتْلَعُ(٢)
نَهْدَ المراكل والدَّسيع يَزِينُهُ   شَنَجُ النَّسا وأباجِلٌ لا تُقْطَعُ(٣)

(١) عودى نبعة : صلب شديد . وعودك خروع : ليّن متثن .

(٢) تليل أتلع : عنق طويل .

(٣) نهد المراكل : واسع الجوف . والدسيع : مغرز العنق فى الكاهل . وفرس شنج النسا : صفة محمودة ، لأنه إذا تشنج نساه لم تسترخ رجلاه . والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق فى الفرس والبعير .

وعَلَيَّ سابِغَةٌ كأنَّ قَتِيرَها حَدَقُ الجنادبِ لَيْسَ فيها مطمعُ[(١)]
زَغَفٌ مُضاعَفَةٌ تَخَيَّرَ سَرْدَها ذو فائشٍ وبنو المُرارِ وتُبَّعُ[(٢)]
فى فِتْيَةٍ بِيضِ الوجوهِ كأنهم أُسْدٌ على لحمٍ ببيشَـةَ طُلَّعُ
لا ينكلون إذا لَقُوا أعداءهم إنَّ الحِمامَ هو الطريقُ المَهْيَعُ[(٣)]

٥ وكان خُفاف قد كفَّ عن العبَّاس، حتى أتاه غلام من قومه، فقال: أَبَى العباس إلا جُرأة عليك وعَيْباً لك، فغضب خُفاف ثم قال: ما يدعوه إلى ذلك؟ فوالله إن أباه لرابطُ السهم، وإن أمّه لخفيّةُ الشخص، ولئن طلب مسعاى ليعلمَنَّ أنه قصيرُ الخطوة أجذمُ الـكف، وما ذنبنا إليه إلا أنّا استنقذنا أباه من عِصِيِّ بنى حِزام، وكالحنا دونه يوم بنى فِراس، ونصرنا أباه على حرب ابن أميّة. وقال خُفاف فى ذلك:

١٠ لن يترك الدهرَ عبَّاسٌ تَقَحُّمَـه حتى يذوق وبالَ البَغْىِ عبَّاسُ
أمسكتُ عن رَمْيِه حولاً ومَقْتَـلُه بادٍ لتعذرنى فى حَرْبِه الناس
عمداً أجرّ له ثوبى لأخدَعه عن رأيه ورجائى عنده ياسُ
فالآن إذ صَرَّحت منه حَقيقَتُه ظُلْماً فليس بشتمى شاتمى بَاسُ
أجُدّ يوماً بقولى كُلَّ مبتدئٍ كما يُجَذُّ بكفّ الجازرِ الفاسُ
١٥ تأبى سُلَيْمٌ إذا عدّت مساعِيَها أن يُحرِزَ السَّبقَ عبّاسٌ ومِرداسُ
أودى أبو عامرٍ عبّاس مُعْتَرِفاً أنّا إذا ما سُلَيم حَصَّلت راسُ

فبلغ العباسَ أمرُ خفاف، فأتاه، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلت بن حزام ابن عبد الله بن حازم بن الصلت، وكان مأموناً فى بنى سُلَيم، فقال العباس: قد بلغنى قولك يا خُفاف، ولعمرى لا أشتُم أباك ولا أُمَّك، ولـكنّى رامٍ سوادَك بما فيك.

٢٠ (١) درع سابغة: تامة طويلة. والقتير: رءوس المسامير فى الدرع. والحدق جمع حدقة؛ وهى سواد العين الأعظم، والجنادب جمع جندب، وهو الصغير من الجراد.

(٢) الزغف جمع زغفة؛ وهى الدرع الواسعة. وسردها: نسجها. وفائش: واد كان يحميه ذو فائش سلامة بن يزيد اليحصبى.

(٣) الطريق المهيع: الواسع البين.

والله ما كنت إلى ذمّك بالهيْمان ولا إلى لحمك بالقَرِم ، وإن سُلَيْماً لتعلم أنى أبحتُ حِمَى بنى زُبَيد ، وأطفأت جمرة خثعم ، وكسرتُ قرْنَىْ[1] بنى الحارث بن كعب ، وقلّدت بنى كنانة قلائدَ العار ، وإنى يا خُفاف لأخفُّ منك[2] على بنى سُلَيْم مؤونةً ، وأثقل منك على عدوّهم وطأةً ، وقال مُجيباً له :

إنى رأيت خُفافا ليس يُهنِئه ... شىءٌ سوى شتم عبّاسِ بنِ مرداسِ

مهلاً خُفافُ فإن الحق مَعْضَبَةٌ[3] ... والحق ليس له فى الناس من آسِى

سائلْ سُلَيماً إذا ما غارة لَحِقتْ ... منها فوارسُ حُشْدٌ غيرُ أنكاسِ

من خَثعَمَ وزُبَيْدٍ أو بنِى قَطَنٍ ... أو رَهْط فروةَ دهراً أو شحا الناسِ[4]

يُنْبوا منِ الفارسُ الحامى حقيقَتَه ... إذا أتوْك بحامٍ غيرِ عبّاسِ

لا يحسب النّاس قولَ الحق مُعْترِفاً ... فانظر خُفاف فما فى الحق من باس

مَنْ زار خيل بنى سعد مُسَوَّمة ... يُهدِى لأولها لَأْىُ بن شمّاسِ

يوم اعترضتُ أبا بدر بجائفةٍ ... تعوِى بعرق من الأحشاء قلّاسِ[5]

أُدعَى الرئيسُ إذا ما حربكم كشفَت ... عن ساقها لكمُ والأمر للرّاسِ

حتى إذا انكشفت عنكم عَمايتُها ... أنشأت تضرِب أخماساً لأسداسِ

وسعَى أهلُ الفسادِ إلى خُفاف فقالوا : إنّ عبّاسا قد فضَحك ، فقال خُفاف :

ألاَ أيُّها المهْدِى لِىَ الشتْمَ ظالِماً ... ولستُ بأهلٍ حين أُذْكَرَ للشتْمِ

أبَى الشتْمَ أنِّى سيِّدٌ وابنُ سادةٍ ... مطاعِينَ فى الهَيْجا مَطاعِيمَ لِلّحْمِ[6]

(١) فى هب : « وكسرت قرنى فى بنى الحارث » .
(٢) ف : « عنك » . (٣) معضبة : مقطعة .
(٤) الشحا : الواسع ، والمراد جميع الناس
(٥) الطعنة الجائفة : التى تصل إلى الجوف . وعرق قلاس : يزخر بالدم .
(٦) فى ب : « مطاعيم للجرم »

هُمُ مَنَحُوا نَصْرًا[1] أباكَ وطاعَنوا ... وذلك إذْ تُرْمَى ذَليلاً ولا تَرْمِي
كمُسْتَلْحِمٍ فى ظُلْمةِ اللَّيْلِ بَعْدَ ما[2] ... رأى المَوْتَ صِرْفًا والسيوفُ بها تَهْمِي
أَدِبٌ على أنماط[3] بيضاء حرَّةٍ ... مقابلة الجدَّين ماجــدة العَمّ
وأنت لحنْفاء اليَدَيْن لَوَ انَّها ... تُباع لما جاءت بزَنْدٍ ولا سَهْم
٥ وإنى على ما كان أولُ أوّلٍ ... عليه ، كذاك القَرْمُ يُنْتَجُ للقَرْم[4]
وأُكرِم نَفسِي عن أمور دَنِيئة ... أصونُ بها عِرْضِي وآسو بها كَلْمِي
وأصفحُ عمَّن لو أشاء جَزَيْتُه ... فيمنعني رُشْدِي ويُدركُني حِلْمِي
وأغفر للمولَى وإنْ ذو عَظِيمةٍ ... على البَغْي منها لا يَضيقُ بها حَزْمِي[5]
فهَذِي فَعالى ما بَقِيتُ وإنَّنِي ... لمُوصٍ به عَقْبِي إذا كُنتُ فى رَجْمِي[6]

١٠ فقال له قومه : لو كان أوّلُ قولِك كآخِرِه يا خفاف لأطفأت النائرة[7] ، وأذهبت سخائم النمائم ، فقال العباسُ مُجيباً له :

أَلاَ أيُّها المُهْدِى لِيَ الشَتْمَ ظالما ... تبَيَّنْ إذا راميتَ هَضْبَةَ مَن تَرْمِي
أبى الذَّمَّ عِرضِي إنَّ عِرضيَ طاهرٌ ... وإنى أبيٌّ من أُباةٍ ذوى غَشْم
وإنّى من القوم الذين دماؤُهُم ... شِفاءٌ لطُلّابِ التِّراتِ من الوَغْمِ[8]

---

١٥ (١) فى ب ، هب : الضرى .

(٢) فى ب : محزما بدل بعدما ، وتعمى بدل تهمى .

(٣) الأنماط جمع نمط ، وهو ضرب من البسط .

(٤) فى ب : « عليه كذاك القوم ينتج للقوم » ، تحريف . والقرم : السيد أو العظيم على التشبيه بالفحل .

(٥) فى ب : « جزمى » ، تصحيف .

(٦) رجمى : قبرى . (٧) النائرة : العداوة .

٢٠ (٨) الوغم : الحقد الثابت . وفى ب : « شفاء لطلاب التراث من الرغم » ، تحريف . وفى ف ، بيروت : « شفاء لطلاب الشفاء من الرغم » .

وقال أيضاً :

إن تلقنى تلقَ ليثاً فى عرينته من أسد خِفّانَ فى أرساغة فَدَعُ[(١)]

لا يبرح الدهرَ صيداً قد تقنّصه من الرجال على أشداقه القمَعُ[(٢)]

١٤٤ / ١٦

وكان العباس وخفاف قد همّا بالصُّلح، وكرهت بنو سُلَيْم الحَرب، فجاء غوِىّ من رهط العبّاس فقال للعبّاس : إنّ خُفافاً قد أنحى عليك وعلى والدَيْك، فغضب العباس، ثم قال : قد والله هجانى ، فكان أعظمُ ما عابنى به أصغر عيب فيه ، ثم هجا والدىَّ فما ضرّهما ولا نفعه ، ثم برزتُ له فأخفى شخصه واتّقانى بغيره ، ولو شئتُ لشتمت أباه وثَلبت عِرضَه ، ولكنى وإياه كما قال شِبامُ بنى زُبيد[(٣)] لابن عم له ، يقال له ثَرْوَان ابن مُرّةَ ، كان أشبه الناس بخُفاف :

وهبتُ لثَرْوانَ بنِ مُرّةَ نفسَه وقد أمكنتنى من ذُؤَابته يدى

وأحملُ ما فى اليوم من سُوء رأيه رجاء الذى يأتى[(٤)] به الله فى غد

ولستُ عليه فى السَّفاه كنفسه ولستُ إذا لم أهجُه بمُوعَّدِ

١٠

وقال :

أرانى كلما قاربتُ قومى نأَوْا عنى وقَطعهم شديدُ

سئمت عِتابَهم فصفحتُ عنهم وقلتُ لعلَّ حلمَهُمُ يعودُ

١٥

وعلَّ الله يُمْكنُ من خُفافٍ فأسقيَه التى عنها يَحيدُ

بما اكتسبت يداهُ وجَرَّ فينا من الشَّحْنا التى ليست تَبيدُ

(١) فدع : اعوجاج . (٢) القمع : الاحمرار .

(٣) ب : شبام بن زبيد .

(٤) ف : « رجاء التى يأتى بها الله ... » .

٢٠

وأنَّى لى يؤدِّبُنى خُفـافٌ وعوفٌ والقلوبُ لها وَقودُ
وإنى لا أزال أُريدُ خيرًا وعند الله من نِعَمٍ مَزِيدُ
فضاقت بى صدورُهمُ وغصّت حُلوقٌ ما يَبِضُّ لها وريدُ
متى أبعُـدْ فشرُّهُمُ قريبٌ وإن أقرُبْ فوُدُّهم بعيد
أقول لهم وقد لَهِجُوا بشَتمى: ترَقَّوْا يابنى عوفٍ وزِيدُوا
فما شتْمى بنافع حَىِّ عَوفٍ أينقُصُنى الهُبُوطُ أم الصُّعودُ
أتجعلُنى سَراةُ بنى سُـلَيم ككابٍ لا يهِرُّ ولا يصيدُ
كأنِّى لم أقُد خيلا عِتاقًا شَوازبَ ما لها فى الأرض عودُ(١)
أُجَشِّمهـا مَهامِهَ طامِساتٍ كأنّ رمالَ صَحصَحِها(٢) قُعودُ
١٠ عليها من سَراة بنى سُلَيم فوارسُ نجدةٍ فى الحرب صِيدُ
فأُوطِئ مَنْ تُريد بنى سُلَيم بِكَلْكِلِها ومن ليست تُريدُ

فلما بلغ خُفافًا قولُ العباس قال: والله ما عِبتُ العباس إلا بما فيه، وإنى لسليمُ العود، صحيح الأدِيم، ولقد أدنيتُ سوادى من سَواده فلم أحجِم ولا نَـكَصتُ عنه، وإنى وإيّاه كما قال ثَرْوان لشِبام بنى زَبيد(٣)، وكان يَلْقَى منه ما لَقِىَ من العباس، قال:

١٥ رأيتُ شِباماً لا يزال يَعيبنى فللّهِ ما بالِى وبالُ شِبام
فقَصرُك منّى ضَربةٌ مازِنيّةٌ بكفّ امرىءٍ فى الحرب غيرِ كَهام(٤)

---

(١) ف: «خيلا سيارا». والشوازب: الضوامر. وفى ب: «كأنى لم أقل ... مثلها فى الأرض» تحريف.

(٢) الصحصح: ما استوى من الأرض وجرد.

٢٠ (٣) ب: لشبام بن زبيد.

(٤) ب: الحى بدل الحرب. وفى ف، المختار: «بكف فتى فى الحق» وقصرك: مصدر قصر بمعنى انتهى وكف. وسيف كهام: كليل.

من اليوم أو من شَيْعِهِ[١] بمهنّدٍ خَصومٍ لهامات الرجال حُسامِ
فتقْصِر عنى يا شِبامُ بنَ مالكٍ وما عضّ سيفى شاتمى بحَرامِ

وقال خفاف :

أرى العباسَ ينقصُ كلَّ يوم ويزعم أنه جهلاً يَزيدُ
فلو نُقِصَت عزائمُهُ وزادت سلامتُه لكان كما يُريد[٢]
ولكنَّ المَعالمَ أفسدته وخُلْقٌ[٣] فى عشيرته زَهيدُ
فعبّاسُ بن مِرْداس بن عمْرو وكِذْبُ المرء أقبحُ ما يُفيدُ
حلفتُ بربِّ مكّةَ والمُصلَّى وأشياخٍ محلّقة تَنُودُ[٤]
بأنك من مودَّتِنا قريبٌ وأنتَ من الذى تَهوَى بَعيدُ
فأبشِر أن بقيتَ بيوم سوء يَشيبُ له من الخوف الوليدُ
كيومك إذ خرجت تَفوق[٥] ركضاً وطار القلبُ وانتفَخ الوَرِيدُ
فدَعْ قولَ السَّفاهةِ لا تَقُلْه فقد طال التَّهدُّدُ والوعيدُ
رأينا من نُحاربُه شَقيًّا ومن ذَا فى بنى[٦] عَوْف سَعيدُ

وقال خُفافُ أيضاً :

أعبّاسُ إنّا وما بينَنا كصَدْع الزُّجاجة لا يُجبَرُ
فلستَ بكُفءٍ لأعراضِنا وأنت بشَتْمِكَنا[٧] أجدرُ

(١) شيعه : بعده ، يريد به الغد .
(٢) فى ف ، بيروت . « ولو نقصت عواليه وزادت » . وفى هب : « فلو نقصت عرائكه وزادت » .
(٣) فى ب : ولكن المعايب ... وخلف .
(٤) تنود : تمايل من النعاس . وفى ب ، بيروت : تهود .
(٥) فى ف ، بيروت : تفوت .
(٦) فى هب ، ف . وفى ب ، بيروت : يابنى .
(٧) فى هب : بشتمكها . وفى ب : بشتمكما .

ولسنا بأهلٍ لما قلتمُ ونحن بشتمِكمُ أعذر
أراكَ بصيراً بتلك التى تُريدُ وعن غيرها أعورُ
فقصرُك منى رقيقُ الذُّبا بِ عَضْبٌ كريهتُه مِبْتَرُ
وأزرقُ فى رأسِ خَطيَّةٍ إذا هُزَّ أكعُبُها تَخطِرُ
يَلوح السِّنان علَى مَتْنِها كنار على مَرْقَبٍ تُسعَرُ
وزَغْفٌ دِلاصٌ حَباها العَزيزُ[1] توارثَها قبلَه حِمْيَرُ
فتلك وجرداءُ خَيْفَانَةٌ[2] إذا زُجِرِ الخيلُ لا تُزجرُ
إذا ألقت الخيلُ أذيالَها[3] فأنت على جريها أقدرُ
متى يبلُلِ الماءُ أعطافَها تبذُّ الجيادَ وما تُبْهَرُ
أُنهِنه بالسوط من غَرْبِها[4] وأقدمُها حيث لا يُنكَرُ
وأرحَضُها[5] غيرَ مذمومةٍ بلَبَّاتها العَلَقَ الأحمرُ
أقولُ وقد شكَّ أقرابَها[6] غدرتَ ومثلِىَ لا يغدِرُ
وأُشهِدُها غمراتِ الحروب فسيَّانِ تَسلَمَ أو تُعقَرُ

وقال العباس :

خفافُ ألم ترَ ما بيننا يزيدُ استعاراً إذا يُسعَرُ
ألم ترَ أنا نُهين التِّلا دَ للسائلين وما نُعذِرُ[7]

(١) فى ب . « كاء الغدير * توارثه » بدل : « حباها العزيز * توارثها » . والزغف : الدروع الواسعة الطويلة . ودلاص : ملساء لينة .
(٢) الخيفانة : السريعة .
(٣) فى ب : أولادها .
(٤) أنهنه : أكف . والغرب : النشاط والحدة .
(٥) ف : وأرجعها .
(٦) ف : أقرانها . والأقراب جمع قرب ، وهو الخاصرة .
(٧) فى ب : « ... نهينا البلاد ... وما نغدر . »

١٤٦
١٦

لأنا نُكلَّفُ فوق التى ... يُكلّفها الناسُ لو تخبُرُ
لنا شِيَمٌ غيرُ مجهولةٍ ... تَوارثها الأكبرُ الأكبرُ
وخيلٌ تكدَّسُ بالدّار عيـ ... ـن تُنْحَر فى الرَّوع أو تُعقرُ
عليها فوارسُ مَخبورةٌ ... كجِنٍّ مساكِنُها عَبقرُ
ورَجْرَاجةٌ[1] مثلُ لونِ النجو ... م لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ
وبيضٌ سوابغُ مَسرودةٌ ... مواريثُ ما أورثت حِمْيَر
فقد يعلم الحىُّ عند الصِّياح ... بأن العقيلةَ بى تُسترُ
وقد يعلم الحىُّ عند الرها ... ن أنّى أنا الشائخ المُخْطِر[2]
وقد يعلم الحىُّ عند السؤا ... لِ أنّى أجودُ وأُستَمْطَرُ
فأنّى تعيِّرنى بالفخارِ ... فها أنا هذا هو المُنْكَرُ[3]

٥

١٠

(١) كتيبة رجراجة: تموج من كثرتها.
(٢) فى ف: «وقد علم الحى عند النطاح ... أنى أنا السابح المطحر».
ورواية هب: عند الرهان، والباقى كرواية ف.
(٣) فى بيروت: «هذا ذيك» بدل «فها أنا».

صــوت

ألا لا أُبالى بعد رَيّا أوافقتْ نوَاها نوَى الجِيران أم لم تُوافِقِ

هِجانُ المُحَيَّا حُرَّةُ الوجه سُربِلتْ من الحُسن سِربالاً عتيقَ البنائِقِ

الشعر لجَبْهاء الأَشجَعِيّ ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبار جهاء ونسبه

نسبه

جَهْاء لقب غلَب عليه ، يقال جَهْاء وجُبَيْهاء[1] جميعا ، واسمه يَزيدُ بن عُبَيْد ، ويقال : يَزِيد بن حُمَيْمة بن عُبيد بن عُقَيلة بن قيس بن رُوَيْبة بن سُحَيم بن عُبَيْد ابن هِلال بن زَبِيد بن بَكْر بن أشْجَع ، شاعر بدوِىّ من مَخَاليفِ الحِجاز ، نشأ وتُوفّى فى أيام بنى أمية ، وليس ممّن انْتَجَع الخلفاء بِشِعْره ومدحهم فاشتهر ، وهو مُقِلٌّ ، وليس من مَعْدُودِى الفُحول ، ومن الناس من يَرْوِى هذه الأبيات لأبِى رُبَيْس الثّعْلبى[2] وليس ذلك بِصَحِيح ، وهى فى شعر جَهْاء موجودة .

لقاؤه بالفرزدق

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال : حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار ، قال : حدثنى عمّى ، وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا أبو الحَسَن الأحول ، عن الطُّوسِىّ ، عن أبى عمرو الشَّيْبانِىّ ، قال :

قدِم جُبَيْهاء الأشجعِىُّ البصرةِ بجَلُوبَة[3] له يريد بيعَها ، فلَقِيه الفرزدقُ بالمِرْبَد ، فقال : مِمَّن الرَّجُل ؟ قال : مِن أشجَع ، قال : أتَعرِفُ شاعِراً منكم يُقال له جَهْاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أفتروِى قوله :

أمِنَ الجَمِيع بذى البقاع[4] رُبوعُ ... هاجت فؤادَك والرُّبوعُ تَروعُ

قال : نعم ، قال : فأنشِدْنيها ، فأنشدَه قولَه منها :

من بعد ما نَكِرت وغَيَّر آيهَا ... قَطْرٌ ومُسْبِلَةَ الدّموع[5] خَرِيعُ

---

(١) فى ب ، هب : جبها وجبيها .

(٢) ف ، بيروت : لابن دبيس التغلبى . وفى ب ، هب : « لابن رئيس الثعلبى » ، تحريف . وقال الزبيدى فى التاج (ربس) : أبو الربيس عباد بن طهمة ، هكذا بالميم فى التكلة ، وذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبى شاعر من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، هكذا قاله الصاغانى . وفى اللسان : أبو الربيس التغلبى من شعراء تغلب وهو تصحيف ، والصواب مع الصاغانى . (٣) الجلوبة : الإبل يحمل عليها متاع القوم .

(٤) ف ، بيروت : النماع . (٥) فى ف . ومسبلة الذيول .

يا صاحِبَيَّ ألا ارْفَعا لى آيـةً تَشْفِى الصُّداع فيُذهَل المرفوعُ
ألواح ناجِيَة كأنَّ تَليلَهـا[١] جِذْعٌ تُطيف به الرُّقاةُ مَنيعُ

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدق : فأُقسِم بالله إنك لَجبْهاء ، أو إنّك لشَيْطانه .

قال الأخفشُ فى خَبَره عن أصحابه : الخَريعُ : الذاهِبَة العقْل ، شَبَّه السحابةَ بها لأنّها لا تَتَمالك من المطر .

١٤٧/١٦ أخبرنى الحَسن بنُ عَلِيّ قال : حَدَّثنا أحمدُ بنُ عُبَيد المكتب قال : حدثنى عَلِيّ بن الصَّباح ، عن ابن الكَلْبيّ ، قال :

قدِم جُبَيْهاء الأشجَعِيّ المدينة بجَلُوبة له ، فبينا هو يبيعها والفَرَزْدَق يوْمئذ بالمَدِينة إذ مَرَّ به ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعراً منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أتروِى قَصيدته :

ألاَ لا أُبالى بعـد رَيًّا أوافَقَتْ نَوانا نَوى الجيران أم لم توافِقِ

قال: نعم . قال: أنْشِدنيها، فأنشده إيّاها، فقال الفَرزْدق: أُقسم بالله إنّك لجُبَيْهاء، أو إنك لَشَيْطانه .

هجرته إلى المدينة

أخبرنى الحَرَمِىّ قال : حدثنا الزُّبير ، قال: حدثنى عَمّى، عن سُلَيمان بن عَيّاش، قال:

قالت زوجة جَبْهاء الأشجعِيّ له : لو هاجرتَ بنا إلى المَدِينة وبعْتَ إبلَكَ وافتَرَضْتَ فى العطاء كان خَيْراً لك ، قال : أفعلُ . فأقبَل بها وبإبله حتى إذا كان بحرّة وَاقِم من شَرْقىّ المدينة، شَرَّعها بحوض وَاقِمٍ لِيَسْقِيَها[٢]، فحَنَّت ناقة منها ثم نَزَعت،

(١) الناجية : الناقة ، والتليل : العنق .
(٢) شرعها : أوردها الماء . واقم : أطم من آطام المدينة . وحرة واقم إلى جانبه .

وتبعتها الإبلُ ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقِل ، تحنُّ إلى أوطانها ، ونحن أحقُّ بالحنين منها ، أنتِ طالقٌ إن لم تَرْجِعِى ، وفعَل الله بك وفعلَ وردّها وقال :

قالت أُنيسَةُ دَعْ بلادَك والتمِس دَاراً بطَيْبَةَ رَبَّةِ الآطـامِ
تَكتُبْ عِيالَك فى العَطاء وتَفْتَرِض وكذاك يفعلُ حازِمُ الأقـوامِ
فهمَمْتُ ثم ذكرتُ ليلَ لِقاحِنا بِلِوَى عُنَيْزَةَ[1] أو بقُفِّ بِشَامِ
إذ هُنَّ عن حَسَبِى مَذَاوِدُ كُلَّما نزل الظلامُ بعُصْبةٍ أغتْامِ[2]
إنَّ المَدِينَةَ لا مَدِينَةَ فالْزَمِى حِقْفَ السِّتار وقُبَّةَ الأرجامِ[3]
يُحْلَبْ[4] لكِ اللَّبنُ الغَرِيضُ ويُنْتَزَع بالعيس من يمَنٍ إليكِ وشامِ
وتُجاوِرى النفَرَ الذين بِنَبْلِهم[5] أرمِى العدُوَّ إذا نهضت أرامِى
الباذلين إذا طلبت تِلادَهم[6] والمانِعى ظَهْرِى من الغُـرَّامِ

مجاورته فى بنى تيم

أخبرنى محمد بن خلف وَكيع ، قال: حدّثنى أحمدُ بنُ زُهَير ، قال : حدّثنى مُصعَب قال : جاور جَبْهاء الأشجعىُّ فى بنى تَيم، بطنٍ من أشجع ، فاستمْنَحَه مولى لهم عَنْزاً، فمنحه

(١) اللوى : ما التف من الرمل . والقف : ما ارتفع من الأرض وعنيزة وبشام : موضعان . وفى ب : « بذوى عنيزة » ، تحريف .
(٢) الأغتام : الذين لا يفصحون .
(٣) فى ب : الأرحام .
(٤) فى ب : يجلب .
(٥) فى ف : « بنيلهم » ، تصحيف
(٦) فى ب : « بلادهم » ، تصحيف

إيّاها فأمسكها دَهْرا ، فلما طال على جَبْهاء ألاّ يردَّها(١) ، قال جبهاء :

أمولَى بَنِي تَيْمٍ ألستَ مؤدِّياً مَنِيحتَنا فيا تُرَدُّ المَنائحُ(٢)

لها شَعَرٌ صافٍ وجِيدٌ مُقلِّصٌ وجسم زُخارِىٌّ وضِرْسٌ مُجالِحُ(٣)

فأرسل إليه التَّيْمِيّ يقولُ :

٥ بَلَى ، سنُؤدِّيها إليكَ ذمِيمَةً لِتَنْكِحها إن أعوزَتْك المَناكِحُ

فعمد به جَبْهاء فنزل ، وقال :

لو كنتُ شيخاً من سَواةَ نكحتُها نِكاحَ يَسارٍ عَنْزَهُ وهْىَ سارِحُ

قال : وهم يُعيَّرون(٤) بنكاح العَنْز .

جبهاء وموسى ابن زياد

أخبرنى وَكِيع ، قال : حدثنى أبو أيّوب المدينىّ ، عن مُصْعَب ، قال : استطرق

١٠ جَبْهاء الأشجعىّ موسى بن زياد الأشجعىّ كبشا(٥) ، فوعده ثم مطَله ، فقال جَبْهاء :

١٤٨ / ١٦

واعدَنى الكبشَ مُوسَى ثم أخلفَنى وما لِمثْلِىَ تُعتَلُّ الأكاذيبُ

يا ليتَ كَبْشَك يا مُوسَى يُصادِفُه بين الكُراعِ وبين الوَجْنَةِ الذِّيبُ

أمسى بذى الغُصن أو أمسى بذى سَلَمٍ فَقَحَّمَتْه إلى أبياتِك اللُّوبُ(٦)

فجاء والحىُّ أيقاظٌ فطاف بهم طوفَيْن ثم أقرّته الأحاليبُ

١٥ (١) ب ، هب : ما لا يردها .

(٢) المنائح : الهبات .

(٣) الزخارى : الكثير الشحم واللحم . والمجالح : الذى يقشر الشجر .

(٤) فى ف : يعرفون .

(٥) استطرق كبشا : طلبه للضراب .

٢٠ (٦) اللوب : العطاش .

فبات ينظرُه حرّانَ مُنطَوِياً كأنه طالبٌ للوِتْر مَكروبُ
وقام يَشْتَدّ حتى نال غِرَّتَه طاوى الحشاَ ذَرِبُ الأنيابِ مذْبُوبُ[1]
بَغفْلةٍ من زرَيقٍ فاستمرّ به ودونه آكُمُ الحِقْفِ الغرابيبُ[2]
سَلْ عنه أرخمةَ بيضاً وأغرِبةً سوداً لهنّ خَنًى أطْمَى سلَاهيبُ[3]
يَردين رَدْىَ العَذارَى حول دمنتِهِ كما يطوف على الحوض المعاقيبُ ٥
فجاء يحمل قرنيه ويندبه فكلُّ حىٍّ إذا ما مات مندوبُ[4]

(١) مذبوب . مجنون .
(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل . والغرابيب : السود .
(٣) أطمى سلاهيب : مرتفع .
(٤) انفردت «ف» بالأبيات السبعة الأخيرة .

صــوت

وَلهـا ولا ذَنْبَ لهـا حُبٌّ كأطْراف الرِّماحِ
فى القَلْب يَجْرَحُ والحشا فالقَلْبُ مَجروحُ النَّواحِى

الشعر لِوَالِبَة بنِ الحُباب ، والغناء لِيَزيد ، رمل بالوسطى عن الهشامىّ وعمرو ، وفيه لسبك(١) الزامر لحن عن ابن خُرداذْبه .

(١) فى ف : لشك الزامر .

أخبار والبة بن الحباب

شاعر عباسى

والبَة بنُ الُحباب أسدىٌّ صِليبةً ، كوفىٌّ ، شاعر من شعراء الدولة العباسيَّة ، يُكْنَى أبا أُسامة . وهو أُستاذ أبى نُوَاس ، وكان ظريفاً شاعراً غزِلاً وَصَّافاً للشراب[(١)] والغِلمان المُرْد ، وشعرُه فى غير ذلك مُقارب ليس بالجيِّد ، وقد هاجى بَشّارا وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئا وفَضَحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب ، وخَمَل ذكرُه بعد . ٥

المهدى يعجب بشعره ولا ينادمه

أخبرنى محمدُ بن مزيد[(٢)] قال : حدثنا حمَّاد بن إسحاق ، قال : حدثنى أبى ، وأخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ ، والحسن بن على الأدَمِىّ جميعا ، عن القاسم بن محمد الأنبارىّ قال : حدثنا يعقوب بن عمر ، قال : حدثنى أحمد بن سلمان ، قال : حدثنى أبو عدنان السُّلَمىّ الشاعر ، قال :

١٠ قال المهدى لعُمارة بن حَمزة : منْ أرقُّ الناس شِعْراً ؟ قال : والِبةُ بنُ الُحباب الأسدىّ ، وهو الذى يقول :

ولها ولا ذنْبَ لها حُبٌّ كأطْرافِ الرِّماح
فى القلب يَقْدحُ والحشَا فالقلبُ مَجْروح النَّواحِى

قال : صدقتَ والله ، قال : فما يمنَعُك عن مُنادَمَته يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : يَمْنعُنى قولُه : ١٥

قُلتُ لِساقِينا على خَلوةٍ أدْنِ كذا رأسَك من راسِى
ونَمْ على صَدْرِك لى ساعةً إنِّى امرؤٌ أنكَحُ جُلاَّسى[(٣)]

---

(١) فى التجريد : للخمر .
(٢) فى ف ، بيروت : محمد بن الحسن بن دريد
(٣) فى ب ، هب ، بيروت : جلاسيا . وقبلها . من راسيا . ٢٠

أفتُريدُ أن نكون من جلاّسه على هذه الشّريطة !

قال شعرا فى أبى نواس

أخبرنى الحُسين بن القاسم الكوكبىّ إجازة : حدثنى عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيْبَةَ ، ووجدتُه فى بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ ، فجمعتهما ، قال :
حدَّثنى الدَّعلجىّ غلامُ أبى نواس ، قال : أنشدتُ يوما بين يدى أبى نُواس قولَه :

يا شقيقَ النفسِ من حَكَمٍ نمتَ عنْ ليْلى (١) ولم أنمِ

وكان قد سكر ، فقال : أخبرك بشىء على أن تكتمه ؟ قلتُ : نعم ، قال : أتدرى من المَعْنِىّ بقوله : ياشَقيق النفس من حَكم ؟ ، قلت : لا ، قال : أنا والله المَعْنِىُّ بذلك ، والشعر لوالبَةَ بنِ الحُباب ، قال : وما عَلِم بذلك غيرُك وأنت أعلم ، فما حدَّثت بهذا حتى مات .

١٤٩ / ١٦

١٠ قال : وقال الجاحظ : كان والبةُ بنُ الحُباب ، ومُطيعُ بن إياس ، ومُقدُ بن عبد الرحمن الهلالىّ ، وحَفْصُ بن أبى وردة ، وابن المُقَفّع ، ويونُسُ بن أبى فَرْوة ، وحمّادُ عَجْرَد ، وعلىُّ بن الخليل ، وحمّاد بن أبى ليلى الراوية ، وابن الزِّبرِقان (٢) وعُمَارة ابن حمزة ، ويزيدُ بن الفَيض ، وجميلُ بن محفوظ ، وبشّار المُرَعَّث (٣) ، وأَبانُ اللاَّحقىّ ندماء ، يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضُهم بعضاً
١٥ هزلاً وعَمْدا ، وكلهم مُتَّهَم فى دينه .

والبة وأبو العتاهية يتهاجيان

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ ، قال : حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : حدثنى

(١) فى ب : عن عينى .

(٢) ف ، بيروت : « وحماد بن الزبرقان » ، تصحيف .

(٣) فى ب ، س ، هب : « المرغث » . وسمى المرعث لبيت قاله ، وهو :

٢٠ قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر

وانظر الأغانى ٣-١٤٠ ط دار الكتب .

محمد بن القاسم ، قال : حدثنى إسحاقُ بنُ إبراهيم بن محمد السالمىُّ الكوفىّ التّيمىّ ، قال : حدثنى محمد بن عمر الجُرْجانىُّ ، قال :

رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبى ، فقال له : إن والبة بن الحُباب قد هجانى ، ومن أنا منه ؟ أنا جرّار مسكين ، وجعل يرفع من والبة ويضعَ من نفسه ، فأُحِبّ أن تكلمه أن يُمسِكَ عنّى . قال: فكلم أبى والبةَ ، وعرّفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك ، فلم يقبل وجعل يَشْتِم أبا العتاهية ، فتركه ، ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل فى حاجته ، فأخبره بما رَدّ عليه والبةُ ، فقال لأبى : لِىَ الآن إليك حاجة ، قال: وما هى ؟ قال : لا تكلمنى فى أمره ، قال : قلت له : هذا أوّل[1] ما يجب لك ، قال : فقال أبو العتاهية يهجوه :

أوالِبُ أنت فى العرَبِ ... كَمِثْل الشَّيص فى الرُّطَبِ
هَلُمَّ إلى المَوالِى الصِّيـ ... ـدِ فى سَعَةٍ وفى رَحَبِ
فأنتَ بنا لعَمْرُ الله ... أشبهُ منك بالعرَبِ
غضِبْتُ عليك ثم رأيـ ... ـتُ وجهَك فانجَلى غضَبِى
لِمَا ذكَّرتنى من لون أجْـ ... ـدادِى ولونِ أبِى
فقُل ما شئتَ أقبلْه[2] ... وإن أطنبتَ فى الكَذِبِ
لقد أُخبِرت عنك وعن ... أبيك الخالص العـرَبِى
فقال العارِفُون به ... مُصاصٌ غيرُ مُؤْتَشِبِ[3]

(١) ف ، هب ، بيروت : أقل ما يجب لك .
(٢) فى ف : « أحمله » .
(٣) المصاص : الخالص من كل شىء . وغير مؤتشب : غير مختلط .

أتانا من بلاد الرُّو م مُنْتَجِرًا[١] على قَتَبِ
خفيفَ الحاذِ[٢] كالصَّمْصا م أطلسَ غيرَ ذى نَشَبِ
أوالبُ ما دهاكَ وأنـ ـت فى الأعراب ذو نَسبِ
أراك وُلدتَ بالمرِّيـ ـخ يا بنَ سَبائِكِ الذهب
فجئتَ أُقَيْشِرَ الخدَّيْـ ـن أزرقَ عارِمَ الذَّنَبِ
لقد أخطأتَ فى شَتمى فخــبِّرْنى ألم أُصِبِ

وقال فى والِبَة أيضاً :

نطقتْ بنو أسَدٍ ولم تَجهرْ وتكلَّمَت خَفْيا[٣] ولم تَظهرْ
وأما وربِّ البيت لو نطقتْ لتركتها وصَباحُها أغبرْ
أيرومُ شتمى منهمُ رجلٌ فى وجهه عِبَرٌ لِمَن فكَّرْ
وابنُ الحُبابِ صَلِيبةٌ زعموا ومن المحالِ صليبةٌ أشقَرْ
ما بال مَنْ آباؤه عُرْبُ الألـوان يُحسب من بنى قَيصرْ
أترون أهلَ البدوِ قد مُسِخوا شُقْراً أما هذا من المُنْكَرْ

قال : وأول هذه القصيدة :

صَرِّحْ بما قد قلتَه واجهَرْ لابن الحُباب وقل ولا تَحْصَرْ
مالى رأيتُ أباك أسودَ غر بيب القَذَالِ كأنه زُرْزُرْ[٤]
وكأنّ وجهَك حُمرةً رِئةٌ وكأنَّ رأسَك طائرٌ أصفرْ

---

(١) معتجرا : معتما .
(٢) الحاذ : الظهر . وخفيف الحاذ : قليل المال . وفى ف : خفيف الحال .
(٣) فى ف : تكلمت حينا .
(٤) الغربيب : الأسود . والقذال : جماع مؤخر الرأس ، أو : مابين نقرة القفا إلى الأذن . والزرزر : طائر من نوع العصفور ؛ سمى بذلك لزرزرته ، أى تصويته . وفى هب : « زوزر » .

قال : وبلغ الشعرُ والبةَ ، فجاء إلى أبى فقال : قد كلمتَنى فى أبى العتاهية ، وقد رغبتُ فى الصّلح ، قال له أبى : هيهاتَ إنه قد أكّد علىّ إن لم تقبل[1] ما طلب أن أُخَلِّىَ بينك وبينه ، وقد فعلت ، فقال له والبة : فما الرأى عندك ؟ فإنه فضحنى[2] ، قال : تنحدر إلى الكوفة ، فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة ، وأجودُ ما قاله والِبَةُ فى أبى العتاهية قوله :

٥

كان فينا يُكنَى أبا إسحاقِ　　وبها الرَّكبُ سار فى الآفاقِ
فتَكنَّى معتوهُنا بعَتاهٍ　　يا لها كُنيةً أتت باتفاقِ
خلق الله لِحْيةً لك لا تَنْـ　　ـفكُّ معقودةً لدى الحلاَّقِ

وله فيه ، وهو ضعيف سخيف من شعره :

قل لابنِ بائعةِ القِصار[3]　　وابنِ الدَّوارقِ والجِرارِ
تَهوى عُتَيْبَةَ ظاهرا　　وهواك فى أيْرِ الحِمارِ
تهجو مواليك الأُلَى　　فَكُّوك من ذلِّ الإسارِ

١٠

والبة وعلى بن ثابت

أخبرنى عمّى ، قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال : حدّثنى ابن أبى فَنَن ، قال : كان والبةُ بن الحُباب خليلا لعلىّ بن ثابت ، وصديقاً ودوداً ، وفيه يقول :

١٥

حىَّ بها والبةَ المُصْطَفَى　　حىٌّ كَريماً وابنَ حُرٍّ هِجانِ
وقاسِمًا نَفْسِى فدَتْ قاسِمًا　　من حَدَثِ المَوْتِ ورَيْبِ الزَّمانِ

(١) فى ب ، س ، بيروت : « ألا يقبل ما طلب وأن أخلى » .
(٢) فى ب : فقال له والبة : فما الرأى عندك ؟ فقال : « فضحنى » ، تحريف .
(٣) فى ف ، بيروت : التغار بدل القصار . والتغار : الإجانة .

٢٠

قال : ولمَّا ماتَ والِبَةُ رثاه ، فقال :

بكت البَرِيَّةُ قاطِبَهْ جَزَعاً لِمَصْرعِ والِبَهْ

قامَتْ لِمَوْتِ أبى أُسا مَةَ فى الرِّفاقِ النّادِبَهْ

يقصد أبا بجير الأسدى بالأهواز ويلتقى بأبى نواس

قال : وكان والبةُ أستاذَ أبى نُواس ، وعنه أخذ ومنه اقْتَبَس ، قال : وكان والِبةُ قد قَصَد أبا بُجَيْر الأسدِيّ وهو يتولَّى للمَنْصور الأهوازَ ، فمدَحه وأقام عنده ، فألفى أبانُواسٍ هناك وهو أمرد ، فصَحِبه وكان حسنَ الوَجْه ، فلم يزل معه ، فيقال : إنه كشَفَ ثوبَه لَيلةً فرأى حُمرةَ أَلْيتَيه وبياضَهما ، فقَبَّلَهما فضرَط عليه أبو نُواس ، فقال له : لِمَ فَعلتَ هذا وَيْلَك ، قال : لِئَلَّا يَضيعَ قولُ القائِل : «ما جزاءُ مَنْ يُقبِّل الاستَ إلا ضَرْطة .

والبة وأبو سلهب الشاعر

أخبرَنى مُحمَّد بنُ العَبَّاس اليَزِيدِيّ ، قال : حَدَّثنِى عَمِّى الفَضْل ، قال : حدَّثنى أبو سَلْهَب الشاعِر ، قال :

كان والِبَةُ بنُ الحُباب صَديقِى ، وكان ما جِناً طَبْعًا ، خفِيفَ الروح ، خَبيثَ الدِّين ، وكنا ذات يوم نَشرَب بغُمَّى ، فانْتَبَه يوما من سُكْره ، فقال لى : يا أبا سَلْهَب ، اسْمع ، ثم أنْشَدنى ، قال :

١٥١ / ١٦

شَرِبتُ وفاتِكٌ مِثْلى جَمُوحٌ بِغُمَّى بالكُؤوس وبالبَواطِى[1]

يُعاطِينى الزُّجاجَةَ أرْيَحِىٌّ رَخِيمُ الدَّلِّ بُورِك من مُعاطِى

أقول له على طَرَبٍ : أَلِطْنِى ولو بمُؤجرِ عِلْجٍ نَباطِى

فما خَيرُ الشَّراب بغَيْر فِسْقٍ يُتابَعُ بالزِّناء وباللِّواط[2]

(١) البواطى جمع باطية : إناء من زجاج يملأ من الشراب ، ويوضع بين الشرب يغترفون منه .

(٢) فى ب ، س : «يتابعه زناء أو لواط» ، ويكون فى الشعر إقواء .

جعلتُ الحجَّ فى غُمَّى وبِنًّا[١] وفى قُطْرُبُّلٍ أبدا رِباطِى
فقل للخَمْسِ آخِرُ مُلْتَقانا إذا ما كان ذاك على الصِّراطِ

يعنى الصَّلَوات .

قال : وحدثنى أنه كان ليلة نائماً وأبو نُواس غُلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آت فى منامه ، فقال له : أتَدْرِى مَنْ هذا النائم إلى جانبك ؟ قال : لا ، قال : هذا أشعر منك وأشْعر من الجنّ والإنْس ، أما والله لأفتِنَنَّ بشِعْره الثَّقَلَين ولأُغْرِيَنَّ به أهلَ المَشْرِق والمَغْرِب ، قال : فَعلمتُ أنَّه إبليس ، فقلتُ له : فما عِندك ؟ قال . عصيتُ ربِّى فى سَجْدة فأهْلَكَنى ، ولو أمرنى أن أسْجُد له ألْفاً لسَجَدْت .

حكم الوادى يغنى شعر والبة

أخبرنى الحُسَيْن[٢] بنُ يَحْيى قال : حدثنا حَمّاد بنُ إسْحاق : قال :

قرأتُ على أبى عن أبيه أنَّ حَكَمَ الوادِى أخبره أنّه دخل على مُحَمَّد ابن العَبّاس يوما بالبَصْرة وهو يَتَمَشّى خماراً ، وبيَده كأس وهو يَجْتَهد فى شُرْبها فلا يُطيقه ، ونُدماؤه بين يَدَيْه فى أيْديهم أقداحهم ، وكان يوم نيروز[٣] ، فقال لى : يا حكَم غَنِّنى فإن أطْرَبْتَنى فلكَ كُلّ ما أُهدِى إلىّ اليوم[٤] قال : وبين يَدَيْه من الهَدايا أمر عظيم ، فاندَفعتُ أُغنّى فى شِعْر والبَة بنِ الحُباب :

صوت

قد قابلتنا الكؤوسُ ودابَرَتْنا النُّحوسُ[٥]

---

(١) غمى وبنا : قريتان من نواحى بغداد (معجم البلدان) .
(٢) فى ب ، ما : الحسن .
(٣) النيروز عند الفرس : أول يوم من أيام السنة الشمسية .
(٤) فى ب : « فلك كل ما يهدى إلى اليوم » .
(٥) ف : وأدبرتنا .

والیوم هرمزروز[١] قد عَظَّمَتْه المَجوسُ
لم نُخطِهِ فی حِسابٍ وذاك مِمّا نَسوسُ

فطرب واستعاده، فأعدتُه ثَلاثَ مرّات، فَشَمَّرت قدحَهُ[٢] واستَمَرَّ فی شُرْبه، وأمر بحَمْلِ كل ما كانَ بَيْنَ يَدَيْه إلىّ، فكانت قِيمتُه ثَلاثِين ألفَ دِرْهم.

لحن حكم الوادی فی هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشامیّ وإبراهیم وغیرهما.

(١) فی ب س: «والیوم هونیروز».

(٢) شمرت: خففت بالماء. وفی ب، بیروت، هب: «فشرب».

صــوت

لقد زادَ الحَياةَ إلىَّ حُبًّا بناتِى إنَّهُنَّ من الضِّعافِ
مخافَةَ أن يَذُقْنَ البُؤسَ بَعدِى وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعد صافِ
وأن يَعرَيْنَ إن كُسِىَ الجَوارِى فيبُدِى الضُّرُّ عن هزْلٍ عِجافِ(١)
ولولاهنّ قد سَوَّمْتُ مُهرى وفى الرَّحْمان للضُّعفاء كافِ

الشعر لعِمران بن حِطان فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ ، وذكر المدائنىّ أنّه لعيسى الحَبَطىّ ، وكلاهما من الشُّراة ، والغِناء لمُحمّد بنِ الأَشْعَث الكُوفىّ ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عَمْرو بنِ بانة .

(١) فى ب ، ف : «كوم عجاف» . وفى هب ، بيروت : «كرم عجاف» .

١٥٢
١٦

أخبار عمران بن حطان ونسبه

نسبه

هو عِمْرانُ بنُ حِطّان، بن ظَبْيان بن لَوْذان، بن عمرو، بن الحارث، بن سَدُوس، بن شَيبان، بن ذُهْل، بن ثَعْلبة، بن عُكابة، بن صَعْب، بن علىّ، بن بَكْر، بن وائل.

وقال ابنُ الكلبىّ: هو عِمران، بن حِطّان، بن ظَبْيان، بن معاوية، بن الحارث، ابن سَدُوس[1]. ويُكْنى أبا شهاب[2]. شاعر فصيح من شعراء الشُّراة[3] ودُعاتهم والمُقَدَّمين فى مذهبهم، وكان من القَعَدة[4]، لأن عُمرَه طال فضعُف عن الحَرْب وحضورها، فاقتصَرَ على الدَّعوة والتحريض بلسانه.

من شعراء الشراة

وكان قبلَ أن يُفتَن بالشُّراة مشتهراً بطلب العلم والحديث، ثم بُلِى بذلك المذهب فضلَّ وهلك، لعنه الله، وقد أدرك صَدْراً من الصحابة، وروى عنهم، وروى عنه أصحابُ الحديث.

من رواة الحديث

فما رُوِى عنه ما أخبرنا به محمد بنُ العباس اليَزِيدىّ، قال: حدّثنا الرِّياشىّ، قال: حدثنا أبو الوليد الطَّيالسىّ، عن أبى عمرو بن العَلاء، عن أبى صالح بن سَرْح اليَشْكُرِىّ، عن عِمْران بن حِطّان قال:

كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضاةَ، فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالقاضى العدْل، فلا يزال به ما يَرَى من شِدَّة الحِساب، حتى يتمنى أنّه لم يَقض بَيْنَ اثْنَيْن فى تَمْرة».

وكان أصلُه من البصرة، فلما اشتَهرَ بهذا المَذْهب طلبه الحَجّاج، فهرب إلى الشأم، فطلبه عبدُ الملك، فهرب إلى عُمان، وكان يتنقل إلى أن ماتَ فى تَواريه.

---

(١) ف: «.... بن ظبيان بن سعد بن معاوية بن سدوس».

(٢) فى ب، بيروت، المختار: «ويكنى أبا سماك».

(٣) الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: إننا شرينا أنفسنا فى طاعة الله، أى بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة.

(٤) القعدة: العاجزون.

تزوج امرأة من الشراة فأضلته

أخبرنى محمد بن عمران الصَّيرفى ، قال : حدثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزِىّ ، قال : حدثنا مَنيعُ بن أحمد السَّدُوسِىّ ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

كان عِمرانُ بنُ حِطّان من أهلِ السنّة والعلم ، فتزوَّج امرأةً من الشُّراة من عشيرته ، وقال : أردُّها عن مذهبها إلى الحق ، فأضلّته وذهبت به .

طلبه الحجاج فهرب منه إلى الشام

وأخبرنى بخبره فى هربه من الحجاج عُمرُ بن عبد الله بن جميل العَتَكىّ ، ومحمد ابن العباس اليزيدىّ ، قالا : حدثنا الرِّياشىّ ، قال : حدثنا الحَكَمُ بن مروان ، قال : حدثنا الهيثم بن عدىّ قال :

طلب الحَجّاج عِمرانَ بن حِطّان السَّدُوسِىّ ، وكان من قَعَدة الخوارج ، فكتب فيه إلى عُمّاله وإلى عبد الملك .

وأخبرنى بهذا الخبر أيضاً الحسن بن علىّ الخفّاف ، ومحمد بن عِمْران الصيرفىّ ، قالا : حدثنا العَنَزىّ ، قال : حدثنا محمد بن عُبد الرحمن بن عبد الصَّمد الدّارع ، قال : حدثنا أبو عُبَيْدَة مَعْمَرُ بنُ المُثنّى ، عن أخيه يَزيد بن المُثنّى : أن عِمران بن حِطّان خرج هاربا من الحجاج ، فطلبه ، وكتب فيه إلى عُمّاله وإلى عبد الملك ، فهَرَب ولم يزل يتنقّل فى أحياء العرب ، وقال فى ذلك :

حَلَلْنا فى بنى كَعْبِ بن عَمْرٍو ... وفى رِعلٍ[1] وعامرِ عَوْثَبانِ

وفى جَرْمٍ وفى عمرو بن مُرٍّ ... وفى زيدٍ وحىّ بنى الغُدان

عمران وروح ابن زنباع

ثم لحق بالشأم فنزل برَوْح بن زِنباع الجُذامىّ ، فقال له رَوْح : ممّن أنت ؟ قال : من الأزد ، أزدِ السّراة[2] ، قال : وكان رَوْح يسمُر عند عبد الملك فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين إنّ فى أضيافنا رجلا ما سمعتُ منك حديثاً قط إلا حدّثنى به وزاد فيها

(١) فى المختار : علك . وفى ف : عنك ، تحريف ، ورعل : قبيلة من سليم .
(٢) فى ب ، هب ، ف : الشراة . وفى المختار : أزد شنوءة .

ليس عندى قال : ممَّن هو ؟ قال : من الأَزْد ، قال : إنى لأسمعك تصف صفة عِمران ابن حِطّان ؛ لأنى سمعتك تذكر لغة نزاريّةً(١) وصلاةً وزهداً ورِواية وحِفْظاً ، وهذه صفته ، فقال رَوْح : وما أنا وعمران ! ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه :

١٥٣
١٦

أما بعد ، فإنّ رجلا من أهل الشِّقاق والنِّفاق ، قد كان أفسد علىّ أهلَ العِراق وحَبَّبَهُم بالشِّراية(٢) ، ثم إنى طلبته ، فلما ضاق عليه عَملى تحوّل إلى الشام ، فهو يَنْتَقِل فى مدائنها ، وهو رجل ضَرْبٌ(٣) طُوالٌ أفوهُ أروقُ(٤) ، قال : قال رَوْحٌ : هذه والله صِفَةُ الرجل الذى عندى . ثم أنشدَ عبدُ الملك يوماً قولَ عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم ، — لعنه الله — بقَتْلِه علىَّ بن أبى طالب ، صلوات الله عليه :

يا ضَربةً من كَريمٍ ما أرادَ بها ... إلا ليبلُغَ من ذِى العَرْشِ رِضْوانَا
إنى لأَفْكِرُ فيه ثم أحْسَبُه ... أوفَى البَرِيَّةِ عند اللهِ مِيزانَا

ثم قال عبدُ الملك : مَنْ يعرِفُ منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً ، فقال لِرَوْح : سَلْ ضيفَك عن قائلها ، قال : نعم أنا سائِلُه(٥) ، وما أُراه يخْفَى على ضَيفِى ولا سألتُه عن شىء قَطّ فلم أجده إلاّ عالماً به . وراح رَوْح إلى أضْيافه ، فقال : إنّ أميرَ المؤمنين سألنا عن الذى يقول :

يا ضَرْبَةً من كَريمٍ ما أراد بِها ... ...

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عن قائِله ، فلم يكن عند أحَدٍ منهم عِلْم ، فقال له عِمرانُ :

---

(١) فى ف ، المختار ، التجريد : فزارية .
(٢) فى هب ، المختار : وحببهم بالشراة .
(٣) الضرب : الخفيف اللحم .
(٤) الأروق : الطويل الأسنان . وفى ب ، هب ، بيروت : « أزرق » .
(٥) فى ب : « أنا سائلهم » .

هذا قَوْلُ عِمْران بن حِطّان فى ابن مُلْجَم قاتِل علىٍّ بن أبى طالب ، قال : فهَلْ فيها غير هذين البيتين تُفيدِنيه ؟ قال : نَعَم :

لله دَرُّ المُرَادِىِّ الذى سَفَكت كفّاه مُهْجَة شَرّ الخَلْقِ إنسانا

أمسى عَشيّة غشّاه بِضَرْبَتِــه ممّا جَنــاهُ من الآثام عُرْيانا

— صلواتُ الله على أميرِ المؤمنين، ولعَن اللهُ عِمرانَ بنَ حِطان وابنَ ملجَم— فغدا ٥ رَوْحٌ فأخبر عَبد الملك ، فقال : مَنْ أخبرَك بذلك ، فقال : ضَيْفِى ، قال : أظنّه عِمرانَ ابنَ حِطّان، فأعلِمه أنّى قد أمرتُك أن تأتيَنِى به ، قال : أفعَلُ ، فراح رَوْحٌ إلى أضيافِه فأقبَل على عِمْران ، فقال له : إنى ذَكرتُك لعَبد الملِك ، فأمرنى أن آتيَه بك ، قال : كنت أُحِبّ ذلك منك ، وما مَنَعَنى من ذِكْره إلا الحياء منك ، وأنا مُتّبِعُك ، فانطلِقْ . فدخل روْح على عبدالملك ، فقال له : أينَ صاحِبُك ؟ فقال : قال لى: أنا مُتّبِعُك ١٠ قال : أظنُّك والله ستَرْجِع فلا تَجِدُه ، فلما رَجَعَ روْح إلى منزله إذا عِمرانُ قد مَضَى، وإذا هو قد خَلَّف رُقعةً فى كُوَّةٍ عند فِراشه ، وإذا فيها يقول :

يا رَوْحُ كم من أخِى مَثْوىً نَزلتُ به قــد ظنّ ظنَّك من لَخْمٍ وغسّانِ

حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزِلَه من بعد ما قيلَ : عِمرانُ بنُ حِطّانِ

قد كنتُ ضيفَك حَولاً لا تروِّعُنِى فيه الطوارِقُ من إنْسٍ ولا جانِ ١٥

حتى أردتَ بِىَ العُظْمى فأوحَشَنى ماأوحشَ الناسَ منخوفِ ابنِ مَرْوانِ

فاعــذِر أخاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنّ له فى الحادثات هَناتٍ ذاتَ ألْوانِ

يوما يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ وإنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًا فعَدْنانِى .

لو كنتُ مُستغفِرًا يوماً لطاغِيةٍ كُنتَ المقدَّم فى سِرّى وإعلانى

لكن أبتْ ذاك آياتٌ مُطَهَّرةٌ عنــد التِّلاوة فى طَهَ وعِمْــران ٢٠

نزوله بزفر بن الحارث ثم خروجه من عنده

١٥٤ / ١٦

قال : ثم أتى عِمْرانُ بن حِطّان الجزيرةَ ، فنزل بزُفَر بن الحارث الكلابى بقَرْقيسيا، فجعل شبابُ بنى عامر يتعجّبون من صَلاتِه وطُولها ، وانتسب لزُفَر أوزاعيًّا ، فقدم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عِمْران بنَ حِطّان بالشام عند رَوْح ابن زنباع ، فصافحه وسلَّم عليه ، فقال زُفَر للشّامى : أتَعْرِفه ؟ قال : نعم ، هذا شيخ من الأزْد ، فقال له زفر : أزْدىٌّ مرّةً وأوزاعىٌّ أخرى! إن كُنتَ خائفاً آمنّاك ، وإن كنت عائِلاً أغنَيْناك ، فقال : إن الله هو المُغْنِي ، وخرج من عنده وهو يقول :

إن الّتى أصبحَتْ يعيَا بها زُفَرٌ ... أعْيت عَياء على رَوْحِ بنِ زِنباعِ[(١)]

أمسَى يُسائلنى حولاً لأُخْبِرَه ... والناسُ من بين مَخدوعٍ وخَدّاعِ

حتى إذا انْجَذَمَتْ مِنّى حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِى[(٢)]

فاكْفُف كما كَفَّ رَوحٌ إنّنى رجلٌ ... إمّا صريحٌ وإمّا فَقْعَةُ القاعِ[(٣)]

أمّا الصَّلاةُ فإنى غيرُ تارِكها ... كلُّ امرئٍ للّذى يُعنَى به ساعى

فاكفُف لِسانَك عن هَزْى ومسألتى ... ماذا تُريد إلى شيخٍ لأوزاعِ !

أكرِمْ برَوْحِ بنِ زِنباعٍ وأسرتِه ... قوما دَعا أوّلِيهم للعُلا داعى

جاورتُهم سنةً فيما دَعَوتُ به ... عِرضِى صَحيحٌ ونَومِى غيرُ تَهجاعِ

فاعمَلْ فإنك مَنْعِىٌّ بحادثةٍ ... حَسْبُ اللّبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِى

(١) فى المختار : « عيت عياء » . وفى ب ، س : « ... يعنى بها زفر * أعيت عناه .. » .

(٢) الإهلاع : الإفزاع والترويع .

(٣) يقال لمن لا أصل له : هو فقعة القاع .

هروبه من الحجاج إلى روذ ميسان ووفاته بها

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثرون ذِكرَ أبى بلال مرداس بن أُدَيَّة، ويُثنون عليه ويذكرون فضله، فأظهر فضلَه ويسَّر أمرَه عندهم، وبلغ الحجاجَ مكانُه، فطلبه، فهرب فنزل فى روذَميسان — طَسُّوج من طَساسيج السَّواد إلى جانب الكوفة — فلم يزل به حتى مات، وقد كان نازلا هناك على رجل من الأَزْد، فقال فى ذلك:

نَزلتُ بحمْدِ الله فى خَيْرِ أُسرةٍ أُسَرُّ بما فيهم من الإنْس والخفَرْ ٥
نزلتُ بقـوم يجمعُ اللهُ شملَهم وما لهم عُودٌ سِوَى المَجْد يُعتَصَرْ
من الأَزْدِ إنّ الأَزْدَ أكرمُ أُسرةٍ يمانيةٍ قَرْبُوا(١) إذا نُسِب البَشَرْ

قال اليزيديُّ: الإنْس بالكَسْر: الاستِئْناسُ. وقال الرِّياشى: أراد قَرُبُوا فخفَّف، قال:

وأصبحتُ فيهم آمِناً لا كَمَعْشَرٍ بَدَوْنِى(٢) فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ ١٠
أوِ الحىِّ قحطانٍ وتلك سَفاهةٌ كما قال لِى رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَر
وما مِنْهمُ إلا يُسَرُّ بنسبةٍ تُقرِّبنى(٣) منهم وإن كان ذَا نَفر
فنحن بنو الإسلام واللهُ واحدٌ(٤) وأولى عِباد الله بالله مَنْ شكر

أخبرنا اليزيدىُّ قال: حدثنا الرِّياشىُّ قال: حدّثنا الأصمعىُّ عن المُعتَمِر ابنِ سُليمان قال: ١٥

كان عِمرانُ بنُ حِطّان رجلا من أهل السنة، فقدم عليه غلام من عُمان كأنه نَصْل، فقلبه عن مَذْهبه فى مجلس واحد.

(١) فى المختار: «تعلو».
(٢) فى بيروت: «أتوفى». وفى المختار: «بدوا بى». ٢٠
(٣) فى ب: «تصيرنى».
(٤) فى المختار: «والله ربنا».

أخبرنى اليزيدىُّ ، قال : حدثنا الرِّياشىُّ ، قال : حدّثنا مسدَّدُ بن مُسرْهَد ، قال : حدّثنا بِشرُ بن المفضَّل ، عن سَلَمَة[١] بن عَلْقَمَةَ ، عن محمد بن سيرين ، وأخبرنى الحسن بنُ علىّ ، قال : حدثنا الحسن[٢] بن عُلَيْل العَنَزِىُّ ، قال : حدثنا عمرو بنُ علىّ القلّاسُ ، وعباس العنبرىّ ، ومحمد بن عبد الله المخزومىّ ، قالوا : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن بِشر بن المُفضَّلِ ، عن سلَمة بن عَلقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال :

١٥٥ / ١٦

تزوّج عمرانُ بنُ حِطّان امرأة من الخوارج فقيل له فيها ، فقال : أردُّها عن مَذْهبها فذهبت هِىَ به .

خارجى يتخلف عن الخروج ويتمثل بشعر لعمران

نَسختُ عن بعض الكتب : حدّثنا المدائنىُّ ، عن جُوَيْرِية قال :

كتب عيسى الحَبَطِىُّ إلى رجل منهم يقال له أبو خالد ، كان تَخلَّف عن الخروج مع قَطَرِىّ أو غيره منهم :

أبا خالدٍ أنفِرْ فلستَ بخالدٍ ... وما تركَ الفُرقانُ عُذْراً لقاعدِ

أتزعمُ أنّا الخارجون على الهدى[٣] ... وأنت مُقيمٌ بين لِصٍّ وجاحدِ !

فكتب إليه : ما مَنعنى عن الخروج إلّا بناتِى والحَدَبِ[٤] عليهن حين سَمِعتُ عِمران بن حِطّان يقول :

لقد زاد الحياةَ إلىَّ حُبًّا ... بناتى إنّهن من الضِّعافِ

ولولا ذاك قد سَوَّمتُ مُهرى ... وفى الرَّحمن للضُّعفاء كافِ

(١) فى ب ، س : « مسلم » .
(٢) فى ب : « الحسين » ، تحريف .
(٣) فى هب ، ب ، التجريد : « أتزعم أن الخارجين على الهدى » .
(٤) فى ب ، هب : « والحرب » .

قال : فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكى، ويقول : صدَقَ أخى ، إنّ فى ذلك لعُذرا له ، وإنّ فى الرحمن للضعفاء كافياً .

الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء

وقال هارون : أخذتُ من خط أبى عدْنان : أخبرنى أبو ثَرْوان الخارجىّ ، قال : سمعت أشياخَ الحىّ يقولون :

اجتمعت الشعراء عند عَبْد الملك بن مروان فقال لهم : أبقِى أحدٌ أشعرَ منكم ؟ قالوا : لا . فقال الأخطل : كَذَبوا ياأمير المؤمنين ، قد بقِيَ من هو أشعر منهم ، قال : ومن هو ؟ قال عِمرانُ بن حِطّان ، قال : وكيف صار أشعرَ منهم ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ففاقهم ، فكيف لو كذَب كما كذَبوا !

الحجاج يتحصن من غزالة الحرورية وعمران يتهكم عليه

أخبرنا الحسنُ بن علىّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويَه عن ابن أبى سعد ، عن أحمد بن محمد بن علىّ بن حمزة الخراسانىّ ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىْ ، عن الزُّهرِىّ ، عن أبيه :

أنّ غزالة الحَرُوريّة[1] ، لما دخلت على الحجاج هى وشبيب الكوفة ، تحصّن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عِمران بنُ حِطّان ، وقد كان الحجاج لجّ فى طَلَبه ، قال:

أسدٌ علىّ وفى الحروبِ نَعامةٌ رَبداء تجفُل من صَفير الصافرِ[2]

هلاّ بَرَزتَ إلى غزالة فى الوغَى بل كان قلبك فى جناحَىْ طائرِ

صدَعتْ غزالةُ قلبَه بفوارسٍ تركتْ مدابرَه كأمْس الدّابرِ

ثم لحِق بالشام فنزلَ على روْح بن زِنْباع .

(١) الحرورية : فرقة من الخوارج ينسبون إلى حروراء : قرية بقرب الكوفة ، كان أول اجتماعهم بها وتعمقوا فى أمر الدين حتى مرقوا منه .

(٢) ربداء : مقيمة . تجفل : تهرب .

عمران يصير حروريا

أخبرنا محمدُ بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدّثنا محمد بن خالد أبو حَرب، قال : حدثنا محمد بنُ عبّاد المهلبيُّ ، قال : حدثنا جريرُ بن حازم ، قال :

كان عِمرانُ بُن حِطّان أشدّ الناس خُصومة للحَرورِيّة حتى لقيه أعرابيٌّ حَروريّ فخاصمهُ فخصمه فصار عِمرانُ حَرُوريًّا ، ورجع عن رأيه .

٥ قال جريرُ بن حازم : كان الفرزدق يقول : لقد أحسنَ بنا ابنُ حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذْنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا ؛ يعنى لجوْدة شعره .

لا يقول أحد من الشعراء شعرا إلا نسب إليه لشهرته

١٥٦
١٦

نسختُ من كِتاب ابن سَعْد قال : أخبرنى الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزىّ، قال : أخبرنى أحمد بنُ عَبدِ الله بن سُوَيد بن مَنْجوف السَّدُوسىّ ، قال : أخبرنى أحمد بن مُؤرِّج ، عن أبيه قال : حدثنى به تَميمُ بنُ سَوادَة ، وهو ابن أُخت مُؤَرّج ، قال : حدثنى أبو العَوّام ١٠ السَّدُوسِىّ، قال :

كان مالك المذموم[1] رجلا من بَني عامر بن ذُهْل، وكان من الخَوارِج، وكان الحَجّاج يَطلبُه . قال أبو العَوّام : فدخلتُ عليه يوماً وهو فى تَواريه ، فأنشدَنى يقول :

ألم يأنِ لى يا قَلبُ أن أتْرُكَ الصِّبا ... وأن أزجرَ النفسَ اللَّجُوجَ عن الهوَى

وما عُذرُ مَنْ يَعمَى وقد شاب رأسُه ... ويُبصِر أبوابَ الضَّلالةِ والهُدَى

١٥ ولو قُسِم الذّنبُ الذى قد أصبْتُه ... على النَّاس خاف النَّاسُ كُلّهم الرَّدَى

فإن جَنَّ ليلٌ كُنتُ باللَّيل نائماً[2] ... وأُصبِح بَطَّالَ العَشيَّاتِ والضُّحَى

قال : فلما فَرغَ من إنشادها قال : سيَغلِبُنى عليها صاحبُكم ، يعنى عِمرانَ بنَ حِطّان ، فكان كذلك ، لمَّا شاعت رَواها الناسُ لعمران ، وكان لا يقول أحدٌ من الشُّعراء شِعْراً إلاّ نُسِب إليه لشُهرته إلاّ مَنْ كان مِثلَه فى الشُّهرة مثل قَطَرِيّ

٢٠ (١) فى بيروت : المزموم . وفى ف : المرموم .
(٢) فى هب : « ... كنت بالليل قائماً » . وفى ب ، بيروت : « وإن جن ليل كان بالليل نائماً » .

وعَمْرِو القَنَا(١) وذَوِيهما ، قال : ثم هرب إلى اليَمامة من الحَجَّاج ، فنزل بحَجْر ، فأتاه آلُ حَكَّام الحَنفيّون(٢) ، فقال :

طَيَّرونى من البلاد وقالوا مالكَ النَّصفُ(٣) من بنى حَكَّامِ
ناقَ سِيرِى قد جَدَّ حَقًّا(٤) بنا السَّيرُ وكونِى جَوَّالةً فى الزِّمامِ
فمتى تَعْلَقِى(٥) يَدَ المَلِكِ الأسْودِ تَسْتَيْقِنِى بألاَّ تُضامِى
قد أرانِى ولى من الحاكم النِّصْفُ بحَدِّ السِّنانِ أو بالحُسامِ

قال : والملك الأسود إبراهيم بن عربىّ وَالِى اليَمامة لِعَبْد المَلِك ، وكان ابنُ حَكَّام على شُرْطته قال :

ومُنِينا بِطِمْطِمٍ(٦) حَبَشِىٍّ حالكِ الوَجْنَتَيْن من آلِ حامِ
لا يُبالِى إذا تَضَلَّعَ خَمْرًا أبِحِلٍّ رَماكَ أم بِحَرامِ(٧)

قال العَنَزِىّ : فأخبرنى محمد بنُ إدريس بن سُليمان بن أبى حَفْصَة ، عن أبيه ، قال : كان مالكٌ المذمومُ من أحسن الناس قراءة للقرآن ، فقرأ ذاتَ ليلة فَسمِعَتْ قراءته امرأةٌ من آل حَكَّام(٨) فرمَت بنفسها من فوق سَطْح كانتْ عليه ، فَسمِع الصوتَ أهلُها ، فأتَوْه فضربوه ضربات ، فاستَعْدى عليهم إبراهيم بنَ عَرَبىّ ، وكان عبدُ الله

(١) فى ب : « عمرو الفناء » .
(٢) فى ب : « فأداه إلى بنى حكام الحنفيون » ، تحريف .
(٣) النصف « بكسر النون وتفتح وتضم » : اسم بمعنى الإنصاف .
(٤) فى ب : قد جد خفّاً .
(٥) فى ب : « تلقنى » . وفى هب : « تلتق » ، وسقط البيت الثانى منها .
(٦) رجل طمطم كزبرج : فى لسانه عجمة .
(٧) تضلع : امتلأ . وفى ف ، بيروت : « بحلال رماك ... » .
(٨) فى ب : « من آل حام » .

ابن حَكَّام على شُرْطَته فلم يُعدِه[1] عليهم، فهجاه بالأبيات الماضية، وهجاه بقصيدته التى أوّلها:

دارَ سَلْمَى بالجِزْعِ ذِى الآطام خَبِّرِينا سُقيتِ صَوبَ الغَمامِ

وهى طَوِيلة ينسبونها أيضا إلى عِمْران بنِ حِطَّان.

الفرزدق يعترف بتفوقه ونبوغه

أخبرنى أحمدُ بنُ الحسين الأصْبهانىُّ ابنُ عَمِّى قال: حدَّثنى أبو جَعْفر بن رُسْتم الطَّبَرىُّ النَّحوىّ، قال: حدثنا أبو عُثمان المازِنىُّ قال: حدّثنا عمرو بن مُرّة[2] قال: مرّ عِمران بن حِطَّان على الفرزْدَق وهو ينشد والناس حَولَه، فوقَف عليه، ثم قال:

أيُّها المادحُ العِبادَ لِيُعْطَى إنَّ لله ما بأيْدِى العِبادِ

فاسألِ اللهَ ما طلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المُقسِّم العَوَّادِ

لا تقُل فى الجَواد ما ليس فيه وتُسمِّ البخيلَ باسم الجَواد

فقال الفرزدق: لولا أنَّ الله عز وجل شَغَل عنا هذا برأيه لَلَقِينا منه شَرًّا.

مسلمة بن عبدالملك يبكيه شعر لعمران

وقال هارون بن الزَّيَّات: أخبرنى عبدُ الرحمن بن موسى الرَّقّىّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ مُحمدِ بنِ حُمَيْد بن سُلَيْمان بن حَفْص بن عبد الله بن أبى جَهْم بن حُذَيْفة ابن غانم العدوِىّ[3] قال: حدثنا يَزِيدُ بنُ مرة، عن أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى عن عِيسى بن يَزِيد بن بَكر المدنىّ، قال:

اجتمع عند مَسْلَمَة بنِ عبد الملك ناسٌ من سُمَّاره، فيهم عبدُ الله بنُ عبد الأعلى الشَّاعر، فقال مَسْلَمَة: أىُّ بَيْت قالَتْه العربُ أوعظُ وأحكمُ؟ فقال له عبد الله قوله:

صَبا ما صَبا حتى عَلاَ الشَّيبُ رأْسَه فلما علاه قال لِلْباطل ابْعُد

(١) لم يعده: لم ينصره.

(٢) فى ب، هب: «عمرو بن ترمذة».

(٣) فى ب: «... بن سديفة بن هاشم العدوى» بدلا من «حذيفة بن غانم العدوى».

فقال مَسلَمةُ : إنّه والله ما وَعَظَنى شِعرٌ قَطّ كما وَعَظَنى شِعْرُ ابن حِطّان حَيْث يقول:

فيُوشِكُ يومٌ أن يُقارِنَ لَيلَةً يَسوقانِ حَتفاً راح نَحْوك أو غَدا

فقال بعضُ مَنْ حضر : واللهِ لقد سَمِعتَه أجَلّ الموتَ ثم أفناه ، وما صَنع هذا غيرُه ، فقال مَسلَمة : وكَيْفَ ذاك ؟ قال : قال :

لا يُعجِزُ المَوتَ شيء دُونَ خالِقِه والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأَجَلُ ٥

وكلُّ كَرْبٍ أمامَ المَوتِ مُتَّضِعٌ للموت ، والمَوتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ

فبكى مَسلَمةُ حتى اخضلّت لِحيَتُه ، ثم قال : رَدِّدهما علىّ ، فردَّدَهما عليه حتى حَفِظَهما .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال : حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ ، قال : حدثنا مَنِيع بنُ أحمد بنُ مؤرِّج السَّدُوسىّ ، عن أبيه ، عن جَدّه ، قال :

تزوج عِمرانُ بن حِطّان حمزةَ بنتَ عمه ليردّها عن مَذْهب الشُّراية ، فذهبَت به إلى رأيهم ، فجعل يقول فيها الشعر ، فمِمَّا قال فيها : ١٠

يا حَمزَ إنّى على ما كان من خُلقِى مُثْنٍ بخَلّاتِ صِدْقٍ كُلُّها فيكِ

اللهُ يعــلَمُ أنّى لم أقُل كَذِباً فيما عَلِمْتُ وأنّى لا أُزَكّيكِ

امرأته تتهمه بالكذب فى شعره فيرد اتهامها

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنا محمدُ بنُ مُوسَى ، وحدثنى بعضُ أصحابنا ، عن العُمَرِىّ ، عن الهَيثَم بن عدىّ : ١٥

أنّ امرأةَ عِمران بن حِطّان قالت له : ألم تزعم أنّك لا تَكْذِب فى شعرك ؟ قال : بلى ، قالت : أفرأيتَ قولَك :

وكذاك مَجْزَأةُ بنُ ثَوْرٍ كان أشجعَ من أُسامَهْ

أيكون رجل أشْجَعَ من الأسد ؟ قال : نعم ، إنّ مجزأةَ بنَ ثَوْر فتَح مَدينَةَ كذا، والأسد لا يَقدِر على فَتْح مَدينة . ٢٠

صوت

نَدِيمِىَّ قد خَفَّ الشَّرابُ ولم أجد له سَوْرَةً فى عَظْمِ رأسى ولا جِلْدِى
نَدِيمِىَّ هـذِى غِبُّهُم فاشرَبا بها ولا خيرَ فى شُرْب يكون على صَرْدِ[(١)]

الشعر لعُمارة بنِ الوليد بنِ المُغيرة المَخْزُومِىّ ، والغناء لابنِ سُرَيج خفيف ثقيل .

(١) سقاه الخمر صرداً ، أى صِرْفاً . وفى ف ، بيروت : « على حرد » .

١٥٨
——
١٦

أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

نسبه

عُمارة بنُ الوليد، بن المُغيرة، بن عبد الله، بن مَخْزُوم، بن يَقَظَة، بن مرّة، بن كعب، ابن لؤىّ ، بن غالب ، وهو أحدُ أزْواد الرَّكْب (١)، ويقال له الوحيد ، وكان أزوادُ الرَّكْب لا يمرُّ عليهم أحد إلا قَروْه وأحْسَنُوا ضيافته ، وزَوَّدُوه ما يحتاج إليه لسفَرِه ، وكان عمارة بنُ الوَليد فَخُوراً معِنًّا(٢) مُتعرِّضاً لكل ذى عارِضة من قُرَيش ، ٥ فأخبرَنى عمّى قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ شَبِيب ، قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار ، عن الحزامىّ ، قال :

مرّ عُمارة بنُ الوَليد بمُسافِر بن عَمْرو ، فوقَفَ عليه وهو مُنْتَشٍ ، فقال :

خُلِق البِيضُ الحِسان لنا وجِيــادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِراً كُنّا أحقّ به حين صِيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ ١٠

فأجابه مُسافِرُ بنُ عَمْرو بن أُميَّة ، فقال :

أعُمارَ بنَ الوليد لقد يذكُرُ الشّاعِرُ مَنْ ذَكَرَه(٣)
هل أخو كَأْسٍ مُحَقِّقُها ومُوَقٌّ صَحْبَه سَكَرَهْ
ومُحَيِّيهم إذا شَرِبُوا ومُقِلٌّ فيهم هَــذَرَهْ
خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا وجِيــاد الرَّيْطِ والحَبَرَهْ ١٥
كابِراً كُنّا أحقُّ به كلُّ حىٍّ تابعٌ أثَرَهْ

يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته على تركه

أخبَرنِى عمّى قال : حدثنا السكُرانىُّ ، قال : حدّثنا العُمَرىُّ ، عن الهَيْثَم بن عَدِىّ

(١) فى القاموس (زود) : أزواد الركب : مسافر بن أبى عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية بن المغيرة ؛ لأنه لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر ، يطعمونه ويكفونه الزاد .

(٢) المعن : من يدخل فيما لا يعنيه ويعرض فى كل شىء . وفى المختار : « متعرضاً لكل من عارضه من قريش » . وفى ف : معياً . وفى بيروت : معيبا . ٢٠

(٣) ف ، المختار ، بيروت : «يذكر الإنسان من ذكره » .

عن حمّاد الراوية : أنّ عُمارة بنَ الوَليد خطَب امرأةً من قَوْمه فقالت : لا أتزوّجك أو تترُكَ الشّراب والزّنا ، قال : أما الزّنا فأتركه ، وأما الشّراب فلا أتركه ولا أستطيع . ثم اشتدّ وجدُه بها فحلف ألاّ يشرب ، فتزوجها ومكث حينا لا يشرب ، ثم إنه لبِس ذات يوم حُلّته وركب ناقته وخرج يسير ، فمر بخمّار وعنده شَرْبٌ يشربون ، فدعَوْه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندَهم ، فقال للخمّار : أطعِمْهم ويلك ، فقال : ليس عندى شىء ، فنحر لهم ناقته ، فأكلوا منها ، فقال : اسقِهم ، ولم يكن معهم شىء يشربون به ، فسقاهم ببُردته ، ومكثوا أياماً ذوات عدد ، ثم خرج فأتى أهله ، فلما رأته امرأته ، قالت له : ألم تحلف ألاّ تشرب ؟ ولامته ، فقال :

ولسنا بشَرْبٍ أمِّ عمرو[1] إذا انتشَوْا ثيابُ النَّدامَى عندهم كالغنائمِ

ولكنّنا يا أمَّ عَمْرٍو نديمُنا بمنزلة الرّيّان ليس بعائمِ

أسرَّك لما صرّع القومَ نشوةٌ أنَ اخرُجَ منها سالمًا غير غارمِ

خليًّا كأنّى لم أكن كُنتُ فيهمُ وليس الخِداعُ مُرتضًى فى التّنادمِ

ملاحاة بينه وبين عمرو بن العاص

[2] أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد ابن محمد بن قادم مولى بنى هاشم ، قال : حدثنى عمى : أحمد بن جعفر ، عن ابن دأب ، قال :

قدم رجل من تجار الروم بحُلّة من لباس قيصر على أهل مكة ، فأتى بها عمارةَ بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ ، فعرضها عليه بمائة حِقٍّ من الإبل ، فاستغلاها ، فأتى بها عمرو بن العاص ، فقال له : هل أتيت بها أحدا ؟ قال : نعم ، عُمارة بن الوليد فاستغلاها وقال : لن تعدم لها غَوِيًّا من بنى سهم ، قال : قد أخذتُها ، فاشتراها بمائة حِقّ ، يعنى مائة بعير ، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بنى مخزوم ، فناداه عمارة : أتبيع الحُلّة ياعمرو ؟ فغضب والتفت إلى عمارة ، فقال :

---

(١) فى ب ، ما : « أم عوف » .

عليكَ بجزِّ رأس أبيك إنّا ... كفيناك المُسَهَّمَة[١] الرِّقاقا
زوَوْها[٢] عنكمُ وغَلَتْ عليكم ... وأعطينا بهــا مائةً حِقاقا
وقلتم : لا نطيق ثيابَ سَهْمٍ ... وكلٌّ سوف يَلبَس ما أطاقا

قال : فغضب عمارة وقال : ياعمرو ، ما هذا التّهوّر ؟ إنك لستَ بعتبةَ بن ربيعة ، ولا بأبى سفيان بن حرب ، ولا الوليد بن المغيرة ، ولاسُهَيْل بن عمر ، ولا أُبىّ بن خلف ، فقال عمرو : إلاّ أكن بعضهم فإن كلّ واحد منهم خيرُ مافيه فىّ : من عُتبةَ حلمُه ، ومن أبى سفيان رأيُه ، ومن سُهَيل جودُه ، ومن أُبَىّ بنِ خلف نجدَتُه ، وأما الوليد فوالله ما أحب أنّ فىّ كلّ مافيه من خير وشر ، ولـكنك والله مالكَ عَقلُ الوليد ، ولابأسُ الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ، ولا لِسانُ أبى الحكم ، يعنى أبا جهل . وانصرف ، وأمر عُمارة بجزور فنُحِرت على طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لمَنْ هذه الجزور ؟ قيل : لعمارة ، فقال له : أطعِمنا منها يا عُمارة ، فضحك سنه ، ثم قال :

عليك بجَزْر أيرِ أبيـك إنا ... كفيناك المُشَاشــة والعُراقَا[٣]
ومَنسَبَةَ الأطايب من قريشٍ ... ولم ترَ كأسَنا إلاّ دِهاقا
ونلبس فى الحوادث كلّ زَغْفٍ[٤] ... وعند الأمن أبْرادًا رقاقا

فوقع الشرُّ بينهم ، فقال عمرو :

لعَمْرُ أبيك والأخبـار تَنْمِى ... لقد هَيَّجْتَنى يابنَ الوليــدِ
فلا تعجل عُمــارةُ إنّ سَهْماً ... لمخزومِ بن يَقْظةَ فى العـديدِ
وأورِدْ يا عُمــارة إنّ عودِى ... من آعواد الأباطحِ خيرُ عودِ

(١) سهّم الثوب وغيره : صور فيه سهاماً ، فهو مسهم .
(٢) زووها عنكم : صرفوها ونحّوها.
(٣) المشاشة : رأس العظم اللين الذى يمكن مضغه . والعراق : العظم أكل لحمه .
(٤) الزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

فأجابه عُمارة، فقال:

ألا يا عمرو هل لك فى قُريشٍ أبٌ مثلُ المُغيرة والوليدِ
وجَدٌّ مثلُ عبدِ الله يَنْمِى إلى عمرِو بن مخزومٍ بِعُودِ
إذا ما عُدَّت الأعواد نَبْعاً فَمالِى فى الأباطح من نَديدِ
٥ وقد عَلِمتْ سَراةُ بنى لُؤَىٍّ بأنّى غيرُ مؤتَشِبٍ زهيدِ
وإنى للمُنابذِ من قريشٍ شَجاً فى الحَلْقِ من دون الوريدِ
أحوطُ ذِمارَهم[1] وأكفُّ عنهم وأصبِر فى وَغا اليوم الشّديدِ
وأبذُل ما يضِنّ به رجالٌ وتُطمِعُنى المروءةُ فى المزيدِ
وإنك من بنى سَهْمِ بنِ عَمرٍو مكان الرِّدْفِ من عَجُزِ القَعودِ
١٠ وكان أبوك جزّارا . . وكانت له فأس وقِدْرٌ من حديدِ[2]

عمر بن الخطاب يتمثل بشعره

أخبرنى عمّى قال: حدّثنا الكُرانىّ، عن العُمَرىّ، عن أبى عَوانة، عن عبد الملك ابن عمير، أنّ عمر بن الخطاب قَسَم بروداً فى المهاجرين.

قال العُمَرىّ: هكذا ذكر أبوعَوانة، وقد حدثنى الهيثم، عن أبى يعقوب الثّقفىّ، عن عبدالملك بن عُمير، قال: أخبرنى مَنْ شهد ذلك:

١٥ أن عبدالله بن أبى ربيعة المخزومىّ بعث إلى عمر بن الخطاب بحُلَل من اليمن، فقال عمر: علىّ بالمحمَّدِين، فأُتِى بمحمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر بن أبى طالب، ومحمد بن طلحة ابن عُبَيدالله، ومحمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن حاطب بن أبى بَلْتعة، ومحمد بن حطّاب[2] أخى حاطب، وكلهم سمّاه النبى صلى الله عليه وسلم محمدا، فأقبلوا، فاطّلع محمد بن حطّاب[3]

١٥٩
—
١٦

(١) أحوط ذمارهم: أحفظ ما يلزمنى حفظه والدفاع عنه.
٢٠ (٢ - ٢) انفردت نسخة ف بهذا الخبر من ص ١٢٣ - ١٢٥.
(٢) فى ب: «محمد بن حاطب».
(٣) فى ب: «فاطلع على محمد بن حطاب»، تصحيف.

فيها ، فقال له عمر : يا شيبة معمر ـ يعنى عمًّا له قتل يوم بدر ـ اكفف ، وكان زيد بن ثابت الأنصارىّ عنده ، فقال له عمر : أعطهم حُلَّةً حُلَّة ، فنظر إلى أفضلها ، وكانت أمُّ أحدهم عنده ، فقال عمر : ما هذا ؟ فقال : هذه لفلان ، الذى هو ربيبه ، فقال عمر : اردُدْه ، وتمثل بقول عُمارة بن الوليد :

أسرَّك لمّا صرَّع القومَ نشوةٌ أن أخرُجَ منها سالما غيرَ غارمِ
خَلِيًّا كأنى لم أكن كنت فيهمُ وليس الخِداعُ مُرتضًى فى التّنادمِ[1]

وقال أبو عَوانة : . . . من تصافى التنادم .

ثم أمر بالبرود فغُطِّيت بثوب ، ثم خَلَطها[2] ، ثم قال : لِيُدْخِلْ كلُّ امرئٍ يدَه فليأخذ حُلّته وما قُسِم له .

(١) فى ما : « وليس الخداع مرتضى فى التراحم » .
(٢) فى ب ، س ، بيروت : خللها .

صوت

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِه ويأكلُ المالَ غيرُ من جَمَعَهْ
فاقبلْ من الدّهر ما أتاك به مَنْ قرَّ عيناً بعيشه نَفَعَهْ
لكلّ همٍّ من الهموم سَعَهْ والصُّبح والمُسْيُ لا فلاحَ معه(١)

الشعر للأضبط بن قُرَيْع ، والغناء لأحمد بن يحيى المكّى ، ثقيل أول بالسَّبابة فى مجرى البنصر من روايته ، وسمعناه يغنى فى طريقة خفيف رمل ، فسألت عنه ذُكاء وجه الرّزّة ، فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكّى فى هذه الطريقة ، ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه .

(١) فى ف ، المختار : « لابقاء معه » .

أخبار الأضبط ونسبه

كان الأضبط مفركا

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدثنى عبدُ الله بنُ طاهر ، قال : قال أبو مُحلِّم : أخبرنى ضِرار[1] بن عيينة ، أحد بنى عبد شمس ، قال :

كان الأضبطُ بن قُرَيْع مُفرَّكاً[2] ، وكان إذا لقى فى الحرب تقدم أمام الصف ، ثم قال :

أنا الذى تفرُكُه حلائلُهْ   ألا فتًى مُعشَّقٌ أُنازِلُهْ !

قال : فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن ، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرْك الأضبط ، فأجْمَعن أن ذلك لأنه بارد الكَمَرة ، فقالت لإحداهنّ خالتُها : أتعجز إحداكنّ إذا كانت ليلتُه منها أن تُسخن كمرته بشىء من دُهن ؟ فلما سمع قولَها صاح : يا آل عوف ، يا آل عوف ، فثار الناس وظنوا أنه قد أُتِى ، فقال : أوصيكم بأن تُسخِنوا الكمرة فإنه لا حُظْوة لبارد الكمرة ، فانصرفوا يضحكون ، وقالوا : تبًّا لك ، ألهذا دعوتَنا !

شعره فيمن خالفوه

قال أبو مُحلِّم : كانت أمُّ الأضبط عَجِيبة[3] بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطَّموح[4] بنت دارِم أم جُشَم وعبشمس[5] ابنى كعب بن سعد ، فحارب بنو الطَّموح قوماً من بنى سعد ، فجعل الأضبط يدُسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرِّح بنُصرتهم خوفاً من أن يتحزَّب قومه حزبين معه وعليه ، وكان يشير عليهم

(١) فى ف ، بيروت : صبار.
(٢) المفرك : المتروك المبغض .
(٣) فى ب ، هب ، المختار : عجبة .
(٤) فى ب ، هب : الطم بنت دارم .
(٥) فى ف ، بيروت : ... « بن جشم وعبد شمس » .

بالرأى فإذا أبرمه لقضوه وخالفوا عليه ، وأرَوْه مع ذلك أنهم على رأيه ، فقال فى ذلك :

١٦٠ / ١٦

لِكل هَمٍّ من الهُموم سَعَهْ والمُسْىُ والصُّبح لا فلاحَ معه(١)

لا تُحقِرنَّ الفقيرَ علّك أن تركع يوماً والدهرُ قد رَفعه(٢)

٥ وصِلْ حِبال البعيد إن وَصَلَ الحَبْـــل وأَقْصِ القريبَ إن قطعـهْ

قد يجمع المـال غيرُ آكلِهِ ويأكل المـالَ غيرُ مَنْ جمعهْ

ما بال مَنْ غَيُّه مُصيبك لا يملك شيئاً من أمره وَزعـه(٣)

حتى إذا ما انجلَتْ غَوايتُـه أقبـل يَلحَى وغيُّه فجعهْ

أذودُ عن نفسه ويخـدَعُنى يا قوم مَنْ عاذرى من الخُدَعَهْ

١٠ فاقبَلْ من الدّهر ما أتاك به(٤) مَنْ قـرَّ عيناً بعيشه نفعهْ

نشوز امرأة عليه وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا الخراز عن المدائنىّ ، قال :

كان الأضبطُ بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة ، فنَشزَت عليه ، ففارقها ولم يعطها ما كان ضمِن لها ، فلما احتملت أنشأ يقول :

ألم تَرَها بانت بغير وصـيفةٍ إذا ما الغوانى صاحبتها الوَصائفُ

١٥ ولكنها بانت شَمـوسٌ بَزِيَّة مُنعَّمةُ الأخلاق حدباء شـارفُ

لو أنّ رسولَ اللّهْوِ سلّم واقفاً عليها لرامتْ وَصلَه وهو واقفُ

(١) صدر البيت فى الشعر والشعراء ٢٢٦ — ط ليدن : « ياقوم من عاذرى من الخدعه . » . وفى الخزانة ٤—٥٩١ : « لكل ضيق من الأمور سعه » ، وفى المختار : « لا بقاء معه » بدل : « لا فلاح معه » .

(٢) فى الشعر والشعراء — ٢٢٦ : « لا تهين الفقير .. أن تخشع » .

٢٠ (٣) وزعه : كفه .

(٤) فى سمط اللآلى ١ / ٣٢٦ : « واقنع من الدهر ... » .

أبو عبيدة وخلف لا يعرفان إلا بيتاً وعجز بيت من قصيدة له

أخبرنا وكيع قال : حدثنا ابن أبى سعد[1] قال :

حدثنا الجمّاز ، قال : أنشدت أبا عبيدة وخلفاً الأحمر شعر الأضبط :

وصِلْ حبال البعيد إن وصل الحبـــل وأقْصِ القريبَ إنْ قطعـهْ

فما عرفا منه إلا بيتاً وعجز بيت ، فالبيت الذى عرفاه :

فاقبل من الدّهر ما أتاك به . . . . .

والعجز :

* يا قوم مَنْ عاذِرى من الخُدَعَهْ *

والخدعة : قوم من بنى سعد[2] بن زيد مناة بن تميم .

(١) فى ب : سعيد . وفى هب : ابن سعد .

(٢) فى سمط اللآلى ١ — ٣٢٧ : قوم من سعد ...

صــوت

وما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى ... بمُهْتَضَمٍ حقِّى ولا قارعٍ سِنِّى[١]

ولا مُسْلِمٍ مولاى عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاى من شرِّ ما أجْنِى

الشعر لأعشى بنى ربيعة ، والغناء لإبراهيم ثانى ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

---

(١) ف : « قرنى » . وفى سمط اللآلى / ٩٠٦ : « ولا سالم قرنى » .

أخبار الأعشى ونسبه

نسبه

الأعشى اسمه عبدُ الله بنُ خارجةَ بن حبيب بن قيس بنِ عَمْرو بن حارثة بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة الحُصَيْن بن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِىّ بين جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار : شاعر إسلامى من ساكنى الكوفة ، وكان مَرْوانِىّ المذهب ، شديد التعصب لبنى أمية .

وفوده على عبد الملك

أخبرنى محمدُ بن العباسِ اليزيدىّ قال : حدثنا عمّى محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيبَ(١) ، وأخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، عن عمه العباس بن هشام ، عن أبيه ، قالا :

قدِم أعشَى بَنى ربيعة على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبدُ الملك : ما الذى بَقِى منك ؟ قال : أنا الذى أقول :

١٦١ / ١٦

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتِي	بمُهْتَضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سِنّى
ولا مُسلِمٍ مَولاىَ عند جِنايةٍ	ولا خائفٍ مَوْلاى من شر ما أجنى
وإن فؤادى بين جَنبيّ عالمٌ	بما أبصرت عَينى وما سَمِعَت أُذْنِي
وفضّلنى فى الشعْر واللُّبّ أنّنِي	أقولُ على عِلمٍ وأعرِفُ مَن أعْنِي
فأصبحتُ إذ فَضّلتُ مروانَ وابنَه	على الناسِ قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : مَنْ يلومنى على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تُخوت

(١) وحبيب أمه ، وانظر « تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه » .

ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألفَ جَرِيب[١] ، وقال له : امضِ إلى زيد الـكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلا[٢] فأتى زَيداً فقال له : ائتِنى غداً ، فأتاه فجعل يردِّده ، فقال له :

يا زيدُ يا فِداكَ كُلُّ كاتبِ ... فى الناسِ بين حاضرٍ وغائبِ

هل لك فى حَقٍّ عليكَ واجبِ ... فى مثله يرغب كُلُّ راغبِ

وأنت عَفٌّ طَيِّب المكاسبِ ... مُبَرَّأٌ من عَيْبِ كلِّ عائبِ

ولستَ — إن كَفَيْتَنِى[٣] وصاحِبى ... طُولَ غُدُوٍّ ورَواحٍ دائبِ

وسُدَّةَ الباب[٤] وعُنفَ الحاجبِ ... — من نِعْمةٍ أسدَيْتَها بخائبِ

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سُفيانَ بنَ الأبْرد الـكلبىّ ، فكلّمه سُفيانُ فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان ، فقال له :

عُدْ إذ بدأتَ أبا يَحيى فأنت لما ... ولا تـكُن حين هاب النَّاسُ هَيَّابا[٥]

واشفَع شفاعةَ أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فإنَّ من شُفَعاءِ النَّاسِ أذْنابا

فأتى سُفيانُ زيداً الـكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

يحث عبد الملك على الخروج لمحاربة ابن الزبير

قال محمد بن حبيبَ : دخل أعشى بنى أبى ربيعة[٦] على عبد الملك وهو يتردد فى الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يَجِدّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، مالى أراك مُتَلوِّما يُنْهِضُك الحَزْم ويُقعِدك العَزمُ ، وتَهُم بالإقْدام وتَجنَح إلى الإحْجام ، انقدْ لِبَصيرتك

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، وقيل : عشرة آلاف ذراع .

(٢) عيل الرجل : أهل بيته الذين يتكفل بهم من أزواج وأولاد وأتباع .

(٣) فى ف : كلفتنى .

(٤) فى ف : « وشدة الباب » .

(٥) فى ب : « ... ولا تكن من كلام الناس هيابا » .

(٦) فى ا ، ف : « أعشى بنى ربيعة » . ويقال له أعشى بنى ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار ، وأعشى بنى أبى ربيعة نسبة إلى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان » .

وأمضِ رأيك، وتوجّهْ إلى عدوّك، فجَدُّك مُقبِل، وجَدُّه مُدبِر، وأصحابُه له ماقتون، ونحن لك مُحِبّون، وكلمتُهم مُفْتَرِقَة، وكلِمَتُنا عليك مُجْتَمِعة، والله ما تُؤتَى من ضَعْف جَنان، ولا قِلّة أعْوان، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتاً فقال: هاتِها، فإنك تنطق بلسان وَدُود وقلب ناصح، فقال:

آلُ الزُّبَير من الخلافة كالّتى عَجِلَ النِّتاجُ بحَمْلِها فأحالَها
أو كالضِّعاف من الحمولة حُمِّلَت مالا تُطيق فضيَّعت أحمالَها
قُوموا إليهم لا تَنَاموا عنهمُ كَمْ للغُواةِ أطَلْتُموا إمْهالَهَا[1]
إنَّ الخِلافةَ فيكُمُ لا فيهمُ ما زِلْتُمُ أركانَها وثِمَالَها[2]
أمسَوْا على الخيرات قُفْلاً مغلقاً[3] فانهض بيُمْنِك فافْتَتِحْ أقفالَها

فضحك عبدُ الملك وقال: صدقتَ يا أبا عبد الله، إنّ أبا خُبَيب لقُفلٌ دون كل خير، ولا نتأخّر عن مُناجزته إن شاء الله، ونستعين الله عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأمر له بصلة سنية.

جفاء الحجاج ثم سر بكلامه

١٦٢
١٦

قال ابن حبيب: كان الحجّاج قد جَفا الأعشَى واطَّرَحه لِحالة كانت عند بشر بن مروان، فلما فرغ الحجّاج من حرب الجماجم ذكر فتنةَ ابن الأشعث، وجعل يوبِّخ أهلَ العراق ويؤنّبهم، فقال مَنْ حَضر من أهل البصرة: إنّ الرَّيبَ والفتنة بدآ من أهل الكوفة، وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية، فقال أهل الكوفة: لا، بل أهلُ البصرة أوّلُ مَنْ أظهر المعصية مع جرير بن هِميان السّدوسىّ، إذ جاء مخالفاً من السِّند[4]. وأكثروا من ذلك، فقام أعشى بنى أبى ربيعة، فقال: أصلح اللهُ الأميرَ

---

(١) فى ف: إهمالها.
(٢) ثمالها: غياثها.
(٣) فى ف: موثقا.
(٤) فى ب: «إذ جاء من الهند».

لا بَراءة من ذنب ، ولا ادِّعاء على الله فى عصمة لأحد من المِصْرَيْن ، قد والله اجتهدوا جميعاً فى قِتالك ، فأَبَى اللهُ إلاّ نَصْرَك ؛ وذلك أنهم جَزِعوا وصَبرتَ ، وكفروا وشكَرْتَ ، وغفرْتَ إذ قَدَرْتَ ، فوَسِعَهم عَفوُ الله وعَفوُك فنجَوْا ، فلولا ذلك لبادوا وهلَكوا ، فسُرَّ الحجّاجُ بكلامه وقال له جميلا ، وقال : تهيّأْ للوِفادة إلى أمير المؤمنين حتى يَسْمَع

٥ هذا منك شِفاها ، انتهى .

اعتذاره للحجاج من رثائه عبد الله ابن الجارود

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع ، قال : حدثنى حَمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : بلغ الحجّاجَ أنّ أعشَى بَنى أبى ربيعة رَثَى عبدَ الله بنَ الجارود ، فغضب عليه ، فقال يَعتذِر إليه :

أَبِيتُ كأنّى من حِذار ابنِ يُوسُفٍ ... طَرِيدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المَسالكُ

١٠ ولو غَيْرُ حَجّاجٍ أراد ظُلامَتى ... حَمَتْنى من الضَّيْم السُّيوفُ الفواتِكُ

وفِتيانُ صِدْقٍ من ربيعة قُصْرةً ... إذا اختلَفَت يومَ اللقاء النَّيازِكُ[1]

يُحامون عن أحسابِهم بِسيُوفهم ... وأرماحِهم واليَومُ أسودُ حالكُ

مدحه عبد الملك ابن مروان

أخبرنى أبو الحَسن الأسدِىّ ، قال : حدّثنى أحمد بن عبدُ الله بنُ علىّ[2] بن سُوَيْد ابن مَنْجوف ، عن ابن مُؤَرِّجٍ ، عن أبيه ، قال :

١٥ دخل أعشَى بَنى أبى ربيعة على عَبْد الملك بن مروان ، فأنشده قَوله :

رأيتُك أمسِ خيرَ بنى مَعَدٍّ ... وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ

وأنتَ غدًا تَزِيدُ الضِّعْفَ ضِعفاً ... كذاك تزيد سادةُ عَبْدِ شَمْسِ[3]

---

(١) يقال : فلان ابن عمه قصرة ، أى قريب . والنيازك : الرماح القصيرة .

(٢) فى ب : « حدثنى عبد الله بن على » .

٢٠ (٣) فى المؤتلف والمختلف — ١٠ : « وأنت غدا تزيد الضعف خيراً » . وبعده :

وتاج الملك ليس يزال فيهم ... يُحوّل فوق رأس كل رأس

فقال له : من أيّ بنى أبى ربيعة أنت ؟ قال : فقلتُ له : من بنى أُمامة ، قال : فإن أُمامةَ ولد(١) رجلين : قيساً وحارثةَ ، فأحدُهما نَجم ، والآخر خَمَل . فمن أيهما أنت ؟ قال : قلتُ : أنا من وَلَد حارثة ، وهو الذى كانت بَكْر بن وائل توّجَتْه ، قال : فقام بمِخْصَرة(٢) فى يده ، فغمز بها فى بَطْنى، ثم قال: يا أخا بَنى أبى ربيعة هَمُّوا ولم يفعلوا ، فإذا حدّثتنى فلا تكذبنى ، فجعلتُ له عَهْداً ألا أحدّث قُرَشِيًّا بكذبٍ أبدا . ٥

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرنى عمّى ، قال: حدّثنا ابنُ أبى سَعد ، قال : حدّثنى أحمدُ بنُ الهَيْثم السُّلمىّ(٣) قال : حدثنى أبو فراس محمد بن فراس ، عن الكلبىّ ، قال :

أتى أعشى بنى أبى ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكَساه ، فقال :

لأَسماء بنُ خارجة بن حصْنٍ على عِيبْه النَّوائبِ والغَرامَهْ
أقلُّ تعلُّلاً يومــاً وبُخْلاً على السُّؤال من كعْب بنِ مامَهْ
ومَصْقَلةُ الذى يَبْتــاع بَيْعاً رَبِيحاً فوق ناجية بنِ سامَهْ

١٦٣
١٦

قال الكلبىّ : جعل ناجيةَ رجلا وهى امرأة ؛ لضرورة الشعر .

قال أبو فراس : فحدّثنى الكلبىّ ، عن خِداش ، قال :

مدحه سليمان بن عبد الملك

دخل أعشى بنى أبى ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولىّ عهد فقال : ١٥

أتينا سليمانَ الأمــيرَ نزورُه وكان امرأً يُحْبَى(٤) ويُكرمُ زائرُهْ

(١) ف : ولدت رجلين .
(٢) المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .
(٣) فى هب ، ب : الشامى .
(٤) ف : يحيا . ٢٠

إذا كُنتَ فى النَّجْوى به مُتَفرِّدًا فلا الُجودُ مُخْلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُه[١]

كلا شافعَىْ[٢] سُؤَّالِهِ من ضميرِه على البُخْل ناهِيه وبالجود آمِرُه[٣]

فأعطاه وأكرمه وأمر كُلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بِصِلَته، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه.

(١) فى هب: ناصره.

(٢) فى ب، س: فلا شافعى.

(٣) فى شرح ديوان الحماسة ٤ – ٢٨٧: «عن الجهل ناهيه وبالحلم آمره».

صــوت

نَأتْك أُمامةُ إلاّ سُؤالاَ وإلاّ خيالاً يُوافِى خَيالاَ

يُوافِى مع الليل مِيعادُها ويأبى مع الصُّبح إلا زِيالاَ

فذلك يَبذُل من وُدِّهـا ولو شَهِدَت لم تُواتِ النَّوالا

فقد رِيعَ قَلبِىَ إذْ أعلنُوا وقيل أجدَّ الخليطُ احْتِمالاَ[1]

الشعر لعَمْرو بن قَمِيئة، والغِناء لِحُنَيْن خفيف رَمَل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكىّ، وذكر الهشامىّ وغيره أنه من مَنْحول يحيى إلى حنين .

(١) فى ب ، س : الزيالا .

أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

نسبه

هو فيما ذكر أبو عَمْرو الشَّيبانىّ، عن أبى بَرْزَة: عمرُو بن قَمِيئة بن ذَرِيح بن سَعْد ابن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل ابن قاسِط بن هِنْب بن أفصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

٥ قال ابن الكَلْبِىّ : ليس من العرب مَنْ له وَلَدٌ، كُلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثَعْلبة بن عُكابة ، فإنه وَلَدَ أرْبعةً كُلٌّ واحد منهم قَبيلة : شَيْبان ابن ثَعْلَبَة ، وهو أبو قَبيلة ، وقَيْس بنُ ثَعْلبة وهو أبُو قَبيلة ، وذُهْل بن ثعلبة وهو أبو قَبيلَة ، (١ وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة١) .

وكان عمْرو بن قَمِيئة من قُدماء الشعراء فى الجاهلية ، ويُقال : إنه أوّلُ مَنْ قال ١٠ الشعر من نِزار ، وهو أقدم من امرئ القَيْس ، ولَقِيه امرؤُ القيس فى آخر عُمره فأخرجه معه إلى قَيْصر لمَّا توجه إليه فمات معه فى طريقه ، وسَمّتْه العربُ عَمْراً الضائع لموته فى غُرْبة وفى غير أرَبٍ ولا مَطْلب .

بعض صفاته

نسختُ خبرَه من رِوايتَى أبى عَمْرو الشَّيْبانِىّ ، ومؤرِّج ، وأخبرَنى ببَعْضه الحسنُ ابنُ علىّ، عن أبيه ، عن ابن أبى سَعْد ، عن ابن الكَلْبِىّ ، فذَكرتُ ذلك فى مواضعه ، ١٥ ونَسبتُه إلى رُواته ، قالوا جميعا :

كان عَمْرُو بنُ قَمِيئة شاعراً فَحْلاً مُتَقدّما ، وكان شابًّا جميلا حَسَنَ الوجه مدِيدَ القامة حسن الشَّعْر(٢) ، ومات أبوه وخَلَّفه صغيرا ، فكفَلَه عَمُّه مَرْثَد بنُ سَعد ،

(١-١) تكملة من ف ، هب ، مختار الأغانى .

(٢) فى هب ، ب : الشعرة .

وكانت سبّابتا قدميه ووُسْطياهما مُلتصِقتَيْن ، وكان عمّه [1] مُحِبًّا له مُعجبا به ، رقيقاً عليه .

مراودة امرأة عمه له وامتناعه عليها

وأخبرنى عمّى قال: حدّثنا الكُرانىُّ ، قال : حدّثنا أبو عمر العُمَرىّ ، عن لَقيط ، وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرُّواة :

أنّ مَرْثَدَ بنَ سَعد بن مالك عَمَّ عَمْرو بن قَمِيئة كانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال ، فهوِيت عَمراً وشُغِفَت به ولم تُظهِر له ذلك ، فغاب مَرْثد لبعض أمره — وقال لَقيط فى خَبَره : مضى يَضْرِب بالقِداح — فبَعثَت امرأتُه إلى عَمْرو تدعوه على لِسان عَمّه ، وقالت للرَّسُولِ : ائتِنى به من وَراءِ البيُوتِ ، ففعل ، فلما دَخَل أنكر شأنَهـا ، فوقف ساعة ، ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مِثْلى ليُدْعَى لِمثْل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاء لأمتنعنَّ منه خَوفَ الدَّناءة والذِّكْر القَبِيح الشّائع عَنّى فى العرب ، قالت : والله لتَفعلَنّ أو لأسُوأنّك ، قال : إلى المسَاءة تدْعِينَنى . ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يُخبِر عَمّه بما جرى ، فأمرت بجَفْنة فكُفِئَت على أثَر عمرو ، فلما رجع عمُّه وجدها مُتغَضِّبة ، فقال لها : مالك ؟ قالت : إنّ رجلا من قومك قَرِيبَ القَرابة ، جاء يَستامنى نَفسى ويُريد فِراشك منذ خرجت ، قال : مَنْ هو ؟ قالت : أما أنا فلا أُسَمّيه ، ولكن قُمْ فافْتَقِدْ أثَره تحت الجَفْنة ، فلما رأى الأثَر عرفه .

١٦٤ / ١٦

هروبه من عمه إلى الحيرة

قال مُؤَرِّج فى خبره : فحدّثنى أبو بَرْزَة وعلْقَمة بنُ سعد وغيرُهما من بَنى قَيْس ابن ثَعلَبة ، قالوا :

وكان لِمرْثد سيفٌ يُسَمَّى ذَا العَقار ، فأتى ليَضْرِبه به ، فهرب فأتى الحِيرَة ، فكان عنـد اللَّخْميّين ولم يكن يَقْوَى على بنى مَرْثد لكثرتهم ، وقال لعَمْرو بن هِنْد : إنّ القوم اطّردُونى ، فقال له : ما فعلوا إلا وقد أجْرَمْت ، وأنا أفحص

(1) فى ب : حبه .

عن أمرك ، فإن كُنتَ مُجرِما رددتُك إلى قومك ، فغضب وهَمَّ بهجائه وهجاء مرثد ، ثم أعرضَ عن ذلك ، ومدح عَمَّه واعتذر إليه ، انتهى .

وأما أبو عَمْرو فإنّه قال :

لما سمع مَرْثد بذلك ، هجر عَمْراً وأعرض عنه ، ولم يُعاقِبهُ[1] لموضعه من قلبه ، فقال عمرو يَعتَذِر إلى عمّه :

خليلىَّ لا تَسْتَعْجِلا أن تَزَوَّدا ... وأنْ تجمعا شَمْلِي وتَنْتَظِرا غَدا
فما لَبثِى يوماً بسائِق مَغْنَمٍ ... ولا سُرْعتِى يوما بسائِقة الرَّدى[2]
وإن تُنْظِرانى[3] اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتستوجبا مَنًّا علىَّ وتُحْمَدا
لعمرُك ما نَفْسٌ بجِدٍّ رَشِيدةٍ ... تؤامِرنى سُوءاً[4] لأصرِمَ مَرْثَدا
وإن ظهرت منى قوارِصُ جَمَّةٌ ... وأفرعَ من لَوْمى مِراراً وأصعدا[5]
على غير جُرْمٍ أن أكون جَنَيْتُهُ ... سِوَى قَوْلِ باغٍ كادَنى فتَجهَّدا
لَعَمْرِى لنِعمَ المَرءُ تدعو بِخَيْلِه[6] ... إذا ما المُنادِى فى المَقامة ندَّدا
عَظيمُ رَمادِ القِدْرِ لا مُتَعبِّسٌ ... ولا مُؤيسٌ منها إذا هو أوقَدا
وإن صَرَّحت كَحلٌ[7] وهبَّت عَرِيَّةٌ ... من الرِّيح لم تَتْرُك من المال مِرْفَدا
صَبرَتُ على وَطْء المَوالى وخَطْبِهم[8] ... إذا ضَنَّ ذُو القُرْبى عليهم وأخْمَدا

يعنى أخمد نارَه بُخْلا ، وروى : أجْمَدا . المجمد : البخيل .

---

(١) فى ب : يعاتبه .

(٢) فى ف : « فما كنت يوماً ... ولا سرعتى يوما بسابقة » . وفى الديوان : « فما لَبث يوما بسابق مغنم ... بسابقة الردى »

(٣) فى ب : « وإن تنظرا فى اليوم »

(٤) فى ف ، والديوان — ١١ : سراً . (٥) فى ب : « وأفرغ من لؤمى » ، تحريف .

(٦) فى ب : بخلة . وفى الديوان — ١١ : تدعو بحبله .

(٧) كحل : السنة الشديدة المجدبة . وفى ف : عجل . والعرية : الباردة . والمرفد : ما يعطى الضيف .

(٨) فى هب : « وحطهم » . وفى ف ، بيروت ، والديوان — ١٢ : « وحطمهم » .

ولم يَحمِ فَرْجَ الحىّ إلا مُحافظٌ كريمُ المُحَيّا ماجدٌ غيرُ أجْرَدا[1]

الأجردُ : الجعْد اليَدِ البَخيل .

ساد الراوية فى أنه أشعر الناس

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ ، قال : حدّثنى عَمّى الفضْل بنُ إسحاق ، عن الهَيْثم بن عَدىّ ، قال :

سأل رجلٌ حمّادا الرّاوِية بالبصْرة وهو عند بلال بنِ أبى بُرْدة : مَنْ أشعَرُ النّاس ؟ قال الذى يقول :

رمَتْنى بَناتُ الدّهْر من حَيثُ لا أرَى فما بالُ مَن يُرمَى وليْس برامِ[2]

قال : والشعر لعَمْرو بنِ قَمِيئة .

قال علىّ بن الصباح فى خبره ، عن ابنِ الكَلْبىّ :

بلوغه التسعين وقوله فى ذلك

وعُمّر ابنُ قَمِيئة تِسعِين سنَة ، فقال لمّا بَلَغها :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجّةً خلَعتُ بها عَنّى عِنانَ لِجامِى[3]

على الرّاحتَيْن مَرّةً وعلى العَصا أنوءُ ثلاثا بعدَهُنّ قِيامِى

رمَتْنِي بناتُ الدّهر من حَيثُ لا أرَى فما بالُ من يُرْمى وليس بِرامِ!

فلو أنّ ما أُرمَى بنَبلٍ رَمَيْتُها ولكنّما أُرمَى بغَير سِهامِ

إذا ما رآنى النّاسُ قالوا : ألم يكُن حَدِيثاً جَديدَ البَرْى[4] غيرَ كَهامِ !

وأفنَى وما أُفنِى من الدهر ليلةً ولم يُفْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ

وأهلَكَنِى تأميلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

(١) فى الديوان — ١٢ : « غير أحردا » .

(٢) فى الديوان — ٢٣ والشعر والشعراء : « فكيف بمن يرمى وليس برام » .

(٣) فى الديوان — ٢٣ : « خلعت بها يوماً عذار لجامى » .

(٤) فى ف ، بيروت : « حديد البز . » وفى الديوان — ٢٣ : « جديد البز . » والبز : السلاح .

عبدالملك بن مروان يتمثل بزله

أخبرنى الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبى: حدثنا الهيثم بن عدى عن مجالد(١)، عن الشعبى قال:

دخلت على عبد الملك بن مروان فى علته التى مات فيها، فقلت: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت كما قال عمرو بن قميئة:

٥ كأنى وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عنى عنان لجام

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام!

فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها ... ولكنما أرمى بغير سهام

وأهلكنى تأميل يوم وليلة ... وتأميل عام بعد ذاك وعام

فقلت: لست كذلك يا أمير المؤمنين، ولكنك(٢) كما قال لبيد:

١٠ قامت تشكى إلى الموت مجهشة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فإن تزادى ثلاثاً تبلغى أملاً ... وفى الثلاث وفاء للثمانينا

(٣ فعاش حتى بلغ التسعين، فقال:

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عن منكبى ردائيا

فعاش حتى بلغ عشراً ومائة سنة، فقال:

١٥ أليس فى مائة قد عاشها رجل ... وفى تكامل عشر بعدها عبر ٣)

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة، فقال:

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس(٤) ... لو كان للنفس اللجوج خلود

(١) فى ب: مخلد.

(٢) فى ب: وهذا.

٢٠ (٣-٣) التكملة من ف، هب، وهى ساقطة من ب.

(٤) فى ف: «وصلت سنينا بعد مجرى داحس».

ويروى : «دَهْراً قبل مَجْرى داحس» ، فعاش حتى بلغ مائةً وأربعين سنة ، فقال :

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها وسُؤالِ هذا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ ؟

فتبسَّم عبدُ الملك وقال : لقد قوَّيتَ من نَفْسى بقَوْلِك يا عامر ، وإنِّى لَأجِدُ خِفًّا[1] وما بى من بَأس وأمر لى بصلة ، وقال لى : اجلِسْ يا شَعْبِىّ فحَدِّثْنى ما بينَك وبينَ الليل ، فجلست فحدثتُه حتى أمْسَيْت ، وخرجْتُ من عنده ، فما أصبحت حتى سَمِعْتُ الواعِيةَ[2] فى دارِه .

خروجه مع امرئ القيس إلى قيصر

أخبرنى عَمِّى قال : حدَّثنى عبدُ الله بن أبى سَعْد ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ عبد الله ابن طَهْمان السُّلمى ، عن إسحاق بن مِرار الشَّيْبانىّ ، قال :

نزل امرؤ القيس بن حُجْر بـبكر بن وائل ، وضرب قُبَّتَه ، وجلس إليه وُجوهُ بَكْر بن وائل ، فقال لهم : هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر ، قال : فأتونِى به ، فأتوْه بعمْرو بن قَمِيئة وهو شَيْخ ، فأنشَدَه فأعجب به ، فخرَج به معه إلى قيصر ، وإيَّاه عنى امرؤ القَيْس بقوْله :

١٦٦ / ١٦

بَكَى صاحِبِى لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه وأيْقَن أنَّا لاحِقانِ بقَيْصَرا

فقلتُ له : لا تَبْكِ عينُك إنَّما نُحاوِلُ مُلْكًا أو نموتَ فنُعْذَرَا

وقال مؤرِّج فى هذا الخبر : إنّ امرأ القَيْس قال لعمْرِو بنِ قَمِيئة فى سفره : ألاَ تركب إلى الصَّيْد ؟ فقال عَمْرو :

شَكوتُ إليه أنَّنى ذُو جلالةٍ وأنِّى كبيرٌ ذُو عِيالٍ مُجَنَّبُ[3]

فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً إذا سَرَّكم لحمٌ من الوَحْش فاركَبُوا

---

(١) فى ب : « لا أجد شفا » .

(٢) الواعية : الصراخ .

(٣) فى الديوان — ٦٥ : ذو خلالة . والجلالة : عظم القدر . والخلالة : الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل . وجنب القوم : انقطعت ألبانهم وقلت فهم مجنبون . وهو مجنب : فقير .

صوت

يا آحِ من حَرِّ الهوَى إنَّما ... يَعرِف حَرَّ الحبِّ مَنْ جرَّبا

أصبحتُ للحُبِّ أسِيراً فقد ... صعَّدَني الحبُّ وقد صوَّبا

لا شكَّ أنِّي ميِّتٌ حسْرةً ... إن لم أزُر قَبْلَ غدٍ زَيْنَبا

تِلْكَ الَّتي إن نِلْتُها لم أُبَلْ ... مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أو غَرَّبا[1]

الشعر للمُؤَمَّل بن جَميل[2] بن يَحْيَى بن أبي حَفْصة بن عَمْرو بن مَرْوان بن أبي حفْصة ، والغِناء لابن جامع رمل بالوسطى، عن إبراهيم والهِشاميّ .

(١) في ف : ومن غرّبا .

(٢) في ف : للمؤمل بن حميد بن يحيى . . .

أخبار المؤمل بن جميل

كان أبوه جميل يلقب قتيل الهوى

قد مَضَى نَسبُ أبى حَفصةَ فى أخبار مَرْوان ، وكان يَحْيَى بنُ أبى حَفصة يُكنى أبا جَميل . والمُؤمَّل بن جَميل يُكنى أباجميل . وأم جميل أميرة بنتُ زياد بنِ هَوْذة بنِ شماس بن لؤىّ من بنى أنف الناقة الذين يمدحهم الحُطيئة . وأم المُؤمَّل شَريفة بنت المُذَلق بن الوليد بن طُلبة بن قيس بن عاصم المِنقرىّ ، ٥ وكان جميل يُلقَّب قَتيلَ الهوى ، ولُقِّب بذلك لِقوله :

قُلن : من ذا ؟ فقُلتُ : هـذا اليمـانىّ قتيلُ الهوى أبو الخطابِ
قُلن : باللهِ أنت ذاك يَقيناً لا تَقُل قولَ مازحٍ لَعابِ
إن تكن أنتَ هُو فأنت مُنانا خالياً كنتَ أو مع الأصحابِ

أخبار له مع غلامه المطرز

أخبرنى بذلك يحيى بن علىّ ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان ، عن ١٠ أبيه ، وحكى أبو أحمد — رحمه الله — عن محمد بهذا الإسناد :

أن أبا جَميل اشترى غلاما مدنيًّا مُغنيًّا مجلوبا من مولَّدِى[1] السِّند على البراءة من كل عيب، يقال له المُطرِّز ، فدعا أصحابا له ذات يوم ، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنِّيين ، يُقال لأحدهما السائب وللآخر شُعبة ، فلما أخذ القومُ مجلسَهم ومعهم المُطرِّز اندفع الشيخان فغنَّيا ، فقال المطرّز لأبى جَمِيل مولاه : ويلك يا أبا جميل ١٥ يا بن الزّانية ، أتدرِى ما فعلت ومن عندك ؟ فقال له : ويلك ! أجُنِنت ! مالك ؟ قال : أما أنا فأشهد أنك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين .

قال : وبعثه يوما يدعو أصدقاء له ، فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة

(١) فى ب : موالى . ومجلوباً من جلبه جلباً : ساقه من موضع إلى آخر ، فهو مجلوب .

يقال له بُهلول ، وهو فى بُستان له ، فقال لهم : مولاى أبو جميل قد أرسلنى أدعوكم ، وقد بلّغتُكم رسالته ، وإن شاوَرتُمونى أشرتُ عليكم ، فقالوا : أشِرْ علينا ، قال : أرى ألا تذهبوا إليه ، فجلسُكم والله أنزهُ من مجلسه وأحسن ، فقالوا له : قد أطَعْناك ، قال : وأخرى ، قالوا : وماهى ؟ قال : تحلِفون علىّ ألاّ أبرحَ ، ففعلوا ، فأقام عندهم .

٥

وغضب عليه أبو جميل يوما فبَطَحه يَضربه وهو يقول : ويلك أبا جميل ! اتقِ الله فىّ ، الله الله فى أمرى ، أماعلمت ويلك خبرى قبل أن تشترِيَنى ! قال : وكان يبعثه إلى بئر لهم عَذبَة فى بستان له يَستقى منها لهم ماء ، فكان يستقيه ثم يَصبُّه لجيران لهم فى حيِّهم ، ثم يَستَقِى مكانه من بئر لهم غليظة ، فإذا أنكر مولاه قال له : سلِ الغلمان إذا أتيت البستان : هل استقيت منه ؟ فيسألهم فيجده صادقاً .

١٠

انقطاعه إلى جعفر ابن سليمان ثم عبد الله بن مالك

حدّثنا يحيى بنُ محمد بن إدريس ، عن أبيه :

أنّ يحيى بن أبى حفصة زَوّج ابنَه جَميلا شريفةَ بنت المُذلّق بن الوليد بن طلبة ابن قيس بن عاصم ، فولدت له المُؤمّل بن جميل ، وكان شاعراً ظريفاً غَزِلا ، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، ثم قدِم العراق فكان مع عبد الله بن مالك ، وذكره للمهدىّ فحظِىَ عنده ، وهو الذى يقول فى شَكاةٍ اشتكاها عبد الله بن مالك :

١٥

ظلّتْ علىّ الأرضُ مُظلمةً ... إذْ قِيلَ عبدُالله قد وُعِكَا
ياليتَ ما بكَ بى وإن تَلِفت ... نفسِى لذاك وقلّ ذاكَ لكَا

وهو الذى يقول :

يا آحِ من حرِّ الهوى إنما ... يعرف حرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

٢٠

وذكرَ الأبيات التى تقدم ذِكرها والغناء فيها .

صــوت

إنى وَهبتُ لظالِمى ظُلمِى وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ
ما زال يَظلمِنى وأَرْحَمُهُ حتّى رَثيتُ له من الظُّلْمِ

الشعر لمساور الورّاق ، والغناء لإبراهيمَ بن أبى العُبَيس ، ثانى ثقيل بالوسطى ، أخبرنى بذلك ذُكاء وغيره .

أخبار مساور ونسبه

نسبه

هو مساور بنُ سَوّار بن عبد الحميد ، من آل قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر ويقال : إنه مولى خُوَيْلد من عَدْوان[1] كوفيّ قليل الشِّعر من أصحاب الحديثِ ورُواته ، وقد رَوَى عن صَدْر من التابعين ، وروَى عنه وُجُوه أصحابِ الحَدِيث .

٥ أخبرنى علىُّ بن طَيْفور بن غالب النَّسائىّ قال : حدّثنا يَعقوبُ بن حميد بن كاسب ، قال : حدّثنا حمّاد بن أُسامة ، عن مُساوِر الورّاق ، قال : حدّثنى جعفر بن عمرو ، بن حُرَيث ، عن أبيه ، قال :

كأنّى أنظر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو على ناقَتِه يَخطُب ، وعليه عِمامة سَوْداء ، قد أرخاها بين كَتِفيه .

خبره مع ابن أبى ليلى

١٠ أخبرنى مُحمّدُ بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الأُشْنانْدانىُّ ، عن الأصمعيّ ، قال :

كان قوم يَجلسون إلى ابن أبى لَيْلى ، فكتب قوماً منهم لعيسَى بن مُوسَى ، وأشار[2] عليه أن يَشغلهم و يَصلهم ، فأتى مُساورُ الورّاق ، فكلّمه أن يجعلَه فيهم فلم يَفعَل ، فأنشأ يقول :

١٦٨/١٦

أراكَ تُشير بأهل الصلاح ... فهل لك فى الشاعرِ المُسلِمِ

١٥ كثيرِ العيالِ قليلِ السؤا ... لِ عَفٍّ مطاعِمُه مُعْدِمِ[3]

يُقيم الصَّلاةَ ويؤتى الزَّكاةَ ... وقد حَلَق العـامَ بالمَوْسِمِ

وأصبح واللهِ فى قومِه ... وأمسَى وليس بذى دِرْهَمِ

قال : فقال ابن أبى ليلى : لاحاجة لنا فيه ، فقال فيه مُساورٌ أبياتاً ، قال أبو بكر ابن دُرَيْد : كرِهنا ذِكرَها صيانة لابْن أبى لَيْلى .

٢٠ (١) فى ب ، بيروت : عدنان .

(٢) فى ب : وأشاروا .

(٣) سقط هذا البيت من ف .

هجا حفص بن أبى بردة لأنه عاب شعر المرقش الأكبر

أخبرنى محمد قال : حدثنى التَّوَّزىّ[1] قال :

كان مُساوِرٌ الورّاق ، وحمّاد عَجْرد ، وحَفْص بن أبى بُردة مجتمعين ، فجعل حَفْص يَعيب شِعْرَ المُرقِّش الأكبر ، فأقبل عليه مُساوِرٌ فقال :

لقد كان فى عينَيْك ياحَفْصُ شاغِلٌ وأنفٌ كَثِيلِ[2] العَوْدِ عما تَتَبَّعُ
تَتَبَّعتَ لحناً فى كلام مُرَقِّشٍ ووجهُك مبنىٌّ على اللحنِ أجمعُ

فقام حَفْص من المجلس خَجِلاً ، وهاجره مدة .

وصيته لابنه

نَسختُ من كتاب عُبيد الله اليزيدىّ بخطّه : حدّثنا سليمانُ بن أبى شَيْخ ، قال : كان مُساوِر الورّاق من جَدِيلة قَيْس ، ثم من عَدْوان ، مولًى لهم ، فقال لابنه يوصيه :

شَمِّرْ ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ واحكُكْ جبينَك للعُهود بثُومِ
إنَّ العُهودَ صَفَتْ لكل مُشمِّرٍ دَبِرِ الجبين مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحِبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ حسنِ التَّعهُّد للصلاةِ صَوُومِ
من ضَرْبِ حَمّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ وسِماكٍ العَتَكِىِّ وابنِ حَكِيمِ
وعليك بالغَنَوىِّ فاجلِسْ عنده حتى تُصيبَ وَدِيعةً لِيَتِيمِ[3]
تُغنِيك عن طلب البُيوع نَسِيئةً وتَكُفّ عنك لسانَ كُلِّ غَرِيمِ
وإذا دخلتَ على الرَّبيعِ مُسلِّماً فاخصُصْ شَبابَةَ منك بالتَّسليمِ

ولاه عيسى بن موسى عملا فانكسر عليه الخراج

قال : ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مُساوِرٌ أن وَلّاه عيسَى بن موسى عَملا ، ودفع إليه عهده ، فانكسر عليه الخراج ، فدُفع إلى بَطِينٍ صاحبِ عذابِ عِيسَى يستأديه ، فقال مُساوِر :

---

(١) ف : « حدثنا الأشناندانى قال حدثنا ابن أبى ليلى » .

(٢) الثيل : وعاء قضيب البعير ، والعود : المسن من الإبل . وفى ف : « كثل العود » .

(٣) فى ب : لتميم .

وجدت دواهرَ(١) البَقّال أهنَى من الفُرْنِىِّ(٢) والجَدْيِ السَّمينِ
وخيراً فى العَواقِب حين تُبلِى إذا كان المَرَدُّ إلى بَطِينِ
فكُنْ ياذا المُطيف بقاضِيَيْنا غداً من عِلْمِ ذاك على يَقينِ
وقُلْ لهما إذا عَرَضا(٣) بعَهْدٍ: بَرِئتُ إلى عُرَيْنَةَ من عرينِ
٥ فإنك طالما بَهْرَجْتَ فيها بمثل الخُنْفُساء على الجَبينِ

أخبرنى الحسن بن علىّ، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد، قال:

مرّ بمقبرة صديقه حميد الطوسىّ وقال فى ذلك شعرا

مَرّ مُساوِر الورّاق بمقبرة حُمَيْد الطوسىّ وكان له صديقاً، فوقف عليها مُستعبِرا، وأنشأ يقول:

١٦٩ / ١٦

أبا غانمٍ أمّا ذَرَاك فواسِعٌ وقَبرُك معمورُ الجوانبِ مُحْكَمُ
١٠ وما يَنفَعُ المقبورَ عُمْرانُ قبْرِه إذا كان فيه جِسْمُه يَتَهَدّمُ

أخبرنى إسماعيلُ بن يونُس الشِّيعىُّ قال: حدّثنا الرِّياشىُّ قال: حدّثنا محمد بن الصبّاح، عن سفيان بن عُيَيْنة، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أنّ حامد بن يحيى البَلْخىّ(٤)، حدّث عن سفيان بن عُيَيْنة، وهذه الرواية أتمّ، قال:

شعر له فى أصحاب أبى حنيفة

لمّا سَمِع مُساوِر الوَرّاق لغَطَ أصحاب أبى حَنيفة وصِياحهم أنشأ يقول:

١٥ كنّا من الدِّينِ قبل اليوم فى سَعَةٍ حتى بُلِينا بأصحاب المَقاييسِ
قَومٌ إذا اجتمعوا صَحُّوا كأنّهمُ ثعالبٌ ضَبَحَتْ بين النَّواويسِ(٥)

(١) فى هب: نواهض. وفى ف: نواقص، والدواهر: الشدائد. والفرنى: نوع من الخبز يعجن بالسمن والسكر.
(٢) الفرنى جمع فرنية، وهى خبزة تروى لبناً وسمناً وسكراً. (٣) فى ف: اعترضا.
٢٠ (٤) ا، ب، س: «بن أبى يحيى»، والمثبت من ف.
(٥) ضبحت الثعالب: صوتت. والنواويس: القبور. وفى المختار: «ثعالب ضجت».

فبلغ ذلك أباحَنيفةَ وأصحابَه ، فشَقَّ عليهم وتوعّدُوه ، فقال أبياتاً تُرضيهم وهى :

إذا ما النَّاس يوماً قايَسُونا بآبِدَةٍ من الفُتْيَا طَرِيفَهْ
أتيْناهُم بمِقْياسٍ ظَرِيفٍ[1] مُصيبٍ من قِياسِ أبِي حَنِيفَهْ
إذا سَمِع الفَقِيهُ بها وَعاها وأثبتها بحِبْرٍ فى صَحِيفَهْ

فبلغ أبا حَنيفة فرضِى . قال مُساورٌ : ثم دُعِينا إلى وَليمة بالكوفة فى يوم شديد الحرّ ، فدَخلت فلم أجد لرِجْلِي مَوْضعاً من الزّحام ، وإذا أبو حَنيفة فى صدر البيت ، فلما رآنى قال : إلَيَّ يا مُساوِر ، فجئتُ فإذا مكان واسع ، وقال لى : اجلس ، فجلستُ ، فقلت فى نفسى : نفعَتْنِي أبياتى اليوم . قال : وكان إذا رآنى بعد ذلك يقول لى : هاهنا، هاهنا ، ويوسِّع لى إلى جنبه ، ويقول : إنَّ هذا من أهْل الأدَب والفَهْم ، انتهى .

حقوق ولكنهم حقه نهجاهم

أخبرنى مُحمَّدُ بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدّثنا أبو المعمّر عبد الأول بن مزيد ، أحد بنى أنف الناقة ، قال :

كان مُساوِر الوَرَّاق لا يُضيعُ حَقًّا لجارٍ له ، فماتت بِنتُه ، فلم يشهدها من جيرانِه إلاّ نفرٌ يسيرٌ ، فقال مُساوِرٌ فى ذلك :

تَغَيَّب عنِّى كُلُّ جافٍ ضرورةً[2] وكلّ طُفيْلِيّ من القوْم عاجزِ
سَريعٍ إذا يُدعَى ليوم وَليمَةٍ بَطِىءٍ إذا ما كان حَمْلُ الجنائزِ

أخبرنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنا عبد الأول ، قال :

قدم جارٌ لِمُساوِر الوَرَّاق من سفر ، فجاءه يُسلِّمُ عليه ، فقال : يا جارية ، هاتى لأبى القاسم غداء ، فجاءت برغيف فوَضعَتْه على الخُوان ، فمدَّ يده يأكل مع مُساوِر ،

(١) فى ف : صليب .

وقال له : يا أبا القاسم ، كُلْ من هذا الخبز ، فما أكلتُ خبزاً أطيبَ منه ، فقال مُساورٌ في ذلك :

ماكنتُ أحسَبُ أنَّ الخبزَ فاكِهةٌ   حتّى رأيتُكَ يا وَجْهَ الطَّبَرْزِينِ[١]

كأنَّ لِحيَتَه في وجهه ذَنَبٌ   أو شِعرَةٌ فوق بَظْرٍ غيرِ مختونِ

يعود أبا العيص الجرمى ويسمع منه شعراً فى مرض موته

٥ أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث ، عن المَدائِنيّ قال : دخل مُساورٌ الورَّاق على أبي العيص الجرْميّ يعوده وكان صديقَه ، فكلَّمه فلم يُجِبْه ، فبكَى مُساورٌ جَزَعاً عليه ، وأدْنَى رأسَه منه يكلِّمه ، فقال أبو العيص :

أفي كلّ عامٍ مَرْضةٌ بعد نَقْهةٍ[٢]   وتَنْعَى ولا تُنْعَى متَى ذا إلى متَى

سيوشك يومٌ أن يجيء[٣] وليْلةٌ   يَسوقان حَتْفاً راح نحوك أو غَدَا

١٧٠ / ١٦

١٠ فتُمسِي صَريعاً لا تُجِيب لدَعوةٍ   ولا تَسْمع الدّاعي وإن جدَّ في الدُّعا[٤]

ثم لم يَلْبث أن مات، رحمه الله .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
(٢) ف : ثم نقهة .
(٣) ف : يجين .
(٤) لم يرد هذا البيت في ف .

صــوت

تَنامِينَ عن لَيْلِى وأُسْهِرُه وَحْدِى   وأَنْهَى جُفونى أن تَبُثَّكِ ما عِنْدِى

فإن كُنتِ ما تَدْرِينَ ما قد فعلتِهِ   بنا فانظُرِى ماذا على قاتل العَمْدِ

الشعر لسعيد بن حُمَيْد الكاتب ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل مُطْلَق بالسَّبابة فى مَجْرَى الوُسْطَى .

٢/١٧

أخبار سعيد بن حميد ونسبه

نسبه

(١سَعيد بن حُمَيْد بن سَعيد بن حُمَيد بن بحر ، يُكْنَى أبا عُثمان١) من أولاد الدَّهاقين ، وأصله من النَّهْروان الأوْسط ، وكان هو يقول : إنَّه مَوْلَى بنى سامَة بن لُؤَىّ ، من أهل بَغْداد ، بها وُلِد ونَشأ ، ثم كان يَتنَقَّل فى السُّكْنى بينها وبين سُرَّ منْ رأى :

كان كاتبا شاعراً

٥ كاتبٌ شاعِر مُتَرسِّل ، حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه وَجْهاً من وجوه المعتزلة ، فخالف أحمدَ بنَ أبى دُواد فى بعض مَذْهَبه ، فأغرى به المُعْتَصم ، وقال : إنه شعُوبِىّ زِنْدِيق ، فحبسه مدة طويلة ، ثم بانت بَراءته له أو للواثِق بعده ، فخلَّى سبيلَه ، وكان شاعراً أيضا ، فكان يَهْجو أحمدَ بن أبى دُواد ، وأنْشَدنيها جَماعةٌ من أصْحابنا ، قال :

أبوه يهجو أحمد ابن أبى دواد

١٠ لقد أصبحتَ تُنْسَب فى إيادٍ ... بأن يُكْنَى أبوكَ أبا دُوادِ

فلو كان اسمُه عمرَو بنَ مَعْدِى ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ

لئن أفسدْتَ بالتَّخويف عَيْشى ... لما أصلحتَ أصلَك فى إيادِ

وإن تكُ قد أصبتَ طريفَ مالٍ ... فبُخْلُكَ باليَسيرِ من التِّلادِ

قوة حافظته

فذكر مُحَمَّد بنُ موسى أن أبا يوسُفَ بن الدَّقَّاق(٢) اللغوىّ أخبره أنّ حُمَيْد بن ١٥ سَعيد بن حُمَيْد دفع إليه ابنَه سعيداً وهو صَبىٌّ فقال له : امضِ به مَعَك إلى مجلس ابن الأعرابىّ ، قال : فحضرناه ذات يوم ، فأنْشدنا أُرجوزَةً لبعض العرب فاستحْسنَّاها ، ولم تكن معنا مِحْبَرة نكتُبها منها ، فلما انصرَفْنا قلت له : فاتَتْنا هذه الأُرجوزة ، فقال : لم تفُتْك ، أتُحِبّ أن أُنشدَكها ؟ قلت : نعم ، فأنْشدنيها وهى نيِّف وعشرون بيتا قد حفظها عنه ، وإنما سَمِعها مرَّة واحدة ، فلقيتُ أباه من غد ، فقال لى : كيف

٣/١٧

٢٠ (١-١) ف : « سعيد بن حميد بن يحيى » ، يكنى أبا عثمان .

(٢) ف : « أن أبا يوسف الدقاق » .

رأيتَ سَعيداً؟ قلت له : إنك أوْصَيْتَنِي به ، وأنا أسألك الآنأن تُوصِيَه بى ، فضحك وسألنى عن الخبر ، فأعلَمْته فسُرّ به .

خبره مع أبى العباس بن ثوابة

أخبرنى عَلِيّ بنُ العبّاس بن أبى طَلْحة ، قال : حدّثنى ابن أبى المُدَوِّر ، قال : دخل سعيدُ بنُ حُميد يوماً على أبى العَبّاس بن ثَوابة ، وكان أبو العَبّاس يُعاتِبهُ على الشَّغف بالغِلْمان المُرْد ، فرأى على رأسِه غلاماً أمردَ حَسن الوَجه ، عليه مِنْطَقةٌ وثياب حِسان ، فقال له : يا أبا العَبّاسِ :

أزعمْتَ أنَّك لا تَلوطُ فقُل لنا هذا المُقَرْطَقُ(١) قائماً ما يَصنَعُ!

شَهِدَت مَلاحَتُه عليكَ برِيبَةٍ وعلى المُريبِ شَواهدٌ لا تُدفَعُ

فضحك أبو العَبّاس وقال : خُذْه ، لا بُورِك لك فيه حتى نَستريح من عَتْبك .

حيلة له مع غلام من أولاد الموالى وشعره فى ذلك

أخبرنى عَمّى ، رحمه الله ، قال: قال لى محمد بن موسى بنِ الحسن بنِ الفُراتِ الكاتب: كان سَعيدُ بنُ حُمَيد يهوَى غُلاماً له من أولاد المَوالى ، فغاب عنه مُدّة ، ثم جاءه مُسلِّماً ، فقال له : غِبتَ عنّى هذه المدة ثم تجيئنى فلا تُقيم عندى! فقال له : قد أمسينا، فقال : تَبِيتُ ، قال : لا والله لا أقدِر ، ولم يَزلْ به حتى اتّفقا على أنه إذا سَمِع أذان العَتَمة(٢) انصرف ، فقال له : قد رضِيت . ووضع النَّبِيذَ ، فجعل سعيد يَحُثّ السَّقْى(٣) بالأرطال ، فلما قرُب وقتُ العَتَمة ، أخذ رُقعةً فكتب فيها إلى إمام المَسْجِد وهو مؤذِّنه قولَه :

قل لِداعي الفِراق(٤) أخِّرْ قليلاً قد قَضَيْنا حَقّ الصَّلاةِ طويلا

أخِّرِ الوقْتَ فى الأذانِ(٥) وقدِّمْ بعدها الوقت بُكرةً وأصيلا

(١) قرطقه : ألبسه القرطق ؛ وهو قباء ذو طاق واحد فهو مقرطق .
(٢) العتمة : وقت صلاة العشاء الآخرة .
(٣) فى المختار : السعى بالأرطال .
(٤) فى هب ، المختار : الصلاة .
(٥) فى التجريد : فى الصلاة .

ليس فى ساعة تُؤخّرها وزْ رٌ فنحيا بها وتأتى جميلا[١]
فتُراعى حقّ الفُتُوّةِ فينا وتُعافَى من أن تكون ثقيلا[٢]

فلما قرأ المؤذّن الرُّقعة ضَحِك وكتب إليه يحلف أنه لا يُؤذّن ليلتَه تلك العَتَمة ، وجعل الفتى يَنتظِر الأذانَ حتى أمْسى وسَمِع صوت الحارس ، فعَلم أنها حِيلَة وقعَت عليه وبات فى موضعه ، وقال سَعيد فى ذلك :

عَرّضتُ بالحُبّ له وعرّضا حتى طَوَى قلبى على جَمْرِ الغَضَى
وأظهَرتْ نفسِى عن الدّهرِ الرِّضا ثم جَفانى وتولّى مُعرِضا
لم ينقضِ الحبُّ بلَى[٣] صبرِى انقضى فِداكَ مَنْ ذاق[٤] الكَرَى أو غمّضا
حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى سألتُه حُوَيْجَةً[٥] فأعرضا
وقال : لا ، قولَ مُجيبٍ برِضا فكان ما كان وكابَرْنا القَضا

فى هذه الأبيات هزج لأحمد بن صَدَقة ، أخبرنى بذلك ذُكاء وجه الرُّزّة .

وجدت فى بعض الكتب :

حدثنى أحمد بن سليمان بن وَهْب أنه كان فى مجلس فيه سعيد بن حُمَيد ، فلما سكروا قام سعيد قومة بعد العصر[٦] ، فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابَه فلبسها ، وأخذ بعضُدى الباب ، وأنشأ يقول :

سلامٌ عليكم حالت الرّاحُ بيننا وأَلوتْ بنا عن كل مرأًى ومَسْمَعِ
ولم يَبْقَ إلا أن يَميلَ بنا الكَرَى ويجمع نومٌ[٧] بين جَنْبٍ ومضجعِ

(١) البيت من المختار والتجريد ، ولم يرد فى ف ، ب ، هب .
(٢) فى التجريد ، ف : « حق المودة » بدل « حق الفتوة » .
(٣) فى ب : على .
(٤) فى هب : « فداك من ذاق ... » وفى المختار : « فذاق من ذاق » .
(٥) فى المختار : حوائجا .
(٦) ف : « فلما سكرنا نام سعيد نومة » . (٧) ف : « سكر » .

فقام له أهل المجلس ، وقالوا : ياسيدنا ، اذهب فى حفظ الله وفى ستره ، فانصرف وودّعهم .

كتب لفضل الشاعرة يعتذر إليها

حدثنى محمد بن الطَّلَّاس أبو الطّيّب ، قال : حدثنى عبدُ الله بن طالب الكاتب قال: قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حُمَيْد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغيُّر ظَنَّتْه به ، وفى آخرها : ٥

تَظنُّون أنى قد تبدّلتُ بعدكم بديلاً وبعضُ الظّنّ إثمٌ ومُنكَرُ
إذا كان قلبي فى يديكِ رَهينةً فكيف بلا قلب أُصافِى وأهجُرُ !

فى هذين البيتين لابن القَصَّار الطّنبورىّ رمل ، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل .

خبره مع كعب جارية أبى عكل المقين

أخبرنى علىّ بن العباس بن أبى طلحة الكاتب قال : حدثنى أبو علىّ المادَرانىّ[1] أنه كان فى مجلس فيه كعب جارية أبى عُكْل المُقَيِّن، وكان بعضُ أهل المجلس يهواها ١٠ قال : فدخل إلينا سعيد بن حميد ، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها فى حِجرها ، فإذا فيها قوله :

ما على أحسن خَلْقِ الله أن يَحسُنَ فِعلُهْ
بأبِى أنتَ وأمِّى من مَليكٍ قَلَّ عَدْلُه
وبَخيلٍ بالهَوَى لو كان يُسلَى عنه بُخلُه ١٥
أكثَرَ العاذِلُ فى حُبِّك لو ينفع عَذْلُه
فهو مَشغولٌ بعَذْلِى وفؤادى بك شُغْلُه
أكثِرُ الشَّكْوَى وأستَعْدِى على مَنْ قَلَّ بَذْلُه

(١) فى هب : الداراقى . وفى ف : «أبو على المدارى أنه كان فى مجلس فيه لعب جارية بن علل المقين».

فوثبت الجارية فقبّلت رأسَه وجلسَتْ إلى جَنْبه ، فقال الرّجل الذى كان يَهْواها : هذا واللهِ كلامُ الشّياطين ورُقْيَةُ الزّنا ، وبهذا يَتِمّ الأمر ، أما أنا فإنى أُشهدكم ، لا قرأتُ اليوم فى صَلاتى غيرَ هذه الأبيات لعلّها تنفعُنى ، فضحك سَعيد وقال : بحياتى قُومِى فارْجِعى إليه حتى تكون الأبياتُ قد نَفَعَتْه قبل أن يَقرأها فى صلاته، وسُرّيني بذلك ، فقامت فرجَعت إلى موضعها .

خبرة مع جارية كان يهواها زارته على غير وعد

قال علىّ بن العبّاس : وحدثنى أبو علىّ المادَرانىّ : أنّه كان عنده يوما ، فدخلت إليه جاريةٌ — كان يهواها — غفلةً على غير وَعْد ، فسُرّ بذلك وقال لها : قد كُنتُ على عِتابِك ، فأمّا الآن فلا ، فقالت : أمّا العِتابُ فلا طاقةَ لى به ، وواللهِ ما جِئْتُك إلا عند غفلة البوّاب ، فقال سعيد[1] فى ذلك :

زارك زَوْرٌ على ارتقابِ ... مُغتَنِماً غَفْلَةَ الحجّابِ
مُستَتِراً بالنّقاب يَبدُو ... ضِياءُ خَدّيه فى النّقابِ
كالشّمسِ تبدو وقد طَواها ... دُونَك سِتْرٌ من السّحابِ
قد كان فى النفس منك عَتْبٌ ... يدعو إلى شدّة اجْتِنابِ
فِلتُ بالعَتْب عن حَبِيبٍ ... يَضعُف عن موقف العِتابِ
والذّنبُ منه وأنتَ تَخْشَى ... فى هَجْره صَولةَ العِقابِ

عبد الله بن داود يستحسن شعراً له

أخبرنى عَمّى قال : حدّثنى ابنُ أبى سعد ، قال : حَدّثنى مُحَمّدُ بنُ عبد الله ابن دَاود ، قال : كان أبى يَسْتَحْسِن قولَ سَعيدِ بن حُمَيد :

تَظُنُّون أنّى قد تَبَدَّلْتُ بعدكم ... بَدِيلاً ، وبَعضُ الظّنّ إثمٌ ومُنكَرُ
إذا كان قَلْبى فى يَدَيْكِ رهينةً ... فكيف بلا قَلْبٍ أُصافِى وأَهْجُرُ !

٥ / ١٧

(١) ف : سعيد بن حميد .

ويقول : لئن عاش هذا الغُلامُ لَيَكُونَنَّ له فى الشعر شأن .

فى هذين البيتين غناء من خفيف الرمل ، وذكر قريض أنه له .

زارته فضل الشاعرة فجأة أثناء ذهابها إلى القصر فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى ابنُ أبى طَلْحة قال : حدّثنى إسحاقُ بنُ مُسافِرٍ أنه كان عند سَعيد بن حُمَيد يوماً إذ دَخلَت عليه فَضْل الشاعرة على غَفْلة ، فوثَب إليها وسلَّم عليها ، وسألها أن تقيم عنده ، فقالت : قد جاءنى وحياتِك رسولٌ من القَصْر ، فليس يُمكِنُنى الجلوسُ ، وكرِهتُ أن أمُرَّ ببابِك ولا أراك ، فقال سعيد من وَقْتِه على البَديهة :

قَرُبتِ ولا نَرْجُو اللّقاء ولا نَرَى[1] ‏ لنــا حِيلَةً يُدْنيكِ منّا احْتيالُها

فأصبحتِ كالشمس المُنِيرة ضوؤُها ‏ قريبٌ ولكن أيْنَ منّا مَنالُها !

كَظاعنةٍ ضَنَّتْ بها غُرْبةُ النَّوَى ‏ علينا ولكن قد يُلِمُّ خيالُها

تُقرِّبها الآمالُ ثم تَعُوقُها ‏ مُماطَلَةُ الدّنيا بها واعتلالُها

ولكنها أُمنِيَّةٌ فلعلّها ‏ يجودُ بها صَرْفُ النّوَى وانْتِقالُها

تغاضب وفضل فكتب إليها فصارت إليه وصالحته

أخبرنى عَمّى قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد ، قال : حدّثَنِى محمدُ بن عبد الله ابن يعقوب بن داود ، قال :

تغاضب سَعيدُ بن حميد وفَضْل الشّاعرة أياما ، ثم كَتَب إليها :

تعالَىْ نُجدِّدُ عَهْـدَ الرِّضا ‏ ونَصفَح فى الُحبِّ عمَّا مَضَى

ونَجرِى على سُنَّةِ العاشقين ‏ ونضمن عنّى وعنكِ الرِّضا

ويَبذُل هـذا لِهذا هَواهُ ‏ ويَصْبِر فى حُبِّه للقَضا

ونَخضع[2] ذُلاًّ خُضوعَ العَبيدِ ‏ لمولًى عزيزٍ إذا أعرضا

فإنّىَ مُذْ لَجَّ هذا العِتابُ ‏ كأنّى أبطنْتُ جَمْرَ الغَضَى[3]

(١) فى ف : « قربت ولم نرج اللقاء ولم تجد » . (٢) ف : « ونجمع » .
(٣) فى ف جاء البيت : فإن فرق الدهر ما بيننا فمَن ذا يقوم لصرف القضا .

فصارت إليه وصالحته .

فى هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى ، وفيها لابن القصار خفيف رمل .

رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول فى ذلك شعرا

أخبرنى ابن أبى طلحة قال : حدثنا أبو العباس بن أبى المدور قال :

٥ بات سعيد بن حميد عند أبى الفضل بن أحمد بن إسرائيل ، (١ واصطبحا على غناء حسن كان عندهما ١) ، فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمر مهم ، فقام فلبس ثيابه ، وأنشأ يقول :

يا ليلة بات النحوس بعيدة ... عنها على رغم الرقيب الراصد

تدع العواذل لا يقمن لحاجة ... وتقوم بهجتها بعذر الحاسد

١٠ ضن الزمان بها فلما نلتها ... ورد الفراق فكان أقبح وارد

والدمع ينطق للضمير مصدقا ... قول المقر مكذبا للجاحد

٦/١٧

أبو العباس بن ثوابة يعاتبه على تأخره عنه فيجيبه

أخبرنى ابن أبى طلحة قال : حدثنى أبو العباس بن أبى المدور ، قال :

كان سعيد بن حميد صديقا لأبى العباس بن ثوابة ، فدعاه يوما ، وجاءه رسول فضل الشاعرة يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر عن أبى العباس ، فكتب إليه

١٥ رقعة يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة ، فكتب إليه سعيد :

أقلل عتابك فالبقاء قليل ... والدهر يعدل تارة[٢] ويميل

لم أبك من زمن ذممت صروفه ... إلا بكيت عليه حين يزول

= بدلا من البيت الأخير — واختلاف فى ترتيب الأبيات ، فالبيت الثالث مكان الثانى ، والثانى مكان الثالث .

٢٠ (١-١) فى ف : واصطحبا على غناء حسين كان عنده .

(٢) ف : « يعدل مرة » .

ولِـكُلِّ نائبةٍ ألمّت مُـدّةٌ ولـكلِّ حالٍ أقبلت تحويلُ
والمُنتمُون إلى الإخاء جماعةٌ إن حصّلوا أفنام التّحصيلُ
ولعلّ أحداثَ الليالى والرّدى[1] يَوْماً سـتَصْدَعُ بيننا وتحولُ
فلئن سبقتُ لتبكينّ بحسرة وليكثُرنّ علىّ منكَ عويلُ
ولتُفجعَنّ بمخلصٍ لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحبله موصولُ
[2] وليذهبنّ جمالُ كلّ مروءة وليعفُونّ فِناؤها المأهولُ
ولئن سَبقْتَ،ولا سَبقْتَ،ليمْضِيَنْ مَنْ لا يشاكله لدىّ عديلُ
وأراك تَـكْلَف بالعتاب وودُّنا باقٍ عليه من الوفاء دليلُ
وُدٌّ بدا لذَوى الإخاء جميلُه وبدت عليه بهجةٌ وقبولُ
ولعلّ أيام الحيـاة قصيرةٌ فَعلامَ يكثُر عتبُنا ويطولُ

مظلومة جارية الدقيقى تعاتبه على هجرانه فيرد عليها

أخبرنى الطّلْحىّ قال : حدثنى أبو عَلىّ بن أبى الرعد : أن سعيدَ بنَ حميد كان يهوَى مظلومة جارية الدقيقىّ ، فبلغه أنها تُواصلُ بعض أعدائه ، فهجرها مدة ، فكتبت إليه تعاتبه وتتشوقه ، فكتب إليها :

أمرِى وأمرُكِ شىءٌ غير مُتّفقِ والهجرُ أفضل من وصلٍ على مَلَقِ
لا أُكْذِبُ اللهَ ، ما نفسِى بساليةٍ ولا خليقةُ أهل الغدْرِ مِنْ خُلُقِى
فإن وثقتِ بودٍّ كنتُ أبذُله فعاودِى سوءَ ظن بى ولا تثقى[2]

اعتذر إلى هبة المغنية فوثبت إليه وقبلت رأسه

وذكر اليوسفىّ الكاتب أنه حضر سعيداً فى منزل بعض إخوانه وعندهم هِبَةُ[3] المغنّية ، وكان سعيد يتعشّقها ويَهيمُ بها ، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ،

(١) فى المختار : والنوى .
(٢ ــ ٢) الأبيات والخبر من نسخة ف ، وهما ساقطان من نسخة ب ، ش والأبيات فى المختار .
(٣) فى ب ، س : « هذه المغنية » .

ودَخلت بعد ذلك وهو فى القوم ، فسلّمت عليهم سواه ، فقالوا لها : أتَهجُرين أبا عُثمان ؟ فقالت : أُحِبُّ أن تسألوه ألاّ يكلّمنى ، فقال سعيد :

اليوم أيقنتُ أنّ الهجرَ مَتلفَةٌ وأنّ صاحبَه منه على خَطَرِ

كيف[1] الحياة لِمَن أمسى على شَرَفٍ من المنِيّة بين الخَوْف والحَذَرِ

٥ يلومُ عَينَيه أحياناً بذَنْبهما[2] ويحمِل الذنبَ أحياناً على القَدَرِ

تنأوْنَ عنه وَينأى قلبُه معكم فقلبُه أبداً منه على سَفَرِ

فوَثبت إليه وقَبّلت رأسَه ، وقالت : لا أهجُرك والله أبداً ما حَيِيتُ .

أخبرنى جَحظَةُ قال : حدثنى مَيمونُ بنُ هارون ، قال :

غضبت عليه فضل الشاعرة فكتب إليها فراجعت وصله

غضِبت فَضْل الشاعرة على سَعيد بن حُمَيْد فكتب إليها :

١٠ يأيّها الظالم مالِى ولَكْ أهكذا تَهجر مَنْ واصلَكْ !

لا تصرفِ الرّحمةَ عن أهلها قد يَعطِف المولَى على من مَلَكْ

ظلمتَ نفساً فيكَ عَلّقْتَها فدَارَ بالظُّلم علىّ الفَلَكْ[3]

تباركَ اللهُ فما أعلم اللهَ بما ألقَى وما أغفلَكْ !

فراجَعت وصله ، وصارت إليه جواباً للرقعة .

١٥ فى هذه الأبيات لعَريب ثانى ثقيل وهزج ، عن ابن المعتز ، وأخبرنى ذُكاء وَجهُ الرّزة أنّ الثقيل الثانى لأحمد بن أبى العلاء .

فضل الشاعرة تشكو شدة شوقها إليه فيكتب إليها

أخبرنى الطوسى الطَّلحِىُّ[4] قال : حدّثنا محمد بن السَّرىّ : أنّ سعيدَ بنَ حُمَيْد كان فى مجلس الحَسن بن مُخَلَّد ، إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدّة

(١) فى ب ، س : كرب الحياة . (٢) ف ، بيروت : لذنبهما .

٢٠ (٣) ف : عليها الفلك .

(٤) ا ، ب ، س : « أخبرنى الطلحى » .

شوقها ، فقرأها وضحك ، فقال له الحَسَنُ بن مُخَلَّد : بحياتى عليك أقرئنيها ، فدفعها إليه فقرأها وضحك وقال له : قد وحياتى مَلُحتْ فأجبْ ، فكتب إليها :

يا واصفَ الشوق عندى من شواهده قلبٌ يهيم وعينٌ دمعُها يكِفُ
والنفسُ شاهدةٌ بالوُدِّ عارفةٌ وأنفسُ الناس بالأهواء تأتلفُ
فكُن على ثِقَةٍ مِنِّى وبيِّنةٍ إنّى على ثقةٍ من كل ما تصفُ

عدلت فضل عنه إلى بنان بن عمرو فقال فيها شعرا

أخبرنى جحظةُ قال : حدّثنى مَيمونُ بن هارون قال :

لما عشقت فَضلُ الشاعرةُ بنانَ بنَ عمرو(١) المغنى ، وعدلَتْ عن سعيد بن حُمَيد إليه أسف عليها وأظهر تَجَلُّدًا ، ثم قال فيها :

قالوا : تَعزَّ وقد بانوا فقلتُ لهم : بانَ العزاء على آثار مَنْ بانا
وكيف يملكُ سُلواناً لحبِّهمُ مَنْ لم يُطِق للهوَى سَتْراً وكتماناً !
كانت عزائمُ صَبْرِى أستعين بها صارتْ علىَّ بحمد الله أعوانا
لا خَيْرَ فى الحبِّ لا تبدو شواكِلُهُ ولا تَرى منه فى العينين عُنوانا

قال أبو الحسن جحظة (٢) : وغنَّى فيه بعض المُحْدَثين لحناً حسناً ، وأظنه عَنى نَفْسَه .

كتب إلى أبى هفان يتبرأ من طعن فيه نسب إليه ظلما

أخبرنى الطَّلْحِىُّ قال : حدثنى أبو عيسى الكاتب : أن أبا هِفّان بلغَه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جَفاء وطَعْن على شعره ، فتوعده بالهجاء ، وكان الحاكى عن ذلك كاذباً ، فبَلَغ سَعيداً ماجرَى ، فكتب إلى أبى هِفّان :

أمسَى يُخَوِّفنى العبدىُّ صولتَه(٣) وكيف آمنُ بأسَ الضَّيْغَمِ الهَصِرِ !
من ليس يُحرِزُنى من سيفِه أجلى وليس يمنعنى مِنْ كيده حذَرِى

(١) ف ، بيروت : بنان بن عمرون .
(٢) ا ، ب ، س : « قال أبو الحسن : وغنى » . (٣) فى ب : بصولته .

ولا أبارزُه بالأمرِ يَكرهُه ولو أُعِنْتُ بأنصار من الغِيَرِ
له سِهامٌ بلا ريشٍ ولا عَقَبٍ وقَوْسُه أبداً عُطْلٌ من الوَتَرِ
وكيف آمن مَنْ نَحْرِى له غَرضٌ وسَهمُه صائبٌ يَخْفَى عن البَصر[1]

عاتبته ففصل الشاعرة فزارها وقال فيها شعرا

أخبرنى الطَّلحيّ قال : حدّثنى محمد بن السَّرىّ : أنّه سار إلى سعيد بن حُمَيد وهو فى دار الحسن بن مُخلَّد فى حاجة له ، قال : فإنى عنده إذ جاءته رُقعةُ فَضْل الشاعرة ، وفيها هذان البيتان :

صوت

الصبر ينقُص والسَّقامُ يزيدُ والدّارُ دانيةٌ وأنتَ بَعيدُ
أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سِواهُما المجهودُ

أنا يا أبا عُثمان فى حال التَّلف ولم تَعُدْنى ، ولا سألْتَ عن خَبرى .
فأخذ بيدى فَمضينا إليها ، فسأل عن خبرها ، فقالت : هوذا أموتُ وتستريح منّى ، فأنشأ يقول :

لا مُتِّ قبلىَ[2] بل أحيا وأنتِ معاً ولا أعيشُ إلى يوم تَموتينا
لكن نَعيش بما نَهوَى ونأمُلُه ويُرغِمُ الله فينا أنفَ واشينا[3]
حتى إذا قدَّر الرحمنُ ميتتنا وحانَ من أمرنا ماليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعاً كغُصْنَىْ بانةٍ ذَبُلا مِنْ بعد ما نَضَرا وَاستوسقا حِينا
ثمَّ السَّلام علينا فى مضاجعنا حتى نعودَ إلى ميزان مُنْشِينا

(١) لم يرد هذا البيت فى ف .
(٢) فى ف : لامت قبلك .
(٣) ف : شانينا .

أخبرنى إبراهيمُ بنُ القاسم بن زُرْزور[١] قال : قال لى أبى :

٨/١٧ كانت فَضْل الشّاعرةُ تتعشق سَعيدَ بن حميد مدّة طويلة ، ثم تعشقت بنانًا ، وعدَلت عنه ، فقال فيها قَصيدَته الدّالية التى يقول فيها :

* تَنامِينَ عن ليلى وأَسْهرُه وَحدِى[٢] *

فلم تَتَعطَّف عليه ، وبلغها بعد ذلك أنه قد عَشِق جارية من جوارى القيان ، فكتبت إليه : ٥

يا عالىَ السنِّ سَيِّء الأدَب ... شِبتَ وأنتَ الغُلام فى الطّربِ

ويحك إنَّ القِيانَ كالشَّرك الْـ ... ـمَنْصوب بينَ الغُرور والعَطبِ

لا تَصـدَّيْنَ للفقـير ولا ... يَطْلُبْن إلا معادِنَ الذهبِ

بينا تَشَكَّى هواك إذ عدَلَتْ ... عن زفراتِ الشّكْوى إلى الطّلبِ

تَلْحَـظ هـذا وذاك وَذا ... لحظ مُحِبٍّ وفعلَ مُكْتسبِ

عادته فضل فى مرضه وأهدته هدايا كثيرة

أخبرنى إبراهيم قال : وحدّثنى أبى قال :

افتَصد سعيد بن حميد ، فسألتنى فضل الشاعرة وسألت عَريب أن نمضى إليه ، ففعلنا ، وأهدت إليه هدايا ، فكان منها ألف جَدْى وحَمَل[٣] وألف دجاجة فائقة ، وألف طبق ريحان وفاكهة ، ومع ذلك طِيبٌ كثير وشرابٌ وتُحفٌ حِسانٌ ، فكتب ١٥ إليها سعيد : إنّ سرورى لا يتم إلا بحضورك ، فجاءته فى آخر النهار ، وجلسنا نشرب ، فاستأذن غلامهُ لِبَنان فأذِن له ، فدخل إلينا وهو يومئذ شابٌ طَرير ، حسَن الوجه ،

(١) ب، س ، ا : « ززور » ، وفى ف : « زرزر » .

(٢) عجز البيت كما جاء فى ف ، بيروت : « وأنهى دموعى أن تبثك ما عندى » . وفى التجريد : « وأنهى جفونى . . . » .

٢٠

(٣) ب ، س : « وجمل » .

حَسنُ الغناء ، نظيف الثياب ، شَكِلٌ[1] ، فذهب بها كلَّ مذهب ، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها ، فتشمَّز[2] سعيد واستُطِير غضباً ، وتبيَّن بَنان القِصَّة فانصرف ، وأقبل عليها سعيد يَعْذِلُها ويؤنِّبها ساعة ، ثم أمسك ، فكتبت إليه :

يا من أطلتُ تَفرُّسِى في وَجْهه وتَنفُّسِى
أفديك من مُتَدلِّلٍ يُزْهى بقَتل الأنفُسِ
هَبْنِى أسأتُ وما أسأ تُ بَلى أُقِرّ أنا المُسِى
أحْلفتَنِى ألاَّ أُسا رق نَظْرةً فى مَجْلسى
فنظرتُ نظرةَ مُخطِىءٍ أتْبعتُها بتَفَرُّسِ
ونَسيتُ أنِّى قد حَلَفْتُ،فاعُقوبةُ مَنْ نَسِى؟

فقام سعيد ، فقبَّل رأسها وقال : لا عقوبةَ عليه بل نَحْتَمِل هفوته ، ونتجافى عن إساءته ، وغنت عَريبُ فى هذا الشعر هزَجاً ، فشَربنا عليه بَقِيَّةَ يومِنا ، ثم افترقنا . وأثَّر بَنان فى قَلبها وعَلِقَت به ، فلم تَزَلْ حتى واصلته وقطعت سعيدا .

وَجدْتُ فى بعض الكتب عن عبدالله بن المُعتز ، قال: قال لى إبراهيم بن المهدى[3]:

كانت فَضْل الشَّاعرة من أحسن خلْق الله خطًّا ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلَغهم فى مخاطبة ، وأثبتهم فى مُحاورة ، فقلتُ يوماً لسعيد بن حُمَيد : أظنُّك يا أبا عثمان تكتب لفضْل رِقاعَها وتُقيِّدها[4] وتُخرِّجها ، فقد أخذتْ نَحْوَك فى الكلام وسلكت سبيلَك ، فقال لى وهو يضحك : ما أخْيب[5] ظنَّك ، ليتها تسلم مِنِّى ولا آخذُ كلامَها ورسائلها[6] ، والله يا أخى لو أخذ أفاضلُ الكُتَّاب وأماثلُهم عنها لما استغنَوْا عن ذلك .

(١) شكل : فيه دلال وغزل .
(٢) تشمز : تقبض . وفى المختار : « فنم » . وفى ب ، س : « فتشمر » ، تصحيف .
(٣) ف : بيروت : المدبر . (٤) ف : « وتفيدها » .
(٥) ف : « ما أحسن ظنك » .
(٦) ب ، هب : « ... لآخذ كلامها ورسائلها » .

٩
١٧

صـوت

كلُّ حَىٍّ لاقِى الحِمام فَمُودِى ما لِحَىٍّ مُؤمَّلٍ مِنْ خُلودِ
لا تَهابُ المَنونُ شيئاً ولا تُبْـ ـقِى على والدٍ ولا مَوْلودِ

الشعرُ لابن مُناذِر ، والغِناء لبنان ثقيل أول بالسّبابة فى مجرى الوسطى من كتابه الذى جمع فيه صَنْعته ، وفيه لِساجى[1] جارِية عُبَيد الله بنِ عبدِ الله ٥ ابنِ طاهر ثقيلٌ أوّل أيضا على مذهب النَّوْح ، ابتداؤه نشيد .

(١) هب ، ب ، س : لشاج .

أخبار ابن مناذر ونسبه

نسبه وكنيته

هو محمّد بن مُناذر مولى بنى صُبَير بن يَرْبوع ، ويُكْنَى أبا جعفر ، وقيل إنه كان يُكنى أبا عبد الله .

ووجدتُ فى بعض الكُتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يُكنى أبا ذَرِيح وقد كان له ابن يُسمى ذَرِيحاً ، فمات وهو صغير وإياه عَنى بقوله :

كأنَّك للمنايا يا ذَرِيحُ اللهُ صَوَّرَكا

فناطَ بوَجْهك الشِّعرَى وبالإكليل قَلَّدَكا

ولعلّه اكْتَنَى به قبلَ وفاته .

وقال الجاحظ : كان مُحمّدُ بنُ مُناذِر مولى سليمان القَهْرمان ، وكان سليمان مولى عُبَيْد الله بن أبى بَكْرَةَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكرة عبداً لثَقِيف ، ثم ادّعى عُبَيْد الله بن أبى بكرة أنه ثَقَفِيٌّ ، وادّعى سليمان القَهرمان أنه تميمىٌّ ، وادّعى ابنُ مناذر أنه صَلِيبة من بنى صُبَير بن يَرْبوع ، فابنُ مناذرِ مَوْلَى مَوْلَى مَوْلًى ، وهو دَعِيٌّ مولى دَعِىّ ، وهذا مالا يجتمع فى غيره قط ممَّن عرفْناه وبلَغنا خبرُه .

كان إماماً فى العلم باللغة

ومحمد بنُ مُناذر شاعر فَصيح مُقدَّم فى العلم باللغة وإمام فيها ، وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها ، وكان فى أوّل أمره يتأَلّهُ ، ثم عدَل عن ذلك فهجا الناس، وتهتَّك وخلع ، وقَذَف أعراضَ أهل البصرة حتى نُفِيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك . وهذه الأبيات يَرثى بها ابنُ مناذر عبدَ المجيد بنَ عبد الوهاب الثّقفىّ ، وكان عبدُ الوهاب[1] مُحدِّثاً جليلا ، وقد رَوى عنه وُجوهُ المحدِّثين وكبراء الرُّواة ، وكان ابن مُناذِر يهوى عبد المجيد هذا . فكان فى أيّام حياته

(١) ف : « وكان عبد المجيد ... » .

مَستوراً متألِّهاً جَميلَ الأمر ، فلمّــا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عَليه ، وأخبارُهما تُذكَر فى مواضعها .

كان ناسكاً فى أول أمره ، إلى أن فتن بعبد المجيد ابن عبد الوهاب الثقفى فتهتك وفتك

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفَش ، قال : حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحوىُّ ، قال :

كان ابنَ مُناذر مولَى صُبَيْر بنِ يَرْبوع ، وكان إماماً فى عِلم اللُّغة وكلام العَرب ، وكان فى أوّل أمره ناسكاً مُلازماً للمسجد ، كثيرَ النَّوافل ، جَميلَ الأمر إلى أن فُتِن بعبد المجيد بن عبــد الوهاب الثَّقفىّ ؛ فتهتّك بعد ستره ، وفتكَ بعدْ نُسْكه ، ثم تراءَى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفىّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظهر البَذاء وقذف المحصَنات ، ووجبت عَليه حُدودٌ ، فهَرب إلى مكة وبقى بهــا حتى مات .

كان سفيان بن عيينة يسأله عن معانى حديث النبى فيخبره بها

وكان يُجالس سُفيانَ بنَ عُيَيْنةَ ، فيسأله سُفيانُ عن معانى حديث النبي صلى الله عَليه وسلم فيُخبِره بها ، ويقول له : كَذا وكَذا مأخوذ من كَذا ، فيقول سفْيان : كلامُ العرب بَعضُهُ يأخذُ برِقاب بعض . قال : وأدرك المْهدِىَّ ومدَحه ، ومات فى أيام المــأمون .

١٠
١٧

أخبرنى علىُّ بنُ سُلَيْمان ، قال : حدَّثنى محمد بن يزيد وغيره : أنّ محمّدَ بنَ مُناذِر كان إذا قيل له : ابن مَناذر — بفتح الميم — يغضب ، ثم يقول : أمَناذر الصُّغرى أم مَناذر الكبرى ؟ وهما كورتان من كُوَر الأهواز ، إنما هو مُناذر على وزن مُفاعِل من ناذَر فهو مُناذِر ، مثل ضارب فهو مُضارِب ، وقاتل فهو مُقاتِل .

وعظته المعتزلة فلم يتعظ ، ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وهجاهم

قال محمد بن يزيد : ولمــا عدل محمد بن مُناذر عما كان عَليه من النُّسْك والتّألّه وعظتْه المعتزِلة فلم يتّعِظ ، وأوعَدته بالمكروه فلم يزدجر ، ومَنعوه دخولَ المسجد فنابذهم

وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيطرحه فى مَطاهِرِهم ، فإذا توَضَّئُوا به سوّد وجوههم وثيابَهم ، وقال فى توَعُّد المعتزلة إيّاه :

أبلِغْ لديك بنى تَمِيمٍ مَألُكاً[1] عَنِّى وعَرِّجْ فى بَنِى يَرْبُوعِ
أنِّى أخٌ لَكُمُ بِدارِ مَضِيعَةٍ بُومٌ وغِرْبانٌ عليه وُقُوعُ[2]
٥ يا لَلقبائل من تَمِيمٍ ما لَكُمْ رَوْبَى[3] ولَحْمَ أخِيكم بمَصِيعِ
هُبُّوا له فلقد أراه بنصرِكُمْ يَأوِى إلى جَبَلٍ أشَمَّ مَنِيعِ
وإذا تحزَّبت القبائلُ كُنْتُمُ ثِقَتِى لِكُلّ مُلِمَّةٍ وفَظِيعِ[4]
إن أنتمُ لم تَثْأرُوا لأخيكمُ[5] حتى يُباء بوِتْرِه المَتْبُوعِ
فخُذُوا المَغازِلَ بالأكُفّ وأيقِنوا ما عِشْتُمُ بِمَذَلَّةٍ وخضوعِ
١٠ إن كنتمُ حُدُباً[6] على أحسابكم سُمُعاً فقد أسمعتُ كُلَّ سَمِيعِ
أينَ الصُّبَيْرِيُّون[7] لم أرَ مِثْلَهم فى النائبات وأين رَهْطُ وَكِيعِ !

قال : ثم استَحْيا من قَوْله : أينَ الصُّبَيْرِيُّون ؟ لِقِلَّة عَدَدِهم فقال : أين الرِّياحِيُّون ؟.

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدّثنى الحسن بنُ علىّ ، قال : حدّثنى مسعودُ بنُ بِشر ، قال :

١٥ قال لى ابنُ مُناذر : ولع بى قومٌ من المعتزلة ففَرِقْتُ منهم ، قال : وكان مَوْلَى صُبَيْر بنِ يَرْبُوع ، فقلت : بنو صُبَيْر نَفْسان ونصف ، فمن أدْعو

(١) المألك : الرسالة . (٢) فى البيت إقواء .
(٣) قوم روبى : خاثرو الأنفس مختلطون .
(٤) ب ، س ، ومعجم الأدباء ١٩ — ٥٩ : صلّم بدل كنتم . وبفتى بدل ثقتى .
٢٠ (٥) ب،س، ومعجم الأدباء ١٩ — ٥٩ : « لم توتروا » . ومعنى توتروا : تفزعوا وتأخذوا له وتره .
(٦) فى ب ، س ، ومعجم الأدباء ١٩—٥٩ : « حربا » .
(٧) فى معجم الأدباء ١٩—٥٩ : « أين الرياحيون ... »

منهم ؟ فقلت : ليس إلا إخوتهم بنو رياح ، فقلت أبياتاً حرَّضتهم فيها ، وحضضت بنو رياح ، فقلت :

أين الرِّياحيُّون لم أرَ مثلهم في النائبات وأينَ رَهْط وكيع !

قال : فجاء خمسون شيخا من بنى رياح فطردوهم عنّى .

أخبرنى عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثنى محمد بن يزيد ، قال : حدثنى الجاحظ ، عن مسعود بن بِشر ، عن أبى عُبيدة ، قال : ٥

مازادت بنوصُبَيْر بن يَرْبوع قطعلى سَبْعة نَفَر ، كلَّما وُلِد منهم مولود مات منهم ميِّت .

كان من أهل عدن

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدثنى يعقوب بن نعيم ، قال : حدثنى إسحاقُ بن محمد النَّخعىّ ، قال : حدَّثنى أبو عثمان المازنىّ ، قال :

كان ابنُ مُناذر من أهل عدن ، وإنَّما صار إلى البَصْرة فى طَلَب الأدَب لِتَوافُر العلماء فيها ، فأقام فيها مدَّة ، ثم شُغِل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقَفىّ ، فتَطاول أمرُه إلى أن خرَج عنها ، وكان مُقيما بمكَّة ، فلما مات عبدالمجيد نَسَك . وقوم يقولون : إنه كان دَهْرِيًّا . ١٠

وذكر أبودعامة ، عن عطاء الملط[1] قال :

كره الناس إمامته فى المسجد بعد تهتكه فهجوه ورد عليهم

كان ابن مناذر يؤُمّ النَّاسَ فى المسجد الذى فى قبيلَته ، فلما أظهَرَ ماأظهره من الخلاعة والمُجون كرهوا أن يُصلِّىَ بهم وأن يأتَمُّوا به[2] فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهَجَوْه ، وألقوا الرقعة فى المِحْراب ، فلما قضى صلاتَه قرأها ، ثم قلَبها وكَتَب فيها يقول : ١٥

١١/١٧

نُبِّئْت قافيةً قِيلت تَناشَدَها قومٌ سأرك فى أعراضهم نَدَبا

نَاكَ الذين رَوَوْها أُمَّ قائلِها وناك قائلُها أُمَّ الذى كَتَبا

ثم رمى بها إليهم ولم يعُد إلى الصلاة بهم . ٢٠

(١) ب ، س : عطاء الملك .
(٢) ف : يأتموا به .

أخبرنى محمد بن عمران الصَّيْرفىّ ، قال : حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ ، قال : حدثنا أبو الفَضْل بن عبدان بن أبى حَرْب الصَّفَّار ، قال : حدَّثنى الفضل بن موسى مولى بنى هاشم ، قال :

دخَل ابنُ مُناذر المسجدَ الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غُلام مُسْتَنِد إلى سارية فخرج والتمس غلاما ورُقْعة ودَواةً ، فكتب أبياتاً مَدَحه بها ، وسأل الغُلامَ الذى الْتَمسه أن يُوصِلَ الرُّقْعة إلى الفتى المُستنِد إلى السارية ، فذهب بها إلى الغلام ، فلما قرأها قلَبها وكَتب على ظهْرها يقول :

مِثلُ امْتِداحِك لى بلا وَرِقٍ[1] مثلُ الجِدار مُبنِى على خُصٍّ
وألذُّ عِنْدى من مديحك لى سُودُ النِّعالِ ولَيِّن القُمْصِ
فإذا عَزَمْتَ فهَىٌّ لى وَرِقاً فإذا فعلتَ فلستُ أستعْصِى

فلما قرأها ابنُ مُناذر قام إليه فقال له : ويْلك ، أأنْتَ أبو نُوَاس ؟ قال : نعم ، فسلَّم عليه وتعانقا ، وكان ذلك أوّل المودّة بينهما .

خبره مع أبى العتاهية

أخبرنى مُحمَّد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حَدَّثنى أبو حاتم ، قال :

اجتَمع أبو العَتاهِيَة ومحمد بن مُناذِر ، فقال له أبو العتاهِية : يا أبا عبد الله ، كيفَ أنتَ فى الشعْر ؟ قال : أقول فى الليلة إذا سَنَح القَولُ لى ، واتَّسعَت القوافى عشرةَ أبياتٍ إلى خَمسة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لَكِنّى لو شِئْت أن أقولَ فى الليلة ألفَ بيْت لقُلْت ، فقال ابنُ مُناذِر : أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك :

ألا يا عُتْبةَ السَّاعَهْ أموتُ السَّاعةَ السَّاعَهْ

قلت ، ولكنى لا أُعوِّد نفْسى مثل هذا الكلام السَّاقِط ، ولا أسمَح لها به ، فخَجِل أبو العَتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَه .

(١) الورق : الدراهم المضروبة .

أخبرنى به الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدثنا ابن مَهْرُويَه ، قال : حدّثنى سَهْل بنُ محمد أبو حاتم ، وأحمد بنُ يعقوب بن المُنير ابن أخت أبى بكر الأصمّ . قال ابنُ مَهْرُويَه : وحدثنى به يحيى بنُ الحسن[1] الرَّبيعىّ ، عن غسَّان بن المُفَضَّل[2] ، قال :

اجتمع أبو العتاهِيَة ، وابنُ مُناذر ، فاجتمع الناس إليهما ، وقالوا : هذان شيْخا الشُّعَراء[3] ، فقال أبو العتاهية لابْنِ مُناذِر : يا أباعبد الله ، كم تقولُ فى اليوْم من الشِّعْر ؟ وذكر باقى الخبَر مثل المتقدم سواء .

رفض خلف الأحمر أن يقيس شعره إلى شعر الجاهليين

أخبرنى أبو دُلَف هاشم بنُ محمد الخزاعىّ ، قال : حدّثنا العباس بن مَيْمون طائع ، قال :

سمعتُ الأصمَعِيّ يقول : حضرنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرِز خلَفُ الأحمر ، وحضرها ابنُ مُناذِر ، فقال لخلف الأحمر : يا أبا مُحْرِز ، إن يكُنْ النَّابغة ، وامرؤُ القيْس ، وزُهَيْر ، قد ماتوا فهذه أشعارُهم مُخَلَّدة فقِسْ شعْرى إلى شِعْرِهم ، واحكُم فيها بالحقّ ، فغضِب خلَفٌ ، ثم أخذ صحفة مملوءة مَرقاً فرمَى بها عليه فملأه ، فقام ابنُ مُناذر مُغْضَباً ، وأظنه هَجاه بعد ذلك .

طلب من أبى عبيدة أن يحكم بين شعره وشعر عدى بن زيد

أخبرنى حَبيب بنُ نصْر المهَلّبىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبة : قال : حدثنا خلّاد[4] الأرقط ، قال :

لَقِيَنى ابنُ مُنارذ بمكة ، فأنشدنى قصيدتَه :

* كُلُّ حَىٍّ لاقِى الحِمام فمُودِى *

ثم قال لى : أقرىءْ أباعُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابنُ مناذر ، اتّقِ الله واحكُم بين شِعْرى وشِعْر عَدِىّ بن زَيد ، ولا تقُل ذلك جاهلىٌّ ، وهذا إسلامىّ ، وذاك قديم وهذا مُحْدَث فتحكم بين العصرين ، ولكن احكُم بين الشعرين ودع

(1) ف ، بن الحسين .
(2) ب ، س : الفضل .
(3) ف : شيخا الشعر .
(4) ب ، س : حماد الأرقط .

العَصبيةّ ، قال : وكان ابنُ مناذِرِ ينحُو نحو عَدِىّ بن زيْد فى شِعْره ، ويميل إليه ويقدّمه .

ينحو نحو عدى ابن زيد فى شعره ويقدمه

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدّثنى محمد بن عثمان الكزبرىّ ، قال :أخبرنى محمد بن الحجاج الجرادانىّ ، قال :

٥ قُلتُ لابن مُناذر : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : مَنْ كُنتُ فى شِعْره ، فقلت له : ومَنْ[1] ذاك ؟ فقال : عَدىُّ بن زيد ، وكان ينحُو نحوه فى شِعْره ويقدّمه ويتّخذه إماما .

والأبيات التى فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مُناذِر رثَى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثّقفىّ ، وكان يَهْواه ، وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملهم فى كلّ حال ، وكان على غاية المحبّة لابن

كان أبوعبد المجيد الثقفى على جلالته وسنه لا ينكر صحبة ابنه لابن مناذر

١٠ مُناذر والمُساعدة له والشّغف به . وكان يبلغُ خبرُه أباه على جلالته وسِنّه وموْضعه من العِلْم ، فلا يُنْكِر ذلك ؛ لأنّه لم تكن تبلغه عنه ريبة ، وكان ابنُ مُناذر حينئذ حَميدَ الأمْر[2] حسن المروءة عفيفا . فحدّثنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا أحمد بنُ حُدّان[3] ، قال : حدثنى قُدامة بن نوح ، قال :

قيل لعبدالوهاب بن عبدالمجيدالثّقفىّ : إن ابنَ مُناذر قدأفسد ابنَك، وذكره فى شِعْره ١٥ وشبّب به ،فقال عبد الوهاب: أولا يَرْضَى ابنى أن يَصْحبه مثلُ ابن مُناذر ويذكره فى شعره !

خروجه إلى جبانة بانة أم عبد المجيد مع جواريها

أخبرنى أحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثنى علىُّ بن محمد بن سليمان النّوفلىّ، قال :

أمُّ عبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفىّ الذى كان يشبّب به ابن مُناذر بانَةُ بنْت أبى العاصى ، وهى موْلاة جِنان التى يشبّب بها أبو نُواس ، قال : فحدّثنى مَنْ رأى

٢٠ (١) فى ب ، س : فقلت له : على ذاك .
(٢) ف : جميل الأمر .
(٣) ب : « جدان » ، تصحيف .

محمد بنَ مُناذر يومَ ثالثِ بانَةَ هذه ، وقد خرَج جواريها إلى قبرها ، فخرج معهنّ نحو الجبَّانة بالبصْرة ، قال : فقلتُ له : يا أبا عبد الله ، أينَ تُريد؟ فقال :

اليومُ يومُ الثُّلاثا ويــومُ ثالثِ بانَهْ
اليوم تَــكثُر فيه الظِّبا ء في الجبَّــانَهْ

قال أبو الحسَن : وَلَدت بانَةُ من عَبْدِ الوَهَّاب بن عبد المجيد أولادَه : عبدَ المَجِيد وأبا العاصِى ، وزياداً . وزيادُ الذى عناه أبو نُواس فى قَوْلِهِ يُشَبِّب بجنان :

جَفْنُ عينى قــد كاد يَسْــقط من طول ما اختلَجْ
وفؤادِى مِنْ حَرّ حُبِّــكِ قــد كاد أو نَضَجْ
خَبِّرِينى[1] فَدَتْكِ نَفْــسِى وأهْــلِى مَتَى الفرَج!
كان ميعــادُنا خُرو جَ زيادٍ فقــد خرَجْ

قال ابن عمّار : قال لى النَّوفَلِيّ : فى هذه الأبيات غناء حُلْو مليح ، لو سَمِعْتَه لشربتَ عليه أربعة أرطال .

قال النوفَلِيُّ : وكان لعَبْد الوهاب ابنٌ يقال له : محمد ، كان أسنَّ وَلَدِه ، ويقال : إنه كان يتعشَّق بانَةَ ابنةَ أبى العاصى هذه امرأةَ أبيه ، وإن زيادَ بن عبد الوهاب منه ، وكان أشْبَهَ الناس به .

حدثنى ابن عمار قال : حدثنا عُمر بن شبة ، قال : حدثنى أبى ، قال :

خرَج ابنُ مُناذِر يوما من صَلاة التَّراويح وهو فى المَسْجد بالبصرة ، وخرج عَبدُ المَجِيد بن عبد الوهاب خلفَه ، فلم يزَل يُحدِّثه إلى الصُّبْح ، وهما قائمان ، إذا انْصَرَف عَبدُ المجيد شَيَّعَه ابنُ مُناذر إلى منزله ، فإذا بَلغَه وانصرفَ ابنُ مُناذر شَيَّعه عبدُ المجيد ، لا يَطِيب أحدُهما نَفْساً بِفراقِ صاحِبه حتى أصبَحا . فقِيلَ

(١) ف : حدثينى .

لعبد الوهاب بن عبد المجيد : ابنُ مناذر قد أفسَدَ ابنَك ، فقال : أو ما يرضى ابنى أن يرضى بما يرضى به ابن مُناذر[1] .

قصيدة له فى مدح عبد المجيد بن عبد الوهاب

وفى عبْدِ المَجيد يَقولُ ابنُ مُناذر يَمدحهُ ، وهو من مُخْتار ما قاله فيه ، أنشدنيها علىُّ بنُ سُليمان الأخفشُ ، عن محمد بن زَيْد من قَصِيدَةٍ أولها :

٥ شَيَّب رَيبُ الزَّمانِ رأسِى ... لَهْفِى على ريبِ ذَا الزَّمانِ

يَقدَحُ فى الصُّمِّ من شَرَوْرَى ... ويَحْدُرُ[2] الصُّمَّ من أبانِ

يَقولُ فيها يمدَحُ عَبْدَ المَجيد :

مِنِّى إلى الماجِد المُرَجَّى ... عبدِ المَجِيد الفَتَى الهِجانِ

خيرِ ثَقيفٍ أبًا ونَفْساً ... إذا التَقَت حلْقتاَ البِطانِ

١٠ نفسِى فِداءٌ له وأهلِى ... وكُلُّ ما تَملِكُ اليَدانِ

كأنَّ شمسَ الضُّحَى وبدر الدُّجَى ... عليه مُعلَّقان

نِيطاً معاً فوق حاجِبَيْهِ ... والبدرُ والشَّمسُ يَضْحَكانِ

مُشَمِّرٌ ، هَمُّهُ المَعالِى ... ليس بِرَثٍّ ولا بِوانِى

بَنَى له عِزَّةً ومَجْدًا ... فى أولِ[3] الدَّهرِ بانيان

١٥ بانٍ تَلَقَّاه من ثَقِيفٍ ... ومن ذُرَا الأزدِ خَيرُ بانِى[4]

فاسأَلْه مِمَّا حوَت يَدَاه ... يَهْتَزُّ كالصَّارِمِ اليَمانى[5]

(١) فى المختار : « أوما يرضى ابنى أن يرضى به ابن مناذر » .

(٢) فى ب ، هب : ويحذر . وشروري ، وأبان : جبلان .

(٣) فى ب : أزل .

٢٠ (٤) فى ب : « بأن تلقاه ... غير بان » ، تحريف .

(٥) كذا فى ف . وفى ب ، س : « جاء البيت الثامن مكان التاسع » .

ملازمته عبد المجيد فى مرضه

أخبرنى عمّى، قال: حدّثنى عبدُ الله بنُ أبى سَعْد، قال: حدّثنى أبو تَوْبة صالِحُ بنُ مُحَمّد قال:

مرض عَبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب الثّقفىّ مرضاً شديداً بالبَصْرة، وكان ابنُ مناذر ملازما له يُمرِّضُهُ ويخدمه، ويتولى أمرَه بنفسه. لايَكِله إلى أحد. فحدّثنى بعضُ أهلهم قال: حضرتُ يوما عنده، وقد أُسْخِن له ماء حارٌّ ليَشْرَبه، واشتدَّ به الأمرُ فجعل يقول: آهِ! بصوت ضَعِيف، فغَمَس ابنُ مُناذِر يدَه فى الماء الحارّ وجعل يتأوّه مع عبد المجيد ويدُه تحْترق حتى كادَت يدُه تَسقُط، فجذَبْناها وأخرجْناها من الماء، وقلنا له: أمَجْنُونٌ أنت! أىُّ شىء هذا! أينتفع به ذاك! فقال: أساعده، وهذا جَهْد من مقلٍّ، ثم استَقَلَّ من عِلَّته تلك وعُوفى مُدَّة طويلة، ثم تَردَّى من سَطح فمات، فجزِع عليه جزعاشديدا حتى كاد يَفضُل أهلَه وإخوتَه فى البكاء والعَويل، وظهر منه من الجزع ما عجب الناسُ له، ورثاه بعد ذلك بقَصيدته المَشْهُورة، فرواها أهلُ البَصْرة، ونِيح بها على عبد المجيد، وكان الناس يُعجَبون بها ويستَحْسِنُونها.

أخبرنى الحسن بن عَلىّ، قال: حدّثَنا محمد بن القاسم النُّوشَجانِىّ[1]، قال: سمعت أبى يقول:

حضرتُ سُفيان بن عُيَيْنَة يقول لابن مُناذِر: أنشِدنى ما قلتَ فى عبد المجيد، فأنشده قصيدته الطويلة الدّالية. قال سفيان: بارك الله فيك، فلقد تفرّدتَ بمراثى أهل العراق.

تردى عبد المجيد من السطح على رأسه فى موته

فأخبرنى عمّى: قال: حدثنى أبو هِفّان، قال: قال الجَمّازُ:

تزوج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شَهْرا يجتمع عنده فى كلّ يوم وُجُوه أهل البصرة وأُدباؤُها وشعراؤها، فصعد ذات يوم إلى السطح فرأى طُنُباً من أطناب السّتارة قد انحلَّ، فأكبَّ عليه ليشدّه، فتردَّى على رأسه ومات من سَقْطته، فما رأيتُ مُصيبَةً قطّ كانت أعظم منها ولا أنكأ للقلوب.

(١) فى ... محمد بن محمد بن القاسم النوشجانى.

طارح محمد بن عمر الخراز رثاءه فى عبد المجيد وناحا عليه به بعد أن وضعا فيه لحنا

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار قال : حدثنى الحسَنُ بن عُلَيل العَنَزِىّ ، قال : حدثنى العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قال : حدثنى محمد بن عمر الخرّاز[1] ، قال :

قال لى ابنُ مُناذِر : ويحك ! لستُ أرى نساء ثَقِيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نِياحَةً على استواء ، قلت : فما تُحبّ ؟ قال : تخرجُ معى حتى أطارحك ، فطارحَنى القصيدة التى يقول فيها :

إنّ عبدَ المجيــد يوم تَوَلّى ... هَدَّ رُكناً ما كان بالمَهْــدُودِ

هَدَّ عبدُ المجيد رُكْنِى وقد كُنْــ ... ـتُ بِرُكْنٍ أبوه منه شَدِيدِ[2]

قال : فما زِلْتُ حتى حفظتها ووَعَيْتُها ، ووضعنا فيها لحناً ، فلما كان فى الليلة التى يُناح بها على عبد المجيد فيها ، صلّينا العِشاء الآخِرَة فى المسجد الجامع ، ثم خرجنا إلى دارِهم ، وقد صعد النساء على السّطح يَنُحن عليه ، فسكَتن سَكْتَةً لهنّ ، فاندفعنا أنا وهو نَنُوح عليه ، فلما سمِعْننا أقبلن يَلْطِمْن ويصِحْن حتى كِدْن يَنقَلِبْنَ من السطْح إلى أسفل من شدة تَشرُّفِهِنّ علينا وإعجابِهِنّ بما سمِعْنه منا ، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا ، وشاع الخبر بالبصرة وتحدّث به الناسُ حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس .

أم عبد المجيد تبر قسمه وتصيح صياحا يقال إنه أول ما قيل فى الإسلام

وأخبرنى الحسَن بن علىّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال لى : حدثنى موسى بن[3] حماد بن عبد الله القُرشىّ ، قال : حدثنى محمد بن النعمان بن جَبَلة الباهِلِىّ ، قال : لما قال ابنُ مُنَاذِر :

لأُقِيمَنّ مأتَماً كَنُجوم اللّيْل زُهْرًا يَلْطُمْن حُرَّ الخُدُودِ

مُوجَعَاتٍ يَبْكِين للكَبِدِ الحَرّى عليه وللفُؤادِ العَمِيدِ

(١) ف : عن جعفر بن سليمان ، قال : حدثنى محمد بن عمرو الجان .

(٢) بيتان من قصيدة تقع فى تسعة وثلاثين بيتا ، انظر مهذب الأغانى ٧-١٦٠ .

(٣) ف : « حدثنى يونس بن حماد » .

قالت أم عبد المجيد : والله لأُبِرَّنَّ قسمَه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : واى ، وَيْه ، واى ، وَيْه ، فيقال : إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

وأخبرنى بهذا الخبر ابنُ عمّار عن على بن محمد النوفلىّ عن عمه :

رثاء له فى عبد المجيد

أخبرنى علىُّ بن سليمان الأخفشُ ، قال : حدثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر النخعى[(١)] ، قال : ٥

أنشدنى محمدُ بن مُناذِر لنفسه يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول :

١٥ / ١٧

يا عَينُ حَقٌّ لك البُـكا ء لحادثِ الرُّزء الجَليلِ

فابْـكى على عبد المجيـ ـد وأَعوِلِى كلَّ العَويلِ

لا يُبْعِـدُ اللهُ الفَتى الـ ـفَيَّاضَ ذَا الباعِ الطَّويلِ ١٠

عَجِل الحِمامُ به فودَّعَنا وآذنَ بالرَّحيـــلِ

لَهَفِى على الشَّعَر المُعَفَّر منكَ والخَدِّ الأَسيلِ

كَسَفَتْ لِفقْـدِك شمْسُنا والبدْرُ آذن بالأُفولِ

عرض قصيدته الدالية على أبى عبيدة فلم تعجبه

حدثنى عمّى قال : حدثنا الـكُرانىّ قال : حدثنى النَّضْرُ بن عمرو عن المـازنىّ ، قال : حدثنا حَيَّان : ١٥

أنَّ ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه ، وقال : اعرِضها على أبى عُبَيْـدة ، فأتيْتُه وهو على باب أبى عَمْرو بن العَلاء ، فقرأتُ عليه منها خمسةَ أبيات فلم تُعْجِبْه ، وقال : دعنى من هذا ، فإنى قد تشاغلتُ بحِفْظ القرآن عنه وعن مِثْله ، قال : وكان أبو عبيدة يُبغِضهُ ويُعادِيه لأنه هَجَاه .

هبود وعبود

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر ، قال : حَدَّثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : قال ابن مناذِر : قلت : ٢٠

* يَقدَحُ الدهرُ فى شماريخ رَضْوَى *

(١) ف : « الحنفى » .

ثم مكثتُ حَولاً لا أدرِى بمَ أُتممُه ، فسمعت قائلا يقول : هَبُّود ، قلت : وما هَبُّود ؟ فقال لى : جُبَيْل فى بلادنا ، فقلت :

* ويحُطُّ الصُّخورَ من هَبُّودِ *

قال إسحاق : وسَمِع أعرابىٌّ هذا البيت ، فقال : ما أجهل قائله بهَبُّود ! والله إنها لأُكَيمة ما تُوارِى الخارِىء ، فكيف يحُطُّ منها الصُّخور !

٥

أخبرنى عمّى ، قال : حدثنا الكُرانىّ ، قال : حَدّثنى أبو حاتم ، قال : سمِعْتُ أبا مالِك عمْرو بن كِرْكِرة يقول :

أنشَدنى ابنُ مُناذر قصيدتَه الدّالية التى رَثى فيها عبدَ المجيد ، فلمّا بَلغ إلى قوله :

يقدَح الدّهرُ فى شماريخ رَضْوَى ويحُطّ الصُّخورَ مِنْ هَبُّود

١٠

قلت له : هَبُّود ، أىّ شىء هو ؟ فقال : جبَل ، فقلت : سَخِنت عينُك ، هَبُّود والله بئر باليمامَة مَاؤها مِلْح لا يَشْرَب منه شىء خَلَقه الله ، وقد والله خَرِيتُ فيها مرّات ، فلما كان بعد مدة وقَفتُ عليه فى مَسجد البصرة وهو ينشدها ، فلما بَلغَ هذا البيتَ أنشدَها :

* ويحُط الصُّخورَ من عَبُّود *

١٥

فقلت له : عَبُّود ، أىُّ شَىْء هوذا[1] ؟ فقال : جَبل بالشّام ، فلَعَلك يابن الزّانية خَرِيت عليه أيضاً ، فضحِكْتُ ثم قلْت : لا ما خرِيت عليه ولا رأيتُه ، وانصرفتَ عنه وأنا أضحك .

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى الكُرانىُّ ، عن العُمرىّ ، عن الهَيْثم بن عدىّ ، قال :

كان يحيى بنُ زياد يُرمَى بالزّندَقة ، وكان من أظْرف الناس وأنظفهم ، فكان يقال : أظرف من الزّنديق .

٢٠

(١) فى ب ، س : أى شىء هو زيادة .

شعره فى محمد بن زياد

وكان الحارِكىّ واسمه محمد بن زياد يُظهِر الزندقة تظارفا ، فقال فيه ابنُ مُناذر :

يا بنَ زيادٍ يا أبا جعفرٍ   أظهرتَ دِيناً غيرَ ما تُخفِى
مُزَنْدَقَ الظاهِرِ باللفظ(١) فى   باطنِ إسلامِ فتًى عَفِ
لستَ بزِنديقٍ ولكنَّما   أردْتَ أن تُوسَمَ بالظَّرْفِ(٢)

وقال فيه أيضاً :

يا أبا جعفرٍ كأنك قد صِرْ   تَ على أجْرَدٍ طَويلِ الجِرانِ(٣)
من مَطايا ضَوامرٍ ليس يَصْهَلْ   نَ إذا ما رُكِبْنَ يوم رِهانِ
لم يُذَلَّلنَ بالسُّرُوج ولا أقْـ   ـرَح أشداقَهن جذبُ العِنانِ
قائماتٍ مُسوَّمات لدى الجِسْـ   ـر لأمثالِكم من الفِتْيانِ

١٦/١٧

انصرف الناس عن حلقته إلى حلقة عتبة النحوى فقال شعرا فى ذلك

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَة ، عن ابن عائشة ، قال : ١٠

كان عُتْبة النَّحوىّ من أصحاب سيبويه ، وكان صاحبَ نحوٍ فَهِماً بما يشرحه ويفسّره على مذاهب أصحابه ، وكان ابنُ مناذر يتَعاطى ذلك ، ويجلس إليه قومٌ يأخذُونه عنه ، فجلَس عُتْبة قريباً من حَلْقته ، فتقوّض الناسُ إليه ، وتركوا ابنَ مُناذر ، فلمَّا كان فى يَوْم الجمعة الأخرى قام ابنُ مناذر من حَلْقته ، فوقف على عُتْبة ، ثم أنشأ يقول : ١٥

قُومُوا بنا جميعاً لحَلْقَة العَذارى
تَجمعن للشقاء إلى عُتْبةِ الخَسارِ(٤)
مالى وما لِعُتْبَـ   ـة إذ يَبْتغِى ضِرارى

(١) ف : « مزندق الظاهر باللطف » .
(٢) فى ف : البيت الثانى مكان الثالث .   (٣) الجران : باطن العنق من البعير وغيره .
(٤) فى هب : جمعن . وفى ب ، بيروت : « يجمعن ... مع عتبة » .

٢٠

قال : فقام عتبة إليه فناشـده ألاّ يَزِيد ، ومنعَ مَنْ كان يجلس إلى ابن مُناذِر من حضور حَلْقته ، وجلَس هو بعيداً من ابنِ مُناذر بعد ذلك .

كان جاره ابن عمير يزرى به المعتزلة فهجاه

حدّثنى عمِّى ، قال : حدثنا الكُرانىّ ، قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينـة ، قال :

كان لابن مُنـاذر جارٌ يقـال له ابنُ عُمير[1] من المعتزلة ، فكان يَسعى بابن مناذر إليهم ، ويَسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به ، فقال يَهْجوه :

بَنو عُمَـيْرٍ مَجدُهم دارُهمْ وكُلّ قَوْمٍ فلَهُم مَجْـدُ
كأنهم فَقْعٌ[2] بِدَوِّيَّةٍ وليس لهم قَبْلٌ ولا بَعْدُ
بَثَّ عُمَـيْرٌ لؤمَهَ فيهمُ فكُلُّهم من لُؤْمه جَعْدُ

١٠ وأخبرنى بهذا الخبر الحسَنُ بنُ علىّ ، عن ابن مِهْرُويه ، عن النَّوفلىّ بمِثْله ، وزاد فيه : وعبد الله بن عُمَير — أبو هؤلاء الذين هجاهم — أخو عُبَيْدِ الله بن عامرٍ لأُمّه ، أُمّهما دَجاجَةُ بِنْت إسماعيل بنِ الصلْت السّلمىّ .

كان من أحضر الناس [illegible]

أخبرنى هاشم بن محمد ، قال : حدثنا الخليل بن أسد ، قال :

كان ابنُ مُناذِر مِن أحضَر الناسِ جَوابا ، قال له رجل : [illegible] ؟ قال : [illegible] ١٥ فى أنفِي .

قال : وسأله رجلٌ يوماً : ما الجرْباء ؟ فأومأ بِيَده إلى الأرض ؛ قال [illegible] ، وإنّما الجرْباء السّماء .

[illegible] الخليل ابن أحمد

أخبرنى أحمدُ بنُ العَبّاس العَسْكَرىّ المؤدِّب ، قال : حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ ، قال : حدّثَنِي جَعْفَرُ بنُ مُحمّد بن دَماذ[3] قال :

٢٠ (١) ف : « أبو عمير » .
(٢) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة . يقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر . وفى ب : « فقع » ، تصحيف .
(٣) ب : ابن دماذ .

دار بَيْنَ الخليل بنِ أحمد وبَيْن ابنِ مُناذِر كلام ، فقال له الخليل : إنما أنتم معْشَرَ الشّعراء تبعٌ لى ، وأنا سُكّان السّفِينة ، إن قرّظتُكم ورَضِيتُ قولَكم نَفَقْتم وإلاّ كَسَدْتم ، فقال ابنُ مُناذر : والله لأقولنّ فى الخليفة قَصِيدةً أمتدِحُه بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غَيْرِك ، فقال فى الرّشِيد قَصِيدَتَه الّتى أولُها :

يمدح الرشيد فيجيزه

ما هَيَّجَ الشوقَ من مُطَوَّقةٍ أوفَتْ عـلى بانةٍ تُغَنِّينا

يقول فيها :

ولو سألْنا بحُسْنِ وَجْهك يا هارونُ صَوْبَ الغمام أُسقِينا

١٧/١٧

قال : وَأراد أن يَفِدَ بها[1] إلى الرشيد ، فلم يلبث أن قَدِم الرشيدُ البَصْرة حاجًّا ليأخُذَ على طَرِيق النّباج[2] وكان الطريق[3] قديما ، فدخلها وعَدِيلُه إبراهيم الحرّانىّ فتحمّل عليه ابنُ مُناذِر بعُثمان بنِ الحَكَمِ الثّقفىّ ، وأبى بَكر السُّلَمِىّ حتى أوصلاه إلى الرّشيد ، فأنشَده إيّاها ، فلما بَلَغ آخرَها كان فيها بيت يَفْتَخِر فيه وهو : ١٠

قومى تَمِيمٌ عند السِّماك لهم مَجْدٌ وعِزٌّ فما ينالونا[4]

فلما أنْشده هذا البيت تَعَصَّبَ عليه قَوْمٌ من الجلساء ، فقال له بعضهم : ياجاهِلُ ، أتفخَر فى قَصِيدةٍ مَدَحْتَ بها أميرَ المؤمنين . وقال آخر : هذه حماقة بَصْرِيّةٌ ، فَكفّهم عنه الرشيد ووهب له عِشرِينَ ألفَ دِرْهم . ١٥

الرشيد يستشهد بشعره ويبعث له بجائزة

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدّثَنا محمد بنُ يزيد ، قال : حدثنى سهيل السّلمىّ : أنّ الرّشِيدَ استَسْقَى فى سَنَة قَحْط فسُقِىَ الناسُ ، فسُرَّ بذلِك ، وقال : لله دَرُّ ابنِ مُناذر حَيْثُ يَقُول :

(١) ف ، بيروت : « ينفذبها » ، وفى المختار : « ينفذها » .

(٢) فى بلاد العرب نباجان ، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بنى عامر وهو بحذاء فيد ، والآخر نباج بنى سعد بالقريتين . ٢٠

(٣) فى ب ، بيروت : « وهو كان الطريق » . (٤) ف : « فما يبالونا » .

ولو سألْنا بحُسْن وَجْهِك يا هارون صَوْبَ الغَمام أُسقِينا

وسأل عن خَبَره فأُخْبِر أنَّه بالحجاز ، فبعَث إليه بجائزة .

هجاؤه بكر بن بكار

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ، عن محمد بن عمران الصّيرفىّ ، قال : حَدَّثنا العَنَزىّ ، قال : حَدَّثنا نَصْر بن على الجَهْضَمِىّ ، قال : حَدَّثنى مُحمَّد بن عباد المهلبىّ[1] ، قال :

شهد بَكْر بن بَكّار عند عُبَيْد الله بن الحَسَن بن الحُصَيْن بن الحُرّ العنزىّ بشهادة ، فتبَسَّم ثم قال له : يا بَكْر ، مالك ولابن مُناذر حَيثُ يقول :

أَعوذُ بالله من النّار ومنك يا بَكْرَ بنَ بَكَّارِ

فقال : أصلَح الله القاضى ، ذاك رجل ماجنٌ خَلِيع لا يُبالى ما قال ، فقال له : صَدَقْت وزاد تبسُّمه ، وقَبِل شهادَته ، وقام بَكْر وقد تَشوَّر[2] وخجِل . قال العنزىّ : فحدثنى أبو غَسّان دَماذ قال :

أنشدنى ابنُ مُناذِر هذا الشِّعر الذى قاله فى بَكْرِ بنِ بكار وهو :

أَعوذُ بالله من النّارِ ومنكَ يا بكرَ بنَ بَكّارِ

يا رَجُلاً ما كان فيما مَضَى لآل حمْران بزَوّارِ

ما مَنزِلٌ أحدثْتَه رابِعاً مُعْتَزِلاً[3] عن عَرْصَة الدّارِ

ما تَبْرحُ الدَّهرَ على سَوْأَةٍ تطرحُ حبًّا للخُشْنُشارِ

يا معشَرَ الأحداثِ ياوَيْحَكم تَعوَّذُوا بالخالِقِ البارِى

مِن حَرْبَةٍ نِيطَت على حَقْوِه يَسْعَى بها كالبَطَل الشّارِى

يوم تَمنَّى أنَّ فى كَفِّه أَيْرَ أَبِى الخضْر بدينارِ

(١) كذا فى ف . وفى ب : « أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا الحسن بن على ، قال : حدثنا نصر بن على الجهضمى ، قال : حدثنى محمد بن عباد المهلبى ، قال : ».

(٢) تشور مطاوع شوره ، أى خجل .

(٣) ب ، بيروت : منتزحا .

قال ابن مَهْرُويه فى خبره : والحُشَنْشار هو مُعاوِية الزِّيادِىّ المُحدِّث ، ويكنى أبا الخضر ، وكان جميلَ الوجه .

وقال العنزىّ فى حديثه : حدَّثنى إسحاقُ بنُ عَبْد الله الحرانىّ ، وقد سألتُه عن مَعْنى هذا الشعر ، فقال : الحُشَنْشار : غُلامٌ أمردُ جميل الوجه كان فى محلَّتنا ، وهذا لقبه ، وكان بَكْر بنُ بكار يتَعَشَّقه ، فكان يَجيء إلى أبى فيُذاكِره الحديثَ ويُجالسه ويَنْظُر إلى الحُشَنْشار .

قال العنزىّ : حدّثنى عمرُ بن شَبَّة ، قال :

بلغنى أنّ عُبيد الله بن الحسن[1] لقِىَ ابنَ مُناذر فقال له : وَيْحك ، ما أردْتَ إلى بكْر بن بَكَّار ففَضَحته ، وقلت فيه قوْلاً لعلَّك لم تتَحَقَّقه ؟ فبدأ ابنُ مُناذر يحلف له بيمين ما سَمِعْتُ قطّ أغلظ منها ، أنّ الذى قاله فى بَكْر شىْء يَقولُه معه كُلُّ من يَعرِف بَكْراً ويعرف الحُشَنْشار ، ويُجمِع عليه ولا يخالفه فيه ، فانصرف عُبيد الله مَغْمُوما بذلك قد بان فيه ، فلما بعُد عنا ، قُلتُ لابنِ مُناذِر : برِئَ اللهُ منك ، وَيْلك ما أكْذَبك ! أكُلُّ مَنْ يعرف بكرَ بنَ بَكَّار[2] يقول فيه مِثْلَ قوْلك حتى حلَفْت بهذه اليمين ؟ فقال : سَخِنت عيْنُك ، فإذا كنت أعْمَى القَلْب أىّ شىء أصنع ! أفتراني كنت أكذِّب نَفْسِى عند القاضى ، إنما موَّهتُ عليه وحلفت له أن كُلَّ من يَعرِفُها يَقولُ مِثلَ قوْلى ، وعَنَيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قوْلى :

* أعوذُ باللهِ من النَّارِ *

أفتَعرِف أنتَ أحدًا يعرفُهما أو يَجْهَلُهُما إلاّ يقول كما قلت : أعوذُ بالله من النار ، إنما موَّهتُ على القاضى وأردت تحْقيقَ قوْلى عنده .

(١) فى هب : عبيد الله بن الحسين . وفى ب : عبد الله بن الحسن .

(٢) فى ب : بكر بن وائل .

قال مؤلف هذا الكتاب : وبَكْرُ بن بَكّار رجلٌ مُحدِّث ، قد رَوَى عن وَرْقاء ، عن ابن أبى نُجَيْح تَفسيرَ مُجاهِد ، وَرَوَى حَدِيثاً صالحاً .

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نصر المُهلّبيّ ، قال : حدثنا عُمرُ بنُ شَبَّة ، قال : حدّثنا بَكْر ابنُ بَكّار عن عَبْد الله بن المحرز ، عن قتادة ، عن أنَس : أن النبيَّ صلَّى الله عليه
٥ وسلم قال : « زيِّنُوا القُرآنَ بأصواتِكم » .

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدّثنى الأحوصُ بن الفَضْل البصرىّ[1] قال : حدّثنا ابنُ مُعاوِية الزّيادِىّ ، وأبوه الخُشْنُشار الذى يقول فيه ابنُ مُناذِر :

* تَطْرح حبًّا للخُشْنُشار *

١٠ قال : حدثنى مَنْ لَقِىَ ابنَ مُناذر بمَكّةَ فقال : ألاَ تَشْتاق إلى البَصْرة ؟ فقال له : أخبرنى عن شَمْس الوزّانين ، أعَلَى حالها ؟ قال : نعم ، قال : وَثِيق بنُ يوسف الثَّقَفِىّ حَىّ ؟ قال: نعم ، قال: فغسّان بن الفَضْل[2] الغَلاّبىّ حَىّ ؟ قال: نعم ، قال : لا ، والله لا دَخَلْتُها ما بَقِى فيها واحدٌ من الثَّلاثة . قال : وشَمْس الوَزّانين فى طَرَف المِرْبَد بحضرة مَسْجد الأنصار فى مَوْضع حِيطانُه قِصارٌ لا تكاد الشَّمسُ تفارقه .

١٥ أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبىّ قال : حدّثنا عُمرُ بنُ شَبَّة ، قال :

كان محمد بن عبد الوهاب [illegible] عبد المجيد [illegible]

كان مُحمّدُ بنُ عَبْدِ الوهاب الثَّقفىّ أخو عبد المجيد يُعادِى مُحمّدَ بنَ مُناذِر بسببِ مَيْله إلى أخِيه عبد المجيد ، وكان ابنُ مُناذِر يَهْجوه ويَسُبّه ويقْطَعه ، وكُلٌّ واحد منهما يطلُب لصاحِبه المَكْروه ويَسْعَى عليه ، فلَقِىَ مُحمّدُ بنُ عبد الوهاب ابنَ مُناذر فى مَسْجِد البَصْرة ، ومعه دَفْتر فيه كتاب العَرُوض بدَوائره ، ولم يكن مُحمّد بن
٢٠ عبد الوهاب يعرِف العَرُوض ، فجَعَل يلحَظُ الكِتاب ويَقرؤه فلا يَفْهَمُه ، وابنُ مُناذر

(١) فى هب : المفضل النصرى . وفى ب : المفضل . (٢) ف : « المفضل » .

مُتغافلٌ عن فِعْله ، ثم قال له : مافى كِتابك هذا ؟ فخبَأه فى كُمّه وقال : وأىُّ شىء عليك مِمّا فيه ؟ فتعلّق به و لَبّبه ، فقال له ابنُ مُناذر: يا أبا الصَّلْت ، اللهَ اللهَ فى دَمِى، فَطَمِع فيه وصاحَ يا زِنْدِيق ، فى كُمِّك الزَّنْدَقة ، فاجتَمع النَّاسُ إليه ، فأخرج الدَّفْتَر من كُمّه وأرام[1] إيّاه ، فعرَفُوا بَراءته مِمّا قَذَفه به ، ووَثَبوا على مُحمَّد بنِ عبد الوهاب واستَخَفُّوا به ، وانْصَرَفَ بِخِزْىٍ[2] ، وقال ابن مُناذِر يَهْجوه :

إذا أنتَ تَعلَّقْتَ[3] بحَبْلٍ من أبى الصَّلْتِ
تَعلَّقْتَ بحَبْلٍ وا هنِ القُوَّةِ مُنْبَتٍّ
إذا ما بَلغ المجـدَ ذَوُو الأحساب بالمَتِّ
تقاصَرْتَ عن المَجْد بأمرٍ رائبٍ شَخْتِ[4]
فلا تَسْمُو إلى المَجْد فما أمرُك[5] بالثَّبْتِ
ولا فَرْعُك فى العِيدَا ن عُودٌ ناضِرُ النَّبْتِ[6]
وما يُبقِى لكم يا قوْ مُ من أثْلَتِكم نَحْتِى
فها فاسْمَع قَرِيضاً من رقيقٍ حَسَنِ النعْتِ
يقول الحقَّ إن قال ولا يرميك بالبَهْتِ
وفى نَعْتٍ لِوَجْعاء قد استرْخَت من الفَتِّ
فعِنْدِى لك يا مَأبُو ن مِثلُ الفالجِ البُخْتِى[7]

(١) فى ب : وأراه . (٢) فى ب : فانصرفوا ووثب يجرى .
(٣) ف : تمسكت .
(٤) الرائب من الأمور : ما فيه شبهة وريبة . والشخت : الضامر .
(٥) ف : فما أصلك . (٦) فى ب : « البكت » ، تحريف .
(٧) فى ف ، بيروت : « مثل الجمل البختى » . وفى ب : «الفالح البحت» . ولعلها الفالج البخت ما أثبتناه . والفالج : الجمل الضخم ذو السنامين ، والبخت : الإبل الخراسانية .

عُتُلٌ يُعمِلُ الكُومَ من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ
له فَيْشَلَةٌ إن أُدْ خِلَتْ واسعةُ الْخَرْتِ(١)
وإلا فاطِلِ وجعاء كَ بالخضخاضِ والزِّفْتِ(٢)
ألم يبلغك تَسآلِى لدى العَلاَّمَةِ المَرْتِ
فقال الشيخُ سَرْجُويَهْ(٣): داء المرء من تحت
فخُذْ من وَرَق الدِّفْلَى وخذ من ورق القَتِّ
وخذ من جعرِ(٤) كَيْسانٍ ومن أظفار ِلسَّخْتِ
فغَرْغِرْه به واسْعَطْ بذا في دائه أُفْتِى

قال: ولِسَخْت(٥): لقب أبى عُبَيْدَة، وهو اسمٌ من أسماء اليَهُود؛ لُقِّب به تَعْرِيضاً بأنّ جَدّه كان يَهُودِيًّا، وكان أبو عُبَيْدة وسِخاً طَوِيلَ الأظفار أبداً والشَّعر، وكان يَغضَب من هذا اللقب.

فأخبرَنى الحسنُ بن علىّ، عن ابن مَهْرُويه، عن علىّ بن محمد النوفلىّ، قال: لمَّا قال ابنُ مُناذِر هذه الأبيات:

إذا أنت تَعلَّقْتَ بحَبْلٍ من أبى الصَّلْتِ
تَعلّقْتَ بحبلٍ وا هن القُوَّة مُنْبَتٌ
وقال الشيخُ سَرْجُويهُ: داء المَرْء من تحت

(١) الخرت: الثقب.
(٢) الوجعاء: السافلة؛ وهى الدبر. والخضخاض: نفط أسود تدهن به الإبل الجربى.
(٣) فى ف: وقال الشيخ ما سر جويه ...
(٤) فى ب: وخذ من جعد ... والجعر: خرء كل ذى مخلب من السباع.
(٥) فى ف: سنخت. وفى المختار: شبخت.

فبلغ ذلك سَرْجُويه ، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب ، فوقف عليه فى مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه ، فسلَّم عليه وكان أعْجَمِيًّا لا يفصح ، ثم قال له : « بركست كن كفتم أن كسر مناذر كفت : داء المرء من تحت[1] » ، فكاد القوم أن يَفْتَضِحُوا من الضَّحِك ، وصاح به محمد : اعزُب قبَّحك الله ، فظَنَّ أنه لم يقبل عُذْرَه، فأقبل يحلف له مجتهدا ماقال ذاك، ومُحمد يَصِيح به : ويلك اعزُب عنِّى، وهو فى المَوْت منه ، وكلما زادَه من الصِّياح إليه زادَه فى العُذْر واجْتَهَد فى الأيْمان ، وضحك الناس حتى غُلِبوا ، وقام محمد خَجِلا فدَخَل منزِلَه وتفرَّقوا .

٢٠/١٧ قال أبو الحسن النّوفَلِىّ : ثم مَضَى لذلك زمانٌ ، وهجا أبو نَعامة أبا عبد الله هَرِيسَة الكاتب فقال فيه :

وروَى شَيْخُ تَميمٍ خالدُ أنْ هَرِيسَهْ ١٠
يُدخِلُ الأصلعَ ذا الخُرْ جَيْن فى جَوْفِ الكَنِيسَهْ

فلَقِى خالدُ بنُ الصّباح هذا هريسةَ ، وكان يُعاديه ، وأراد أن يُخْجِله ، فحَلَف له مجتهدا أنَّه لم يقُل فيه ما قاله أبو نَعامة ، فقال هَرِيسة : يا بارد ! لم تُرِد أن تَعتذِر ، إنما أردتَ أن تَتَشبَّهَ بابنِ مُناذر ومُحمَّد بن عبد الوهاب ، وبأَبِى الشَّمَقْمَق وأحمد بن المعذّل ، ولست من هؤلاء فى شَىء . ١٥

شعر له فى ضرير وأخرس جالسين عنده

قرأتُ فى بعض الكُتُب عن ابنِ أبِى سَعْد ، قال : حدَّثنى أبو الخطّاب الحسن ابن محمد ، عن محمد بن إسحاق البلْخِىّ ، قال :

دخلتُ على ابنِ مُناذر يوماً وعنده رجلٌ ضَرِيرٌ جالسٌ عن يَمينه ، ورجل بَصِيرٌ جالسٌ عن شماله ساكتٌ لا يَنْطِق ، قال : فقلت له : ما خبرك ؟ فقال :

(١) كذا فى هب ، مد . يريد سرجويه أن يقول لابن عبد الوهاب : « إن ما قاله ابن مناذر منسوبا إليه غير صحيح » . ٢٠

بين أعمى وأخرس أخرس الله لسانَ الأعمى وأعمى البصيرا

قال : فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه .

خبره مع سفيان ابن عيينة

ونسختُ من كتاب ابن أبى الدنيا : حدثنى أبو محمد التميمى ، قال : حدثنى إبراهيمُ بن عبدِ الله ، عن الحسَن بن علىّ ، قال :

٥ كُنّا عند باب سُفيان بن عُيَيْنةَ وقد هرب منا ، وعنده الحسن بن علىّ النَّخْتاخ ، ورجلٌ من الحَجَبة ، ورجل من أصحاب الرشيد ، فدخل بهم وليس يأذَن لنا ، فجاء ابن مُناذِر فقرُب من الباب ، ثم رفَع صوته فقال :

بعَمْرٍو وبالزُّهْرىّ والسَّلَفِ الأُولَى بهم ثَبتَتْ رِجْلاك عند المَقاوِمِ

جعلتَ طَوالَ الدهر يوْماً لصالحٍ ويوْماً لصبَّاحٍ ويوماً لحاتِمِ

١٠ وللحسَنِ النَّخْتاخ[1] يوماً ودونهم خَصصتَ حُسَيْناً دُونَ أهل المواسمِ

نظرتُ وطالَ الفِكْرُ فيك فلم أجِد رَحاكَ جرَت إلاّ لأخْذِ الدَّراهمِ

فخَرَج سُفيان وفى يدِه عصاً وصاح : خُذُوا الفاسِق ، فهرَب ابنُ مُناذر منه ، وأَذِنَ لنا فدخَلْنا .

رثاؤه سفيان بن عيينة

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنى ١٥ أبو بكر المُؤدِّب ، قال : حدثنى محمد بن قُدامة ، قال :

سمعتُ سُفيانَ بنَ عُيَيْنةَ يقول لابنِ مُناذر : يا أبا عبد الله ، ما بَقِى أحدٌ أخافُه غيرَك ، وكأنّى بك قد مِتُّ فرثَيْتَنِى ، فلما مات سُفيانُ بنُ عُيَيْنة ، قال ابنُ مُناذر يرْثيه :

راحوا بسُفيانَ على نَعْشِه والعِلْمِ مَكسُوَّيْن أكْفانا[2]

٢٠ (١) فى ف : المحتاج . والنختاخ : الألكن .

(٢) فى معجم الأدباء ١٩/٦٠ « راحوا بسفيان على عرشه » .

إنّ الذى غُودِرَ[1] بالمُنْحَنَى هَدَّ من الإسلام أركانا
لا يُبعِدَنْكَ اللهُ من ميّتٍ ورَثَّنا[2] عِلْماً وأحزانا

سفيان بن عيينة يتكلم بكلام لابن مناذر

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبَيْد الله بن عمّار، قال: حدّثنى أحمدُ بن سُلَيْمان بن أبى شيخ قال:

حدّثنى شَيْخٌ من أهل الكوفة يقال له عوّام، قال: سمعتُ سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ وقد تَكَلَّمَ بكلام استُحسِن، فسأله مُحمدُ بن مُناذر أن يمليَه عليه، فتبسّم سُفيانُ وقال له: هذا كلام سَمِعْتُك تتكلّم به فاستَحْسَنْتُه فكَتَبْتُه عنك، قال: وعلى ذلك أُحِبّ أن تُمليَه علىّ، فإنى إذا رَوَيْتُه عنك كان أنفقَ له من أن أنسبه إلى نَفْسى.

٢١/١٧

قال عوّام: وأنشدَنى ابنُ عائشةَ لابنِ مُناذر يَرْثِى سُفْيانَ بنَ عُيَيْنة بقَوْله:

يَجْنِى من الحِكْمَة نُوّارَها ما تَشْتَهِى الأنفسُ ألوانا[3]
يا واحدَ الأُمّة فى عِلْمِهِ لَقِيتَ من ذِى العَرْش غُفرانا
راحوا بسُفْيانَ على نَعْشِهِ والعلمِ مَكْسُوَّين أكفانا

أخبرنى علىّ بن سُلَيْمان، قال: حدّثنا محمدُ بنُ يَزِيد، عن مُحمد بن عامر الحنفىّ، قال:

رجع إلى المجون بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب

لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب، خَرجَ ابنُ مُناذر إلى مَكّةَ، وترك النُّسُك وعاد للمُجونِ والخلْع، وقال فى هذا المعْنى شِعْراً كثيرا، حتى كان إذا مَدَح أو فَخَر، لم يجعل افْتِتاحَ شعره ومَباديه إلا المُجون، وحتى قال فى مَدْحه للرّشيد:

هل عندكم رُخْصةٌ عن الحسن البَصْرِىّ فى العِشْق وابنِ سِيرِينا!

(١) فى ب: غور.
(٢) ف، بيروت: ورثتنا.
(٣) فى معجم الأدباء ١٩-٦٠: «يجنى من الحكمة سفياننا».

إنّ سَفاهاً بذِى الجَلاَلَة والشَّيْـبَة ألّا يزَالَ مَفْتـونا

وقال أيضا فى هذا المعْنَى :

ألا يا قمر المَسْجـد هل عنْدَك تَنْوِيلُ ؟

شِفائى منك ـ إن نَوّلْتَنِى ـ شَمٌ وتَقْبيلُ

٥ سَلاَ كُلُّ فُؤادٍ[1] و فُؤادى بك مَشْغولُ

لقد حُمِّلت من حُبِّيـ ـك مالا يَحمِل الفِيلُ[2]

خبره مع يونس النحوى

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنى ابنُ مَهْرُويه ، قال : حدثنا العبّاس بن الفضل الربعىّ ، قال : حدثنى التَّوّزىّ ، قال :

قال ابنُ مناذر ليونُس النحوىّ يُعرّض به : أخبرنى عن جُبلّ أتَنْصَرِف أم لا ؟

١٠ وكان يونُس من أهلها ، فقال له : قد عرفتُ ما أردتَ يا بنَ الزّانية . فانصرفَ ابنُ مُناذر : فأعَدّ شُهوداً يَشْهَدون عليه بذلك ،وصار إليه وسأله ، هل تنصرف جُبلّ ؟ وعَلِم يونُس ما أراد ، فقال له : الجوابُ ما سَمِعْتَه أمس .

خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة

أخبرنى الحسن بن على، قال : حدثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل ، قال: حدّثنى إسحاق بن محمد النخعىّ ، قال : حدثنى إسحاق بن عَمْرو السّعدىّ ، قال : حدّثنى الحجاج الصوّاف .

١٥ وأخبرنى الحسن بن علىّ أيضا ، قال : حدّثنى ابن مَهْرُويه ، قال : حدّثنى إسحاق بن محمد ، قال : حدثنى أُمَيَّة بن أبى مروان ، قال : حدثنى حجّاج الصوّاف الأعور ، قال :

خرجت إلى مكّة فكان هِجِّيرَاى[3] فى الطريق ابنَ مُناذر ، وكان لى إلْفاً وخِدْناً وصَدِيقا ، فدَخَلْتُ مكة فسألتُ عنه ، فقالوا : لا يَبْرَح المسْجد ، فدخَلْت

(١) فى ب : « كل فؤادى » .

٢٠ (٢) الأبيات فى الشعر والشعراء ٢/٨٧٠ .

(٣) الهجيرى : الشأن والقصد .

المسجد فالتمستُه فوجدته بفِناء زَمْزَم ، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشّعراء يكتُبون عنه ، فسلّمت وأنا أُقدِّر أن يكون عنده من الشّوق إلىَّ مثلُ ما عندى ، فرفَع رأسَه فردَّ السّلام رَدًّا ضعيفاً ، ثم رجع إلى القوم يُحدِّثهم ولم يَحْفل بى ، فقلتُ فى نفسى : أتُراه ذهبَتْ عنه معرفتى ! فبَيْنا أنا أُفكِّر إذ طلع أبو الصَّلْت بن عبدالوهاب الثقفىّ من باب بنى شَيْبة داخلاً المسْجد ، فرفع رأسه فنظَر إليه ، ثم أقبل علىَّ فقال : ٥

٢٢/١٧ أتعرِف هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذى يقول فيه مَنْ قطَع اللهُ لِسانه :

إذا أنتَ تعلَّقْتَ بحَبْلٍ من أبى الصَّلْتِ
تَعلَّقتَ بحَبـل واهِنِ القُوَّةِ مُنْبَتِّ

قال : فتَغافَل عنِّى ، وأقبل عليهم ساعة ، ثم أقبل علىَّ فقال : من أىِّ البلاد أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : وأين تنزل منها ؟ قلت : بحضرة بنى عائش الصَّوّافين ، ١٠ قال : أتعرِفُ هناك ابنَ زانية يقال له : حَجَّاج الصَّوّاف ؟ قلت : نَعَم تركتُ يَنيكُ أمَّ ابنِ زانيةٍ يقال له : ابنُ مُناذِر ، فضَحكَ وقام إلىَّ فعانَقنى .

هجاؤه حجاج الصواف

قال مؤلِّف هذا الكتاب : ولابْنِ مُناذر هِجاء فى حَجَّاج الصَّوَّاف على سَبيل العَبَث ، وهو قولُه :

إنَّ ادِّعاء الحَجَّاجِ فى العرَبِ عِنْدَ ثَقِيفٍ من أعْجَب العَجَبِ ١٥
وهو ابنُ زانٍ لألف زانيةٍ وألف عِلْجٍ مُعَلْهَجِ النَّسَبِ[1]
ولو دَعاهُ داعٍ فقال له : يا ألأمَ النَّاسِ كُلِّهم أَجِبِ
إذاً لقالَ الحجَّاج : لبيْكَ مِنْ داعٍ دَعانى بالحقِّ لا الكَذِبِ
ولو دَعاه دَاعٍ فقال له : مَنِ المُعَلَّى فى اللؤمِ ؟ قال : أبى

(١) فى ب : « ... معلهج الحسب » . وفى ف : «وابن ثفل معلهج النسب» . والمعلهج : الهجين . ٢٠

أبوه زانٍ والأمُّ زانيـةٌ ... بنتُ زُناةٍ مهتوكةُ الحُجُبِ

تقول : عجِّلْ أدخِلْ ، لنائكها ... اتركه فى استى إن شئتَ أو رَكَبى (١)

مَنْ ناكَنى فيهما فأوسعَنى ... رَهْزاً دِراكاً أعطيتُه سَلَبى

هَمُّ حِرِى النَّيكُ فابتغوا لِحِرِى ... أيرَ حِمـارٍ أقضى به أرَبى

أُحِبُّ أيرَ الحِمـار وا بِأبى ... فَيْشـةُ أيرِ الحِمار وا بِأبى

إذا رأتْه قالت : فديتُك يا ... قُرَّةَ عَيـنى ومُنْتَهى طَلَبى

إذا سمعتُ النَّهيقَ هاجَ حِرِى ... شوقاً إليـه وهاج لى طَرَبى

يأخذُنى فى أسافلِى وحِرِى ... مثلُ اضْطرام الحريقِ فى الحَطَبِ

شَكَتْ إلى نِسْوة فقلْن لهـا ... وهى تنادى بالوَيْل والحَرَبِ :

كُفِّى قليلاً ، قالت : وكيفَ وبى ... فى جوفِ صَدْعى (٢) كحِكَّةِ الجَرَبِ

أرى أيورَ الرِّجال من عصَبٍ ... لَيتَ أيورَ الرِّجال من خَشَبِ

هجاه إسكاف بالبصرة فهرب منها

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدَّثنى أحمدُ بن محمد الرَّازىُّ أبوعبدِ الله ، قال : حدثنى أبو بجير (٣) ، قال : كان ابنُ مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبَصْرة ، فلا يَزال يَهْجوه بالأبْيات فيصيح من ذلك ويقول له : أنا صديقُك فاتّقِ اللهَ وأبْقِ على الصَّداقة وابن مناذر يُلِحُّ ، فقال الإسكاف : فإنى أستعينُ اللهَ عليك وأتعاطى الشعر ، فلما أصْبح غدَا عليه ابنُ مُناذر كما كان يفعَل ، فأخذ يَعْبَث به ويَهْجُوه ، فقال الإسكافُ :

كَثُرَتْ أبوَّتُه وقلَّ عديدُه ... ورمى القضاءُ به فِراشَ مُناذرِ

عبدَ الصُّبَيْرِيِّين لم تكُ شاعراً ... كيف ادَّعيتَ اليومَ نِسبةَ شاعرِ !

---

(١) الركب : من أسماء الفرج ، وفى ف : أبرك بدل : اتركه .

(٢) الصدع : الشق .

(٣) فى ف ، بيروت : أبو يحيى .

فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤه، وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه، فخرج من البصرة إلى مكة وجاور بها، فكان هذا سبب هربه من البصرة.

٢٣
١٧

أخبرنى عمى، قال: حدثنا الكرانى، عن أبى حاتم، قال:

قال ابن مناذر: مامر بى شىء قط أشد على مما مر بى من قول أبى العمثاس فى:

كثرت أبوته وقل عديده ... ورمى القضاء به فراش مناذر ٥

انظر بكم صنف قد هجانى فى هذا البيت قبحه الله، ثم منعنى من مكافأته أنى لم أجد له نباهة فأغضها، ولا شرفا فأهدمه، ولا قدرا فأضعه.

يستطيع أن يجعل كلامه كله شعرا

أخبرنى عمى، قال: حدثنى الكرانى، قال: حدثنى بشر بن دحية الزيادى أبو معاوية قال:

سمعت ابن مناذر يقول: إن الشعر ليسهل على حتى لو شئت ألا أتكلم إلا بشعر لفعلت. ١٠

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى، قال. حدثنا العباس بن ميمون طايع، قال: حدثنى بعض أصحابنا، قال:

رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشى معه وينشد:

إذا ما كدت أشكوها ... إلى قلبى، لها شفعا ١٥

ففرق بيننا دهر ... يفرق بين ما اجتمعا

فقلت: إن هذا لا يشبه شعرك، فقال: إن شعرى برد بعدك[1].

ذم امرأة محمد ابن عبد الوهاب الثقفى

أخبرنى عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثنا أبو أيوب المدينى[2]، قال: حدثنا بعض أصحابنا أن محمد بن عبد الوهاب الثقفى تزوج امرأة من ثقيف يقال لها عمارة، وكان ابن مناذر يعاديه، فقال فى ذلك: ٢٠

(١) فى ف، بيروت: «إن شعرى بدل بعدك». (٢) ب: المدنى.

لمّا رأيتُ القَصْفَ والشّارَهْ والبَزَّ قد ضاقَتْ به الحـارَهْ

والآسَ والرّيحانَ يُرْمَى بهِ من فَوْقِ ذِي الدّارَةِ والدّارَهْ

قُلتُ:لمَنْ ذا؟ قِيلَ:أعجوبةٌ مُحمَّدٌ زُوِّجَ عمّارَهْ

لا عمَّرَ اللهُ بهـا رَبْعَـه فإنَّ عمّـارة بَدْ كارَه[1]

وَيْحَكِ فِرِّي واعصِبِي فالكِ لي[2] فهـذه أُخْتُـكِ فَرّارَهْ

٥

قال : فوالله ما لَبثتْ عنده إلا مُدَيْدَةً حتى هربت ، وكانت لها أُختٌ قبلها مُتَزَوِّجة إلى بعض أهل البصرة فَفَرَكَتْهُ[3] وهربت منه ، فكانوا يَعجبون من مُوافقةِ فعلها قولَ ابن مُناذر .

شعر له فى أبا أمية خالد

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثْتُ أن أبا أُميّة[4] واسمه خالد — وهو الذى يقول فيه أبو نُواس:

١٠

أيها المُقْبِلان من حَكَمان كيف خلَّفْتُما أبا عُثْمانِ ؟

وأبا أُميّـة المُهَذَّب والمـا جِد والمُرتَجَى لرَيْبِ الزّمانِ

— كان خَطَبَ امرأة من ثَقيف ، ثم من ولد عُثْمان بن أبي العاصى ، فرُدَّ عنها ، وتَصدَّى للقاضى أن يُضمِّنَه مالاً من أموال اليَتامى ، فلم يُجِبه إلى ذلك ، ولم يَثِقْ به ، فقال فيه ابنُ مُناذر :

١٥

أبا أُميّةَ لا تَغْضَبْ علىَّ فَما جَزاء ما كان فيما بيننا الغَضَبُ

إن كان رَدَّك قومٌ عن فَتاتِهِمُ ففى كثيرٍ من الخُطّاب قد رَغِبُوا

قالوا: علَيْكَ دُيونٌ ما تقومُ بها فى كلّ عام بها تُستَحْدَثُ الكُتُبُ

وقد تَقَحّم من خَمسِينَ غايَتَها معْ أنه ذو عيال بَعْدَ ما انْشَعبُوا

---

(١) فى هب : مذكاره . وبدكاره : كلمة فارسية معناها بنت زنا .

(٢) ف : « واعصبى ذاك بى » . (٣) فركته : كرهته .

٢٠

(٤) فى ب ، س : وحدثت أن أمية .

٢٤
١٧

وفى الّتى فَعَلَ القاضى فلا تَجِدَنْ … فلَيْسَ فى تلك لى ذَنْبٌ ولا ذَنَبُ

أردتَ أموالَ أيتام تُضَمِّنُها … وما يُضَمَّن إلاّ مَنْ له نَشَبُ

بلغه عن ابن دأب قول قبيح فهجاه

أخبرَنِى مُحمّد بنُ خَلَف وكيع، قال: حَدَّثَنِى أحمدُ بنُ زُهير، قال: سمعت إبراهيم بن المُنْذر الحِزَامِىّ يقول:

٥ بلغَ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأب قَولٌ قَبِيحٌ، قال: فدعانى، وقال: اكتب:

فمن يَبغِ الوَصاةَ فإنّ عِنْدى … وَصــاةً للكُهولِ وللشَّبابِ

خُذُوا عن(١) مالكٍ وعن ابْنِ عَوْنٍ … ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دابِ

ترى الغاوين يَتَّبعون منها … ملاهِىَ من أحاديثٍ كِذابِ

إذا التُمِسَتْ مَنافِعُها اضمَحَلَّتْ … كما يَرْفَضُّ رَقْرَاقُ السَّحابِ

١٠ قال: فرُوِيتْ، وافْتضَح بها ابنُ دَأْب. قال الحزامىّ: فلما قَدِمْتُ العِراقَ وجدتُهم قد جَعَلُوها:

* خُذُوا عن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْن *

أخبرنْى عَمِّى، قال: حدثنا الكُرانىّ، قال: حدَّثنا أبو حاتم، قال:

رثاؤه الرشيد

كان الرَّشيد قد وَصلَ ابنَ مُناذر مَرَّاتٍ صِلاتٍ سَنِيَّةً، فلما مات الرَّشيد رَثاه

١٥ ابنُ مُناذِر فقال:

مَنْ كان يَبْكِى للعُلا … مَلِكًا وللهِمَمِ الشَّرِيفَهْ

فلْيَبْكِ هارونَ الخلِيـ … ـفةَ للخَلِيفَة والخَلِيفَــه(٢)

هجاؤه خالد بن طليق

أخبرنى مُحمَّدُ بنُ خلَف وَكِيع، قال: حدَّثنا أحمدُ بن أبى خَيْثَمة، عن محمد ابن سلاّم قال:

(١) فى ب: خذوا من مالك. (٢) فى ب، مد: للخليفة للخليفه.

كان مُحَمَّدُ بن طَلِيق وسائر بَنى طَلِيق أصدقاء لابن مُناذِر ، فلما وَلِىَ المَهْدِىُّ الخلافةَ استقْضَى خالدَ بنَ طَلِيق ، وَعزَل عُبَيْدَ الله بنَ الحسَن بن الحر[1] ، فقال ابنُ مُناذر يَهْجو خالداً مُجوناً وخُبْثاً منه :

أصبح الحاكمُ يا لَنّـ ـاسِ من آلِ طَلِيقِ
جالِساً يَحْكُمُ فى النّا سِ بحُكمِ الجاثَلِيقِ[2]
يدع القَصْدَ ويَهْوِى فى بُنَيّاتِ الطَّرِيقِ[3]
يا أبَا الهَيْثَمِ ماكنـ ـتَ لهــذا بخَلِيقِ
لا ولا كنتَ لمـا حُمِّلـ ـتَ منــه بمُطيقِ
حَبْلُه حَبلُ غـرورٍ عنـده[4] غـيرُ وَثِيقِ

قال ابن سلّام : فقلتُ لابن مُناذِر : ويْحك إذا بَلَغ إخوانَك وأصدقاءك من آل طَلِيق أنَّكَ هَجَوْتَهم ما يَقُولُون لك ؟ وبأىّ شىء تَعْتَذِر إليهم ؟ فقال : لا يُصدّقون إذا بلغهم أنِّى هَجَوْتُهم بذلك ؛ لأنهم يَثِقُون بى .

مدح بنى مخزوم لأنهم زاروه فى مرضه

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدَّثَنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدَّثنى الحسن بن عُلَيْل[5] ، عن مَسْعُود بن بِشْر ، قال : حدَّثنا مُحَمَّد بنُ مُناذِر ، قال :

كنتُ بمَكّة فاشتكَيْتُ ، فلم يعُدْنِى من قريش إلا بَنُو مَخْزوم وحدهم ، فقلتُ أمدَحُهم :

جاءت قُرَيشُ تَعودُنِى زُمَرًا فقد وَعَى أجرَها لها الحَفَظَهْ

(١) فى ف : « عبد الله بن الحسن بن الحسن » . وفى بيروت : « عبيد الله بن الحسن بن الحسن » .
(٢) الجاثليق : رئيس الأساقفة (معربة) . وفى الشعر والشعراء : « ضحكة يحكم ... برأى الجاثليق » .
(٣) بنيات الطريق : طرق صغيرة تتشعب من الجادة ، وهى الترهات . ومنه المثل : « دع بنيات الطريق » .
(٤) فى ف : عقده .
(٥) فى ف ، هب : الحسن بن على .

ولم تَمُدْنى تَيْمٌ وإخوتُها وزارَنِى الغرُّ(١) من بنى يقظهْ

لن يَبْرحَ العِزُّ منهمُ أبداً حتى تزولَ الجبالُ من قُرَظهْ(٢)

٢٥
١٧

أخبرنى الحسن، عن ابن مَهْرُويه، عن إسحاقَ بنِ محمد النخعىّ، قال:

ابن عائشة يطلب سماع مرثيته فى عبد المجيد

كنَّا عند ابن عائشةَ فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدنى مرثيةَ ابنِ مُناذر عبد المجيد فجعَل يُنشِدُها فكُلَّما أتى على بيت استَحْسَنَه، حتى أتى على هذا البيت: ٥

لأقِيمَنَّ مأتماً كنُجُوم الَّليْل زُهْرًا يَخْمِشْن(٣) حُرَّ الخدودِ

فقالَ ابنُ عائِشَةَ: هذا كلام لَيِّن كأنه من كلام المُخَنَّثِين، فلما أتى على هذا البيت:

كُنتَ لى عِصْمةً وكُنتَ سماء بك تَحْيا أرضِى ويَخْضرُّ عُودِى

فقال: هذا بَيْتُها، ثم أَنْشَد: ١٠

إنَّ عبدَ المَجِيد يوم تَوَلَّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ

ما دَرَى نَعْشُه ولا حامِلُوه ماعَلَى النَّعْشِ من عَفافٍ وجُودِ

وأَرانا كالزَّرع يَحصُدُنا الدَّهْـ ـرُ فمِن بَيْنِ قائمٍ وحَصِيدِ

فقال ابن عائشة: أجعله زرعا يحصدنا الله؟ فليس هذا من كلام المسلمين، ألاَ ترى إلى قَوْله: إنَّه يقول: ١٥

يَحكُمُ الله ما يشاء فَيَمْضِى ليس حُكمُ الإله بالمَرْدُودِ

عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة

أخبرنى محمد بن يَحْيى الصّولىّ، قال: حدثنى محمدُ بنُ مُوسَى، ولم يتجاوزه بالإسناد.

(١) فى هب: وعادنى الغر، وفى ب: وزارنى العز.
(٢) قرظة: قرية ببوادى عرادات وهو بين اليمن وبين نجد «عن معجم البلدان ٣–٦٣٨». ٢٠
(٣) فى ف: يلطمن.

ونَسخْتُ هذا الخبرَ من كتاب ابنِ أبي مَرْيم الحاسب : حدَّثَني ابنُ القدّاح ، وعبدُ الله بنُ إبراهيم بن قُدامةَ الجُمَحِيّ ، قالا : حدَّثنا ابنُ مُناذِر ، قال :

حج الرّشيدُ بعد إيقاعه بالبَرامكة وحج معه الفَضْلُ بنُ الرَّبيع ، وكنتُ[1] مُضيَّقاً مُملِقاً ، فهيَّأتُ فيه قَوْلاً أجدتُ تَنميقَه وتنوَّقتُ فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التَّرْوية وإذا هو يَسأل عنّي ويطلُبني ، فبَدَرني الفضلُ بن الرَّبيع قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أميرَ المُؤمنين ، هذا شاعرُ البَرامِكة ومادحهم ، وقد كان البِشْر ظَهر لي في وجهه لمّا دخلتُ ، فتَنَكَّر وعَبَس في وجهِي ، فقال الفَضْلُ : مُرْه يا أميرَ المؤمنين أن يُنْشدَك قوله فيهم :

* أتانا بَنُو الأملاك من آلِ بَرْمك *

فقال لي : أنشد ، فأبيتُ ، فتَوَعَّدَني وأكْرَهني ، فأنشدته :

أتانا بَنو الأملاكِ من آل بَرْمَكٍ ... فياطِيب أخبارٍ ويا حُسْن مَنْظَرِ

إذا ورَدوا بطحاء مكةَ أشرقت ... بيَحْيَى وبالفضل بن يحيى وجَعْفَرِ

فتُظلِمُ بَغدادُ ويَجْلُو لنا الدُّجى ... بمكّةَ ما حجّوا[2] ثلاثةُ أقْمُرِ

فما صلَحت إلا لِجُودٍ أكُفُّهم ... وأرجلُهم[3] إلا لأعوادِ مِنْبَرِ

إذا راضَ يحيى الأمرَ ذَلَّتْ صِعابُه ... وحَسبُكَ مِنْ رَاعٍ له ومُدَبِّرِ

ترى الناسَ إجــلالاً له وكأنّهم ... غرانِيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصَرْصِرِ[4]

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءكَ يا أميرَ المؤمنين أيام مَدَحْتُهم ، وفي

---

(١) في ب : « وكان » ، تحريف .

(٢) في هب : « ما كانوا ثلاثة أبدر » ، وفي ف : « ما عشنا » . وفي معجم الأدباء ١٩ — ٥٧ : « ما عشنا ثلاثة أبحر » .

(٣) في ف : أقدامهم . وفي معجم الأدباء ١٩—٥٧ : « فما خلقت إلا لجود ... وأرجلهم ... » .

(٤) الغرانيق جمع غرنوق ، وهو طائر مائي ، أو هو الكركي ، والمصرصر : المصوت بشدة .

طاعتك لم يلحقهم سُخطُك ولم تَحلُل بهم نِقْمَتُك ، ولم أكن فى ذلك مُبتَدِعا ، ولا خَلاَ أحدٌ من نُظَرائى من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلّنى فضلُهم ، وأغنانى رِفدُهم فأثنيتُ بما أَوْلَوْا ، فقال : يا غلام ، الطِمْ وجهَه ، فلُطِمتُ والله حتى سَدِرتُ[(١)] وأظلم ما كان بينى وبين أهل المجلس ، ثم قال : اسحبوه على وجهه ، ثم قال : والله لأحرمَنَّك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً فى هذا العام ، فسُحِبت حتى أخرجت ، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى وما جرى علىَّ ، ولا والله ما عندى ما يُقيم يومئذ قُوتَ عِيالى لعيدهم ، فإذا بشابٍّ قد وقف علىّ ، ثم قال : أعزِزْ علىّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودفع إلىّ صُرَّةً وقال : تَبلَّغْ بما فى هذه ، فظننتها دراهم فإذا هى مائةُ دينار — قال الصولىّ فى خبره : فإذا هى ثلاثمائة دينار — فقلت له : من أنت جعلنى الله فداءك ! قال : أنا أخوك أبو نُواس ، فاستعِن بهذه الدنانير واعذِرْنى ، فقَبِلتُها ، وقلت : وصلَك اللهُ يا أخى وأحسن جزاءك .

٢٦ / ١٧

كافأه جعفر بن يحيى على القراءة بعد تركه الشعر

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدثنا يحيى بنُ الحسَن الرَّبيعِىّ ، قال : حدثنا أبو مُعاوية الغلابىّ ، قال : قال سفْيان بن عُيَيْنة :

كلَّمنى ابنُ مُناذِر فى أن أكلِّم له جَعْفَرَ بن يحيى ، فكلَّمتُه له ، وقد كان ابنُ مناذر تَرَك الشِّعر ، فقال : إن أحبَّ أن يَعُود إلى الشِّعر أعطيتُه خمسين ألفاً ، وإن أحبَّ أن أُعطيَه على القراءة أعطيتُه عشرة آلاف ، فذكرتُ ذلك له ، فقال لى : خُذْ لى على القِراءة ، فإنى لا آخذ على الشعر وقد تركتُه .

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ ، عن الرياشىّ ، قال : قال العُتبىّ :

جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَنْ قائلُها ، فقال ابنُ مناذر :

هَذِه الدَّهماء تَجرِى فِيكمُ أرْسِلَتْ عَمْدًا تَجُرُّ الرَّسَنا

---

(١) سدرت : تحيرت .

قال الكرانيّ : وحدثني الرياشيّ قال : سمعت خلف بن خليفة يقول :

قال شعراً يصف فيه الألفة بين الرشيد وجعفر بن يحيى

قال لي ابن مُناذر : قال لي جعفرُ بن يحيي : قُلْ فيّ وفي الرّشيد شعراً تَصِف فيه الأُلفة بيننا فقلت :

قد تُقطَع الرَّحِمُ القريبُ وتُكفَر النُّعمَى ولا كتقارُب القَلْبين

يُدْنِي الهوَى هذا ويُدْنِي ذَا الهوَى فإذا هُما نَفْسٌ تُرَى نَفْسَيْنِ

قال مؤلف هذا الكتاب : هذا أخذه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلاً ؛ فإن ابن عُيَيْنَة روى عن إبراهيم بن مَيْسَرة ، عن طاوس ، عن ابن عبّاس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ الرّحم تُقْطَع ، وإن النّعم تُكفَر ، ولن ترَى[1] مثلَ تقاربِ القلوب » .

١٠ أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدّثنا العباس بن مَيْمُون ، قال : حدثنا سُلَيمان الشّاذكونيّ قال :

كنا عند سُفيان بن عُيَيْنَة ، فحدّث عن ابن أبي نُجيح ، عن مُجاهد ، في قوله عز وجلّ : ﴿ قالوا سَلاماً ﴾[2] قالوا سَدَاداً ، قال : فقال ابنُ مُناذِر وهو إلى جَنْبي : التنزيلُ أبينُ من التفسير[3]

خبره مع أبي حية النميري

١٥ أخبرني عمّي ، قال : حدثنا الكرانيّ ، عن أبي حاتم ، عن العُتْبِيّ ، عن أبي مَعْبد قال[4] :

مرّ بنا أبوحيّة النُّميْريّ ونحن عند ابن مُناذِر ، فقال لنا : عَلامَ اجتمعتم ؟ فقلنا : هذا شاعر المِصْر ، فقال له : أنشدني ، فأنشده ابنُ مُناذر ، فلما فرغ ، قال له أبو حيّة :

(١) في ب ، س : ولم تر .
(٢) الذاريات ٢٥ ، هود ٦٩ .
٢٠ (٣) في لسان الميزان لابن حجر ٥ – ٣٩٣ ط الهند : فقال ابن مناذر : معنى التنزيل أبين من التأويل .
(٤) ف : « عن أبي معاوية » .

ألم أقل لك : أنشدنى ؟ فقالوا له : أنشدنا أنت يا أبا حَيَّة ، فأنشدهم قوله :

ألا حَىُّ من أجْلِ الحبيبِ المَغانياَ[1] لَبِسْنَ البِلَى مما لَبِسْنَ اللياليا

إذا ما تَقَاضَى المرءَ[2] يومٌ وليلةٌ تقاضاه شىء لا يَملُّ التقاضيا

فلما فرغ ، قال له ابنُ مُناذر : ما أرى فى شعرك شيئاً يُستَحْسن ، فقال له : ما فى شِعْرى شىء يُعاب إلا استماعَك إياه ، فكادا أن يتَوَاثبا ، ثم افترقا . ٥

٢٧/١٧

أخبرنى عمّى ، قال : حدّثنى الكُرانىّ ، عن ابن عائشة قال :

هجا خالد بن طليق وعيسى بن سليمان

ولِىَ خالدُ بن طَلِيق القضاء بالبصرة ، وعيسى بنُ سُليمان الإمارةَ بها ، فقال محمد بنُ مناذر يهجوهما بقوله :

الحمــدُ لله على ما أرى خالدٌ القاضى وعيسَى أمير

لكنّ عيسَى نوكُه ساعة ونوكُ هذا مَنْجَنُونٌ يَدُور[3] ١٠

وقال فى شيرَوَيْه الزِّيادِىّ ، وشيرَوَيه لقب ، واسمه أحمد ، وسأله حاجةً ، فأبى أن يقضيها إلاّ على أن يمدحَه :

ياسَمِىَّ النَّبِىِّ بالعربيّــهْ وسَمِىَّ اللّيوثِ بالفارسيَّهْ

إن غَضِبْنا فأنت عَبدُ ثَقِيفٍ أو رَضِينا فأنتَ عبدُ أُمَيَّهْ

فغضب شيرويه وجعل يَشتُمه ، وشاع الشِّعرُ بالبصرة ، فكان بعد ذلك إذا قيل ١٥ لِشيرَوَيْه : ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض ، يَشتُم مَنْ يقول له ذلك .

أخبرنى الحَسَنُ بنُ القاسم الكوكَبِىّ قال : حدثنا ابنُ أبى الدُّنيا قال : سمعتُ محمد بن قُدامة الجَوْهَرِىّ يقول : سمعتُ سُفيان بن عُيَيْنَة يقول لمحمد بن مُناذِر : كأنك بى قد مِتُّ فرَثَيْتَنِى ، فلما مات ، قال ابنُ مناذر يرثيه :

(١) فى ب : « المعانيا » تصحيف ، والتصويب من هب ، ف . ٢٠
(٢) فى ب : الأمر .
(٣) النوك : الحمق . والمنجنون : ما يستقى عليها .

إنّ الذى غُودِر بالمُنْحنَى هَدٌّ من الإسلام أرْكانا
راحوا بسُفيانَ على نَعْشِه[١] والعِلْمِ مَكسُوَّيْنِ أكفانا
لا يُبعِدَنْك اللهُ من هالكٍ وَرَّثْتَنا عِلْماً وأحزانا

يفسر كلمات لعبدالله بن مروان

أخبرنا عمِّى، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ مروان
٥ ابن معاوية الفَزارىّ، قال: حدَّثنا سُفيان قال:

سَمِعتُ أعرابيةً تقولُ: مَنْ يشترى منى الحَزَاة؟ فقلتُ لها: وما الحَزَاة؟ قالت: تشترِيها النِّساء للطَّشَّة والخافِيَة والإقلات. قال عبد الله بنُ مروان: فسألتُ ابنَ مُناذر عن تفسير ذلك، فقال: الطَّشَّة: وجع يصيب الصِّبيانَ فى رُءوسهم كالزُّكام. والخافِيَة: ما خَفِيَ من العِلَل المَنسوبة إلى أذى الجن[٢]. والإقلاتُ: قِلَّةُ الوَلَد. وأنشدنى
١٠ ابن مُناذرٍ بعَقِب ذلك:

بُغاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخاً وأُمُّ الصقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[٣]

أى قليلَة الفِراخ.

أخبرنى محمَّد بنُ الحَسَن بن دُرَيْد، قال: حدَّثنى أبو حاتم، قال:
سمعتُ محمَّدَ بن مُناذرٍ يقول: العَذراء: البَتولُ، والبَتُورُ والبَتِيلُ واحد،
١٥ وهى المُنْقَطِعة إلى ربِّها.

قال: وسأله ـ يعنى ابن مناذر ـ أبو هُرَيرَة الصَّيْرفىّ بحضْرتى فقال: كيف تقول: أمّا لا أو إمّالا؟ فقال له مُستهزِئاً به: أمّالا[٤]، ثم التفت إلىّ فقال أسمعتَ أعجبَ من هذه المَسألة!

(١) فى معجم الأدباء ١٩-٦٠: «... على عرشه».
(٢) فى ب: «الحق»، تحريف.
٢٠ (٣) البيت للعباس بن مرداس فى شرح الحماسة ٣ - ١٥٣ ط حجازى ضمن قصيدة من تسعة أبيات، مطلعها: ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد مزير
(٤) الصواب «إمّالا» بكسر الهمزة، أى إن كنت لا تفعل غيره.

يجيب على سؤال لم يجب عنه أبو عبيدة

أخبرنى الحسن بن علىّ، قال: حدّثنى ابن مَهْرويه قال حدّثنى العبّاسُ بنُ الفضل الرّبعىّ قال: حدّثنا التّوّزىّ قال:

سألتُ أبا عُبَيْدةَ عن اليَوْم الثانى من النّحْر: ما كانت العرب تُسمّيه؟ قال: ليس عِنْدى من ذلك علم. فلقيتُ ابن مناذر بمكّة، فأخبرتُه بذلك، فعَجب وقال: أيسقُط هذا عن مِثْل أبى عُبَيْدة! هى أربعةُ أيّام مُتواليات كلّها على الرّاء: أوّلها يوم النّحْر، والثّانى يوم القَرّ، والثّالثُ يوم النفْر، والرّابع يوم الصدر. فحدّثتُه — يعنى أبا عُبَيْدة — فكتَبَه عن ابن مُناذر، وقد روى ابنُ مناذر الحديثَ المسند، ونَقَله عنه المُحدّثون.

٢٨/١٧

بعض روايات له

أخبرنى عمّى قال: حدّثنا الكُرانىّ، قال: حدّثنا الخليل بن أسد، عن محمد ابن مسعدة الدّارع أبى الجهجاه، قال:

حدّثنى مُحمّد بن مناذر الشّاعر، قال: حدثنى سُفيان الثّورى، عن الأغرّ، عن وَهْب بن مُنَبّه، قال: كان يقال: الحياء من الإيمان، والمِذَى — مكسور الميم مقصور — من النفاق، فقلت: إنّ الناس يقولون: المذاء، فقال: هو كما أخبرتك، فقلت له: وما المِذا؟ قال: اللِّينُ فى أمر النساء، ومنه دِرْعٌ ماذىّ، وعَسَلٌ ماذىّ.

أخبرنى الحسنُ بن علىّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرويه. قال: حدّثنى إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، قال: حدثنى حامد بن يحيى البلخىّ، قال:

حدثنى محمد بن مناذر الشاعر، قال: حدّثنى يحيى بن عبد الله بن مُجالد، عن الشّعبىّ، عن مَسروق، عن عبد الله، قال: لمّا نظَر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إلى القَتْلَى وهم مُصرّعُون، قال لأبى بكر: «لو أنّ أبا طالب حَىٌّ لعلم أنّ أسيافَنا قد أخذت بالأماثل»، يعنى قولَ أبى طالب:

كذبتُم وبَيْتِ الله إن جدّ ما أرى لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثِلِ (١)

(١) ف: «... بالأنامل».

أخبرنى محمد بن خلف قال : حدّثنى إسحاق بن محمد النخعىّ ، قال : حدثنا ابن مناذر ، قال : حدّثنا سُفيان بن عُيَينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : قال علىٌّ عليه السلام : « ماقام بى[1] من النِّساء إلا الحارِقة أسماء » . قال ابن مناذر : الحارِقة : التى تُجامَع على جَنْب .

٥ أخبرنى مُحمّد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ ، عن العباس بن عبد الواحد ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن مناذر ، عن سُفيان بن عُيَينة ، عن عَمْرو بن دينار ، عن طاوس ، عن أبى هريرة ، قال : جاء الشيطانُ إلى عيسى ، قال : ألستَ تزعمُ أنك صادق ؟ قال : بلى ، قال : فأوفِ على هذه الشّاهقَة ، فألقِ نفسك منها ، فقال : ويلك ، ألم يَقُل الله : يابن آدم ، لاتَبتَلِنى بهلاكِك ،

١٠ فإنِّى أفعلُ ما أشاء .

أخبرنى عيسى بن الحسَيْن الوَرّاق ، عن حَمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال :

كتب رقعة فيها شعر لغلام فى مسجد البصرة

نظر محمد بن مناذر إلى غُلام حسَنِ الوجه فى مسجد البصرة ، فكتب إليه بهذه الأبيات :

وجدتُ فى الآثار فى بَعْض ما ... حدّثنا الأشياخُ فى المُسْنَدِ
١٥ مِمّا رَوَى الأعمَشُ عن جابرٍ ... وعامرِ الشّعْبىِّ والأسودِ
وما روى شُعْبةُ عن عاصمٍ ... وقاله حَمّاد عن فَرْقَدِ
وصيَّةٌ جاءت إلى كل ذى ... خدٍّ خَلَا من شَعَرٍ أسودِ
أن يقْبَلُوا الرّاغب فى وَصْلِهم ... فاقبَلْ فإنى فيك لم أزْهدِ
نَوِّلْ فكَمْ من جمْرةٍ ضَمّها ... قَلْبِيَ من حُبِّيك لم تَبْرُدِ

٢٠ فلمّا قرأها الفتى ضَحِك ، وقلَب الرُّقْعة ، وكتب فى ظهْرها : لستُ شاعراً

(١) ف : « لى » .

فأُجيبك ، ولا فاتِكا فأُساعدك ، وأنا أعوذُ بالله ربّك من شرِّك .

رواية أخرى فى خبره مع أبى العتاهية

٢٩
١٧

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران الصَّيْرفىّ ، قال : حدّثنا الحسَنُ بنُ عُلَيْل العَنَزِىّ ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله العَبْدِىّ ، قال : حدّثنا علىّ بن المبارك الأحمر ، قال :

لَقِىَ أبو العَتاهيَة ابنَ مناذر بمَكّة ، فجعل يُمازِحُه ويُضاحِكه ، ثم دَخَلَ على الرَّشيد ، فقال : يا أميرَ المُؤْمنين ، هذا ابن مُناذر شاعرُ البَصْرة يقول قَصيدة فى سَنَة ، وأنا أقول فى سنة مائتى قصيدة[1] فقال الرشيد : أدخِلْه إلىّ ، فأدخلَه إليه وقدّرَ أنّه يَضَعُه عنده ، فدخَل فسلّمَ ودعا ، فقال : ما هذا الذى يَحْكيه عنك أبُو العَتاهيَة ؟ فقال ابنُ مُناذر : وما ذاكَ يا أميرَ المُؤْمنين ؟ قال : زعم أنك تَقولُ قَصيدةً فى سنَة ، وأنّه يقول كذا وكذا قَصيدة فى السَّنَة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كنت أقول كما يَقُول :

ألا يا عُتْبَةَ السَّاعهْ ... اموتُ السَّاعةَ السَّاعهْ

لقلتُ منه كثيرا ، ولَكِنّى الذى أقول :

إنَّ عبدَ المَجِيدِ يوم تَوَلَّى ... هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ

ما دَرَى نَعْشُهُ ولا حامِلُوه ... ما عَلَى النَّعْشِ من عَفافٍ وجُودِ

فقال له الرشيد : هاتِها فأنشِدْنيها ، فأنشدَه ، فقال الرشيد : ما كان يَنْبغِى أن تكون هذه القَصِيدة إلاّ فى خَلِيفة أو ولىّ عَهْد ، ما لها عَيْبٌ إلاّ أنّكَ قلتَها فى سُوقَة ، وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم ، فكاد أبو العَتاهِية يموت غمًّا وأسفاً .

سئل عنه يحيى بن معين فذمه

أخبرنى الحسَن بن علىّ ، قال : حدّثنا ابنُ مَهْرُويه ، قال : حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : سألتُ يَحْيَى بن معين ، عن مُحَمَّد بن مُناذر الشاعر ، فقال : لم يكن بثِقَة ولا مَأْمون ، رَجلٍ سَوْءٍ نُفِى من البَصْرة ، ووصَفَه بالمجُون والخَلاعَة ، فقلت : إنما

(١) فى هب : « فى سنة واحدة مائتى قصيدة » ، وفى ب : « ما بين قصائد » ، تحريف .

تَـكْتُب شعْرَه[١] وحكاياتٍ عن الخليل بن أحمد ، فقال : هذا نَعَم . وأما الحديثُ فَلستُ أراهُ مَوْضعاً له .

وفاته بعد أن كف بصره

أخبرنى الحسَن ، قال : حدّثنى ابن مَهْرُويه : قال : حدثنى علىُّ بن محمد النَّوْفلِىّ قال :

٥ رأيتُ ابنَ مُناذر فى الحجّ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائة ، قد كُفَّ بَصرُه ، تَقودُه جُوَيْرِية حُرَّة ، وهو واقف يشترى ماء قِرْبة ، فرأيته وَسِخ الثَّوْب والبدَن ، فلما صِرْنا إلى البصرة أتَتْنا وفاتُه فى تلك الأيَّام .

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنا خلّاد الأرْقَط قال :

تذاكرنا ابنَ مناذِر فى حَلْقة يُونُس ، فقدح فيه أكثرُ أهل الحلْقة ، حتى نسبوه ١٠ إلى الزَّنْدَقة ، فلما صِرْت فى السَّقيفة التى فى مُقدَّم المَسْجِد سَمِعْتُ قراءة قريبة من حائِط القِبْلة ، فدنوتُ فإذا ابنُ مُناذِرقائمٌ يُصَلّى ، فرجعت إلى الحلْقة ، فقلتُ لأهلها : قلتُم فى الرجل ما قلتم ، وها هُوذا قائمٌ يُصَلّى حيث لا يَراهُ إلا الله عزَّ وجل .

خبره مع أبى خيرة

أخبرنى مُحمّد بن جَعْفَر الصَّيدلانىّ النَّحْوىّ قال : حدثنا أحمدُ بنُ القاسم البَرْقِىّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بْن يعقوب ، قال : حدّثنى أحمدُ بنُ يَحْيَى الهُذَلىّ التَّمّارُ ، ١٥ عن عبدالله بن عَبد الصَّمَد الضَّبِّىّ قال :

كُنَّا يوما جلوسا فى حَلْقة هُبَيْرَة بن جَرير الضَّبِّىّ[٢] إذ أقبل مُحَمَّدُ بن مناذِر فى بُرْد قد كَسَتْه إيّاه بانَةُ بِنْت أبى العاصِى ، فسلَّم علىَّ وَحدى ، ولم يعرف منهم أحدًا ، ثم قام فجلَس إلى أبى خَيْرَة ، فخاطبه مُخاطبة خَفيفة[٣] ، وقام مُغْضَبا ، فقال لى هُبَيْرَة : مَنْ هَذَا ؟ فقلتُ ، محمَّدُ بنُ مُناذِر : فقال : إنا لِلهِ قُومُوا بنا ، فقام إلى أبى خَيْرة ، ٢٠ فقال له : ماذا قال لك ابنُ مُناذر ؟ قال : سألنى عن شىء وكنت مَشْغولا عنه فقال[٤] :

(١) ف : « إنما نكتب عنه شعراً أو حكايات عن الخليل » .
(٢) ف . حديد » .
(٣) فى ف ، بيروت . جهه . (٤) وفى ب ، س . « تعلب . آه يا أبا خيرة » .

٣٠
١٧

يا أبا خَيْرة إن العَشائر تَغْبِطُنا لِعِلْمِك ، وما جعل اللهُ عندك ، فَنَشَدْناك اللهَ أن تكون لنا ، كما كان عَرادَةُ لبنى نُمَير ، فإنه تعرَّض لِجَرير فهجاه فَعَمَّهُمْ فقال :

عَرادَةُ من بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... ألاَ تَبًّا لِما فَعَلوا تَبابَا

أتدْرِى مَنْ كان عندك آنفا ؟ قال : لا ، قال : ابنُ مناذر ، وما تَعرَّض لأعراض قَوْمٍ قطّ إلا هَتَكها وهَتَكهم ، فإذا جاءك يسألك عن شَىْءٍ فأجبْه ، ولا تَعْتَلّ عليه بالبول ، ولا تطلب منه شيْئاً ، وكُلّ ما أردْت من جهته ففى مالِى ، قال : أفعلُ . قال : وكان أبو خَيْرة إذا سألَه إنسان عن شىء ولم يُعطه شيئاً يعْتَلّ عليه بالبَوْل . فما شعرنا من غد إلا بابْن مُناذِر وقد أقبل ، فعلِمنا أنه قَصدَ أبا خَيْرة ، فأتينْاه ، فلما رأى جمْعَنا استحْيا منّا ، وسلَّم علينا وَتبسَّم ، ثم قال : يا أبا خَيْرة : قد قُلتُ شِعراً ، وقبيحٌ بمِثْلى أن يُسأل عنه فلا يَدْرِى ما فيه ، وإنّى ذَكرتُ فيه إنساناً فشَبّهتُه بالأَفّار ، فأىّ شىء هو ؟ فاحمرَّ وَجْهُ أبِى خَيْرة واضْطَرب ، وقال : هو التَّيْسُ الوَثّاب الذى يَنْزو وقضيبُه رِخْو فلا يَصِل ، فقال: جُزِيتَ خيرا ، ووثب وهو يضحك ، فقمْنا إليه وقلنا : قد علِمنا أنّك عَنَيْتَ هذا الشيخ ، فإن رأيت أن تَهَبَهَ لنا فافْعَل ، فإنَّه شيخُنا ، قال : والله ما عَنيتُ غيرَه ، وقد وَهبْتُه لكم وكرامةً ، والله لا يسمع منى أحَدٌ ما قُلتُ فيه ، ولا أذكره إلا بخَيْر أبدا ، وإن كان قد أساء العِشْرة أمس .

صــوت

لا زِلتَ تَنشُرُ أعياداً وتَطوِيها تَمضِى بها لَكَ أيَّامٌ وتُمضِيها[(١)]
ولا تَقَضَّت بكَ الدنيا ولا بَرِحَتْ تَطوِى لكَ الدهرَ أياماً وتُفْنِيها

الشعر لأشْجَعَ السُّلَمىّ ، والغناء لإبْراهيم المَوْصِلىّ ثانى ثقيل مطلق فى مجرى البنصر ، وفيه لمحمد قريض[(٢)] لحن من الثقيل الأول ، وهو من مشهور غنائه ومختاره .

---

(١) ى ب : « تقضى بها لك أيام .. » . (٢) ف : « قريص » .

نسب أشجع وأخباره

نسبه

أخبرَنى محمد بن عمران الصَّيرفىّ والحسَن بن علىّ قالا : حدثنا الحسَن بن عُلَيل العَنَزىّ ، قال : حدثنى علىّ بن الفَضْل[1] السّلمىّ ، قال :

كان أشجَعُ بن عَمْرو السلمىّ يُكنى أبا الوليد من ولد الشَّريد بن مطْرود السلمىّ ، تزوج أبوه امرأة من أهْل اليَمامة ، فشَخَص معها إلى بلدها فولدت له هناكَ أشْجَع ، ونشأ باليَمامة ، ثم مات أبوه ، فقَدِمت به أمُّه البَصْرَة تطلب ميراث أبيه ، وكان له هُناكَ مال فماتَت بها ، ورُبّى أشْجَع ونَشأ بالبَصْرة ، فكان مَنْ لا يعرفُه يَدْفع نسبَه ، ثم كَبِر وقال الشِّعْر وأجاد وعُدّ فى الفحول ، وكان الشِّعر يومئذ فى رَبيعةَ واليَمَن ، ولم يكن لقَيْس شاعر معْدود ، فلما نَجَم أشْجعُ وقال الشِّعر ، افتخرَت به قَيْس وأثبَتَت نسبه ، وكان له أخوان : أحمدُ وحُرَيْث ابنا عمرو ، وكان أحمدُ شاعرا ولم يكن يُقارِب أشْجَع ، ولم يكن لحُرَيْث شِعْر ، ثم خرَج أشجَع إلى الرَّقَّة والرَّشيد بها ، فنزل على بنى سُلَيم فتقبلوه وأكرمُوه ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعْفر خاصةً وأصفاه مَدْحه ، فأعجب به ووصله إلى الرشـيد ، ومدَحه فأعجِب به أيضا ، فأثرى وحسُنَت حالُه فى أيَّامه وتقدَّم عنده .

كان يعد من فحول الشعراء

شخص من البصرة إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته

أخبرنى محمد بن عِمْران ، قال : حدَّثنى العَنَزِىّ ، قال : حدَّثنى صَخْر بن أسد السُّلمىّ قال : حدَّثنى أبى أسَدُ بنُ جَديلة قال : حدَّثنى أشْجَعُ السُّلمِىّ قال :

٣١ / ١٧

شَخَصت من البَصْرة إلى الرَّقَّة ، فوجدت الرَّشيد غازيًا ، ونالَتْنِى خَلَّة ، فخرجت حتى لَقِيتُه مُنصرِفًا من الغَزْو ، وكنت قد اتَّصلْت ببَعض أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : مَنْ كان هاهنا من الشعراء فلْيحضر يوم الخميس ، فحضَرنا سَبْعة وأنا ثامِنهم ، وأُمرنا بالبُكور[2] فى يوم الجمعة ، فبكَّرنا وأُدخِلْنا ، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منا يُنشِدُ على الأسنان ، وكُنتُ

(١) فى ف : المفضل . (٢) فى ب : للبكور .

أحدثَ القومِ سنًّا ، وأرثَّهم[1] حالاً ، فما بُلِغ إلىَّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدِّمت والرَّشيد على كُرْسىّ ، وأصحابُ الأعمِدَة بين يديه سِماطان[2] ، فقال لى : أنشدنى ، فخفت أن أبتدئ من أوّل قصيدتى بالتَّشْبيب فتَجب الصلاة ويفوتنى ما أردْت ، فتركتُ التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المَديح فى قصيدتى التى أوّلها :

خاف وجوب الصلاة فبدأ إنشاد الرشيد بما جاء في قصيدته من مدح

٥ تذكَّر عهدَ البيضِ وَهْو لهـا تِرْبُ وأيّامَ يُصبى الغانياتِ ولا يَصْبُو

فابتدأتُ قولى فى المديح :

إلى مَلِك يَستغرقُ المـالَ جُـودُه مـكارِمُه نَثْرٌ[3] ومعْروفُه سُكْبُ

وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد له من مياهِ النَّصْر مَشْرَبُها العَذْبُ

متى تَبلُغ العِيسُ المَراسيلُ بابَـه بنا فهناك الرُّحبُ والمنزلُ الرَّحْبُ

١٠ لقد جُمعت فيكَ الظُّنون ولم يـكن بغيرك ظَنٌّ يستَرِيح له القَلْبُ[4]

جَمعتَ ذَوِى الأهواء حتى كأنَّهم على مَنهـجٍ بَعْد آفتراقِهم رَكْبُ

بَنَيْتَ[5] على الأعـداء أبناء دُرْبةٍ فلم يَقِهم منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ

وما زلتَ تَرْمِيهم بهـم مُتَفرِّدا أنيساك حَزْمُ الرَّأىِ والصّارِمُ العَضْبُ

جَهدْتُ فـلم أبلغ عُلاكَ بمِدْحَـةٍ وليس على مَنْ كان مُجتهِداً عَتْبُ

١٥ فضحِك الرَّشيد وقال لى : خفتَ أن يفوتَ وقتُ الصلاة فينقَطِع المديح عليك ، فبدأتَ به وتركت التَّشْبيبَ ، وأمرنى بأن أُنشدَه التَّشْبيبَ فأنشدتُه إيّاه ، فأمر لكلِّ واحد من الشُّعراء بعشرةِ آلاف دِرْهم وأمر لى بِضِعْفها .

أخبرنى حَبيبُ بنُ نَصْر المهلّبىّ ، قال: حدَّثنا عُمَرُ بنشبَّة ، قال : حدَّثنى أحمدُ بن سيّار الجُرْجانىّ وكان راوية شاعراً مَدّاحاً ليَزيدَ بنِ مَزْيد ، قال :

٢٠ (١) فى المختار : وأرقهم . (٢) سماط القوم : صفهم . (٣) فى المختار : فيئ .

(٤) ا ، ب ، س : « بغيرك ماظن يستريح له قلب » ، وهو غير مستقيم الوزن .

(٥) فى ب ، ما : بنيت .

أنشد الرشيد قصيدته الميمية فاستحسنها وقال: هكذا تمدح الملوك

دخلتُ أنا وأشْجَع والتَّيْمِيّ ، وابن رَزِين الخراسانىّ[1] على الرشيد فى قصر له بالرقّة ، وكان قد ضَرَب أعناقَ قوم فى تلك الساعة ، فجعَلْنا نَتخلّل الدّماء حتى وصلنا إليه ، فأنشدَه أبو مُحمد التَّيْمىّ قصيدة له يذكر فيها نقفُور[2] ووقعته ببلاد الرّوم ، فنثَرَ عليه مثلَ الدّرّ من جوْدة شعره ، وأنشدَه أشْجَع قوله :

قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ ألقَتْ عليه جَمالَها الأيَّامُ

قَصُرت[3] سُقوفُ المزن دُون سُقُوفه فيه لأعلام الهُدَى أعلامُ

تُثْني على أيَّامِك الأيّامُ والشاهِدانِ الحِلُّ والإحْرامُ

[4] أدنتك من ظل النبى وصيّة وقرابةٌ وشَجَت بها الأرحام

برقت سماؤك فى العدو وأمطرت هاما لها ظلّ السيوف غمام

وإذا سيوفك صافحت هام العِدَى طارت لهن عن الرءوس الهام[4]

وعلى عدُوّك يابْن عَمّ مُحمَّد رَصَدانِ ضوء الصُّبْح والإظلامُ

فإذا تَنَبَّه رُعْتَه وإذا غفَا سَلَّت عليه سيُوفَك الأحْلامُ

وأنشدتُه أنا قوْلى :

* زَمَنٌ بأعْلى الرَّقْتَيْن قَصِير *

حتى انتهَيْت إلى قوْلى :

لا تَبْعَدِ الأيَّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا خَضِلٌ وإذ غَضُّ الشباب[5] نضِيرُ

فاستحسَن هذا البيْت ، ومضيْتُ فى القَصيدة حتى أتممتها ، فوجَّه إلىَّ الفضلُ بن الربيع : أنفِذ إلىَّ قصيدَتك ، فإنى أُريد أن أُنشِدَها الجوارى من استِحْسانه إيّاها .

(١) ف : « الخزاعى » .
(٢) فى ب : تنفور .
(٣) فى ف ، بيروت : قصر .
(٤ - ٤) الأبيات الثلاثة من مختار الأغانى .
(٥) فى ف : غصن .

قال : وركب الرشيد يوماً قُبةً وسعيدُ بنُ سالم[١] معه فى القُبّة ، فقال : أين محمد البيذق ؟ وكان رجلاً حسن الصَّوْت يُنشد الشعرَ فيُطرِب بحُسْن صوته أشدَّ من إطْراب الغناء ، فحضر ، فقال : أنشدْنى قصيدة الجُرْجانىّ ، فأنشدَه ، فقال : الشعرُ فى ربيعةَ سائر اليوم ، فقال له سعيدُ بنُ سالم : يا أميرَ المُؤْمنين ، اسْتَنْشِده قصيدةَ أشْجَع بنِ عمرو ، فأبى ، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعِها ، فلما أنشدَه هذيْن البيتين :

* وعلى عَدوِّكَ يا بْنَ عَمِّ مُحمَّد *

والذى بعده ، قال له سعيدُ بنُ سالم[١] : والله يا أميرَ المُؤْمِنين ، لو خَرِس بعد هذين لكان أشعرَ الناس .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفَّاف ، قال : حدَّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدَّثنى أبى ، قال :

بلَغَنى أنَّ أشْجع لمّا أنشد الرَّشيد هذين البيْتين :

* وعلى عَدوِّك يا بْنَ عَمِّ مُحمَّد *

والذى بعده ، طَرِب الرشيد ، وكان مُتَّكِئاً فاستوى جالسا ، وقال: أحسن والله ، هكذا تُمدَح الملوك .

أخبرنى أحمدُ بنُ إسحاق العَسكرىّ ، والحسنُ بنُ علىّ ، قالا : حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهلىّ ، عن أبيه ، قال :

كنتُ عند الرَّشيد ، فدخَل إليه أشْجع ، ومنصورٌ النَّمرىّ ، فأنشده أشْجَع قولَه :

وعلى عَدُوِّك يا بنَ عَمِّ مُحمَّـدٍ   رَصَدَان ضوءُ الصُّبْح والإظلامُ
فإذا تَنَبَّه رُعتَه وإذا غفا[٢]   سلَّت عليه سيوفَك الأحـلامُ

فاستَحْسن ذلك الرَّشيد ، وأومأتُ إلى أشْجَعَ أن يَقْطع الشعر ، وعلمت أنَّه لا يأتى

(١) ف : « سلم » .
(٢) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢–٨٨٢ ط المعارف : ... وإذا هدى .

بمثلِهما ، فلم يَفعل ، ولمّا أنشدَه ما بعدَهما قتر الرّشيد وضَرَب بمِخْصرة كانت بيده الأرضَ ، واستَنْشد منصوراً النَّمرىّ ، فأنشده قولَه :

ما تنقَضى حَسْرةٌ مِنّى ولا جَزَعُ إذا ذَكرتُ شباباً ليس يُرْتَجعُ

فمرّ واللهِ فى قصيدة قلَّ ما تقولُ العربُ مثلَها ، فجعل الرشيد يضرب بِمخْصرته الأرض ويقول : الشِّعر فى ربيعةَ سائرَ اليوم ، فلما خرجنا قلت لأشجع : غمزْتُك أن تقطَع فلم تفعل ، ويلك ! ولم تأتِ بشىء ، فهلاّ مِتَّ بعد البَيتيْن أو خرِسْت ، فكنتَ تكون أشعرَ الناس .

اشترى جعفر بن يحيى ضيعة وردها على أصحابها فمدحه

أخبرنى حَبيب بنُ نَصْر المهلّبىّ ، قال : حدَّثنا هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزّيّات قال : حدَّثنى موسى بنُ عيسى ، قال :

اشترى جَعفَرَ بنُ يَحيى البِرْغاب[1] من آل الرشيد[2] بعِشْرين ألف ألف دِرْهم ، وردّه على أصحابه ، فقال أشجعُ السّلمىّ يَمْدَحُه بذلك ويقول :

ردَّ السِّباخَ نَدَى يَدَيْه وأهلُها منها بمنزلة السِّماك الأعزَلِ

قد أيقَنُوا بذهابها وهلاكِهم والدَّهرُ يُوعِدُهم بيوْمٍ أعضَلِ[3]

فافتَكَّها لهُمُ وهم من دَهْرِهم بين الجِرانِ وبين حَدِّ الكَلْكَلِ

ما كان يُرْجَى غَيرُه لفَكاكِها يُرْجَى الكَرِيمُ لكل خَطْبٍ مُعضِلِ

أنشد جعفر بن يحيى مديحا له لوقته على وزن قصيدة حميد بن ثور وقافيتها

أخبرنى الحَسَن بن علىّ الخَفّاف قال : حدثنى أحمد بن محمد حرّان[4] ، عن قدامة ابن نوح ، قال :

جلس جَعفَرُ بنُ يَحْيى بالصالِحِيّةِ يشرب على مُستَشرفٍ له ، فجاءه

(١) المرغاب : ضيعة .
(٢) ف : « من الرشيد » .
(٣) فى ف ، بيروت : أعصل .
(٤) ف : « أحمد بن محمد بن حدان » .

أعرابىٌّ من بنى هلال ، فاشتَــكَى واستَماح بكلام فَصيح ولَفْظ مثله يَعْطف المَسْئُول[١] ، فقال له جَعْفَرُ بن يَحْيى : أتقولُ الشـعرَ يا هِلاَلىّ ؟ فقال : قد كنت أقولُه وأنا حَدَث أتَمَلَّح به ، ثم تَركتُه لمَّا صِرْتُ شيخاً ، قال : فأنشِدْنا لشاعركم حُمَيْد ابن ثَوْر ، فأنشدَه قوله :

٥ لِمَنِ الدِّيارُ بجانب الحُمْسِ كَمَخَطٍّ ذى الحاجاتِ بالنِّقْسِ

حتى أتى على آخِرها ، فاندفع أشجَعُ ، فأنشدَه مديحاً له فيه قاله لوقْتِه على وزنها وقافيتها ، فقال :

ذهبَتْ مكارمُ جَعْفَرٍ وفعِـالُه فى النّاس مِثْلَ مذاهب الشمْسِ

مَلِكٌ تسوسُ له المَعالِى نفسُه والعقلُ خَـيْرُ سياسةِ النّفْسِ

١٠ فإذا تراءتْه المُلوكُ تراجَعُوا جَهْرَ الـكلام بمَنْطِقٍ هَمْسِ

ساد البرامِكَ جَعْفرٌ وهم الأُلَى بعد الخلائف سادَةُ الإنْسِ

ما ضرَّ مَنْ قَصَدَ ابنَ يَحْيى راغباً بالسَّعْدِ حلَّ به أم النَّحس

فقال له جَعْفر : صِفْ موضعَنا هذا ، فقال :

طلب منه جعفر وصف مكانه شعرا فقال وأجاد

قُصورُ الصالِحيَّة كالعَذارَى لَبِسنَ ثيابَهُنَّ ليَوْمِ عُرْسِ

١٥ مُطلاّتٌ على بَطْنٍ كَسَتْهُ أيادى المـاء وَشْياً نسْجَ غَرْسِ

إذا ما الطّـلُّ أثّر فى ثَراه تَنفّس نَوْرُه من غير نَفْسِ

فتَغْبِقُه السَّماء بِصِبْغ وَرْسٍ وتَصْبَحُه بأَكْوُس عَين شَمْسِ[٢]

---

(١) ف : « فشكى واستماح بلفظ لطيف فصيح ، وكلام مثله يعطف المسئول » .

(٢) فى ما . «فتغبقه بصبغ لون ورس» . وفى ف ، بيروت : «وتصبحه بكأس عن سمس» . وفى اللسان : ٢٠ غبقه يغبقه غبقاً : سقاه غبوقا ؛ وهو الشرب بالعشى . وصَبَحه يَصْبَحه : سقاه صبوحا ؛ والصبوح : ما أصبح عندهم من شرابهم .

فقال جَعْفر للأعرابى : كيف ترَى صاحِبَنا يا هلالىّ ؟ فقال : أرى خاطِرَه طوعَ لسانه ، وبيانَ الناس تحت بيانه ، وقد جعلتُ له ما تَصِلُنى به ، قال : بل نُقرُّك[1] يا أعرابىّ ونُرْضِيه ، وأمر للأعرابىّ بمائةِ دينار ولأشْجَع بمائتَين .

أنس بن أبى شيخ يعجب بشعره ويقدمه إلى جعفر ابن يحيى

أخبرنى عَمِّى قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد ، قال . حدَّثنى أبو دعامة ، قال : حَدَّثنى أشجعُ السُّلمىّ ، قال : ٥

كنتُ ذاتَ يوْم فى مَجْلس بعض إخوانى أتحدّث وأنشد ، إذ دَخَل عليهم أنَسُ ابن أبى شَيْخ النَّصْرىّ صاحبُ جَعْفَر بنِ يَحيى ، فقام له جميعُ القَوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىَّ وقال : مَنْ هذا الرَّجل ؟ قالوا : أشجع السُّلمىّ الشّاعر ، قال : أنشدْنى بعض قولك ، فأنشدْتُه . فقال : إنَّك لشاعر ، فما يمنعُك من جَعْفر بنِ يحيى ؟ فقلت : ومَنْ لى بجَعْفَر بنِ يحيى ؟ فقال : أنا ، فقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنه يَمَلُّ الإطالة ، ١٠ فقلت : لستُ بصاحبِ إطالة ، فقلت أبياتاً على نحْوِ ما رَسَم لى ، وصرت إلى أنَس فقال : تقدَّمنى إلى الباب ، فتقدَّمت ، فلم يَلْبث أن جاء فدَخَل ، وخرج أبو رُمح الهمدانىّ حاجب[2] جعفر بن يحيى ، فقال أشجع : فقمتُ ، فقال : ادخل ، فدخَلْت ، فاستَنْشَدَنى فأنشدتُه أقول :

وتَرَى المُلوكَ إذا رَأَيْتَهُمُ ... كُلّ بعيد الصَّوْت والجَرْسِ ١٥
فإذا بَدَا لَهُم ابنُ يَحْيى جعفرٌ ... رَجَعوا الكلامَ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ذَهبَتْ مكارِمُ جَعْفر وفِعالُه ... فى النَّاس مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ

٣٤/١٧ قال : فأمر له بعشرة آلاف درْهم ، قال : وكان أشجعُ يُحِبُّ الثِّياب ، وكان يكْتَرى الخِلْعة كل يوم بدرهمين ، فيلبَسُها أياما ، ثم يَكْتَرِى غيرها ، فيفعل بها مثلَ ذلك ،

(١) فى مد ، ما : نصلك . وفى المختار : نبرك . وفى ب : نقدك . ٢٠
(٢) فى ب ، س : أبو زنبج الهمدانى صاحب جعفر .

قال : فابتعتُ أثوابا كثيرة بباب الكَرْخ ، فكسوتُ عيالى وعيالَ إخوتى حتى أنفقتها .

الفضل بن يحيى يهب له ضعف ما وهبه إياه جعفر

ثم لقيتُ المُبارَكَ مؤدِّب الفضل بن يحيى بعد أيام ، فقال لى : أنشدنى ما قُلْتَه فى جعفر ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل ؟ فقلت : ومَنْ لى بالفَضْل ؟ فقال : أنا لك به ، فأدخلنى عليه ، فأنشدته :

وما قدَّم الفَضْلَ بنَ يَحيى مكانُه ... على غيرِه بل قدَّمَتْه المَكارِمُ
لقد أرهَبَ الأعداء حتى كأنما ... على كل ثَغْرٍ بالمَنِيَّة قائمُ

فقال لى : كم أعطاك جعفر ؟ فقلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

جعفر بن يحيى يجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار

أخبرنى على بن صالح ، قال : حدَّثنى أحمدُ بن أبى فَنَن ، قال حدثنى داود بن مُهَلْهِل قال :

لما خرج جعفر بن يحيى ليُصْلِح أمر الشام ، نزل فى مَضْرَبه ، وأمر بإطعام الناس ، فقام أشجَعُ فأنشده قوله :

فِئتان باغِيَةٌ وطاغِيَــةٌ ... جلّت أُمورُهما عن الخَطْبِ
قد جاءَكُم بالخيل شازِبَةً(١) ... ينقلن نحوكم رَحَى الحرْبِ
لم يَبْقَ إلا أن تَدُورَ بكم ... قد قام هاديها على القُطْبِ

قال : فأمر له بصلة ليست بالسَّنِيَّة ، وقال له : دائمُ القليلِ خيرٌ من مُنْقَطِع الكثير ، فقال له : ونَزْرُه(٢) أكثرُ من جزيل غيره ، فأمر له بمثلها ، قال : وكان يُجْرِى عليه فى كلِّ جُمعة مائةَ دينار مدة مقامه ببابه .

(١) فى ب ، س : شارية . وفى المختار : شازبة . وفى ما : شاربة . وما أثبتناه من ف . والمعنى : ضامرة يابسة.
(٢) ف ، س : ونزر الوزير .

إسحاق الموصلى ينشد له قصيدة فى الخمر أمام الرشيد وجعفر بن يحيى

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ صهر المُبَرِّد ، قال : حدثنى الفضل بن محمد اليزيدى ، قال : حدثنا إسحاقُ الموصِلىُّ قال :

دخلت إلى الرَّشيد يوما ، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشىء لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلما رآنى مُقبلا قال لجعفر بن يحيى : أترضى بإسحاق ؟ قال جعفر : والله مافى عِلْمه مَطْعَن إن أنصَف ، فقال لى : أىّ شىء تَرْوِى للشعراء المحدثين[١] فى الخمر ؟ أنشدنى من أفضَلِ ما عِنْدَك وأشدّه تَقدُّما ، فعلمت أنهما كانا يتَمَاريان فى تقديم أبى نُواس ، فعَدَلْتُ عنه إلى غيره ؛ لئلا أخالِف أحدهما ، فقلت : لقد أحسن أشجع فى قوله :

ولقد طَعَنتُ الليلَ فى أعجازِه ... بالكأس بين غَطارفٍ كالأنْجُمِ[٢]
يتَمايلُون على النعيم كأنّهم ... قُضُبٌ من الهِنْدىّ لم تتثلّمِ
وسَعَى بها الظّبْىُ الغَرِير يزيدُها ... طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِمِ[٣]
والليلُ مُنْتَقِب بفَضْل رِدائِه ... قد كاد يَحْسَر عن أغرَّ أرْثَمِ[٤]
فإذا أدارَتْها الأكفُّ رأيتَها ... تَثْنِى الفصيحَ إلى لسان الأعجمِ
وعلى بَنانِ مُديرِها عِقْيانَةٌ ... من سَكْبِها وعلى فضول المِعْصَمِ
تَغْلِى إذا ما الشِّعْرَيانِ تَلَظّيا ... صيفا وتَسْكُن فى طلوع المِرْزَمِ[٥]
ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّها ... بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيّمِ
ولها سُكونٌ فى الإناء وخلفَها ... شَغَبٌ يُطوِّحُ بالكَمِىِّ المُعْلِمِ
تُعطى على الظّلْم الفَتَى بقِيادِها ... قَسْراً وتَظلمه إذا لم يَظْلِمِ

(١) فى ب ، س : « أى شىء تروى الشعراء المحدثون فى الخمر » .
(٢) الغطارف : السادة الأشراف . (٣) تغشم : تظلم .
(٤) الأرثم من الخيل : ما كان فى طرف أنفه بياض أو كان أبيض الشفة العليا .
(٥) الشعريان والمرزم : نجوم .

الرشيد يفضل أبا نواس عليه فى وصف الخمر

فقال لى الرَّشيد : قد عرَفتُ تعَصُّبك على أبى نُواس ، وإنك عدَلت عنه متعمداً ، ولقد أحسَن أشجَع ، ولـكنه لا يقول أبداً مثل قول أبى نُواس :

يا شقِيقَ النفْس من حَـكَم   نِمْتَ عن لَيْلي ولم أنَمِ

فقلت له : ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أمير المؤمنين ، وإنما أنشدْت ما حضرنى ،

٥ فقال : حسبُك قد سمعت الجواب .

قال الفَضْل : وكان فى إسحاق تعصُّب على أبى نُواس لشىء جرى بينهما .

الواثق يطرب لشعر أشجع ويستعيده

أخبرنى مُحمد بن مزْيد ، قال : حدثنا حمَّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال :

اصطبح[1] الواثقُ فى يوم مطير ، واتصل شُربُه وشربنا معه حتى سقطنا لجنُوبِنا صَرعَى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُرِّك أحدٌ منا عن مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون

١٠ علينا ويتفقدوننا ، و بذلك أمرهم ، وقال :

لاتحرِّكوا أحداً عن موضعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام وأمر بإنْباهِنا فأُنبِهْنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئتُ إليه وهو جالس وفى يده كأس ، وهو يروم شربها ، والخمار يمنعه ، فقال لى : يا إسحاق ، أنشدْنى فى هذا المعنى شيئاً ، فأنشدُته قول أشْجع السُّلَمِيّ :

١٥ ولقد طَعنت الليــــلَ فى أعْجازه   بالـكأس بين غَطارِفٍ كالأنجُم

يتمايلُون عن النعِيم كأنَّهم   قُضُبٌ من الهندىّ لم تَتَثلَّمِ

وسعَى بها الظَّبيُ الغَرِيرُ يَزِيدُها   طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِمِ

والليل مُنْتَقِب بفضل رِدائِه   قد كاد يَحْسَر عن أغرَّ أرثَمِ

وإذا أدارتها الأكفُّ رأيتَها   تثْنِى الفَصِيحَ إلى لِسانِ الأعْجَمِ

٢٠ (١) فى ب ، س : أصبح .

وعلى بَنَانِ مُدِيرِها عِقْيانَةٌ من لونها[1] وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ
تَغلِى إذا ما الشِّعْرَيانِ تَلَظَّيَا صيفاً وتسكن فى طُلوعِ المِرْزَمِ
ولقد فَضَضْنَاها بخاتِمِ ربِّها بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأَيِّمِ
ولها سُكُونٌ فى الإناء وخَلْفَها شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكَمِيِّ المُعْلِمِ
تُعطِى على الظُّلْمِ الفَتَى بقِيادِها قَسْراً وتظلمه إذا لم يَظْلِمِ ٥

فطرب وقال : أحسنَ واللهِ أشْجَعُ ، وأحسنتَ يا أبا محمد ، أعِد بحياتى ، فأعدتها وشرب كأسَهُ ، وأمر لى بألفِ دينار .

عزّى الفضل بن الربيع فى ابنه العباس فأحسن العزاء وقال شعرا يرثيه

أخبرنى جعفر بن قُدَامَة ، قال : حدثنا أبو هِفَّان قال :

ذكر أبو دِعامة أنّ أشْجَعَ دخل على الفَضْل بن الرَّبيع ، وقد تُوُفِّىَ ابنه العباس والناس يُعزّونه ، فعزّاه فأحسن ، ثم استأذنه فى إنشاد مَرْثِيَة قالها فيه ، فأذن له فأنشدَه : ١٠

لا تبكِيَنَّ بعَيْن غير جائدةٍ وكلُّ ذِى حَزَنٍ يبكِى كما يجِدُ
أىُّ امرئٍ كان عباسٌ لنائبةٍ إذا تَقَنَّعَ دونَ الوالد الوَلَدُ
لم يُدْنِهِ طمعٌ من دار مُخْزِيَةٍ ولم يَعِزّ له من نعمة بلَدُ
قد كنتُ ذا جَلَدٍ فى كلّ نائبةٍ فبانَ مِنِّى عليك الصبرُ والجَلَدُ
لمَّا تسامتْ بك الآمالُ وابتهجت بك المروءةُ واعتدَّت بك العُدَدُ ١٥
ولم يكُن لِفَتًى فى نفسه أملٌ إلا إليك به من أرضه يَفِدُ
وحين جئت أمام السَّابقين ولم يبلل عِذارَك مَيْدانٌ ولا أمدُ
وافاكَ يومٌ على نَكْراء مشتمِلٌ لم يَنجُ من مِثلِه عادٌ ولا لُبَدُ
فما تَكشف إلا عن مُوَلْوِلَةٍ حَرَّى ومُكْتَئِبٍ أحشاؤه تَقِدُ

٣٦/١٧

(١) فى المختار : من سكبها .

٢٠

قال : فبكَى الفضلُ وبكَى الناسُ معه ، وما انْصَرَفوا يومئذ يتذاكرون غيرَ أبياتِ أشجع .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء ، قال : حدّثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدِّينارى قال : حدّثنى علىُّ بنُ الجهم ، قال :

عزّى الرشيد فى ابن له فأحسن وأمر بصلته

٥ دَخل أشجعُ على الرَّشيد وقد مات ابنٌ له ، والناس يُعزُّونه فأنشده قوله :

نَقْصٌ من الدِّين ومن أهـله نقصُ المنـايا من بنى هاشمِ

قدّمتَه — فاصبِرْ على فقدِهِ — إلى أبيـه وأبى القـاسمِ

فقال الرَّشيد : ما عزّانى اليوم أحدٌ أحسنَ من تعْزِيَة أشجع ، وأمرَ له بِصلة .

أذن له جعفر بن يحيى بالوصول إليه وحده دون سائر الناس

أخبرنِى الحسَن بن علىّ قال : حدّثنا العَنَزِىّ ، قال : حدّثنى عبدُ الرَّحمن بن ١٠ النّعمان السّلمىّ قال :

كنّا بِبابِ جعفر بنِ يَحيى وهو علِيل ، فقال لنا الحاجِبُ : إنه لا إذْن عليه ، فكتب إليه أشجع :

لمّـا اشتـكَى جعفرُ بنُ يَحيى فارقَنِي النَّومُ والقَرارُ

ومَرَّ عَيشِي عـلىَّ حتَّى كأنّمـا طَعمُه المُرارُ

١٥ خوفاً على جعفر بن يَحيَى لا حُقِّقَ الخَوفُ والحِـذارُ

إن يُعفِهِ الله لا نُحـاذِرْ ما أحـدثَ الليلُ والنهـارُ

قال : فأوصل الحاجبُ رُقْعتَه ، ثم خَرج فأمره بالوصول وحده ، وانْصَرف سائِرُ النّـاس .

الرشيد يأمر بتعجيل صلته له

أخبرنى الحسَن قال : حدثنا العَنَزِىّ ، قال : حدّثنى محمد بن الحُسين ، عن عمرو ٢٠ ابن علىّ : أنّ أشجعَ السُّلمِىّ كتب إلى الرشيد وقد أبطأ عنه شىء أمرَ له به :

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً لهـا عَنَقٌ[١] بين الرُّواةِ فسيحُ
بأنّ لسانَ الشعرِ يُنطِقه النَّدى ويُخرِسه الإبطاء وهو فصيحُ

مدح محمد بن منصور بشعركان أحب مدائحه إليه

فضَحِك الرشيدُ وقال له : لن يَخْرَس لِسانُ شِعرِك ، وأمر بتَعْجِيل صلته .

أخبرنى الحسَن ، ومحمد بن يَحْيى الصُّولىّ ، قالا : حدثنا العَنَزِىّ ، قال : حدثنى أحمد بن محمد بن منصور بن زياد ، وكان يُقال لأبيه فَتى العسكر ، قال : ٥

أقبل أشجعُ إلى باب أبى ، فرأى ازْدحامَ الناس عليه ، فقال :

على بابِ ابنِ منصور علاماتٌ من البـذْلِ
جماعات وحسْب البا ب[٢] نُبْلاً كثرةُ الأهلِ

فبلغ أبى بيتاه هذان ، فقال : هما واللهِ أحبُّ مدائحه إلىّ .

هنأ جعفر بن يحيى بولاية خراسان

أخبرنى عَمّى ، والحسَن بنُ علىّ ، قال : حدّثنا الفضلُ بن محمد اليَزِيدِىّ ، قال : ١٠ حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِلىّ ، قال :

لمـا وَلَّى الرشيدُ جعفرَ بن يَحْيى خُراسانَ جلس للناس فدخلوا عليه يُهَنِّئونه ثم دخلَ الشعراء فأنشدُوه ، فقام أشجعُ آخرهم ، فاستأذَن فى الإنشاد فأذِن له ، فأنشدَه قوله :

أتصبِرُ للبَيْنِ أم تجـزَعُ فإنّ الدِّيارَ غـداً بَلْقَعُ[٣] ١٥
غـداً يتفرّق أهلُ الهـوى ويكثُر باكٍ ومُسْتَرجِـعُ

٣٧ / ١٧

حتى انتهى إلى قوله :

ودَوِّيّةٍ[٤] بـين أقطارِهـا مقـاطيعُ أرضِـينَ لا تُقْطَعُ

(١) العنق : السير السريع .
(٢) فى ف : وحسب الدار .
(٣) البلقع : الأرض القفر التى لاشىء بها .
(٤) الدوية : الصحراء الواسعة .

تجاوزتُهـا فوق عَيْرانةٍ[1] من الريح فى سَـيرها أسرعُ
إلى جعفرٍ نزعتْ رَغبـةٌ وأىّ فـتًى نحـوه تنزِعُ
فمـا دُونه لامرئٍ مَطْمَـعٌ ولا لامرئٍ غـيره مَقنعُ[2]
ولا يرفعُ النـاسُ مَنْ حَطّه ولا يَضَعُون الذى يَرفـعُ
٥ يُريدُ الملوكُ مَدَى جعفـرٍ ولا يَصنعُون كما يَصنعُ
وليس بأوْسَعِهم فى الغِنَى ولـكنّ معـروفه أوسـعُ
تـلوذُ المـلوكُ بآرائه[3] إذا نالها الحـدَثُ الأفظـعُ
بَديهتُه مِثـلُ تَدْبـيره متى رُمتَه[4] فهو مُسْتَجْمِـعُ
وكم قائلٍ إذْ رأى ثَرْوتى[5] وما فى فضول الغنى أصنـعُ :
١٠ غَـدَا فى ظِلال نَدَى جعفرٍ يَجُرُّ ثيابَ الغِنَى أشجـعُ
فقُلْ لخراسانَ تَحيـا فقـد أتاها ابنُ يحيى الفَتَى الأروعُ

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحكاً ، واستحسن شِعرَه ، وجَعَل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

يهوّن على جعفر ابن يحيى عزله من خراسان

قال : ثم بدا للرّشيد فى ذلك التّدْبير ، فعزل جعفرا عن خُرَاسان بعد أن أعطاه العهْد والـكتب ، وعقد له العقْد وأمَرَ ونَهَى ، فوَجِم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول : ١٥

أمست خُراسانُ تُعزَّى بمـا أخْطأها من جعفرٍ المُرتَجَى

(١) العيرانة : الناقة النشيطة . وفى ب ، ما : «ريحانة» .
(٢) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٣ :
٢٠ وما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
(٣) فى ب ، ما : «بأبوابه» .
(٤) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٣ : «متى هجته» .
(٥) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٣ : «وكم قائل إذ رأى بهجتى» .

كان الرشيدُ المُعتلى أمرُه ولَّى عليها المُشرِقَ الأبلَجا[(١)]
ثم أراه رأيُه أنّه أمسَى إليه منهمُ أحوَجا
فكمْ به الرَّحمنُ[(٢)] من كُربة فى مُدَّةٍ تقصُر قد فرَّجا

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوَّنتَ علىَّ العزْل ، وقُمتَ لأمير المؤمنين بالعُذْر ، فَسَلْنى ما شِئتَ ، فقال : قد كفانى جُودُك ذِلَّةَ السؤال ، فأمر له بألفِ دينار آخر . ٥

يمدح محمد الأمين وهو ابن أربع سنين

أخبرنى عمِّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد ، عن أبى دِعامة ، عن أشْجَع ، قال :

دخلتُ على محمد الأمين حين أُجلِسَ مَجْلس الأدب للتعْلِيم ، وهو ابنُ أربعِ سِنِين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته :

ملكٌ أبُوه وأُمُّه من نَبْعَةٍ منها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ ١٠
شربَتْ بمكة فى رُبا بَطْحائها ماءَ النُّبوّة ليس فيه مِزاجُ

يَعنى النَّبيمةَ . قال: فأمرتْ له زُبَيْدةُ بمائة ألف درهم ، قال: ولم يملك الخلافَـة أحدٌ أبوه وأمُّه من بنى هاشم إلا أميرَ المؤمنين علىَّ بنَ أبى طالب صلوات الله عليه ، ومحمد بن زبيدة[(٣)] .

يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك

٣٨ / ١٧

أخبرنى الحسن بنُ علىّ ، ومحمد بن يَحْيَى الصولىّ ، قالا : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيْل العَنَزِىّ ، قال : حدثنا المهْزِمِىّ ، قال : ١٥

لمـا وَلِىَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهَيْك الشرطةَ ، دخل عليه أشجَعُ ، فأنشدَه قولَه فيه :

(١) فى ب ، ما : « ولى عليه » . وفى ف : « ولى على مشرقها » . وفى التجريد : « ولى على مشرقه » .
(٢) فى المختار : « فكم فك به الرحمن من كربة » ولا يستقيم الوزن . ٢٠
(٣) التجريد : « محمد بن الرشيد » .

لِمَن المنازلُ مثلُ ظَهْرِ الأرقَمِ قَدُمت وعَهْدُ أنيسِها لم يَقْدُمِ
فتَـكَتْ بها سَنتَان تعتَوِرانِها بالمُعْصِفات[١] وكلّ أسْحَمَ مُرْزِمِ[٢]
دِمَنٌ إذا استَثْبتَتْ عينك عهدَها كرّت إليك بنَظْرَة المتَوَهِّمِ
ولقد طعَنْتُ الليلَ فى أعْجازِه بالـكأسِ بين غطارِفٍ كالأنْجُمِ
٥ يتمايَلُون على النَّعيم كأنَّهم قُضُبٌ من الهِنْدِىّ لم تَتَثلَّمِ
واللَّيـلُ مُشْتَمِلٌ بفَضْلِ رِدائِه قد كاد يَحْسُر عن أغرَّ أرثَمِ[٣]
لِبَنِى نُهَيكٍ طاعةٌ لو أنها زُحِمَت بهَضْبِ مُتالِعٍ لم تُـكْلَمِ
قومٌ إذا غمَزوا قَناةَ عَدُوِّهم حطَموا جوانِبَها ببَأْسٍ مُحْطِمِ
فى سَيْف إبراهيمَ خوفٌ واقِعٌ لِذَوِى النِّفاقِ وفيه أمْنُ المُسْلِمِ
١٠ ويَبِيتُ يَكْلأُ ـ والعيونُ هواجِعٌ ـ مَالَ المُضِيع ومُهْجَةَ المُسْتَسْلِمِ[٤]
لَيـلٌ يُواصِلُه بضَوْءِ نَهارِه يَقْظانُ ليس يَذُوق نومَ النُّوَّمِ
شَدَّ الخِطامَ بأنفِ كلِّ مُخالِفٍ حتى استقام له الذى لم يُخْطَمِ
لا يُصلِح السُّلطانَ إلا شِدَّةٌ تَغْشَى البَرِىء بفضل ذَنْب المُجْرِمِ
مَنَعَتْ مهابَتُك النفوسَ حَدِيثَها بالشىء[٥] تـكرهه وإن لم تَعْلَمِ
١٥ ونَهَجْتَ فى سُبُل السِّياسة مَسْلَـكاً ففهِمتَ مذهبَها الذى لم يُفْهَمِ

فوصله وحمله وخلع عليه.

(١) ف : «بالمعضلات» .
(٢) المرزم : المصوت .
(٣) الأغر : الأبيض ، والأرثم : الفرس فى طرف أنفه بياض .
٢٠ (٤) لم يرد هذا البيت فى ف . والمضيع : من كثرت ضياعه ، وهو موجود فى باقى النسخ ، وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٤ .
(٥) فى الشعر والشعراء : «بالأمر تكرهه» .

يراجع جعفر بن يحيى فى تقليل عطائه فيزيده

أخبرنى محمد بن يَحْيَى الصُّولىّ ، قال : حدثنا الغَلاَبىُّ قال : حدثنا مَهدىُّ ابنُ سابق قال :

أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبى حَفْصَةَ ـ وقد مدحه ـ ثلاثينَ ألف درهم ، وأعطى أبا البَصِير عشرين ألفاً ، وأعطى أشْجَع ـ وقد أنشدَه معهما ـ ثلاثة آلاف درهم ، وكان ذلك فى أول اتصاله به ، فكَتَبَ إليه أشجَع يقول : ٥

أعطيتَ مروانَ الثلا ثينَ التى دَلَّت رِعاثَهْ(١)

وأبا البَصِــير وإنما أعطيتَنِى منهم ثلاثَهْ

ما خانَنِى حَوْكُ القرِ(٢) ض ولا اتّهمتَ سِوَى الحداثَهْ

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى .

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعرا لأشجع ويدعيه لنفسه

حدثنى علىُّ بن صالح بنِ الهَيْثَم الأنبارِىُّ ، قال : حدثنى أبو هَفان ، قال : حدثنى سعيد بنُ هُرَيْم وأبو دِعامة ، قالا : ١٠

كان انقطاعُ أشجع إلى العباس بنِ محمد بنِ علىّ بن عبد الله بن العباس ، فقال الرّشيدُ للعباس يوما : يا عمُّ ، إن الشُّعَراء قد أكثروا فى مَدْح محمد بِسَبَبِي وبسبب أمّ جعفر ، ولم يقل أحدٌ منهم فى المأمون شيئاً ، وأنا أُحِبّ أن أقَع على شاعر فَطِنٍ ذكىّ يقول فيه ، فذكر العبّاسُ ذلك لأشْجَع ، وأمرَه أن يقول فيه ، فقال : ١٥

بَيْعَةٌ للمأمون آخِذَةٌ بِعِنان الحَقِّ فى أُفُقِهْ

أحكمتْ مِرّاتُها(٣) عُقدًا تمنع المُختال فى نَفَقِهْ

لن يفكَّ المرء رِبقَتَها أو يفكَّ الدِّينَ من عُنُقِهْ

٣٩/١٧

(١) الرعاث جمع رعثة ، وهى عثنون الديك ، ويريد بتدلى رعاثه أنه تكبّر وزها .
(٢) ف : «حوز القريض» . ٢٠
(٣) المرات جمع مرة ، وهى طاقة الحبل . وفى ما : « مرانها » .

وله من وَجْه والِدِه صُورةٌ تَمَّت ومن خُلُقِهْ

قال : فأتى بها العبّاسُ الرَّشيدَ ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله : لمن هى ؟ فقال : هى لى ، فقال : قد سررتَنى مرّتين : بإصابتِك ما فى نَفْسى ، وبأنها لك ، وما كان لك فهو لى ، وأمر له بثلاثين ألف دينار ، فدفع إلى أشْجَع منها خمسةَ آلاف درهم ، وأخذ باقيها لنفسه . ٥

يستعجل عطاء يحيى ابن خالد ثم يمدحه

أخبرنى عمِّى : قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ابن مالك الخُزاعىّ ، قال :

وعد يَحْيَى بن خالد أشْجَعَ السُّلَمىّ وعداً ، فأخَّره عنه ، فقالَ له قوله :

رَأَيْتُكَ لا تَسْتَلِذُّ المِطالَ وتُوفِى إذا غَدَرَ الخائنُ

فماذا تؤَخِّر من حاجَتِى وأنتَ لتَعْجِيلها ضامنُ! ١٠

ألَمْ تَرَ أنَّ احتباسَ النَّوالِ لمعْرُوفِ صاحِبِه شائنُ!

فلم يتعجَّلْ ما أراد ، فكتب إليه :

رُويدَكَ إنَّ عِزَّ الفَقْرِ أدنَى إلىَّ من الثّراء مع الهَوانِ

وماذا تَبلُغُ الأيَّامُ مِنِّى برَيْبِ صُرُوفِها ومَعِى لِسانِى

فبلغ قولُه جَعْفَراً فقال له : ويلك يا أشْجَع ! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله ، ثم كلّم أباه فقضى حاجتَه ، فقال : ١٥

كَفانِى صُروفَ الدَّهرِ يَحْيى بنُ خَالد فأصبَحْتُ لا أرتاعُ للحَـدَثانِ

كَفانِى ـ كَفاه اللهُ كُلَّ مُلِمَّةٍ ـ طِلابَ فُـلانٍ مرَّةً وفُـلانِ

فأصبَحْتُ فى رغْدٍ من العَيْش واسعٍ أُقلِّبُ فيـه ناظِرى ولِسـانِى

أخبرنى محمد بن عِمران الصَّيْرفِىّ قال : حدَّثنا العَنَزِىُّ عن ابن النَّطّاح قال : ٢٠

جعفر بن يحيى يوليه عملا ثم يصرفه عنه

ولّى جعفرُ بنُ يَحْيى أشْجَعَ عملاً ، فرفَعَ إليه أهلُه رفائِـعَ[١] كثيرة ، وتَظَلَّمُوا منه وشَـكَوْه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلما رَجَعَ إليه من عمله مَثَل بين يديه ، ثم أنشأ يقول :

أَمُفسِدةٌ سُعادُ عـلىَّ دِيني ولائِمَتى على طُولِ الحَنِينِ
وما تَدرِى سُعاد إذا تَخَلَّتْ من الأشْجان كَيْفَ أخُو الشُّجُونِ
تَنَامُ ولا أنامُ لِطُول حُزْنِي وأينَ أخُو السُّرور من الحَزِين!
لقد راعَتْكَ عند قَطِين سُعْدَى رواحِـلُ غادياتٌ بالقَطِين[٢]
كأنَّ دُموعَ عَيْنى يوم بانوا عِيانا سَحُّ مُطَّرِدٍ مَعِين[٣]
لقد هَزَّت سِنانَ القَوْلِ منِّى رِجالُ رَفِيعَةٍ لم يَعْرِفُونى
هُمُ جازُوا حِجابَكَ يابْنَ يَحْيَى فقالوا بالذى يَهْوَوْن دُونِى
أطافُوا بى لديك وغِبتُ عنهم ولو أدنَيْتَنِى لتَجَنَّبُونِى
وقـد شهدتْ عُيونُهُمُ فمالَت علىَّ وغُيِّبَتْ عنهم عُيونِى
ولَمَّا أن كَتَبْتُ بمـا أرادُوا تَدَرَّعَ[٤] كُلُّ ذى غَمْزٍ دَفِين
كَففتُ عن المقاتل باديات وقـد هَيَّأْتُ صَخْرةَ مَنْجَنُون[٥]
ولو أرسلْتُها دَمَغَتْ رِجالاً وصالَت فى الأخِشَّةِ والشُّؤُون[٦]

---

(١) الرفائع : جمع رفيعة ؛ وهى القصة المرفوعة إلى الحاكم .
(٢) القطين : الخدم والحاشية .
(٣) فى ف ، « غياث سح مطرد معين » .
(٤) فى ب : « تردع » .
(٥) المنجنون : الدولاب يستقى عليها .
(٦) الأخشة جمع خشاش ، وهو العود يجعل فى عظم أنف البعير ، والشؤون جمع شأن . وهو عرق الدمع .

وكنت إذا هَزَزتُ حُسامَ قَوْلٍ قطعت بحُجَّتِى عَلَق[1] الوَتِين

لعلّ الدهر يُطلِق من لسانى لهم يوما ويَبْسط من يَمِينى

فأقضِىَ دَيْنَهم بوفاء قَــوْلٍ وأثقلهم لصِــدق بالديون

وقــد علموا جميعاً أنّ قولِى قَريب حِــينَ أدْعُوه يَجِينى

وكُنتُ إذا هَجَوْتُ رَئِيسَ قَوْم وَسَمْتُ على الذُّؤابة والجَبين

بخطٍّ مثــلِ حَرْقِ النّارِ باقٍ يلوح على الحواجب والعُيُونِ

أمائِلَةٌ بوُدِّك يابْنَ يَحْيَى رجالاتٌ ذَوُو ضِغْن كَمِينِ

يَشِيمون السُّيوفَ[2] إذا رَأَوْنى فان ولَّيتُ سُلَّت من جُفون

ولو كُشِفَت سرائِرُنا جَميعاً علمتَ مَن البَرِىء من الظَّنِين[3]

علامَ ـ وأنتَ تَعْلَمُ نُصْحَ جَنْبى وأَخْذِى منك بالسَّبَب المَتِين

وعَسْفِى كُلَّ مَهْمَهَةٍ خَــلاءٍ إليك بكل يَعْمَلَةٍ أَمُونِ[4]

وإحْيائى الدُّجَى لك بالقَوافى أُقِيم صُدُورَهُنّ على المُتُونِ ـ

تُقَرِّب منك أَعْدائى وأُنْأَى ويجلسُ مَجْلِسى مَنْ لا يَلِينى!

ولو عاتبتَ نَفْسَك فى مكانى[5] إذًا لنَزَلتُ عنــدك باليَمِينِ

ولَــكِنَّ الشُّــكُوكَ نَأَيْنَ عَنّى بودّك، والمَصِيرُ إلى اليقِــين

فان أَلْصَقْتَنِى أحرقتَ منهم بنُضْجِ الكَىِّ أَثْباجَ[6] البطون

(١) العلق: الحبل. وفى ف: «عرق».
(٢) يشيمون السيوف: يدخلونها فى أغمادها.
(٣) الظنين: المتهم.
(٤) اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. الأمون: الموثقة الخلق المأمونة الكلال.
(٥) ف: «من فؤادى».
(٦) الأثباج: جمع ثبج، وهو الوسط من كل شىء.

أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور

أخبرنى محمدُ بنُ يَحْيَى الصُّولىُّ والحَسنُ بنُ علىّ ، قالا : حدثنا العَنَزِىّ قال : حدثنا علىّ بن الفضل السُّلمىُّ قال :

أوّلُ ما نَجَم به أَشجَعُ أَنَّه اتَّصَل بجعفر بنِ المَنْصور وهو حَدَثٌ ، وصَلَه به أحمد ابنُ يزيد السُّلَمِىّ وابنه عوف ، فقال أشجعُ فى جعفر بن المنصور قوله :

اذكُروا حُرمَةَ العَواتِك مِنّا ... يا بنى هاشمٍ بنِ عبدِ منافِ

قد وَلَدْناكمُ ثلاثَ ولادا ... تٍ خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ

مَهَّدَت هاشِماً نجومُ قُصَىٍّ ... وبنو فالجٍ حُجور عَفافِ

إنّ أرماحَ بُهْثَةَ بنَ سُلَيْم[1] ... لعِجافِ الأطراف غيرُ عِجافِ

ولأسيافهم فِرًى غيرُ لَذٍّ ... راجِعٌ فى مَراجِع الأكتافِ

معشَرٌ يُطعِمُون من ذِرْوَة الشَّوْ ... لِ ويَسْقُون خَمْرَةَ الأقْحاف[2]

يَضرِبُون الجَبَّار فى أخدَعَيْهِ ... ويُسَقُّونه نَقِيعَ الذُّعافِ[3]

فشاع شِعرُه وبلَغَ البَصْرة ، ولم يزل أمرُه يَتَراقى إلى أن وَصَلَتْهُ زُبَيْدَةُ بعد وفاة أبيها بزَوْجها هارون الرشيد ، فأسْنَى جَوائزَه ، وألحقَه بالطَّبَقة العُلْيا من الشُّعَراء .

الفضل بن الربيع يصله بالرشيد فيمدحه ثم يمدح الفضل

أخبرنى عَمِّى قال : حدثنى أحمدُ بن المرزُبان قال : حدثنى شَيْبَةُ بنُ أحمد ابن هشام ، قال : حدثنى أحمدُ بن العباس الرَّبِيعِىُّ :

أن الذى أَوْصَلَ أَشْجَعَ السُّلَمِىّ إلى الرَّشيد جدُّه الفَضل بن الربيع ، وأنه أوصلَه له وقال له : هو أَشْعَر شُعَراء أَهْلِ هذا الزَّمان ، وقد اقتطعَتْه عنك البَرامِكَة ، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء فَفَعَل ، فلمّا وَصَل إليه أنشدَه قوله :

٤١/١٧

(١) كذا فى القاموس (بهث) . وفى ف ، المختار : «بهشة» . وفى ب ، ما : «بهمة من سليم» .

(٢) الشول : الناقة . والأقحاف جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح . وفى ب : «خمرة الإتحاف» .

(٣) الأخدعان : عرقان فى صفحتى العنق قد خفيا وبطنا . والذعاف : السم .

قَصْرٌ عليــه تَحِيَّةٌ وسَـلامُ ... نَثَرَتْ عليــه جمـالَها الأيّامُ
فيه اجْتَلَى الدُّنيا الخليفةُ والتَقَتْ ... للملك فيـــه سـلامَةٌ وسَـلامُ
قَصْرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ ... فيـــه لأعـــلام الهُدَى أعلامُ
نَشَرت عليه الأرضُ كُسوتَها التى ... نَسجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ[1]
٥ أدنَتْك من ظِلّ النَّبِيّ وَصِيَّةٌ ... وقرابَةٌ وُشِجَتْ بهـا الأرحامُ
برقَتْ سَماؤُك فى العَدُوِّ وأمْطَرت ... هَاماً لهـا ظِـلُّ السُّيوف غَمـامُ
وإذا سُيوفُك صافحَتْ هامَ العِدَا ... طارت لهُنَّ عن الرءوس الهامُ
أَثنَى عـــلى أيَّامِك الأيَّامُ ... والشَّاهِدان : الحِـلُّ والإحـرامُ
وعَلَى عَدُوِّك يا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدان : ضَوءُ الصُّبح والإظلامُ
١٠ فإذا تنَبَّه رُعتَه ، وإذا غَفَا ... سَلَّتْ عليــه سُيوفَك الأحلامُ

قال : فاستَحْسنَها الرَّشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدَح الفَضْلَ بنَ الرَّبيع ، وشكر له إيصالَه إيَّاه إلى الرشيد ، فقال فيه قَصيدَته الّتى أوَّلُها :

غَلَبَ الرُّقادُ على جُفونِ المُسْهَدِ ... وغَرِقْتُ فى سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
قد جَدَّ بى سَهَرٌ فلم أرقُد له ... والنَّوْمُ يلعب فى جُفون الرُّقَّدِ
١٥ ولطَالَمَا سَهِرَتْ لِحُبِّىَ أعْيُنٌ ... أهدَى السُّهاد لها ولَمَّا أسْهدِ
أيَّامَ أرعى فى رياضِ بطالَةٍ ... وِرْدَ الصِّبا منها الذى لم يُورَدِ
لَهْوٌ يُساعِده الشَّبابُ ولم أجِدْ ... بعد الشَّبِيبَة فى الهوَى من مُسْعِدِ[2]
وخَفِيفَةِ الأحشاء غيرِ خَفِيفَة ... مَجْدُولَة جَدْلَ العِنانِ الأجْرَدِ

(١) أرهمت السماء : أتت بالرهمة ، وهى المطر الضعيف .
٢٠ (٢) أسعده : أعانه فهو مُسعِد .

غَضِبَتْ على أعطافها أردافُها فالحَرْبُ بين إزارها والمِجْسَدِ[1]
خالفتُ فيه عاذلا لىَ ناصحا فرَشَدْتُ حين عَصيْتُ قولَ المُرشِدِ
أأقيمُ مُحْتَمِلاً لِضَيْمِ حَوادثٍ مع هِمَّةٍ موصولة بالفَرْقَدِ
وأرَى مخايلَ ليس يُخلِفُ نَوْؤُها للفضل إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ
للفَضل أموالٌ أطافَ بها النَّدَى حتى جُهِدْنَ وجُودُه لم يَجْهَدِ
يابنَ الرَّبيعِ حَسَرْتُ شُكْرِىَ بالتى أوليْتَنِى فى عَوْدِ أمرك والبَدِى[2]
أوصَلْتَنى ورَفَدْتَنِى وكِلاهُما شَرفٌ فقأتُ به عيونَ الحُسَّدِ
ووصَفْتَنى عند الخليفة غائباً وأذِنْتَ لى فشَهِدْتُ أفخرَ مَشْهَد[3]
وكفيْتَنِى[4] مِنَنَ الرِّجال بنائل أغنَى يَدِى عن أن تُمَدَّ إلى يَدِ

يسأل جعفر بن يحيى ابتياع غلام جميل فيجيبه

٤٢ / ١٧

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفىّ قال: حدثنا العَنَزِىّ، قال: حدثنى صخرُ بن أحمد السلمىّ، عن أبيه، قال:

كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً، فمرّ بنا غلامٌ أمردُ رومىّ جميلُ الوجه، فكلَّمه أشجع وسأله هل يبيعُه مالِكُه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدَحُ جعْفَرَ بنَ يَحْيَى، وسأله ابتياعَه له فقال:

ومُضْطَرِبِ الوِشاحِ لمُقْلَتَيْهِ علائقُ ما لوَصْلَتِها انقطاعُ
تعرَّض لِي بنظْرةِ ذِى دَلالٍ يُرِيعُ[5] بمُقْلتيه ولا يُراعُ
لِحاظٌ ليس تُحجَب عن قُلوبٍ وأمرٌ فى الذى يهوى مُطاعُ
ووُسْعِى ضَيِّقٌ عنه ومالِى وضِيقُ الأمر يَتْبَعُه اتِّساعُ
وتَعْوِيلِى على مال ابنِ يَحْيَى إليه حَنَّ شَوْقى والنِّزاعُ
وَثِقْتُ بجَعْفَرٍ فى كلّ خَطْب فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ

(١) المجسد: ثوب يلى الجسد.
(٢) فى المختار: «... شكرى بالذى ... فى عود أمرى ...» (٣) ساقط من ف.
(٤) فى ب، س: «وكففتنى». (٥) ف، بيروت: «يروع».

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال : اشتَرِه بها فإن لم تَكْفِك فازدَدْ .

يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ ، قال : حدثنا أحمدُ بنُ الحارث قال :

كانت لأشجَعَ جاريةٌ يقال لها : رِيمٌ ، وكان يَجِد بها وَجْداً شديداً ، فكانت تحلِف له إن بقيتْ بعده لم تَعَرَّض لغيره ، وكان يذكرُها في شعره ، فمن ذلك قولُه في ٥ قصيدته التي يرثي بها الرشيدَ :

وليس لأحزان النِّساء تَطاولُ ولكنَّ أحزانَ الرِّجال تَطولُ

فلا تبخَلِي بالدَّمْعِ عنِّي، فإنّ من يَضِنُّ بدَمْعٍ عن هوًى لبَخيلُ

فلا كُنتُ ممن يُتْبِع الرِّيحَ طَرفَه دَبُوراً إذا هَبَّت له وقَبُولُ[1]

إذا دارَ فَيْء أتبعَ الفَيْءَ طَرفَه يَميل مع الأيَّام حَيثُ تَميلُ

١٠ قال : وقال فيها أيضاً :

إذا غمَّضَتْ فَوْقي جفونُ حَفيرةٍ من الأرض فابْكِيني بما كُنتُ أصنعُ

تُعزِّكِ عنّي عند ذلك سَلْوةٌ وأنْ ليس فيمَن وارَت الأرضُ مَطْمَعُ

إذا لم تَرَيْ شَخْصِي وتُغْنِك ثروتي ولم تَسْمَعِي منّي ولا منك أسمعُ

فحِينَئذٍ تَسْلِينَ عنّي وإن يكن بُكاء فأقصى ما تُبَكِّين أربعُ

١٥ قَلِيلٌ ورَبِّ البيتِ يا رِيمُ ما أرى فَتاةً بمَنْ وَلَّى به الموتُ تَقنَعُ

بمن تَدْفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمَى عليكِ بها عامٌ من الجَدْب يَطلُعُ

فحينئذ تَدْرِين مَنْ قد رُزِئتِهِ إذا جعلَتْ أركانُ بيتك تُنزَعُ

أحمد أخوه يجيبه بشعر ينسبه إلى جاريته ريم

قال : فشكته ريم إلى أخيه أحمدَ بن عَمْرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفَضْلَ أيضاً فاختير شعرُه على شعر أخيه وهو :

٢٠ (١) الدبور : ريح تهب من المغرب ، وتقابل القبول ، وهي ريح الصبا .

ذكرتُ فِراقاً والفِراقُ[1] يُصدِّعُ وأىُّ حياةٍ بعد موْتِك تَنفَعُ !
إذا الزَّمنُ الغرَّارُ[2] فرَّق بيننا فمالىَ فى طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ
ولا كان يومٌ يا بْنَ عَمْرٍو وليلةٌ يُبدِّدُ فيها شَمْلُنـا ويُصَدَّعُ
ولا كان يومٌ فيه تَثْوِى[3] رهينةً فتَرْوَى بجسمى الحادِثاتُ وتَشبعُ
وألطِمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونُه وأخشعُ مما لم أكُن منه أخشعُ
ولو أننى غُيِّبْتُ فى اللَّحْد لم تُبَلْ ولم تَزَل الراؤون لى تتوجَّعُ[4]
وهل رجلٌ أبصرته متوجِّعاً على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ !
ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها : اذهبِى فمِثْلُكِ أُخرَى سوفَ أَهوَى وأتبَعُ
ولو أبصَرَتْ عيناكَ ما بى لأبْصَرَت صبابةَ قلبٍ[5] غيمُها ليس يُقْشَعُ
إلى الفَضل فارْحَلْ بالمديح فإنه مَنِيــعُ الحِمَى مَعروفُه ليس يُمْنَعُ
وزُرْه تَزُرْ حِلماً وعِلماً وسُودَدًا وبأساً به أنفُ الحوادث يُجدَعُ
وأبدِعْ إذا ما قلتَ فى الفَضْل مِدْحَةً كما الفضل فى بذل المواهب يُبْدِعُ
إذا ما حِياضُ المجدِ قلَّتْ مِياهُها لحوضُ أبى العبَّاسِ بالجودِ مُترَعُ
وإن سَنةٌ ضَنَّتْ بخِصبٍ على الورَى ففى جُودِه مرعًى خصيبٌ ومَشْرَعُ
وما بَعُدَتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نازِلٌ ولا خابَ مَنْ فى نائلِ الفَضْل يَطْمَعُ
فنِعم المُنادَى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ[6] لدفع خُطوبٍ مِثْلُها ليس يُدفعُ

(١) ف : «والتفرق» .
(٢) ف : «الغدار» .
(٣) ف : «أثوى» ، تحريف .
(٤) ف : «فى الترب» بدل «فى اللحد» ، وفى ما : «فى البحر» .
(٥) ف : «صبابة حزن» .
(٦) ف : «فنعم المنادى عند كل ملمة» .

إليكَ أبا العبّاسِ سارَتْ نجائبٌ لها هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِعُ
بذِكْرِك نَحدُوها إذا ما تأخَّرَتْ فتمضِي على هَوْلِ المُضِيّ وتُسْرِعُ
وما لِلسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ولا للمَطايا دُون بابك مَفْزَعُ
إليكَ أبا العبّاسِ أحملُ مِدْحَةً مَطِيَّتُها — حتى تُوافيك — أشجَعُ
٥ فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيها وإنما إلى مَفْزَعِ الأملاكِ يُلْجا ويُفزَعُ

قال : فأنشدَها أشجعُ الفَضْلَ ، وحدَّثه بالقِصَّة ، فوصل أخاه وجاريتَه ووصلَه .

وقال أحمدُ بنُ الحارث : فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشْجَع : مالك لا تمدَح المُلوكَ كما يَمدَحُهم أخُوك ؟ فقال : إن أخِي بَلاءٌ عليَّ وإن كان فَخْرًا ، لأنِّي[1] لا أمدَح أحداً ممّن يُرضِيه دُونَ شِعْرِي ويُثِيب عليه بالكَثِير من الثَّواب[2] إلا قال : أينَ هذا
١٠ من قَوْل أشجَع ؟ فقد امتَنَعْتُ من مَدْح أحد لذلك .

أحمد أخو أشجع يهجوه

قال أحمدُ بنُ الحارث : وقال أحمدُ بنُ عَمْرو يهجُو أخاه أشْجَع ، وقد كان أحمدُ مدَح محمد بنَ جَمِيل بشعر قالَه فيه ، فسأل أخاه أشْجَع إيصالَه ، ودَفع القصيدةَ إليه فتَوانَى عن ذلك ، فقال يهْجُوه — أخبَرنِي بذلك أحمدُ بنُ محمد بنِ جَمِيل — :

وسائلةٍ لِيَ : ما أشْجَعُ ؟ فقلتُ : يضرُّ ولا يَنفَعُ
١٥ قَرِيبٌ من الشَّرِّ واعٍ له أصَمُّ عن الخير ما يَسمَعُ
بَطيءٌ عن الأمر أحظَى به إلى كل ما ساءنِي مُسرِعُ
شَرودُ الوِدادِ على قُربِهِ يُفَرِّقُ منه الذى أجمَعُ
أُسَبُّ بأنِّي شقيقٌ له فأنْفِي به أبداً أجدَعُ

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع ويكافئ منشده

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامَةَ قال : حدَّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال :
٢٠ دخلتُ على الفَضْلِ بنِ يَحْيَى وقد بَلَغ الرشيدَ إطلاقُه يَحْيَى بن عبد الله

(١) ف : « على أني لا أمدح ... » .
(٢) ف ، بيروت : « من النوال » .

٤٤ / ١٧

ابنِ حَسن ، وقد كان أمره بقتله فلم يُظهِر له أنه بلغه إطلاقه [١]، فسأله عن خَبَره : هل قتلتَه ؟ فقال : لا ، فقال له : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه سألَنى بحقِّ اللهِ وبحقِّ رَسولِه وقَرابتِه منه ومنك ، وحَلَفَ لى أنَّه لا يُحدِث حَدَثاً ، وأنه يُجيبُنى مَتَى طلبتُه . فأطرق ساعة ، ثم قال : امضِ بنَفْسِك فى طَلَبه حتى تَجيئَنى به واخرُجِ الساعةَ ، فخَرَج . قال : فدخلتُ عليه مهنِّئاً بالسَّلامة فقلت له : ما رأيتُ أثبتَ من جَنانِك ولا أصحَّ من رَأْيك فيما جرَى ، وأنت واللهِ كما قال أشجَعُ :

بديهتُه وفكرتُه سَواء ... إذا ما نابَه الخطْبُ الكَبيرُ
وأحزمُ ما يَكونُ الدَّهرَ رأياً ... إذا عَيَّ المُشاوِرُ والمُشيرُ
وصَدرٌ فيه للهمِّ اتِّساعٌ ... إذا ضاقت بما تَحوى الصُّدورُ

فقال الفَضْلُ : انظُروا كم أخَذ أشجَعُ على هذه القَصيدة ، فاحملوا إلى أبى محمد مثلَه . قال : فوَجَدَه قد أخذ ثَلاثين ألفَ دِرْهَم ، فحُمِلتْ إلىّ .

يرثى صديقا له من بغداد

أخبرنى الحُسَيْن بنُ القاسِم الكَوْكبىُّ إجازة ، قال : حدّثنى محمد بنُ عَجْلان . قال : حدَّثنا ابنُ خَلّاد ، عن حُسَيْن الجُعْفِىّ قال :

كان أشجَعُ إذا قدم بَغْدادَ ينزل على صَديقٍ له من أهلها ، فقَدِمها مَرَّة فوَجَده قد مات ، والنوحُ والبُكاء فى دَاره ، فجَزِع لذلك وبَكَى ، وأنشأ يَقولُ :

وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنوحُ ... أَسَقيمٌ فُؤادُها أم صَحيحُ !
قَمَرٌ أطبَقُوا عليه ببغدا ... دَ ضريحا ، ماذا أجَنَّ الضَّريحُ !
رحِمَ اللهُ صاحِبِى ونَديمِى ... رحمةً تَغْتدِى وأُخرى تَرُوحُ

وهذه القَصيدة التى فيها الأبيات المَذْكُورة والغِناء فيها ، من قَصيدة يمدَح بها أشجَعُ الرَّشيدَ ويُهَنِّئه بفَتْح هِرَقْلَةَ ، وقد مَدَحه بذلك وهَنَّأه جماعَةٌ من الشُّعراء وغُنِّىَ فى جَميعها ، فذكرتُ خبرَ فتَح هِرَقْلَةَ لذِكر ذلك .

(١) كذا فى ف ، وفى باقى الأصول : « أنه قتله » .

سبب غزاة الرشيد هرقلة

أخبرنى بخبره علىُّ بنُ سُليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بنُ يَزِيد ، قال :

كان من خبر غزاة الرَّشيد هِرَقْلة أن الرُّومَ كانت قد مَلَّكت امرأةً ، لأنه لم يَكُن بَقِىَ فى أهل زَمانها من أهل بيتها[1] — بيتِ المملكة — غيرُها ، وكانت تكتب إلى المَهْدىّ والهادى والرَّشيد أوّلَ خِلافَتِه بالتَّعظيم والتَّبجيل ، وتدِرّ عليه الهدايا ، حتى بَلَغ ابنٌ لها لحاز المُلكَ دُونها ، وعاث وأفسد ، وفاسد الرَّشيدَ ، فخافت على مُلْك الرُّوم أن يَذْهبَ ، وعلى بلادِهم أن تعطَب ؛ لعِلمها بالرَّشيد وخوفها من سَطْوته ، فاحتالت لابنها فَسَمَلَتْ عَيْنيْه[2] ، فبطَل منه المُلك وعاد إليها ، فاستنْكَر ذلك أهلُ المَمْلكة وأبغضوها من أجْله ، فخرج عليها نِقفور وكان كاتبَها ، فأعانوه وعَضَدُوه ، وقام بأمْر المُلْك وضَبَط أمْر الرُّوم ، فلمّا قَوِىَ على أمره وتَمَكَّن من مُلكه كَتَب إلى الرَّشيد :

كتاب نقفور إلى الرشيد

«من نَقْفُور مَلِك الرُّوم إلى الرَّشيد مَلِك العرب ، أمابعد ، فإنّ هذه المرأة كانت وَضَعَتْك وأباكَ وأخاكَ مَوْضع المُلوك ، ووضَعَت نَفْسَها موضعَ السُّوقَة ، وإنى واضِعُك بغير ذلك المَوْضع ، وعامل على تَطَرُّق[3] بِلادِك والهجوم على أمصارِك ، أو تؤَدّى إلىّ ما كانت المَرْأة تؤدّى إليك ، والسَّلام» .

رد الرشيد عليه

فلمّا وَرَدَ كِتابُه على الرَّشيد كتَب إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم — من عَبْد الله هارونَ أميرِ المُؤمنين إلى نَقْفور كَلْبِ الرُّوم ، أما بعد ، فقد فهمت كِتابَك ، وجَوابُك عندى ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُه» .

٤٥ / ١٧

ثم شَخَص من شهره ذلِك يَؤُمّ بِلادَ الرُّوم فى جَمْع لم يُسمَع بمثله ، وقُوّاد لا يُجارَوْن نجدَةً ورأياً ، فلما بَلَغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رَحُبَتْ ، وشاوَر فى أمره .

---

(١) ف : «... بقى فى زمانها من أهل بيتها .. الخ».

(٢) سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محماة .

(٣) وعامل على تطرق بلادك ، أى على السير إليها .

وَجَدَّ الرَّشيد يتوغّل فى بلاد الروم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِى، ويُخرّب الحصونَ ويُعَفِّى الآثار حتى صار إلى طُرُق متَضايقَة دون قُسْطَنْطِينِيَّة ، فلما بَلَغها وَجَدَها وقد أمر نقفور بالشَّجَر فقُطِع ورُمِى به فى تلك الطُّرُق ، وأُلقيت فيه النّار ، فكان أوّلَ مَنْ لَبِس ثياب النَّفّاطِين محمدُ بنُ يَزِيد بنِ مَزْيد ، فخاضها ، ثم اتَّبعَه الناس ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشَدَّ الخُضُوع ، وأدَّى إليه الجِزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه ٥

أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور ويمدح الرشيد

فقال فى ذلك أبُو العَتاهِيَة :

إمامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّين مَعْنِيًّا ... وأصبحتَ تَسقِى كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيًّا
لك اسمان شقَّا من رَشادٍ ومن هُدًى ... فأنت الذى تُدعَى رَشِيداً ومَهْدِيًّا
إذا ما سَخِطْتَ الشىءَ كان مُسخَّطًا ... وإن تَرضَ شيئاً كان فى الناس مَرْضِيًّا
بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقِيًّا وأوسَعْتَ غَرْبِيًّا ١٠
ووشَّيْتَ وَجْهَ الأرضِ بالجود والنَّدى ... فأصبَح وَجهُ الأرض بالجودِ مُوَشِّيًّا
وأنت — أميرَ المؤمنين — فَتَى التقَى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيًّا
قَضَى اللهُ أن يَبْقَى لِهارونَ مُلْكُهُ ... وكان قَضاه الله فى الخَلْق مَقْضِيًّا
تجلَّلَت الدُّنيا لِهارُون ذِى الرِّضا[1] ... وأصبح نَقْفُورٌ لهارونَ ذِمِّيًّا

شاعر من أهل جدة يعلم الرشيد بغدر نقفور

فرجع الرشيد — لمَّا أعطاه نَقْفور ما أعْطاه — إلى الرَّقَّة ، فلما سَقَط الثَّلجُ وأمِن ١٥ نَقْفُور أن يُغزَى اغترَّ بالمُهْلة ، ونَقَض ما بَيْنه وبين الرشيد ، ورَجَع إلى حالته الأولى ، فلم يجْتَرِئْ يَحيى بنُ خالِد - فَضْلاً عن غيره - على إخبار الرَّشيد بغَدر نقفور ، فبَذَل هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعَراء على أن يَقولُوا أشعارا فى إعلامِ الرَّشيد بذلك ، فكُلُّهم كَعَّ[2] وأشفَق إلا شاعراً من أهل جُدَّة كان يُكنَى أبا محمد ،

(١) فى التجريد : « تحليت للدنيا وللدين بالرضا » . ٢٠
(٢) كع : جبن .

وكان مُجيداً قَوِىَّ النَّفْسِ قَوِىَّ الشِّعر ، وكان ذو اليَمِينَيْن اختَصَّه فى أيَّام المَأمون ورَفَع قَدرَه جِدًّا ، فإنَّه أخذَ من يَحْيَى وبَنِيه مائةَ ألفِ دِرْهم ، ودخل على الرَّشِيد فأنشدَه :

نَقَضَ الذى أعْطاكَه[1] نقْفورُ ... فعَلَيــه دائِرَةُ البَوارِ تَدُورُ

أبشِرْ أمـــيرَ المُؤمِنِين فإنّه ... فَتْحٌ أتاك به الإلهُ كَبِيرُ

فلقَد تباشَرَت الرَّعِيَّة أن أتَى ... بالنَّقْض[2] عنه وافـــد وبَشِيرُ

ورَجَتْ بيُمْنِك[3] أن تُعجِّل غَزوةً ... تَشفِى النُّفوس نَـكالُها مَذْكُورُ

أعْطاكَ جِزْيَته وطَأطَأ خَـــدَّه ... حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذُورُ

فأجَرْتَه من وَقْعِها وكأنَّهـــا ... بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرام تَطِيرُ

وصرفتَ فى[4] طول العساكر قافلًا ... عنـــه وجارُك آمِنٌ مَسْرُورُ

نقْفورُ إنَّك حين تَغدِر أنْ نَأى ... عنـــك الإمامُ لجاهِلٌ مَغْرورُ

أظَنَنْتَ حين غَدَرْت أنك مُفْلِتٌ ... هَبِلَتْك أُمُّك ما ظَنَنتَ غُرورُ

ألقاك حَيْنُك فى زَواخِرِ بَحْرِه ... فَطَمَت عليك من الإمام بُحورُ

إنَّ الإمامَ على اقتِسارك قادِرٌ ... قَرُبَت دِيارُك أو نَأت بِك دُورُ

لَيْس الإمامُ وإن غَفِلنا غافِلًا ... عَمـــا يَسُوس بحَزْمه ويُدبِّرُ

مَلِكٌ تَجرَّد للجِهاد بنَفْسِه ... فعَدُوُّه أبداً به مَقْهـــورُ

يا مَن يُرِيد رِضَا الإلهِ بسَعْيِه ... واللهُ لا يَخْفَى عليـــه ضَمِيرُ

لا نُصْحَ ينفَع مَنْ يغُشُّ إمامَه ... والنُّصْحُ من نُصَحائِه مَشْكورُ

---

(١) ف : « أعطيته ».

(٢) ب : «بالنقد» .

(٣) ب ، التجريد : «ورجت يمينك» .

(٤) ف : «من طول» .

(١٦ – ١٨)

نُصْحُ الإمام على الأنام فَرِيضَةٌ ولأهـلـه كفَّارَةٌ وطَهُورُ

فتح هرقلة

قال : فلما أنشده ، قال الرّشيد : أو قد فَعَل ! وعلم أن الوُزراء احتالُوا فى إعلامه ذلك فغزاه فى بقيَّة من الثلج ، فافتتح هِرَقْلَة فى ذلك الوقت ، فقال أبو العَتَاهِيَة فى فَتْحه إياها :

ألا نادَت هِرَقْلةُ بالخرابِ من الملِك المُوَفَّق للصَّوابِ[(١)]
غدَا هارونُ يُرعِدُ بالمَنايا ويُبرِق بالمُذَكَّرَةِ القِضابِ[(٢)]
وراياتٍ يَحُلُّ النَّصرُ فيها تمرُّ كأنَّها قِطَعُ السَّحابِ
أميرَ المؤمنينَ ظَفِرتَ فاسْلَمْ وأبشِر بالغَنيمة والإيابِ

قال محمد[(٣)]: وجَعَل الرشيدُ قبل وصوله إلى هِرَقْلَةَ يفتتح المدنَ والحصونَ ويخرِّبها ، حتى أناخَ على هِرَقْلَةَ وهى أوثق حِصنٍ وأعزّه جانباً وأمنَعِه رُكْنا ، فتحصَّن أهلُها ، وكان بابُها يطل على وَادٍ ، ولها خَنْدَق يطيف بها ، فحدَّثنى شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة ومُلازِمى الثغور يقال له علىّ بن عبد الله ، قال : حدَّثنى جماعة أنَّ الرَّشيد لما حَصَر أهلَ هِرَقْلَة وغمهم وألحَّ بالمَجانِيق والسهام والعَرَّادات[(٤)] فتح الباب (٥فاستشرف المسلمون لذلك٥) فإذا برجل من أهلها كأكمل(٦ الرّجال قد خرج فى أكمل السلاح ، فنادى : قد طالَت مُوَاقَعتُكم إيانا فليَبْرُز إلىّ منكم رجلان ، ثم لم يَزل يَزيد حتى بَلغ عِشرين رجلا ، فلم يُجبه أحد ، فدخل وأُغلق بابَ الحِصن وكان الرَّشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدمَهُ وغِلمانه على تَركهم إنباهَه ، وتأسف لفَوْته ، فقيل له : إنّ امتناعَ الناس منه سيُغْرِيه ويُطغِيه ، وأحْرِ به أن يخرُج فى غَدٍ فيطلُب مثلَ

(١) فى التجريد . « الموثق بالصواب » .
(٢) المذكرة القضاب . الداهية الشديدة القاطعة .
(٣) ف : « قال محمد بن يزيد » .
(٤) العرادات . جمع عرادة ، وهى آلة من آلات الحرب ؛ منجنيق صغير .
(٥-٥) زيادة من ف . (٦) ف : « كأجمل الرجال . »

ما طلب ، فطالت على الرَّشيد ليلتُه وأصبح كالمُنْتَظِر له ، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتح وخَرَج طالِباً للمُبارَزَة ، وذلك فى يوم شديد الحرّ ، وجعل يدعو بأنه يَثْبُت لعشرين منهم ، فقال الرَّشيد : مَنْ له ؟ فابتَدرَه جِلَّة القُوَّاد كهَرْثَمة ، ويَزيدَ بن مَزْيد ، وعبدِ الله بن مالك ، وخُزَيْمةَ بن حازم ، وأخيه عبد الله ، ودَاود بن يَزيد ، وأخيه ،
٥ فعزَم على إخراج بعضهم ، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سَمع ضجيجَهم ، فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوه فى المَشُورة فأذِن لهم ، فقال قائلهم : يا أميرَ المؤمنين ، قوّادُك مشهُورُون بالبأس والنَّجْدة وعُلُوّ الصوت ومُدَاوَسَة[1] الحرُوب ، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج[2] لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العِلْج كانت وَضيعة[3] على العسكر عَجِيبة وثُلمَة لا تُسَدّ ، ونحن عامَّة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يَصْلُح للعامَّة ، فان رأى
١٠ أميرُ المؤمنين أن يُخَلِّيَنا نختارُ رجلا فنخرجه إليه ، فإن ظَفِرَ عَلِم أهلُ الحِصْن أنّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزّهم على يَد رجل من العامَّة ، ومن أفناء الناس ليس ممن يُوهِن قتلُه ولا يُؤثِّر ، وإن قُتِل الرَّجل فإنما استُشْهِد رجلٌ ولم يؤثِّر ذهابه فى العسكر ولم يَثْلِمه ، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضىَ الله ما شاء[4] ، قال الرَّشيد : قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا . فاختاروا رجلا منهم يُعرَف بابن الجزرىّ ، وكان معروفاً فى
١٥ الثَّغْر بالبأس والنجدة ، فقال الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستَعِينُ الله . فقال : أعطُوه فَرَساً ورُمْحا وسيفاً وتُرسا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفَرَسى أوثَق ، ورُمْحى بيدى أشدّ[5] ، ولكنى قد قَبِلت السيفَ والتُّرس ، فلبِس سلاحه واستَدْناه الرَّشيد فودَّعه ، واستَتْبَعَه[6] الدُّعاء ، وخرج معه عشرون رجلا من المُطَّوِّعة ، فلما انقضّ فى الوادِى قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً : إنما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتم
٢٠ رجلا ، ولكن لا بأس ، فنادَوْه : ليس يخرُج إليك منا إلا رجلٌ واحد ، فلما فُصَل

٤٧
١٧

(١) مداوسة الحروب : المران عليها وتذليلها . وفى ف : « مدارسة » .
(٢) العلج : الرجل الضخم من كفار العجم .
(٣) الوضيعة : الحطيطة . وفى ف : «كانت وصمة على العسكر قبيحة » .
(٤) ب : «يمضى إليه ما شاء». (٥) ف : « أسد » . (٦) ف : «وأتبعه» .

منهم ابن الجزرىّ تأمّله الرّومىُّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمّلون صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظنّوا أنه لم يَبْقَ فى الحِصن أحدٌ إلا أشرف، فقال الرّومىّ: أتصدُقُنى، عما أستَخبِرُك[1]؟ قال: نعم، فقال: أنتَ بالله ابنُ الجزرى؟ قال: اللهم نعم، فكفّر له[2]، ثم أخذا فى شأنهما فاطّعَنا حتى طال الأمرُ بينهما، وكاد الفَرَسانِ أن يقوما[3] وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه، ثم تحاجزا[4] بشىء، فزَجّ كلٌّ واحدٍ منهما برمحه، وأصْلَت سيفه، فتجالدا مَلِيًّا، واشتدّ الحرّ عليهما، وتبلّد الفَرَسان، وجعل ابن الجزرىّ يَضرِب الرّومىّ الضربة التى يَرى أنه قد بَلَغ فيها فيتّقيها الرومىُّ، وكان تُرسُه حديداً؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر، ويضربه الرّومىّ ضرب مُعَذِّر؛ لأن تُرْس ابن الجزرىّ كان دَرَقةً، فكان العِلْج يخاف أن يعَضّ بالسَّيف فيعطب، فلما يَئِس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزَم ابنُ الجزرىّ؛ فدخلت المسلمين كآبَةٌ لم لم يَكتَئِبُوا مثلها قطّ، وعَطْعَطَ[5] المشركون اختيالا وتَطاوُلاً، وإنما كانت هزيمتُه حيلةً منه؛ فأتبعه العِلْج، وتمكّن منه ابن الجزرىّ فرَماه بوَهَق[6] فوقع فى عُنقه وما أخطأه، وركَضَ فاستلّه عن فرسه، ثم عَطف عليه فما وصل إلى الأرض حَيًّا حتى فارقه رأسُه، فكبّر المسلمون أعلى تكبير، وانخذل المشركون وبادروا الباب يُغلِقونه، واتصل الخبر بالرّشيد فصاح بالقُوّاد: اجعلوا النار فى المَجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْع، ففعلوا وجعلوا الكتّان والنِّفط على الحجارة وأضرَموا فيها النار ورَمَوْا بها السور، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة، وقد تصدّع فتهافتت، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأمِنين ومُستَقِيلين، فقال الشاعر المَكّىّ الذى كان ينزل جُدّة:

---

(١) فى مد: «فيما أستخبرك». وفى ب: «عم استنخبوك».

(٢) كفر له: انحنى ووضع يده على صدره وطأطأ رأسه كالركوع تعظيما له.

(٣) ف: «وكاد الفرسان يقومان». (٤) ف: «ثم تحاوروا بشىء». (٥) العطعطة: تتابع الأصوات واختلاطها.

(٦) الوهق: الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة والإنسان.

صـــوت

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً   حوائماً(١) تَرتَمِي بالنِّفط والنَّارِ
كأنَّ نيرانَنا فى جَنْبِ قَلْعَتِهِم   مُصبَّغاتٌ على أرْسانِ قَصَّارِ

فى هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر .

٥ قال محمد بن يزيد : وهذا كلام ضعيف لين ، ولـكنّ قدرَه عظيم فى ذلك الموضع والوقت ، وغنَّى فيه المُغَنّون بعد ذلك . وأعظم الرّشيدُ الجائزةَ للجُدّىّ الشاعر ، وصُبّت الأموالُ على ابن الجزرىّ وقُوِّد ، فلم يقبل التَّقْوِيد إلا بغير رِزْق ولا عِوَض ، وسأل أن يُعْفَى ويُنْزَل بمكانه من الثَّغْر ، فلم يزل به طول عمره .

٤٨ / ١٧

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال :
١٠ حدّثنا أحمدُ بن علىّ بن أبى نَعيم المَرْوَزِىّ قال :

ابن جامع يغنى الرشيد بهرقلة

خرج الرّشيد غَازِياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقْلةَ ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه :

هوت هَرَقْلة لمَّا أنْ رأت عجَباً   حوائِماً ترتَمِي بالنِّفْط والنّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جِيء بها ، فظنّ أن الطاغية قد أتاه ، فخرج يركُض على فرس له وفى يده الرُّمح ، وتَبِعه الناس ، فلما تبيَّن له أنها ماشية رَجَعوا ، فغنَّاه
١٥ ابنُ جامع :

صـــوت

رأى فى السَّما رَهْجاً(٢) فيمَّم نحوَه   يجُرُّ رُدَيْنِيًّا وللرَّهْجِ يَسْتَقْرِى
تناولتَ أطرافَ البلادِ بقُدرَةٍ   كأنَّك فيها تَقْتَنِى أثَر الخِضْرِ

(١) فى التجريد : «جوائما».
٢٠ (٢) الرهج : الغبار أو ما أثير منه .

الغناء لابن جامع ثانى ثقيل عن بَذْل وابن المَكِّىّ .

أشجع يهنئ الرشيد بفتح هرقلة

أخبرنى هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزَاعىّ ، قال : حدثنى الفَضْلُ بنُ محمد اليَزِيدىُّ ، عن إسحاق المَوْصِلِى ، قال :

لما انصرفَ الرشيدُ من غَزَاةِ هِرَقْلَةَ قدم الرَّقَّة فى آخر شهر رمضان ، فلما عيَّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أَشْجع ، فبَدرهم وأنشأ يقول :

لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْوِيها تَمضِى بِها لكَ أيام وتَثْنِيها
مُستَقبِلاً زِينةَ الدُّنيا وبَهْجَتَها أيامنا لك لا تَفْنَى وتُفْنِيها[1]
ولا تَقضَّت بك الدُّنيا ولا بَرِحَت يَطوِى لك الدَّهرُ أياماً وتَطوِيها
ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيّام مُقبِلةٌ إليكَ بالنصر مَعْقوداً نواصِيها[2]
أمستْ هِرَقْلَةُ تَهْوِى[3]من جوانِبِها وناصرُ اللهِ والإسلامِ يَرْمِيها
مُلِّكْتَها وقَتلتَ النَّاكِثِين بها بنَصْرِ مَنْ يملِكُ الدُّنيا وما فيها
ما رُوعِىَ الدِّينُ والدُّنيا على قَدَم بمِثْل هارُون رَاعِيهِ وراعِيها

قال : فأمر له بألف دينار ، وقال : لا يُنشدنى أحدٌ بعده ، فقال أشجع : واللهِ لأمرُه بألاّ يُنشدَه أحدٌ بعدى أحبُّ إلىَّ من صِلته .

حدثنى أحمدُ بنُ وصيف ، ومحمدُ بنُ يَحْيَى الصُّولِىّ قالا : حدثنا محمد بن موسى ابن حماد ، قال : حدَّثنى عبدُ الله بن عمرو الوراق ، قال : حدَّثنى أحمدُ بنُ محمدِ ابن مَنْصُور بن زِياد عن أبيه ، قال :

---

(١) جاء فى ف بيتان مكان هذا البيت وهما :

مستقبلا بهجة الدنيا وزينتها أيامها لك نظم فى لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تفنى وتفنيها

والبيتان أيضا فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٤ مع خلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) فى الشعر والشعراء ٢/٨٨٤ : « وليهنك النصر ... إليك بالفتح ... ».

(٣) التجريد : « ترمى من جوانبها ».

دخل أشجعُ على الرَّشيد ثانى يوم الفِطر فأنشَده :

صــوت

استَقْبِلِ العيدَ بعُمْرٍ جَدِيد مَدَّت لك الأيَّامُ حبلَ الخُلود
مُصَعِّدًا فى دَرَجات العُلاَ نجمُك مَقرونُ بِسَعْد السُّعود
واطْوِ رداء الشَّمس ما أطلعَتْ نُورًا جدِيدًا كلَّ يوم جَدِيد
تَمضِى لك الأيامُ ذا غِبْطة إذا أتَى عِيدُ طوَى عُمرَ عِيد

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يُغَنَّى فى هذه الأبيات .

٤٩
١٧

يصف فتح طبرستان ويمدح الرشيد

أخبرنى محمد بنُ جعفر النَّحْوىّ ، قال : حدثنا محمد بنُ موسى بن حَمَّاد ، قال : حدثنى أبو عبدِ الله النَّخَعىّ ، قال :

دخَل أشجَعُ على الرشيد فأنشده قوله :

أبَتْ طَبرِسْتانُ غيرَ الذِى صَدَعْتَ به بين أعضائِها
ضَمَمْتَ مَناكِبَهـا ضَمَّةً رمَتْك بما بين أحشائِها
سَمَوْتَ إليها بمثْلِ السَّماء تدَلَّى الصَّواعِقُ فى مائِها
فلمَّا نظرتَ إلى جُرحِها وضَعْتَ الدَّواء على دَائِها
فرَشْتَ الجهادَ ظُهورَ الجِياد[١] بأبنائه وبأبنائِهـا
بنَفْسِك تَرمِيهمُ والخُيول كَرْمى العُقابِ بأفلائِها[٢]
نظرتَ برأيك لَمَّا هممـ ـتَ دُونَ الرِّجال وآرائِها

قال : فأمر له بألف دينار .

(١) فى الأساس : فرشته أمرى : بسطته له كله .

(٢) الفلاة : الصحراء الواسعة، وجمعها فَلًى، وجمع الجمع أفلاء . وفى ف : «بأفنائها» بدل «بأفلائها» .

يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج وقد مطر الناس

أخبرنى محمد بنُ جعفر ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُوسَى ، قال : حدثنى أبو عَمْرو الباهِلىُّ البصرىّ قال :

دخل أشجَعُ بنُ عَمْرو السُّلَمِىّ على هارون الرَّشيد حين قدم من الحَجّ ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه ، فأنشَده يقول :

إنَّ يُمْنَ الإمام لمَّا أتانا ... جلَبَ الغَيْثَ من مُتونِ الغمامِ

فابْتِسامُ النَّباتِ فى أثر الغَيـ ... ـثِ بنُوّاره كَسُرجِ[1] الظّلامِ

مَلِكٌ من مَخافة الله مُغْضٍ ... وهو مُغضًى له من الإعظام

ألِف الحجَّ والجِهادَ فما ينْـ ... ـفَكُّ من سَفرتَيْن فى كُلّ عام

سَفَرٍ للجهاد نحو عدُوٍّ ... والمطايا لسَفْرةِ الإحرام

طَلَبَ اللهَ فهو يَسْعَى إليه ... بالمَطايا وبالجِيادِ السَّوامِى

فيَداهُ يَدٌ بمكَّة تدْعو ... هُ وأخرى فى دَعْوةِ[2] الإسلام

يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد

أخبرنى محمد بن جعفر ، قال : حدثنى محمد بن موسى بن حمَّاد قال : أخبرنى أبو عبد الله النَّخَعِىّ ، قال :

أمر الرَّشيدُ بحفر نهر لبعض أهل السَّوادِ ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه ، فقال أشجَع السُّلَمِىّ يمدحه :

أُجرَى الإمامُ الرَّشيدُ نَهْرًا ... عاش بعُمرانِه المَـواتُ

جاد عليه بِرِيقِ فيـهِ ... وسِرّ مَكْنُونه الفُراتُ

ألْقَمَـه دِرَّةً لَقُـوحًا ... يَرْضَع أخلافَها النَّباتُ[3]

حلم الرشيد حيالها مزعجاومات بعده فرثاه أشجع

أخبرنى جَحْظة ، قال : حدَّثنى مَيْمُون بن هارون قال :

(١) السرج : جمع سراج : المصباح . (٢) فى ف ، بيروت : « غزوة » .
(٣) فى ب ، مد : «أخلافه». والدِّرَّة : اللَّبَن أو كثرته ، والأخلاف جمع خلف : حلمة ضرع الناقة .

رأى الرَّشيدُ فيما يَرَى النَّائِم كأنّ امرأة وقَفت عليه وأخذَت كفَّ تُراب ثم قالت له : هذه تُرْبتُك عن قليل ، فأصبَح فَزِعا ، وقَصّ رُؤْياه ، فقال له أصحابه : وما هذا ؟ قد يَرَى النَّاس أكثرَ ممَّا رأيتَ وأغْلَظ ثم لا يضرّ . فركب وقال : والله إنّى لأرَى الأمرَ قد قَرُب ، فَبينْا هو يَسير إذ نَظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبَّاك حَديد تَنْظر إليه ، فقال : هذه والله المَرْأة التى رَأيتُها ، ولو رأيتها بين ألف امرأةٍ[1] ما خَفِيتْ علىّ ، ثم أمرها أن تأخُذ كفّ تُراب فَتدْفعُهُ إليه ، فضربتْ بيِدِها إلى الأرض التى كانت عليها فأعْطَتْه منها كَفّ تُراب ، فبَكَى ثم قال : هذه وَاللهِ التُّربةُ التى أُرِيتُها ، وهذه المَرأةُ بعَيْنها . ثم مات بعد مُدَّة ، فدُفِن فى ذلك المَوْضع بعَيْنه ، اشتُرِىَ له ودُفِن فيه ، وأتَى نعيُه بغداد ، فقال أشجَعُ يَرْثيه :

غَرَبت بالمَشْرِق الشَّمْـــسُ فقـــل للعين تَدْمَعْ
ما رأيناَ قطُّ شمـــساً غَرَبت من حَيْث تَطْلُعْ

يتغزل فى جارية حرب الثقفى ويلمه

أخبرنى عَمّى ، قال: حدّثنا محمد بنُ مُوسَى ، قال: حدّثنا عَبدُ الله بنُ أبِى سعْد ، قال : حدثنى محمد بنُ عبدِ الله بن مالك ، قال :

كان حَرْبُ بنُ عَمْرو الثَّقفِىُّ نَخَّاساً ، وكانت له جارية مُغَنِّية ، وكان الشعراء والـكُتَّاب وأهلُ الأدَب بِبَغْداد يَخْتَلِفُون إليها يسمعونها ، ويُنْفِقُون فى منزله النَّفقاتِ الواسِعةَ ، ويَبرُّونه ويُهدُون إليه ، فقال أشْجَع :

جاريةٌ تهــتَزُّ أردافُها مُشْبَعةُ الخَلْخال والقُلْبِ[2]
أشكُو الذى لاقَيتُ من حُبِّها وبُغْضِ مَوْلاها إلى الرَّبِّ
من بُغْضِ مولاها ومن حُبِّها سَقِمتُ بين البُغْض والحُبِّ

(١) فى ب ، مد ، ما : «ولو رأيتها ألف مرة ما خفيت» !
(٢) القلب : سوار المرأة .

فاختَلَجا فى الصدر حتى استَوَى أمرُهمــا فاقتَسَما قَلْبِى
تَعَجَّــل اللهُ شِفائى بهــا وعَجَّل السُّقْم إلى حَرْبِ

[1]قال مُؤلف هذا الـكتاب : فأخَذَ هذا المَعْنَى بَعضُ المُحْدَثِين من أهْل عَصْرِنا ، فقال فى مُغَنِّية تُعرَف بالشَّاة :

بِحُبّ الشّاةِ ذُبتُ ضَنًى وطـال لزوجهـا مَقْتِى
فـلو أنِّى مَلَـكْتُهُما لأُسْعِدَ فى الهوَى بَخْتِى
فأُدخل فى استها أيْرِى ولِحْيَةَ زَوْجها فى اسْتِى[1]

يهنئ يحيى بن خالد بسلامته من المرض

أخبرنى أبو الحسَن الأسدِىُّ ، قال : حدثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال : حدثنى صالح بن سليمان ، قال :

اعتلّ يَحْيى بنُ خَالِدٍ ثم عُوفِىَ ، فدخل النَّاسُ يهنِّئونه بالسَّلامة ، ودخل أشجَع فأنْشدَه :

لقد قَرعتْ شَـكَاةُ أبِى عَلِىٍّ قُلُوبَ مَعاشِرٍ كانوا صحاحا[2]
فإن يَدْفَع لنا الرَّحمنُ عنه صُروفَ الدَّهْرِ والأجلَ المُتاحَا
فقـد أمسى صَلاحُ أبى عَلِىٍّ لأهلِ الدِّين والدّنيا صَلاحَا[3]
إذا ما المَوْتُ أخطأه فلَسنا نُبالِى الموتَ حيث غَدَا وَراحَا

قال : فما أذِن يومئذ لأحد سواه فى الإنشاد لاختصاص البَرامكَة إيَّاه .

يعود على بن سرمه فى مرضه

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ القَاسِم بن مَهْرُويه ، قال : حَدّثَنا محمد بن عمران[4] الضّبّىّ ، قال : سمعتُ محمدَ بنَ أبى مالك الغَنَوِىّ يقول :

(١-١) ساقط من ف .
(٢) فى الشعر والشعراء : «..... كانت صحاحا» .
(٣) فى الشعر والشعراء : «لأهل الأرض كلهم صلاحا» .
(٤) ب : «عبدان» .

دخَل أشجعُ السُّلَمِيّ على عليّ بن شُبْرُمَةَ يَعودُه، فأنشأ يقول:

إذا مَرِضَ القاضى مَرِضْنا بأسرنا ... وإن صَحَّ لم يُسمع لنا بمَرِيضِ

فأصبحتُ ـ لمّا اعتَلّ يوماً ـ كَطائرٍ ... سَمَا بجَناحٍ للنهوض مَهِيضِ

٥١ / ١٧

قال: فشَكَره ابنُ شُبْرُمَةَ وحَمَله على بغلة كانت له.

منعه حاجب أبان ابن الوليد من الدخول عليه فهجاه

٥ أخبرنى الحسنُ، قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدّثنى محمد بنُ عِمْران، قال: سَمِعت محمد بنَ أبى مالك يقول:

جاء أشجعُ ليَدْخُل على أبانِ بن الوليد البَجَليّ، فمنعه حاجبُه، وانتهره غِلمانُه، فقال فيه:

ألا أيُّها المُشْلِى[1] علىّ كِلابَه ... وَلِى ـ غيرَ أنْ لم أشْلِهِنّ ـ كِلابُ

رُوَيدَك لا تَعْجَلْ علىّ فقد جرى ... بِخزيك[2] ظَبىٌ أعضبُ وغُرابُ

١٠ علامَ تَسُدّ البابَ والسِّرُّ قد فَشا ... وقد كنتَ مَحْجُوباً ومالك بابُ

فلو كُنتُ مِمَّن يَشْرَبُ الخمرَ سادِراً ... إذاً لم يَكُن دُونى عليك حِجابُ

ولكنَّه يَمْضِى لىَ الحول كامِلا ... ومالِىَ إلاّ الأبيَضَيْن[3] شَرابُ

من الماء أو من شَخْبِ دَهْماء ثَرّةٍ[4] ... لها حالبٌ لا يَشتكِى وحِلابُ

مر بقبرى الوليد ابن عقبة وأبى زبيد الطائى فقال شعرا

أخبرنى أحمدُ بنُ جعفر جَحظة، قال: حدّثنى مَيْمُونُ بنُ هارون قال: حدّثنا علىُّ

١٥ ابن الجَهْم قال: حدثنى ابنُ أشجع السُّلَمِىّ، قال:

لما مَرّ أبى وعمّاى أحمدُ ويَزيدُ ـ وقد شَرِبوا حتى انْتَشَوْا ـ بقَبْر الوَليد بنِ عُقْبَة وإلى جانبِه قَبْر أبى زُبَيد الطائىّ ـ وكان نَصْرانِيّا ـ والقبْران مُخْتَلِفان كلُّ واحدٍ منهما مُتَوَجِّهٌ إلى قِبْلَة مِلَّتِه، وكان أبو زُبَيد أوصَى لمّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جنب

(١) المشلى: المغرى.

٢٠ (٢) ب، مد: «بجريك»، وظبى أعضب: انكسر قرنه.

(٣) الأبيضان: اللبن والماء.

(٤) الثرة: الغزيرة. وشخب اللبن: حلبه. والدهماء: الخالصة الحمرة.

الوَليد بالبَلِيخ قال : فوقَفُوا على القَبرينْ ، وجَعلوا يتحدّثون بأخبارِهما ويَتَذاكرون أحاديثَهما ، فأنشأ أبِى يَقول :

مَررتُ على عِظامِ أبى زُبيدٍ وقد لاحت ببَلْقَعةٍ صَلُودِ
وكان له الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوَليدِ
أنِيسا أُلفَةٍ ذهَبت فأمْسَتْ عظامُهُما تآنس(١) بالصَّعِيدِ
وما أدْرِى بمَنْ تبدا المَنايا بأحْمَد أو بأشْجَع أو يزَيِدِ

قال : فماتُوا واللهِ كما رتّبهَم فى الشّعر ، أولُهم أحمد ، ثم أشجَع ، ثم يزَيد .

(١) فى ف : «تأنس»

صوت

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانْهَهُ أن يعودَا ... إنَّ بالباب حارسِينَ قُعودَا

من أساوِيرَ ما يَنُون(١) قياماً ... وخلاخيل تُذهِل المَوْلُودا

لا ذَعَرتُ السَّوامَ فى فَلَق الصُّبْحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدَا

يوم أُعطِى مخافةَ الموْت ضَيْماً(٢) ... والمَنايا يَرْصُدْنَنى أنْ أَحِيدا

الشِّعر لِيَزِيدَ بنِ رَبِيعَةَ بن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىّ ، والغِناء لسياط خَفِيف رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وذكر أحمد بن المَكِّىّ أنه لأبيه يَحْيى ، وذكر الهشامىّ أنه لفليح . قال : ومن هذا الصوت سُرِق لحن :

* تِلْكَ عِرْسِى تَلُومُنى فى التَّصابى *

---

(١) ب : «ماكثات قياما» .

(٢) التجريد : «يوم أعطى مخافة الموت ظلما» . وفى الشعر والشعراء «يوم أعطى من المخافة ضيما» .

اخبار ابن مفرغ ونسبه

نسبه وسبب تلقيب جده مفرغا

٥٢ / ١٧

هو يَزيدُ بنُ ربيعَة بن مُفَرِّغ[١] ، ولُقِّب جدُّه مُفَرِّغا لأنه راهن على سِقاء لَبَن أن يَشْرَبه كلَّه فشَرِبه كله حتى فرَّغه ، فلقب مُفرِّغا ، ويُكنى أبا عُثمان ، وهو من حِمْيَر فيما يَزْعم أهلُه ، وذكَرَ ابنُ الكلبىّ وأبو عُبَيْدة أن مُفرِّغا كان شَعّابا بتَبالة ،[٢] فادَّعى أنه من حِمْير . وقال علىُّ بنُ محمد النَّوْفلىّ : لَيْس أحدٌ بالبَصْرة من حِمْير إلاّ آلَ الحَجَّاج بن ناب الحِمْيرىّ وبَيْتاً آخر ذَكره ، ودفعَ بَيْتَ ابن مُفَرِّغ .

أخبرَنى محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان ، قال : أخبرنى أحمدُ بنُ الهَيْثم القُرشىّ[٣] قال : أخبرنى العُمرىّ ، عن لَقِيط بنِ بكْر المُحَاربىّ ، قال :

هو يَزيدُ بنُ رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِميرىّ حليفُ قُرَيْش ، ثم حليف آل خالد بن أسيد ابن أبى العيص بن أُميّة بن عبد شَمْس . قال العُمَرىّ : وكان ابن المَكّىّ يقول : كان مُفَرِّغ عبداً للضَّحَّاك بن عَبد عَوْف الهلالىّ فأنعَم عليه .

قال محمد بنُ خَلف : أخبرَنى محمد بنُ عبدِ الرّحمن الأسدىّ ، عن محمّد بن رزين ، قال : قال الأخفش :

كان رَبيعةُ بنُ مُفَرّغ شَعّاباً بالمدينة وكان يُنسب إلى حِمْير ، وإنما سُمِّى مُفرِّغاً لتفْريغِه العُسّ[٤] وكان شاعراً غَزِلا محسناً ، والسّيِّدُ[٥] من ولده .

أخبرَنى محمدُ بن خَلف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدّثنى أبو العَيْناء قال :

(١) فى معجم الأدباء ٤٣/٢٠ : «يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ» بضم الميم وكسر الراء من غير تشديد .

وجاء فى كتاب الوفيات ٣٨٤/٥ : « وأكثر العلماء يقولون : يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زيادا» . وفى الخزانة ٢١٢/٢ : و«مفرغ بكسر الراء المشدودة لقب جده» .

(٢) الشعاب : من يصلح الصدوع . وتبالة : موضع ببلاد اليمن . وفى الوفيات أن مفرغا كان حدادا

(٣) ب : «القرظى» .

(٤) ف . «وإنما سمى مفرغا لأنه خاطر على عس لبن فشربه ، فسمى مفرغا لتفريغه العس» .

(٥) يريد السيد الحميرى الشاعر .

سُئل الأصمعيّ عن شعر تُبَّع وقِصّته ومَنْ وضعهما: فقال: ابنُ مُفَرِّغ؛ وذلك أنّ يزيدَ بنَ مُعاوية لمَّا سيَّره إلى الشّام وتخلّصه من عَبّاد بن زِياد أنزله الجَزِيرةَ، وكان مُقيماً برأس عَيْن، وزعم أنّه من حِمْيَر، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره، وكان النَّمِر بنُ قاسِط يدَّعى أنّه منهم.

وقال الهيثَم بنُ عَدِيّ: هو يَزيدُ بنُ زِياد بن رَبيعة بنِ مُفرِّغ اليَحْصُبيّ، من حِمْير، يَحْصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِيّ ابن مالك بن زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جشم[1] بن عبد شَمْس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَع بن حِمْير بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان.

١٠ أخبرنى بخبره جماعة من مَشايخنا، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوْهريّ، عن عُمر بن شَبَّة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، عن جماعة من أصحابه، وأحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهَرى، عن عَليّ بنِ محمد النّوفليّ، عن أبيه، فما اتّفقتْ رِواياتُهم من خبره جَمَعْتها فى ذكره، وما اختلفت أفردتُ كلَّ مُنفرد منهم بروايته.

سفره مع عباد ابن زياد ووصية سعيد بن عثمان

١٥ أخبرنى محمد بنُ الحَسَن بنِ دُرَيد قال: حدّثنا أبُوحاتم، عن أبى عُبيدة، عن مَسْلمة بن مُحارب، وأخبرنى الجوهَرىّ قال: حدّثنا عُمر بنُ شبّة، وأخبرنا محمد بنُ العبّاس اليزيديُّ قال: قرأتُ على محمد بنِ الحسن بن دُرَيد[2] عن ابن الأعرابيّ، وأخبرنى محمد بنُ خَلف بن المَرْزُبان قال: حدَّثنا أحمدُ ابنُ الهيثم قال: حدثنا العُمرىّ، عن لَقيط بنِ بكير، قالوا جميعاً:

---

٢٠ (١) ب: «خيثم».
(٢) ف: «محمد بن الحسن الأحول».

لمّا ولِىَ سَعيدُ بنُ عُثمان بن عفّان خُراسان ، استَصْحب يزيدَ بنَ ربيعة ابن مُفرّغ ، واجتهد به أن يَصحبه ، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد ، فقال له سَعيدُ ابن عُثمان : أما إذْ أبيتَ أن تصحبنى وآثرت عَبّادا فاحفظ ما أوصيك به ، إن عبّادا رجل لئيم ، فإيّاك والدالّة(١) عليه ، وإن دَعاك إليها من نفسه فإنها خِدْعة منه لك عن نَفسك ، وأقلِلْ زيارته ، فإنّه طَرِفٌ(٢) ملول ، ولا تفاخِرْه وإن فاخرَك ، فإنّه لا يحتمل لك ما كُنتُ أحتمله . ثمّ دَعا سَعيد بمال فدفعه إلى ابن مُفرّغ ، وقال : استعِنْ به على سَفرك ، فإن صلح لك مكانك من عبّاد وإلا فكأنك عندى مُمهّدٌ فائتِنِى ، ثم سار سَعيد إلى خُراسان ، وتخلّف ابنُ مفرّغ عنه ، وخرَج مع عبّاد .

٥٣/١٧

قال ابنُ دُرَيْد فى خبره ، عن مَسلَمَة(٣) بن مُحارب :

فلما بلغَ عُبَيْدَ الله بن زِياد صُحْبَةُ ابنِ مُفرّغ أخاه عَبّاداً شق عليه ، فلما سارَ أخوه عَبّادُ شيّعه وشيّع الناسُ معه ، وجعلوا يودّعونه ويودّع الخارجون مع عَبّاد عُبَيْدَ الله بن زياد ، فلما أراد عبيدُ الله أن يودع أخاه دعا ابنَ مُفرّغ ، فقال له :

إنك سألت عَبّادا أن تصحبه وأجابك إلى ذلك ، وقد شَقّ عَلىّ ، فقال له ابنُ مُفرّغ : ولِمَ أصلَحكَ الله ؟ قال : لأن الشاعر لا يُقنعه من الناس ما يُقنِع بعضهم من بعض ؛ لأنه يَظُن فيجعل الظنّ يقيناً ، ولا يَعذِر فى موضع العُذْر ، وإن عَبّادا يَقْدَم على أرض حرب فيشتغل بحُروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت ، وتُكسِبنا شرّاً وعاراً ، فقال له :

(١) ب : «الدلالة» .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب .

(٣) ف : « عن مسلم بن محارب » .

تجاوزتُها فوق عَيْرانةٍ[1] من الريح فى سَيرها أسرعُ
إلى جعفرٍ نزعتْ رَغبةٌ وأىّ فَتًى نحوه تَنْزِعُ
فما دُونه لامرئٍ مَطْمَعٌ ولا لامرئٍ غيره مَقنعُ[2]
ولا يرفعُ النـاسُ مَنْ حَطّه ولا يَضَعُون الذى يَرفـعُ
يُريدُ الملوكُ مَدَى جعفـرٍ ولا يَصنعُون كما يَصْنَعُ
وليس بأوْسَعِهم فى الغِنَى ولكنّ معروفه أوسـعُ
تلوذُ الملوكُ بآرائه[3] إذا نالها الحدَثُ الأفظعُ
بَديهَته مِثلُ تَدْبيره متى رُمْتَه[4] فهو مُسْتَجْمِعُ
وكم قائلٍ إذْ رأى ثَرْوَتى[5] وما فى فضول الغنى أصنعُ :
غـدَا فى ظِلال نَدَى جعفرٍ يَجُرُّ ثيابَ الغِنَى أشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تَحيا فقد أتاها ابنُ يحيى الفَتَى الأروعُ

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحكاً ، واستحسن شعرَه ، وجَعل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

يهوّن على جعفر ابن يحيى عزله من خراسان

قال : ثم بدا للرّشيد فى ذلك التّدْبير ، فعزل جعفرا عن خُرَاسان بعد أن أعطاه العهْد والكُتب ، وعقد له العقْد وأمَرَ ونَهَى ، فوَجِم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول :

أمست خُراسانُ تُعزَّى بما أخْطأها من جعفرِ المُرتَجَى

(١) العيرانة : الناقة النشيطة . وفى ب ، ما : «ريحانة» .
(٢) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٣ :
وما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
(٣) فى ب ، ما : «بأبوابه» .
(٤) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٣ : «متى هجته» .
(٥) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٣ : «وكم قائل إذ رأى بهجتى» .

كان الرشيدُ المُعتَلَى أمرُه ولَّى عليها المُشرِقَ الأبلَجَا[١]

ثم أراه رأيُه أنّه أمسَى إليه منهمُ أحْوَجا

فكمْ به الرَّحمنُ[٢] من كُربة فى مُدَّةٍ تقصُر قد فَرَّجا

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوَّنتَ علىَّ العَزْل ، وقُمتَ لأمير المؤمنين بالعُذْر ، فَسَلْنى ما شِئتَ ، فقال : قد كفانى جُودُك ذِلَّةَ السؤال ، فأمر له بألفِ دينار آخر . ٥

يمدح محمد الأمين وهو ابن أربع سنين

أخبرنى عمِّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد ، عن أبى دِعامة ، عن أشْجَع ، قال :

دخلتُ على محمد الأمين حين أُجلِسَ مَجْلس الأدب للتعْليم ، وهو ابنُ أربعِ سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته :

١٠ ملكٌ أبُوه وأُمُّه من نَبعَةٍ منها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ

شرِبَتْ بمكة فى رُبا بَطْحائها ماءَ النُّبوَّة ليس فيه مِزاجُ

يعنى النَّبعةَ . قال: فأمرتْ له زُبَيْدةُ بمائة ألف درهم ، قال: ولم يملِكِ الخلافةَ أحدٌ أبوه وأمُّه من بنى هاشم إلا أميرَ المؤمنين علىَّ بنَ أبى طالب صلوات الله عليه ، ومحمد بن زبيدة[٣] .

يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك

٣٨ / ١٧

١٥ أخبرنى الحسن بنُ علىّ ، ومحمد بن يَحْيَى الصولىّ ، قالا : حدَّثنا الحسَن بن عُليل العَنَزِىّ ، قال : حدثنا المِهْزِمىّ ، قال :

لما وَلِىَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهَيْك الشرطةَ ، دخل عليه أشجعُ ، فأنشدَه قولَه فيه :

(١) فى ب ، ما : « ولى عليه » . وفى ف : « ولى على مشرقها » . وفى التجريد : « ولى على مشرقه » .

٢٠ (٢) فى المختار : « فكم فك به الرحمن من كربة » ولا يستقيم الوزن .

(٣) التجريد : « محمد بن الرشيد » .

لِمَنِ المنازِلُ مثلُ ظَهرِ الأرقَمِ ... قَدُمت وعَهْدُ أنيسِها لم يَقْدُمِ

فتَـكَتْ بها سَنَتان تعتَوِرانِها ... بالمُعْصِفات[1] وكلّ أسْحَمَ مُرْزِمِ[2]

دِمَنٌ إذا استَثْبَتَّ عينك عهدَها ... كَرَّت إليك بنَظْرَة المُتَوَهِّمِ

ولقد طعَنْتُ الليلَ فى أعجازِه ... بالـكأسِ بين غَطارِفٍ كالأنْجُمِ

٥ يَتمايَلُون على النَّعيم كأنَّهم ... قُضُبٌ من الهِنْدِىِّ لم تَتَثلَّمِ

والَّليـــلُ مُشْتَمِلٌ بفَضْلِ ردائِه ... قد كاد يَحْسُر عن أغرَّ أرثَمِ[3]

لِبَنِى نُهَيكٍ طاعةٌ لو أنها ... زُحِمَت بهَضْبِ مُتالِعٍ لم تَـكلَمِ

قومٌ إذا غَمَزوا قَناةَ عَدُوِّهِم ... حَطَموا جَوانِبَها ببَأسٍ مُحْطِمِ

فى سَيْف إبراهيمَ خوفٌ واقِعٌ ... لِذَوِى النِّفاقِ وفيه أمْنُ المُسْلِمِ

١٠ ويَبيتُ يكْلأُ ـ والعيونُ هواجِعٌ ـ ... مالَ المُضيع ومُهْجَةَ المُسْتَسْلِمِ[4]

لَيــلُ يُواصِلُه بضَوْءِ نَهارِه ... يَقْظانُ ليس يَذُوق نومَ النُّوَّمِ

شدَّ الخِطامَ بأنفِ كلِّ مُخالِفٍ ... حتى استقام له الذى لم يُخْطَمِ

لا يُصلِح السُّلْطانَ إلا شِدَّةٌ ... تَغْشَى البَرِىء بفضل ذَنْب المُجْرِمِ

مَنَعَتْ مهابَتُك النفوسَ حَديثَها ... بالشىء[5] تـكرهه وإن لم تَعْلَمِ

١٥ ونَهَجْتَ فى سُبُل السِّياسة مَسْلَـكاً ... ففهِمتَ مذهبَها الذى لم يُفْهَمِ

فوصله وحمله وخلع عليه .

(١) ف : «بالمعضلات» .

(٢) المرزم : المصوت .

(٣) الأغر : الأبيض ، والأرثم : الفرس فى طرف أنفه بياض .

٢٠ (٤) لم يرد هذا البيت فى ف . والمضيع : من كثرت ضياعه ، وهو موجود فى باقى النسخ ، وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٤ .

(٥) فى الشعر والشعراء : «بالأمر تكرهه» .

يراجع جعفر بن يحيى فى تقليل عطائه فيزيده.

أخبرنى محمد بن يَحْيَى الصُّولىّ، قال: حدثنا الغَلاَبىّ قال: حدثنا مَهدىّ ابنُ سابق قال:

أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبى حَفْصَة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البَصير عشرين ألفاً، وأعطى أشْجَع - وقد أنشدَه معهما - ثلاثة آلاف درهم، وكان ذلك فى أول اتصاله به، فكتب إليه أشجع يقول: ٥

أعطيتَ مروانَ الثلا ثينَ التى دلَّت رِعاثَه[1]

وأبا البَصِير وإنما أعطيتَنِى منهم ثلاثَه

ما خانَنِى حَوْكُ القري[2] ض ولا اتَّهمتَ سوَى الحداثَه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى.

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعرا لأشجع ويدعيه لنفسه

حدثنى علىّ بن صالح بنِ الهَيْثَم الأنبارىّ، قال: حدثنى أبو هَفان، قال: حدثنى سعيد بنُ هُرَيْم وأبو دِعامة، قالا: ١٠

كان انقطاعُ أشجع إلى العباس بنِ محمد بنِ علىّ بن عبد الله بن العباس، فقال الرّشيدُ للعباس يوما: يا عمُّ، إن الشُّعَراء قد أكثروا فى مَدْح محمد بِسَبَبِي وبسبب أمّ جعفر، ولم يقل أحدٌ منهم فى المأمون شيئاً، وأنا أُحِبّ أن أقَع على شاعر فَطِن ذكىّ يقول فيه، فذكر العبَّاسُ ذلك لأشْجَع، وأمرَه أن يقول فيه، فقال: ١٥

بَيْعَةُ المأمون آخِذَةٌ بِعِنان الحقّ فى أُفُقِهْ

أُحكِمتْ مِرَّاتُها[3] عُقدًا تمنع المُخْتال فى نَفَقِهْ

لن يفكّ المرء رِبقَتَها أو يفكّ الدِّينَ من عُنُقِهْ

٣٩/١٧

(١) الرعاث جمع رعثة، وهى عثنون الديك، ويريد بتدلى رعاثه أنه تكبَّر وزها.
(٢) ف: «حوز القريض». ٢٠
(٣) المرات جمع مرة، وهى طاقة الحبل. وفى ما: «مرانها».

وله من وَجْه والِدِه صُورةٌ تَمّت ومن خُلُقِهْ

قال : فأتى بها العبّاسُ الرَّشيدَ ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله : لمن هى ؟ فقال : هى لى ، فقال : قد سررتَنى مرّتين : بإصابَتِك ما فى نَفْسى ، وبأنها لك ، وما كان لك فهو لى ، وأمر له بثلاثين ألف دينار ، فدفع إلى أشْجَع منها خمسةَ آلاف درهم ، وأخذ باقيها لنفسه .

يستعجل عطاء يحيى ابن خالد ثم يمدحه

أخبرنى عمّى : قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ابن مالك الخُزاعىّ ، قال :

وعد يَحْيَى بن خالد أشْجَعَ السُّلَمىّ وعداً ، فأخّره عنه ، فقال له قوله :

رَأيْتُكَ لا تَسْتَلِذُّ المِطالَ وتُوفِى إذا غَدَرَ الخائنُ

فماذا تُؤَخِّر من حاجتِى وأنتَ لتَعْجِيلها ضامنُ!

ألَمْ تَرَ أنّ احتباسَ النّوالِ لمعْرُوفِ صاحِبِه شائِنُ!

فلم يتعجّلْ ما أراد ، فكتب إليه :

رُويدَكَ إنَّ عِزَّ الفَقْر أدنَى إلىَّ من الثَّراء مع الهَوانِ

وماذا تَبلُغُ الأيَّامُ مِنّى برَيْبِ صُرُوفِها ومَعِى لِسانِى

فبلغ قولُه جَعْفَراً فقال له : ويلك يا أشْجَع ! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله ، ثم كلّم أباه فقضى حاجتَه ، فقال :

كَفانِى صُروفَ الدَّهْرِ يَحْيِى بنُ خَالد فأصبَحْتُ لا أرتاعُ للحَــدَثانِ

كَفانِى ــ كَفاه الله كُلَّ مُلِمَّةٍ ــ طِلابَ فُــلانٍ مَرّةً وفُـــلانِ

فأصبَحْتُ فى رغْدٍ من العَيْش واسعٍ أُقلِّبُ فيــه ناظِرى ولِســانِى

أخبرنى محمد بن عِمران الصَّيْرفِىّ قال : حدَّثنا العَنَزِىُّ عن ابن النَّطّاح قال :

جعفر بن يحيى يوليه عملا ثم يصرفه عنه

ولّى جعفرُ بنُ يَحيى أشجعَ عملاً، فرفعَ إليه أهلُه رفائعَ[١] كثيرة، وتظلَّموا منه وشَكَوْه، فصرفه جعفر عنهم، فلما رَجَعَ إليه من عمله مَثَل بين يديه، ثم أنشأ يقول:

أمُفسِدةٌ سُعادُ علىَّ دِيني ولائمتى على طُولِ الحنينِ
وما تدرِى سُعاد إذا تخلّتْ من الأشجان كيفَ أخو الشُّجونِ
تنامُ ولا أنامُ لطُول حُزْنى وأينَ أخو السُّرور من الحزين!
لقد راعتْكَ عند قُطينِ سُعْدَى رواحلُ غادياتٌ بالقطِينِ[٢]
كأنَّ دُموعَ عَيْنِى يوم بانوا عِيانا سَحُّ مُطَّرِدٍ مَعِينِ[٣]
لقد هزَّت سِنانَ القولِ منِّى رِجالُ رَفِيعةٍ لم يَعرِفُونى
هُمُ جازُوا حِجابَك يابْنَ يَحيى فقالوا بالذى يَهْوَوْن دُونِى
أطافُوا بى لديك وغِبتُ عنهم ولو أدنيْتنِى لتجنَّبُونِى
وقد شهِدتْ عُيونُهمُ فمالتْ علىَّ وغُيِّبَتْ عنهم عُيونِى
ولمَّا أن كَتبْتُ بما أرادُوا تَدرَّعَ[٤] كُلُّ ذى غَمْزٍ دَفِينِ
كَففتُ عن المقاتل بادياتٍ وقد هَيَّأتُ صخرةَ مَنْجَنُونِ[٥]
ولو أرسلتُها دَمَغتْ رِجالاً وصالتْ فى الأخِشَّةِ والشُّؤُونِ[٦]

(١) الرفائع: جمع رفيعة؛ وهى القصة المرفوعة إلى الحاكم.
(٢) القطين: الخدم والحاشية.
(٣) فى ف، «غياث سح مطرد معين».
(٤) فى ب: «تردع».
(٥) المنجنون: الدولاب يستقى عليها.
(٦) الأخشة جمع خشاش، وهو العود يجعل فى عظم أنف البعير، والشؤون جمع شأن، وهو عرق الدمع.

وكنت إذا هَزَزتُ حُسامَ قَوْلٍ ... قطعت بحُجّتِى عَلَق[1] الوَتِينِ

لعلّ الدهر يُطلِق من لسانى ... لهم يوما ويَبْسط من يَمِينى

فأقضِىَ دَيْنَهم بوفاء قـــولٍ ... وأُثقلهم لصــدق بالديونِ

وقـد علموا جَميعاً أنّ قَولى ... قَرِيب حِـينَ أَدْعُوه يَجِيبنى

وكُنتُ إذا هَجَوْتُ رَئِيسَ قَوْمٍ ... وَسَمْتُ على الذُّؤَابَةِ والجَبِينِ

بخطٍّ مثـلِ حَرْقِ النّارِ باقٍ ... يلوح على الحواجِب والعُيُونِ

أمائِلَةٌ بوُدّك يابْنَ يَحْيَى ... رجالاتٌ ذَوُو ضِغْنٍ كَمِينِ

يَشيمون السُّيوفَ[2] إذا رَأَوْنى ... فان ولّيتُ سُلّت من جُفونِ

ولو كُشِفَت سرائِرُنا جَميعاً ... علمتَ مَنِ البَرِىء من الظَّنِينِ[3]

علامَ ـ وأنتَ تَعلَم نُصْحَ حَرْبى ... وأَخْذِى منك بالسَّبَب المَتِينِ

وعَسْفِى كُلَّ مَهْمَهَةٍ خـــلاءٍ ... إليك بكل يَعْمَلَةٍ أَمُونِ[4]

وإحيائى الدُّجَى لك بالقَوافى ... أُقيم صُدُورَهُنّ على المُتونِ ـ

تُقرِّب منك أعدائى وأُنْأَى ... ويجلسُ مَجْلِسِى مَنْ لا يَلِينى!

ولو عاتبتَ نَفْسَك فى مكانى[5] ... إذًا لنَزَلتُ عنـدك باليَمِينِ

ولَــكِنَّ الشُّــكوكَ نأَيْنَ عَنِّى ... بودِّك ، والمَصِيرُ إلى اليقـــين

فان أنصَفْتَنِى أحرقتَ منهم ... بنُضْجِ الكَىِّ أَثْباجَ[6] البطونِ

---

(١) العلق : الحبل . وفى ف : «عرق» .

(٢) يشيمون السيوف : يدخلونها فى أغمادها .

(٣) الظنين : المتهم .

(٤) اليعملة : الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . الأمون : الموثقة الخلق المأمونة الكلال .

(٥) ف : «من فؤادى» .

(٦) الأثباج : جمع ثبج ، وهو الوسط من كل شىء .

أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور

أخبرنى محمدُ بنُ يَحْيَى الصولىّ والحسنُ بنُ علىّ ، قالا : حدثنا العَنَزِىّ قال : حدثنا علىّ بن الفضل السُّلمىّ قال :

أوّلُ ما نَجَم به أشجعُ أنّه اتّصَل بجعفر بنِ المَنْصور وهو حَدَثٌ ، وصَلَه به أحمد ابنُ يزيد السُّلَمِىّ وابنه عوف ، فقال أشجعُ فى جعفر بن المنصور قوله :

اذكُروا حُرمةَ العَواتِك مِنّا يا بنى هاشمِ بنِ عبدِ منافِ
قد وَلَدْناكُم ثَلاثَ ولادا تٍ خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ
مَهَّدت هاشماً نجومُ قُصَىٍّ وبنو فالجٍ حُجور عَفافِ
إنّ أرماحَ بُهْثَةَ بنَ سُلَيْم(١) لعِجافِ الأطراف غيرُ عِجافِ
ولأسيافهم فرِى غيرُ لَذٍّ راجعٌ فى مَراجع الأكتافِ
معشرٌ يُطعِمُون من ذِرْوَة الشّو ل ويَسقُون خمرَةَ الأقحاف(٢)
يَضرِبُون الجبّار فى أخدَعَيْه ويُسقُّونه نَقيعَ الذُّعاف(٣)

فشاع شِعْره وبلَغ البَصْرة ، ولم يزل أمرُه يَتَراقى إلى أن وَصَلَتْه زُبَيْدَةُ بعد وفاة أبيها بزَوْجها هارون الرشيد ، فأسنَى جَوائزَه ، وألحقَه بالطَّبقة العُلْيا من الشُّعراء .

الفضل بن الربيع يصله بالرشيد فيمدحه ثم يمدح الفضل

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى أحمدُ بن المرزُبان قال : حدّثنى شَيْبَةُ بنُ أحمد ابن هشام ، قال : حدّثنى أحمدُ بن العباس الرَّبيعىّ :

أن الذى أوصلَ أشجعَ السُّلَمىّ إلى الرَّشيد جدُّه الفَضل بن الربيع ، وأنه أوصلَه له وقال له : هو أشعَر شعَراء أهلِ هذا الزّمان ، وقد اقتطعَتْه عنك البَرامكة ، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعَل ، فلمّا وَصل إليه أنشدَه قوله :

(١) كذا فى القاموس (بهث) . وفى ف ، المختار : «بهثة» . وفى ب ، ما : «بهمة من سليم» .

(٢) الشول : الناقة . والأقحاف جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح . وفى ب : «خمرة الإتحاف» .

(٣) الأخدعان : عرقان فى صفحتى العنق قد خفيا وبطنا . والذعاف : السم .

قَصْرٌ عليــه تَحِيَّةٌ وسَـلامُ ... نَثَرَتْ عليــه جَمالَها الأيّامُ
فيه اجْتَلَى الدُّنيا الخليفةُ والْتقَتْ ... للملك فيـــه سَــلامَةٌ وسَلامُ
قَصْرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقوفِهِ ... فيـــه لأعــلامِ الهُدَى أعْلامُ
نَشَرت عليه الأرضُ كُسوتَها الّتى ... نَسجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ(١)
أدنَتْكَ من ظِلّ النَّبيِّ وَصيَّةٌ ... وقرابَةٌ وُشِجَتْ بهـا الأرحامُ
برقَتْ سَماؤُك فى العَدُوِّ وأمْطَرت ... هَاماً لهـا ظِـلُّ السُّيوف غَمـامُ
وإذا سُيوفُك صافحَتْ هامَ العِدَا ... طارت لهُنَّ عن الرءوس الهامُ
أثنَى عــلى أيّامِك الأيّامُ ... والشّاهِدان : الحِـلُّ والإحـرامُ
وعلَى عَدُوِّك يا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدان: ضَوءُ الصُّبح والإظلامُ
١٠ فإذا تنبَّه رُعتَه ، وإذا غَفَا ... سَلَّتْ عليه سُيوفَك الأحْلامُ

قال : فاستَحسنَها الرّشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدَح الفَضْلَ بنَ الرَّبيع ، وشكر له إيصالَه إيَّاه إلى الرشيد ، فقال فيه قصيدتَه الّتى أوَّلُها :

غَلَب الرُّقادُ على جُفونِ المُسْهَدِ ... وغرِقْتُ فى سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
قد جَدَّ بى سَهَرٌ فلم أرقُد له ... والنَّومُ يلعب فى جُفون الرُّقَّدِ
١٥ ولَطالَما سَهِرَتْ لِحُبِّيَ أعْيُنٌ ... أهدَى السُّهاد لها ولَمَّا أسْهَدِ
أيّامَ أرعى فى رِياضِ بَطالةٍ ... ورْدَ الصِّبا منها الذى لم يُورَدِ
لَهْوٌ يُساعِده الشَّبابُ ولم أجِدْ ... بعد الشَّبيبَة فى الهوَى من مُسْعِدِ(٢)
وخَفِيفَةِ الأحشاء غير خَفِيفَة ... مَجْدُولَةٍ جَدْلَ العِنانِ الأجْرَدِ

(١) أرهمت السماء : أتت بالرهمة ، وهى المطر الضعيف .
٢٠ (٢) أسعده : أعانه فهو مُسعِد .

غَضِبَتْ على أعْطافِها أردافُها ... فالحَرْبُ بين إزارها والمِجْسَدِ(١)
خالفتُ فيه عاذِلا لىَ ناصحا ... فرَشَدْتُ حين عَصَيْتُ قَولَ المُرشِدِ
أأُقيمُ مُحْتَمِلاً لِضَيْمِ حَوادِثٍ ... مع هِمَّةٍ موصولة بالفَرْقَدِ
وأرَى مخايِلَ ليس يُخلِفُ نَوؤُها ... للفضل إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ
للفَضل أموالٌ أطافَ بها النَّدَى ... حتى جُهِدْن وجُودُه لم يَجْهَدِ ٥
يابنَ الرَّبيعَ حَسَرْتُ شُكْرِىَ بالتى ... أوليتَنى فى عَوْدِ أمرك والبَدِى(٢)
أوصَلْتَنى ورَفَدْتَنِى وكِلاهُما ... شَرفٌ فقأتُ به عيُونَ الحُسَّدِ
ووصَفْتَنى عند الخَليفة غائباً ... وأذِنْتَ لى فشَهِدْتُ أفخرَ مَشْهَدِ(٣)
وكَفَيْتَنِى(٤) مِنَنَ الرِّجال بنائل ... أغنى يَدِى عن أن تُمَدَّ إلى يَدِ

يسأل جعفر بن يحيى ابتياع غلام جميل فيجيبه

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفىّ قال: حدثنا العَنَزِىّ، قال: حدثنى صخرُ بن أحمد السلمىّ، عن أبيه، قال: ١٠

كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً، فمرّ بنا غلامٌ أمردُ رومىٌ جميلُ الوجه، فكلَّمه أشجع وسأله هل يبيعه مالِكُه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدَحُ جعفرَ بنَ يحيَى، وسأله ابتياعَه له فقال:

ومُضْطرِبِ الوِشاحِ لِمُقْلَتَيْه ... علائقُ ما لِوَصْلَتها انقِطاعُ ١٥
تعرَّض لِى بنظْرةِ ذِى دَلالٍ ... يُرِيعُ(٥) بمُقْلتيه ولا يُراعُ
لِحاظٌ ليس تُحجَب عن قُلوبٍ ... وأمرٌ فى الذى يهوى مُطاعُ
ووُسْعِى ضَيِّقٌ عنه ومالِى ... وضِيقُ الأمر يَتْبَعُه اتِّساعُ
وتَعْويلِى على مال ابنِ يَحْيَى ... إليه حَنَّ شَوْقى والنِّزاعُ
وَثِقْتُ بجَعْفَرٍ فى كلِّ خَطْبٍ ... فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ ٢٠

(١) المجسد: ثوب يلى الجسد.
(٢) فى المختار: «... شكرى بالذى ... فى عود أمرى ...» (٣) ساقط من ف.
(٤) فى ب، س: «وكففتنى». (٥) ف، بيروت: «يروع».

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال : اشتَرِه بها فإن لم تَـكْفِك فازدَدْ .

يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ ، قال : حدثنا أحمدُ بنُ الحارث قال :

كانت لأشْجَعَ جاريةٌ يقال لها : رِيمٌ ، وكان يَجِد بها وَجْداً شَدِيداً ، فكانت تَحلِف له إن بقيتْ بعده لم تَعرَّض لغيره ، وكان يذكُرها في شعره ، فمن ذلك قولُه في قصيدته التي يرثي بها الرشيدَ :

وليس لأحزان النِّساء تَطاولٌ ... ولـكنَّ أحزانَ الرِّجال تَطولُ

فلا تَبْخَلِي بالدَّمْعِ عَنِّي ، فإنّ من ... يَضِنُّ بدَمْعٍ عن هوًى لبَخِيلُ

فلا كُنتُ ممن يُتْبِـع الرِّيحَ طَرفَه ... دَبُوراً إذا هَبَّت له وقَبُولُ[1]

إذا دارَ فَيْء أتبعَ الفَيْءَ طَرفَه ... يَمِيل مع الأيّام حَيْثُ تَمِيلُ

قال : وقال فيها أيضاً :

إذا غَمَّضَتْ فَوْقِي جفُونُ حَفِيرَةٍ ... من الأرض فابْكِيني بما كُنتُ أصنَعُ

تُعَزِّكِ عَنِّي عند ذلك سَلْوَةٌ ... وأنْ ليس فِيمَن وَارَت الأرضُ مَطْمَعُ

إذا لم تَرَىْ شَخْصِي وتُغْنِـكِ ثروتي ... ولم تَسْمَعِي منّي ولا منك أسمعُ

فحِينَئِذٍ تَسْلِينَ عنِّي وإن يكن ... بُـكاء فأقصى ما تُبكّين أرْبَعُ

قَلِيلٌ ورَبِّ البيْتِ يا رِيمُ ما أرى ... فَتاةً بمَنْ وَلّى به الموتُ تَقْنَعُ

بمن تَدْفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمَى ... عليكِ بها عامٌ من الجَدْب يَطلُعُ

فحِينئذ تَدْرِين مَنْ قد رُزِيتِهِ ... إذا جعلَتْ أركانُ بيتك تُنْزَعُ

أحمد أخوه يجيبه بشعر ينسبه إلى جاريته ريم

قال : فشكته رِيم إلى أخيه أحمدَ بن عَمْرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفَضْلَ أيضاً فاختِير شعرُه على شعر أخيه وهو :

---

(١) الدبور : ريح تهب من المغرب ، وتقابل القبول ، وهى ريح الصبا .

ذكرتُ فِراقاً والفِراقُ[1] يُصدِّعُ ... وأىُّ حياةٍ بعد مَوْتِك تَنفَعُ!

إذا الزّمنُ الغَرّار[2] فرّق بيننا ... فما لىَ فى طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ

ولا كان يومٌ يابْنَ عَمْرٍو وليلةٌ ... يُبدِّدُ فيها شَمْلَنا ويُصَدِّعُ

ولا كان يومٌ فيه تَثْوِى[3] رهينةً ... فتَرْوَى بجسمى الحادِثاتُ وتَشبعُ

وألطِمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونُه ... وأخشعُ مما لم أكُن منه أخشعُ

ولو أننى غُيِّبْتُ فى اللَّحْد لم تُبَلْ ... ولم تَزَل الراؤون لى تتوجّعُ[4]

وهل رجلٌ أبصرته متوجِّعاً ... على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ!

ولكن إذا ولّتْ يقولُ لها: اذهبِى ... فمِثلُك أُخرَى سوفَ أَهوَى وأَتبعُ

ولو أبصَرَتْ عيناكَ ما بى لأبْصَرَت ... صبابةَ قلب[5] غيمُها ليس يُقْشَعُ

إلى الفَضْل فارْحَلْ بالمديح فإنه ... مَنِيعُ الحِمَى مَعروفُه ليس يُمْنَعُ

وزُرْه تزُرْ حِلْماً وعِلْماً وسُودَدًا ... وبأساً به أنفُ الحوادث يُجدَعُ

وأبدِعْ إذا ما قلتَ فى الفَضْلِ مِدْحَةً ... كما الفضل فى بذل المواهب يُبْدِعُ

إذا ما حِياضُ المجدِ قلّتْ مِياهُها ... فحوضُ أبى العبَّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ

وإن سَنةٌ ضَنَّتْ بخِصبٍ على الوَرَى ... ففى جُودِه مرعًى خصيبٌ ومَشْرَعُ

وما بَعُدتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نَازِلٌ ... ولا خابَ مَنْ فى نائِلِ الفَضْلِ يَطْمَعُ

فنِعم المُنادَى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ[6] ... لدفع خُطوبٍ مِثلُها ليس يُدفعُ

(١) ف: «والتفرق».
(٢) ف: «الغدار».
(٣) ف: «أثوى»، تحريف.
(٤) ف: «فى الترب» بدل «فى اللحد»، وفى ما: «فى البحر».
(٥) ف: «صبابة حزن».
(٦) ف: «فنعم المنادى عند كل ملمة».

إليكَ أبا العبَّاسِ سارَتْ نجائبٌ ... لها هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِعُ
بذِكْرِك نحدُوها إذا ما تأخَّرَتْ ... فتمضِى على هَوْلِ المُضِىّ وتُسْرِعُ
وما لِلسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ... ولا للمَطايا دُون بابك مَفْزَعُ
إليكَ أبا العبَّاسِ أعملُ مِدْحَةً ... مَطِيَّتُها — حتى تُوافيك — أشجَعُ
٥ فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيها وإنما ... إلى مَفْزِعِ الأملاكِ يُلْجا ويُفْزَعُ

قال : فأنشدَها أشجعُ الفَضْلَ ، وحدَّثه بالقِصَّة ، فوصل أخاه وجاريتَه ووصلَه .

وقال أحمدُ بنُ الحارث : فقيل لأحمد بن عمرو أخى أشْجَع : مالك لا تمدَح المُلوكَ كما يَمدَحُهم أخوك ؟ فقال : إن أخِى بَلاءٌ علىَّ وإن كان فَخرًا ، لأنِّى[1] لا أمدَح أحداً ممّن يُرضِيه دُونَ شِعْرى ويُثِيب عليه بالكثير من الثَّواب[2] إلا قال : أينَ هذا
١٠ من قَوْل أشجَع ؟ فقد امتنَعْتُ من مَدْح أحد لذلك .

أحمد أخو أشجع يهجوه

قال أحمدُ بنُ الحارث : وقال أحمدُ بنُ عَمْرو يَهجُو أخاه أشْجَع ، وقد كان أحمدُ مدَح محمدَ بنَ جَمِيل بشعر قاله فيه ، فسأل أخاه أشْجَع إيصالَه ، ودَفع القصيدةَ إليه فتَوانَى عن ذلك ، فقال يهْجُوه — أخبَرنِى بذلك أحمدُ بنُ محمد بنِ جَمِيل — :

وسائلةٍ لِىَ : ما أشْجَعُ ؟ ... فقلتُ : يضرُّ ولا ينفَعُ
١٥ قَرِيبٌ من الشرِّ واعٍ له ... أصَمُّ عن الخير ما يَسمَعُ
بَطِىءٌ عن الأمر أحظَى به ... إلى كل ما ساءنى مُسْرِعُ
شَرودُ الوِدادِ على قُربِهِ ... يُفَرِّقُ منه الذى أجمَعُ
أُسَبُّ بأنِّى شقيقٌ له ... فأنفِى به أبداً أجدَعُ

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع ويكافئ منشده

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامَةَ قال : حدَّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال :
٢٠ دخلتُ على الفَضْل بنِ يَحْيَى وقد بَلَغ الرشيدَ إطلاقُه يَحْيَى بن عبد الله

[1] ف : « على أنى لا أمدح ... » .
[2] ف ، بيروت : « من النوال » .

٤٤/١٧

ابنِ حَسن ، وقد كان أمره بقتله فلم يُظهِر له أنه بلغه إطلاقه [1]، فسأله عن خَبَره : هل قتلتَه ؟ فقال : لا ، فقال له : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه سألَنى بحقِّ اللهِ وبحقِّ رَسولِه وقَرابتِه منه ومنك ، وحلَفَ لى أنَّه لا يُحدِث حدَثاً ، وأنه يُجيبُنى متَى طلبتُه . فأطرق ساعة ، ثم قال : امضِ بنَفْسِك فى طلَبه حتى تَجيئَنى به واخرُجِ الساعةَ ، فخرَج . قال : فدخلْتُ عليه مهنِّئاً بالسَّلامة فقلت له : ما رأيتُ أثبَتَ ٥ من جَنانِك ولا أصحَّ من رأيك فيما جرَى ، وأنت واللهِ كما قال أشجَعُ :

بديهتُه وفكرتُه سَواءٌ ... إذا ما نابَه الخطْبُ الكبيرُ

وأحزمُ ما يكونُ الدَّهرَ رأياً ... إذا عَىَّ المُشاوِرُ والمُشيرُ

وصدرٌ فيه للهمِّ اتِّساعٌ ... إذا ضاقَت بما تَحوِى الصُّدورُ

فقال الفَضْل : انظُروا كم أخَذ أشْجَع على هذه القَصِيدة ، فاحمِلوا إلى أبى محمد ١٠ مثلَه . قال : فوجَدَه قد أخذ ثَلاثين ألْف دِرْهَم ، فحُمِلتْ إلىّ .

يرثى صديقا له من بغداد

أخبرنى الحُسَيْن بنُ القاسِم الكَوْكَبِىُّ إجازة ، قال : حدَّثنى محمد بنُ عَجْلان . قال : حدَّثنا ابنُ خَلّاد ، عن حُسَيْن الجُعْفِىّ قال :

كان أشجَعُ إذا قدم بَغْدادَ ينزل على صَديقٍ له من أهلِها ، فقَدِمها مرّةً فوَجَده قد مات ، والنوحُ والبُكاء فى دَاره ، فجَزِع لذلك وبَكَى ، وأنشأ يَقولُ : ١٥

وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنوحُ ... أسَقِيمٌ فُؤادُها أم صَحِيحُ !

قَمرٌ أطبَقُوا عليه ببغدا ... دَ ضَريحاً ، ماذا أجَنَّ الضَّريحُ !

رحِمَ اللهُ صاحِبِى ونَدِيمِى ... رحمةً تَغْتدِى وأُخرى تروحُ

وهذه القَصيدة التى فيها الأبيات المَذْكُورة والغِناء فيها ، من قَصيدة يمدَح بها أشجَعُ الرَّشيدَ ويُهَنِّئه بفَتْح هِرَقْلَةَ ، وقد مدَحه بذلك وهنَّأه جماعةٌ من الشُّعراء ٢٠ وغُنِّىَ فى جَميعها ، فذكرتُ خبرَ فَتْح هِرَقْلَة لذكر ذلك .

(١) كذا فى ف ، وفى باقى الأصول : « أنه قتله » .

سبب غزاة الرشيد هرقلة

أخبرنى بخبره علىُّ بنُ سُلَيمان الأخفش ، قال : حدَّثَنا محمد بنُ يَزِيد ، قال :

كان من خَبرِ غَزاة الرَّشيد هِرَقْلَة أن الرُّومَ كانت قد مَلَّكَت امرأةً ، لأنه لم يَكُن بَقِىَ فى أهل زَمانها من أهْل بَيتها[1] - بيتِ المملكة - غيرُها ، وكانت تكتب إلى المهْدىّ والهادِى والرَّشيد أوَّلَ خِلافتِه بالتَّعْظِيم والتَّبْجيل ، وتدِرّ عليه الهدايا ، حتى بَلَغ ابنٌ لها لحاز المُلكَ دُونها ، وعاث وأفسد ، وفاسد الرَّشيدَ ، فخافت على مُلْك الرُّوم أن يَذْهبَ ، وعلى بِلادِهم أن تعطَّب ؛ لعِلمها بالرَّشيد وخوفها من سَطْوته ، فاحتالت لابْنِها فسَمَلَتْ عَيْنَيْه[2] ، فبطَل منه المُلك وعاد إليها ، فاستَنْكَرَ ذلك أهلُ المَمْلَكة وأبغضوها من أجْله ، فخرج عليها نِقفور وكان كاتبَها ، فأعانوه وعَضَدُوه ، وقام بأمْر المُلْك وضَبط أمْر الرُّوم ، فلمّا قَوِىَ على أمره وتمكَّن من مُلْكه كَتَب إلى الرَّشيد :

كتاب نقفور إلى الرشيد

«من نَقْفُور مَلِكِ الرُّوم إلى الرَّشيد مَلِكِ العرب ، أمابعد ؛ فإنّ هذه المرأة كانت وَضَعَتْك وأباكَ وأخاك مَوْضِع المُلوك ، ووضَعَت نَفْسَها موضِعَ السُّوقَة ، وإنى واضِعُك بغير ذلك المَوْضِع ، وعامل على تَطَرُّق[3] بِلادِك والهجوم على أمصارِك ، أو تُؤَدِّى إلىَّ ما كانت المَرْأة تؤدِّى إليك ، والسَّلام» .

رد الرشيد عليه

فلمّا وَرَدَ كِتابُه على الرَّشيد كتَب إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم — من عَبْدِ الله هارونَ أميرِ المُؤْمنين إلى نَقْفور كَلْبِ الرُّوم ، أما بَعد ، فقد فهمتُ كِتابَك ، وجَوابُك عندى ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُه» .

ثم شَخَص من شهره ذلِك يَؤُمُّ بِلادَ الرُّوم فى جَمْع لم يُسمَع بمثله ، وقُوَّاد لا يُجارَوْن نجدةً ورأياً ، فلما بَلَغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رَحُبَتْ ، وشاوَر فى أمره .

[1] ف : «... بقى فى زمانها من أهل بيتها .. الخ ».
[2] سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محماة .
[3] وعامل على تطرق بلادك ، أى على السير إليها .

وَجدَّ الرَّشيد يتوغّل فى بلاد الروم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِى، ويُخرّب الحصونَ ويُعَفِّى الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضايِقَة دون قُسْطَنْطِينِيَّة ، فلما بَلَغها وَجدَها وقد أمر نقفور بالشَّجَر فقُطِع ورُمِى به فى تلك الطُّرُق ، وأُلقِيت فيه النّار ، فكان أوّلَ مَنْ لَبِس ثياب النَّفَّاطِين محمدُ بنُ يَزِيد بنِ مَزْيَد ، فخاضها ، ثم اتَّبعَه الناس ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشدَّ الخُضوع ، وأدَّى إليه الجِزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه ٥ فقال فى ذلك أَبُو العَتاهِيَة :

أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور ويمدح الرشيد

إمامَ الهُدَى أصبحْتَ بالدِّين مَعْنِيًّا ... وأصبحتَ تَسقِى كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيًّا

لك اسمان شُقَّا من رَشادٍ ومن هُدًى ... فأنت الذى تُدعَى رَشيداً ومَهْدِيًّا

إذا ما سَخِطْتَ الشىءَ كان مسخَّطًا ... وإن تَرضَ شيئاً كان فى الناس مَرْضِيًّا

بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقِيًّا وأوسَعْتَ غَرْبِيًّا ١٠

ووَشَّيْتَ وَجهَ الأرضِ بالجود والنَّدى ... فأصبَح وَجهُ الأرض بالجودِ مُوَشِّيًّا

وأنت — أميرَ المؤمنين — فَتَى التُّقَى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيًّا

قَضَى اللهُ أن يَبْقَى لِهارونَ مُلْكُهُ ... وَكانَ قَضاه الله فى الخَلْق مَقْضِيًّا

تَجَلَّلَت الدُّنيا لِهارُون ذى الرِّضا[1] ... وأصبح نَقْفورُ لهارونَ ذِمِّيًّا

شاعر من أهل جُدَّة يعلم الرشيد بغدر نقفور

فرجع الرشيد — لَمَّا أَعْطاه نَقْفور ما أعْطاه — إلى الرَّقَّة ، فلما سَقَط الثَّلجُ وأَمِن ١٥ نَقْفُور أن يُغزَى اغترّ بالمُهْلة ، ونقَض ما بَيْنه وبين الرشيد ، ورَجَع إلى حالته الأولى ، فلم يَجْتَرِئْ يَحْيى بنُ خالِدٍ فَضْلاً عن غَيره على إخبار الرَّشيد بغدر نقفور ، فبَذَل هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعَراء على أن يَقولُوا أشعارا فى إعلامِ الرَّشيد بذلك ، فكُلُّهم كَعَّ[2] وأشفَق إلا شاعراً من أهل جُدَّة كان يُكنَى أبا محمد ،

(١) فى التجريد : « تحليت للدنيا وللدين بالرضا » .

(٢) كع : جبن .

وكان مُجيداً قَوِىَّ النَّفْسِ قَوِىَّ الشِّعر ، وكان ذو اليَمِينَيْن اختَصَّه فى أيَّام المَأمون ورَفَع قَدرَه جِدًّا ، فإنَّه أخذ من يَحْيَى وبَنِيه مائةَ ألفِ دِرْهم ، ودخل على الرَّشيد فأنشدَه :

نَقَضَ الذى أَعْطاكَه[1] نقْفورُ ... فعَلَيــه دائِرَةُ البَوارِ تَدُورُ

٥ أَبشِرْ أَمــيرَ المُؤْمِنِين فإنّه ... فَتْحٌ أتاك به الإلهُ كَبِيرُ

فلقَد تباشَرَت الرَّعِيَّة أن أتَى ... بالنَّقْض[2] عنه وافـــد وبَشِيرُ

ورجَتْ بيُمْنِك[3] أن تُعجِّل غَزوةً ... تَشفِى النُّفوس نَـكالُها مَذْكُورُ

أَعْطاكَ جِزْيتَه وطَأْطَأَ خَــدَّه ... حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذُورُ

فأجَرْتَه من وَقْعِها وكأنَّهــا ... بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرام تَطِيرُ

١٠ وصرفت فى[4] طول العساكر قافلًا ... عنـــه وجارُك آمِنٌ مَسْرُورُ

نقْفورُ إنَّك حين تَغدِر أن نَأى ... عنــك الإمامُ لَجاهِلٌ مغرُورُ

أظَنَنْتَ حين غَدَرْت أنك مُفلِتٌ ... هَبِلَتْك أمُّك ما ظَنَنتَ غُرورُ

ألقاك حَيْنُك فى زَواخِرِ بَحْرِه ... فَطَمَت عليك من الإمام بُحورُ

إنّ الإمامَ على اقتِسارِك قادِرٌ ... قَرُبَت دِيارُك أو نَأَت بِك دُورُ

١٥ لَيْس الإمامُ وإن غَفِلنا غافِلاً ... عمــا يَسُوس بحَزْمه ويُدِيرُ

مَلِكٌ تَجرَّد للجِهاد بنَفْسِه ... فَعدُوُّه أبداً به مَقْهــورُ

يا مَن يُرِيد رِضَا الإلهِ بسَعْيِه ... واللهُ لا يَخْفى عليــه ضَمِيرُ

لا نُصْحَ ينفَع مَنْ يَغُشُّ إمامَه ... والنُّصْحُ من نُصَحائِه مَشْكُورُ

(١) ف : « أعـ يته ».

(٢) ب : «بالنقد» .

٢٠ (٣) ب ، التجريد : «ورجت يمينك» .

(٤) ف : «من طوله» .

نُصْحُ الإمام على الأنام فَرِيضَةٌ ولأهــله كفَّارَةٌ وطَهُورُ

فتح هرقلة

قال : فلما أنشده ، قال الرّشيد : أو قد فَعَل ! وعلم أن الوُزراء احتالُوا فى إعلامه ذلك فغَزاه فى بقيَّة من الثلج ، فافتتح هِرَقْلَة فى ذلك الوقت ، فقال أبو العَتاهِيَة فى فَتْحه إياها :

ألا نادَت هِرَقلةُ بالخراب ... من المِلك الموَفَّق للصَّواب[١]
غدَا هارونُ يُرعِدُ بالمَنايا ... ويُبرِق بالمُذَكَّرَة القِضاب[٢]
وراياتٍ يَحُلُّ النَّصرُ فيها ... تمرُّ كأنَّها قِطَعُ السَّحاب
أميرَ المؤمنينَ ظَفِرتَ فاسْلَمْ ... وأبشِر بالغَنيمة والإياب

قال محمد[٣] : وجَعَلَ الرشيدُ قبل وصوله إلى هِرَقْلَة يفتح المدنَ والحصونَ ويخرِّبها ، حتى أناخَ على هِرَقْلَةَ وهى أوثق حِصْنٍ وأعزّه جانباً وأمنَعه رُكْناً ، فتحصَّن أهلُها ، وكان بابُها يطل على وَادٍ ، ولها خَنْدَق يطيف بها ، فحدَّثنى شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة ومُلازِمى الثُّغور يقال له علىّ بن عبد الله ، قال : حدَّثنى جماعة أنَّ الرَّشيد لما حصَر أهلَ هِرَقْلة وغمهم وألحَّ بالمَجانيق والسهام والعَرَّادات[٤] فتح الباب (٥فاستشرف المسلمون لذلك٥) فإذا برجل من أهلها كأكمل (٦ الرّجال قد خرج فى أكمل السلاح ، فنادى : قد طالَت مُوَاقَعتُكم إيانا فليَبْرُز إلىّ منكم رجلان ، ثم لم يَزل يَزيد حتى بَلغ عِشرين رجلا ، فلم يُجِبه أحد ، فدخل وأغلق بابَ الحِصن وكان الرَّشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدمَه وغِلمانه على تركهم إنْباهَه ، وتأسف لفَوْته ، فقيل له : إنَّ امتناعَ الناس منه سيُغْريه ويُطْغِيه ، وأحْرِ به أن يخرُج فى غَدٍ فيطلُب مثلَ

(١) فى التجريد . « الموثق بالصواب » .
(٢) المذكرة القضاب . الداهية الشديدة القاطعة .
(٣) ف : « قال محمد بن يزيد » .
(٤) العرادات . جمع عرادة ، وهى آلة من آلات الحرب ؛ منجنيق صغير .
(٥-٥) زيادة من ف . (٦) ف . « كأجمل الرجال . »

ما طلب ، فطالت على الرَّشيد ليلتُهُ وأصبح كالمُنْتَظِر له ، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتح وخَرج طالِباً للمُبارَزَة ، وذلك فى يوم شديد الحرّ ، وجعل يدعو بأنه يَثْبُت لعشرين منهم ، فقال الرَّشيد : مَنْ له ؟ فابتَدَرَه جِلَّة القُوّاد كهَرْثَمة ، ويَزِيدَ بن مَزْيد ، وعبدِ الله بن مالك ، وخُزَيْمةَ بن حازم ، وأخيه عبد الله ، ودَاود بن يَزيد ، وأخِيه ،
٥ فعزَم على إخراج بعضهم ، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سَمع ضجيجَهم ، فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوه فى المَشُورة فأَذِن لهم ، فقال قائلهم : يا أميرَ المؤمنين ، قُوّادُك مشهُورُون بالبأس والنَّجْدة وعُلُوّ الصوت ومُدَاوَسَة[1] الحرُوب ، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج[2] لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العِلْج كانت وَضيعة[3] على العسكر عَجِيبة وثُلمة لا تُسَدّ ، ونحن عامّة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يَصْلُح للعامَّة ، فان رأى
١٠ أميرُ المؤمنين أن يُخَلِّيَنا نختارُ رجلا فنخرجه إليه ، فإن ظَفِرَ عَلِم أهلُ الحِصْن أنَّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزّهم على يد رجل من العامَّة ، ومن أفناء الناس ليس ممن يُوهِن قتلُه ولا يُؤثّر ، وإن قُتِل الرَّجل فإنما استُشْهِد رجلٌ ولم يؤثّر ذهابه فى العسكر ولم يَثْلِمه ، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضىَ الله ما شاء[4] ، قال الرَّشيد : قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا . فاختاروا رجلا منهم يُعرَف بابن الجزرىّ ، وكان معروفاً فى
١٥ الثَّغْر بالبأس والنجدة ، فقال الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستَعِين الله . فقال : أعطُوه فَرَساً ورُمحا وسيفاً وتُرسا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفَرَسى أوثَق ، ورُمْحِي بيدى أشدّ[5] ، ولكنى قد قَبِلت السيفَ والتُّرس ، فلبِس سلاحه واستَدْناه الرَّشيد فودَّعه ، واستَتْبعَه[6] الدُّعاء ، وخرج معه عشرون رجلا من المُطَّوِّعة ، فلما انقَضّ فى الوادِى قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً : إنما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتم
٢٠ رجلا ، ولكن لا بأس ، فنادَوْه : ليس يخرُج إليك منا إلا رجلٌ واحد ، فلما فَصَل

(١) مداوسة الحروب : المران عليها وتذليلها . وفى ف : « مدارسة » .
(٢) العلج : الرجل الضخم من كفار العجم .
(٣) الوضيعة : الحطيطة . وفى ف « كانت وصمة على العسكر قبيحة » .
(٤) ب : « يمضى إليه ما شاء » . (٥) ف : « أسد » . (٦) ف : « وأتبعه » .

منهم ابن الجزرىّ تأمّله الرّومىّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمّلون صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظنّوا أنه لم يَبْق فى الحِصن أحدٌ إلا أشرف ، فقال الرّومىّ : أتصدُقُنى ، عما أستَخْبِرُك[1] ؟ قال : نعم ، فقال : أنتَ باللّه ابنُ الجزرى ؟ قال : اللهم نعم ، فكفّر له[2] ، ثم أخذَا فى شأنهما فاطّعَنا حتى طال الأمرُ بينهما ، وكاد الفَرَسانِ أن يقوما[3] وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه ، ثم تحاجزا[4] بشىء ، فزَجّ كلٌّ واحد منهما برمحه ، وأصلَت سيفه ، فتجالدا مليًّا ، واشتدّ الحرّ عليهما ، وتبلّد الفَرَسان ، وجعل ابن الجزرىّ يَضرِب الرّومىّ الضربة التى يَرى أنه قد بَلَغ فيها فيَتّقيها الرومىّ ، وكان تُرْسه حديدًا ؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر ، ويضربه الرّومىّ ضرب مُعَذِّر ؛ لأن تُرْس ابن الجزرىّ كان دَرَقَةً ، فكان العِلْج يخاف أن يعَضّ بالسّيْف فيعطب ، فلما يئس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزَم ابنُ الجزرىّ ؛ فدخلت المسلمين كآبَةٌ لم لم يَكتَئِبُوا مثلها قطّ ، وعَطْعَطَ[5] المشركون اختيالا وتطاوُلاً ، وإنما كانت هزيمتُه حيلةً منه ؛ فأتبعه العِلْج ، وتمكّن منه ابن الجزرىّ فرَماه بوَهَق[6] فوقع فى عُنقه وما أخطأه ، وركَضَ فاستلّه عن فرسه ، ثم عَطف عليه فما وصل إلى الأرض حَيًّا حتى فارقه رأسُه ، فكبّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشركون وبادروا الباب يُغلِقونه ، واتصل الخبر بالرّشيد فصاح بالقُوّاد : اجعلوا النار فى المَجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْع ، ففعلوا وجعلوا الكتّان والنِّفط على الحجارة وأضرَموا فيها النار ورَمَوْا بها السور ، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة ، وقد تصدّع فتهافتت ، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأمِنين ومُستَقْبِلين ، فقال الشاعر المكّىّ الذى كان ينزل جُدّة :

---

(١) فى مد : «فيما أستخبرك». وفى ب : «عم استنخبوك».

(٢) كفر له : انحنى ووضع يده على صدره وطأطأ رأسه كالركوع تعظيما له .

(٣) ف : «وكادالفرسانيقومان». (٤) ف : «ثم تحاوراشىء». (٥) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها.

(٦) الوهق : الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة والإنسان .

صــوت

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً حوائما(١) تَرتَمِي بالنِّفط والنَّارِ
كأنَّ نيرانَنا في جَنْب قَلْعَتِهِم مُصبَّغاتٌ على أَرْسانِ قَصَّارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر .

٥ قال محمد بن يزيد : وهذا كلام ضعيف لين ، ولكنّ قدرَه عظيم في ذلك الموضع والوقت ، وغنّى فيه المُغنّون بعد ذلك . وأعظم الرّشيدُ الجائزةَ للجُدّيّ الشاعر ، وصُبّت الأموالُ على ابن الجزريّ وقُوِّد ، فلم يقبل التَّقْويد إلا بغير رِزْق ولا عِوَض ، وسأل أن يُعفَى ويُنْزَل بمكانه من الثَّغْر ، فلم يزل به طول عمره .

٤٨ / ١٧

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال :
١٠ حدّثنا أحمدُ بن عليّ بن أبي نَعِيم المَرْوَزيّ قال :

ابن جامع يغني الرشيد بهرقلة

خرج الرّشيد غَازِياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقْلةَ ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه :

هوت هَرَقْلة لمّا أنْ رأت عَجَباً حوائماً ترتَمِي بالنِّفْط والنّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جيء بها ، فظنّ أنّ الطاغية قد أتاه ، فخرج يركُض على فرس له وفي يده الرُّمح ، وتَبِعه الناس ، فلما تبيَّن له أنها ماشية رَجَعوا ، فغنّاه
١٥ ابنُ جامع :

صــوت

رأى في السَّما رَهْجا(٢) فيَمَّم نحوَه يجُرُّ رُدَيْنِيًّا وللرَّهْجِ يَسْتَقْرِي
تناولتَ أطرافَ البلادِ بقُدرَةٍ كأنّك فيها تَقْتَفِي أَثَرَ الخِضْرِ

(١) في التجريد : «جواثما».
(٢) الرهج : الغبار أو ما أثير منه .

الغناء لابن جامع ثانى ثقيل عن بَذْل وابن المَكِّىّ .

أشجع يهنئ الرشيد بفتح هرقلة

أخبرنى هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزَاعىّ ، قال : حدثنى الفَضْلُ بنُ محمد اليَزِيدىُّ ، عن إسحاق المَوْصِلى ، قال :

لما انصرفَ الرشيدُ من غَزَاةِ هِرَقْلَةَ قدم الرَّقَّةَ فى آخر شهر رمضان ، فلما عيَّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أَشْجع ، فبَدرهم وأنشأ يقول :

لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْوِيها تَمضِى بِها لكَ أيام وتَثْنِيها

مُستَقبِلاً زِينةَ الدُّنيا وبَهْجَتَها أيامنا لك لا تَفْنَى وتُفْنِيها[1]

ولا تَقَضَّت بك الدُّنيا ولا بَرِحَت يَطوِى لك الدَّهرُ أياماً وتَطوِيها

ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيّام مُقبِلةٌ إليكَ بالنصر مَعْقوداً نواصِيها[2]

أمسَتْ هِرَقْلَةُ تَهْوِى[3] من جوانِبِها وناصرُ اللهِ والإسلامِ يَرْمِيها

مُلِّكتَها وقَتلتَ النَّاكِثِين بها بنَصْرِ مَنْ يملِكُ الدُّنيا وما فيها

ما رُوعِىَ الدِّينُ والدُّنيا على قَدَم بِمِثْل هارُون رَاعِيهِ ورَاعِيها

قال : فأمر له بألف دينار ، وقال : لا يُنشدنى أحدٌ بعده ، فقال أشجع : والله لأمرُه بألاّ يُنشدَه أحدٌ بعدى أحبُّ إلىَّ من صِلته .

حدثنى أحمدُ بنُ وصيف ، ومحمدُ بنُ يَحْيَى الصُّولِىّ قالا : حدثنا محمد بن موسى ابن حماد ، قال : حدَّثنى عبدُ الله بن عمرو الوراق ، قال : حدَّثنى أحمدُ بنُ محمدِ ابن مَنْصُور بن زِياد عن أبيه ، قال :

(١) جاء فى ف بيتان مكان هذا البيت وهما :

مستقبلا بهجة الدنيا وزينتها أيامها لك نظم فى لياليها

العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تفنى وتفنيها

والبيتان أيضا فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٨٨٤ مع خلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) فى الشعر والشعراء ٢/٨٨٤ : « وليهنك النصر ... إليك بالفتح ... » .

(٣) التجريد : « ترمى من جوانبها » .

دخل أشجعُ على الرّشيد ثانى يوم الفِطر فأنشده :

صـــوت

استَقْبِلِ العيدَ بعُمْرٍ جَدِيد   مَدَّت لك الأيّامُ حبلَ الخُلود
مُصَعِّدًا فى دَرَجات العُلاَ   نجمُك مَقرونٌ بِسَعْد السُّعود
واطْوِ رداءَ الشَّمس ما أطلعَتْ   نُورًا جديدًا كلَّ يوم جَدِيد
تَمضِي لك الأيامُ ذا غِبْطة   إذا أتَى عيدٌ طوَى عُمرَ عِيد

٤٩/١٧

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يُغَنَّى فى هذه الأبيات .

يصف فتح طبرستان ويمدح الرشيد

أخبرنى محمد بنُ جعفر النَّحْوىّ ، قال : حدثنا محمد بنُ موسى بن حَمّاد ، قال : حدثنى أبو عبدِ الله النَّخَعىّ ، قال :

دخَل أشجعُ على الرشيد فأنشده قوله :

أبَتْ طَبرِسْتانُ غيرَ الذِى   صَدَعْتَ به بين أعضائِها
ضَمَمْتَ مَناكِبَهــــا ضَمّةً   رمَتْك بما بين أحشائِها
سَمَوْتَ إليها بمِثْلِ السَّماء   تدَلَّى الصَّواعِقُ فى مائِها
فلمّا نظرتَ إلى جُرحِها   وضَعْتَ الدَّواء على دائِها
فرَشْتَ الجهادَ ظُهورَ الجِياد(١)   بأبنائه وبأبنائهــــــــا
بنَفْسِك تَرمِيهمُ والخُيول   كَرْمى العُقابِ بأفْلائِها(٢)
نظرتَ برأيك لمّا همـ   ـتَ دُونَ الرِّجال وآرائِها

قال : فأمر له بألف دينار .

(١) فى الأساس : فرشه أمرى : بسطته له كله .
(٢) الفلاة : الصحراء الواسعة ، وجمعها فَلَى ، وجمع الجمع أفلاء . وفى ف : «بأفنائها» بدل «بأفلائها» .

يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج وقد مطر الناس

أخبرنى محمد بنُ جعفر ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ موسَى ، قال : حدثنى أبو عَمْرو الباهِلىُّ البصرىّ قال :

دخل أشجَعُ بنُ عَمْرو السُّلَمِىّ على هارون الرَّشيد حين قدم من الحَجّ ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه ، فأنشَده يقول :

إنّ يُمْنَ الإمام لمّا أتانا جَلَبَ الغَيْثَ من مُتونِ الغمامِ
فابتِسامُ النَّباتِ فى أثر الغَيـ ـثِ بنُوّاره كسُرج[1] الظّلامِ
مَلِكٌ من مَخافة الله مُغْضٍ وهو مُغضًى له من الإعظام
ألِف الحَجَّ والجهادَ فما ينـ ـفَكُّ من سَفرتَيْن فى كُلّ عام
سَفَرٍ للجهاد نحو عدُوٍّ والمطايا لسَفْرَةِ الإحرام
طَلَبَ اللهَ فهو يَسْعى إليه بالمَطايا وبالجيـاد السَّوامِى
فيـداهُ يدٌ بمكّة تدْعو هُ وأُخرى فى دَعْوةِ[2] الإسلام

يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد

أخبرنى محمد بن جعفر ، قال : حدثنى محمد بن موسى بن حمّاد قال : أخبرنى أبو عبد الله النَّخَعِىّ ، قال :

أمر الرَّشيدُ بحفر نهر لبعض أهل السَّوادِ ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه ، فقال أشجَع السُّلَمِىّ يمدحه :

أجرَى الإمامُ الرَّشيدُ نَهْرًا عاش بعُمرانِه المَـوات
حاد عليه برِيقِ فيـهِ وسِرّ مَـكْنُونه الفُراتُ
ألْقَمَـه دِرّةً لَقُـوحًا يرْضَع أخلافَها النَّباتُ[3]

حلم الرشيد حلما مزعجا ومات بعده فرثاه أشجع

أخبرنى جَحْظة ، قال : حدّثنى مَيْمُون بن هارون قال :

---

(١) السرج : جمع سراج : المصباح . (٢) فى ف ، بيروت : « غزوة » .
(٣) فى ب ، مد : «أخلافه».والدِّرّة: اللَّبَن أو كثرته،والأخلاف جمع خلف : حلمة ضرع الناقة .

رأى الرشيدُ فيما يرى النائم كأنّ امرأة وقفت عليه وأخذت كفَّ تراب ثم قالت له : هذه تُربتك عن قليل ، فأصبح فزِعا ، وقصّ رؤياه ، فقال له أصحابه : وما هذا ؟ قد يرى الناس أكثرَ ممّا رأيتَ وأغلظ ثم لا يضرّ . فركب وقال : والله إنّى لأرَى الأمرَ قد قرُب ، فبينما هو يسير إذ نظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبّاك حديد تنظر إليه ، فقال : هذه والله المرأةُ التى رأيتُها ، ولو رأيتها بين ألف امرأة[1] ما خَفيتْ علىّ ، ثم أمرها أن تأخذ كفَّ تراب فتدفعَه إليه ، فضربتْ بيدِها إلى الأرض التى كانت عليها فأعطتْه منها كفَّ تراب ، فبكى ثم قال : هذه والله التربةُ التى أُرِيتُها ، وهذه المرأةُ بعينها . ثم مات بعد مُدّة ، فدُفِن فى ذلك الموضع بعينه ، اشتُرِىَ له ودُفِن فيه ، وأتى نعيُه بغداد ، فقال أشجعُ يرثيه :

غرَبت بالمشرق الشمسُ فقل للعين تدمعْ
ما رأينا قطُّ شمساً غرَبت من حيثُ تطلُعْ

يتغزل فى جارية حرب الثقفى ويذمه

أخبرنى عمّى ، قال: حدّثنا محمد بنُ موسى ، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعْد ، قال : حدثنى محمد بنُ عبدِ الله بن مالك ، قال :

كان حَرْبُ بنُ عمرو الثقفىُّ نخّاساً ، وكانت له جارية مُغَنِّية ، وكان الشعراء والكُتّاب وأهلُ الأدب ببغداد يختلِفون إليها يسمعونها، ويُنفِقون فى منزله النفقاتِ الواسعةَ ، ويَبرّونه ويُهدُون إليه ، فقال أشجع :

جاريةٌ تهتزُّ أردافُها مُشبَعةُ الخلخال والقُلْبِ[2]
أشكو الذى لاقيتُ من حُبّها وبُغضِ مولاها إلى الربّ
من بُغضِ مولاها ومن حُبّها سَقِمتُ بين البُغض والحُبّ

(١) فى ب ، مد ، ما : «ولو رأيتها ألف مرة ما خفيت» !
(٢) القلب : سوار المرأة .

فاختلجا فى الصدر حتى استوى أمرهما فاقتسما قلبى
تعجّل الله شفائى بها وعجّل السقم إلى حرب

(١قال مؤلف هذا الكتاب : فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين من أهل عصرنا ، فقال فى مغنية تعرف بالشاة :

بحبّ الشاة ذبت ضنًى وطال لزوجها مقتى
فلو أنى ملكتهما لأسعد فى الهوى بختى
فأدخل فى استها أيرى ولحية زوجها فى استى١)

يهنئ يحيى بن خالد بسلامته من المرض

أخبرنى أبو الحسن الأسدى ، قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى صالح بن سليمان ، قال :

اعتلّ يحيى بن خالد ثم عوفى ، فدخل الناس يهنئونه بالسلامة ، ودخل أشجع فأنشده :

لقد قرعت شكاة أبى علىّ قلوب معاشر كانوا صحاحا[٢]
فإن يدفع لنا الرحمن عنه صروف الدهر والأجل المتاحا
فقد أمسى صلاح أبى علىّ لأهل الدين والدنيا صلاحا[٣]
إذا ما الموت أخطأه فلسنا نبالى الموت حيث غدا وراحا

قال : فما أذن يومئذ لأحد سواه فى الإنشاد لاختصاص البرامكة إياه .

يعود علىّ بن شروة فى مرضه

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثنا محمد بن عمران[٤] الضبّى ، قال : سمعت محمد بن أبى مالك الغنوى يقول :

(١-١) ساقط من ف .
(٢) فى الشعر والشعراء : «..... كانت صحاحا» .
(٣) فى الشعر والشعراء : «لأهل الأرض كلهم صلاحا» .
(٤) ب : «عبدان» .

الوَليد بالبَلِيخ قال : فوقَفُوا على القَبرين ، وجَعلوا يتحدّثون بأخبارِهما ويتَذا كَرون أحادِيثَهما ، فأنشأ أبى يَقول :

مَررتُ على عِظامِ أبى زَبيدٍ ... وقد لاحت ببَلْقَعةٍ صَلُودِ

وكان له الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ ... فنادم قبرُه قبرَ الوَليدِ

أنِيسا أُلفةٍ ذهَبَت فأمْسَتْ ... عظامُهُما تآنس[1] بالصَّعيدِ

وما أدْرِى بمَنْ تبدا المَنايا ... بأحْمد أو بأشْجَع أو يزِيدِ

قال : فماتُوا والله كما رتَّبَهُم فى الشّعر ، أولُهم أحمد ، ثم أشجَع ، ثم يزِيد .

(١) فى ف : «تأنس»

الوَليد بالبَلِيخ قال : فوقَفُوا على القَبرين ، وجَعلوا يتحدّثون بأخبارِهما ويتَذا كَرون أحادِيثَهما ، فأنشأ أبي يَقول :

مَررتُ على عِظامِ أبي زَبيدٍ ... وقد لاحت ببَلْقَعةٍ صَلُودِ

وكان له الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ ... فنادم قبرُه قبرَ الوَليدِ

أَنِيسا أُلفةٍ ذهَبَت فأمسَتْ ... عظامُهما تآنس[1] بالصَّعيدِ

وما أدْرِى بمَنْ تبدا المَنايا ... بأحمَد أو بأشْجَعَ أو يزَيدِ

قال : فماتُوا والله كما رَتَّبَهم فى الشّعر ، أولُهم أحمد ، ثم أشجَع ، ثم يزَيد .

(١) فى ف : «تأنس»

صــوت

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانْهَهُ أن يعودَا   إنّ بالباب حارِسِينَ قُعودَا

من أساوِيرَ ما يَنُون[1] قِياماً   وخلاخيــل تُذهِــل المَوْلُودا

لا ذُعَرتُ السَّوامَ فى فَلَق الصُّبْــح مُغِـيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدَا

يوم أُعطِى مخافةَ المَوْت ضَيْماً[2]   والمَنايا يَرْصُدْنَنِى أَنْ أَحِيدا

الشِّعر لِيَزِيدَ بنِ رَبيعَةَ بن مُفَرِّغ الحِمْيرىّ ، والغِناء لسياط خَفِيف رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لأبيه يَحْيى ، وذكر الهشامىُّ أنه لفليح . قال : ومن هذا الصوت سُرق لحن :

* تِلْكَ عِرْسِى تَلُومُنى فى التَّصابى *

---

(١) ب : «ماكثات قياما» .

(٢) التجريد : « يوم أعطى مخافة الموت ظلما » . وفى الشعر والشعراء « يوم أعطى من المخافة ضيما » .

اخبار ابن مفرغ ونسبه

نسبه وسبب تلقيب جده مفرغا

٥٢
١٧

هو يَزيد بنُ ربيعة بن مُفَرِّغ[(١)]، ولُقِّب جدُّه مُفَرِّغا لأنه راهن على سِقاء لَبَن أن يَشرَبه كلَّه فشَربه كلَّه حتى فرَّغه، فلقب مُفرِّغا، ويُكنى أبا عُثمان، وهو من حِمْير فيما يَزْعم أهلُه، وذكَر ابنُ الكلبىّ وأبو عُبَيْدة أن مُفَرِّغا كان شعّابا بتَبالة،[(٢)] فادَّعى أنَّه من حِمْير. وقال علىُّ بنُ محمد النَّوْفِلىّ: لَيْس أحدٌ بالبَصْرة من حِمْير إلاّ آلَ الحَجّاج بن ناب الحِمْيرىّ وبَيْتاً آخر ذَكره، ودفَع بَيْتَ ابن مُفرِّغ.

أخبَرنى محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان، قال: أخبرنى أحمدُ بنُ الهيثم القُرشىّ[(٣)] قال: أخبرنى العُمرىّ، عن لَقِيط بنِ بكر المُحَارِبىّ، قال:

هو يَزيدُ بنُ رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِميرىّ حليفُ قُرَيْش، ثم حليف آل خالد بن أسيد ابن أبى العِيص بن أُميّة بن عبد شَمْس. قال العُمَرىّ: وكان ابن الكَلبىّ يقول: كان مُفرِّغ عبداً لِلضَّحاك بن عَبد عَوْف الهِلالىّ فأنعَم عليه.

قال محمد بنُ خَلف: أخبرَنى محمد بنُ عبدِ الرّحمن الأسدىّ، عن مُحمّد بن رزين، قال: قال الأخفَش:

كان رَبيعَةُ بنُ مُفرِّغ شَعّاباً بالمدِينة وكان يُنْسب إلى حِمْير، وإنما سُمّى مُفرِّغاً لتَفْريغه العُسّ[(٤)] وكان شاعراً غزِلا محسناً، والسّيّدُ[(٥)] من ولده.

أخبرَنى محمدُ بن خَلف بنِ المَرْزُبان، قال: حدّثنى أبو العَيْناء قال:

(١) فى معجم الأدباء ٢٠/٤٣: «يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ» بضم الميم وكسر الراء من غير تشديد.

وجاء فى كتاب الوفيات ٥/٣٨٤: «وأكثر العلماء يقولون: يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زيادا». وفى الخزانة ٢/٢١٢: و«مفرغ بكسر الراء المشدودة لقب جده».

(٢) الشعاب: من يصلح الصدوع. وتبالة: موضع ببلاد اليمن. وفى الوفيات أن مفرغا كان حدادا.

(٣) ب: «القرظى».

(٤) ف: «وإنما سمى مفرغا لأنه خاطر على عس لبن فشربه، فسمى مفرغا لتفريغه العس».

(٥) يريد السيد الحميرى الشاعر.

سُئل الأصمعيّ عن شعر تُبَّع وقِصّته ومَنْ وضعهما: فقال: ابنُ مُفرِّغ؛ وذلك أنّ يزيدَ بنَ معاوية لمّا سيّره إلى الشأم وتخلّصه من عَبّاد بن زياد أنزله الجَزيرةَ، وكان مقيماً برأس عَيْن، وزعم أنه من حِمْير، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره، وكان النَّمِر بنُ قاسِط يدّعى أنّه منهم.

٥ وقال الهيثم بنُ عَديّ: هو يَزيدُ بنُ زياد بن رَبيعة بن مُفرِّغ اليَحْصُبيّ، من حِمْير، يحصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوف بن عَدِيّ ابن مالك بن زَيْد بن سَهل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جشم[1] بن عبد شَمْس بن وائل بن الغوث بن المَيَنْسَع بن حِمْير بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان.

١٠ أخبرنى بخبره جماعة من مشايخنا، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهرىّ، عن عُمر بن شَبّة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، عن جماعة من أصحابه، وأحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهَرىّ، عن عَلىّ بن محمد النَّوفلىّ، عن أبيه، فما اتّفقتْ رواياتُهم من خبره جمعتُها فى ذِكره، وما اختلفت أفردتُ كلَّ مُنْفرد منهم بروايته.

سفره مع عباد ابن زياد ووصية سعيد بن عثمان

١٥ أخبرَنى محمد بنُ الحَسَن بن دُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبى عُبيدة، عن مَسْلمة بن مُحارب، وأخبرَنى الجوهَرىّ قال: حدّثنا عُمر بنُ شبّة، وأخبرنا محمد بنُ العَبّاس اليزيدىّ قال: قرأتُ على محمد بن الحَسَن بن دُرَيد[2] عن ابن الأعرابىّ، وأخبرَنى محمد بنُ خَلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمدُ ابنُ الهيثم قال: حدثنا العُمَرىّ، عن لَقيط بن بكير، قالوا جميعاً:

٢٠ (١) ب: «خيثم».
(٢) ف: «محمد بن الحسن الأحول».

لمّا ولِىَ سَعيدُ بنُ عُثمان بن عفّان خُراسان ، استَصْحب يزيدَ بنَ ربيعة ابن مُفرّغ ، واجتهد به أن يَصحبه ، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد ، فقال له سَعيدُ ابن عُثمان : أما إذْ أبيتَ أن تصحبنى وآثرت عَبّادا فاحفظ ما أوصيك به ، إن عبّادا رجل لئيم ، فإيّاك والدّالّة[1] عليه ، وإن دَعاك إليها من نفسه فإنها خِدْعة منه لك عن نَفسِك ، وأقلِلْ زيارته ، فإنّه طَرِفٌ[2] ملول ، ولا تفاخِرْه وإن فاخرَك ، فإنّه لا يَحْتمل لك ما كنتُ أحتمله . ثمّ دَعا سَعيد بمال فدفعه إلى ابن مُفرّغ ، وقال : استعِنْ به على سَفرك ، فإن صلح لك مكانك من عبّاد وإلا فكأنّك عندى مُمهَّدٌ فائتِنِى ، ثم سار سَعيد إلى خُراسان ، وتخلّف ابنُ مفرّغ عنه ، وخرَج مع عبّاد .

قال ابنُ دُرَيْد فى خبره ، عن مَسلَمةَ[3] بن مُحارب :

فلما بلغَ عُبَيْدَ الله بن زِياد صُحْبَةُ ابنِ مُفرّغ أخاه عَبّاداً شق عليه ، فلما سارَ أخوه عَبّادٌ شيّعه وشيّع الناسُ معه ، وجعلوا يودّعونه ويودّع الخارجون مع عَبّاد عُبَيْدَ الله بن زياد ، فلما أراد عبيدُ الله أن يودع أخاه دعا ابن مُفرّغ ، فقال له :

إنك سألت عَبّادا أن تصحبه وأجابك إلى ذلك ، وقد شَقّ عَلَىّ ، فقال له ابنُ مُفرّغ : ولِم أصلَحكَ الله ؟ قال : لأن الشاعر لا يُقنِعه من الناس ما يُقنِع بعضهم من بعض ؛ لأنه يَظُن فيجعل الظنّ يقيناً ، ولا يَعذِر فى موضع العُذْر ، وإن عَبّادا يَقْدَم على أرض حرب فيشتغل بحُروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت ، وتُكسِبنا شرّا وعاراً ، فقال له :

(١) ب : «الدلالة» .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب .

(٣) ف : « عن مسلم بن محارب » .

لستُ كما ظنَّ الأمير، وإنّ لِمَعْرُوفه عندى لشكراً كثيراً، وإنّ عندى — إن أغفَل أمرى — عذراً مُمَهَّدا، قال: لا، ولكن تَضْمَن لى إن أبطأ عنك ما تُحِبُّه ألاّ تعجل عليه حتى تكتبَ إلىَّ، قال: نعم: قال: امض إذاً على الطائرِ الميمُون.

قال: فقَدِم عَبّادُ خُراسان، واشتغل بحَرْبه وخَراجه، فاستبطأه ابنُ مُفرّغ ولم يكتب إلى عُبَيْد الله بن زِياد يشكوه كما ضَمِنَ له، ولكنه بسط لسانَه فذَمَّه وهجاه.

يهجو عباداً ببيت من الشعر

وكان عبّادُ عظيمَ اللِّحْية كأنها جُوالَق، فسار يَزِيدُ بنُ مُفرِّغ يوماً مع عبّاد، فدخلت الريح فنَفَشَتْها، فضحك ابنُ مُفرِّغ، وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله:

ألا لَيْتَ اللِّحَى كانت حَشِيشاً فنَعْلِفَها خُيولَ المُسْلِمِينَا[1]

فسعى به اللَّخْمىُّ إلى عَبّاد، فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال: لا يَجْمُل بى عقوبتُه فى هذه الساعة[2] مع الصحبة لى، وما أُؤخِّرها إلا لأشفىَ نفسى منه، لأنه كان يقوم فيَشْتُم أبى فى عِدَّة مواطن، وبلغ الخبرُ ابنَ مُفرّغ فقال: إنى لأجِدُ ريحَ الموت من عَبّاد.

يطلب من عباد الإذن فى الرجوع

ثم دخل عليه فقال له: أيُّها الأمير، إنى كنتُ مع سَعِيد بن عثمان، وقد بلَغَك رأيُه فىَّ، ورأيتَ جَمِيلَ أَثَرِه علىَّ، وإنّى اخْتَرتك عليه، فلم أحْظَ منك بطائلٍ[3]، وأُرِيدُ أن تأذَن لى فى الرُّجوع، فلا حاجةَ لى فى صُحْبَتك، فقال له: أمّا اختيارُك إيّاى فإنى اختَرْتُك كما اختَرْتَنى، واستَصْحَبْتُك حين سألْتَنِى، وقد أعجَلْتَنى عن

(١) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٣١٩، ف: «فنعلفها دواب المسلمينا».

(٢) ب، مد: «فى هذه السرعة».

(٣) ب: «فلم أحل منك طائل».

بلوغ مَحَبَّتى فيك ، وقد طلبت الإذْن[١] لترجِعَ إلى قَوْمك ، فتَفْضحنى فيهم[٢] ، وأنتَ على الإذن قادر بعد أن أقضى حَقَّك ، فأقام . وبلغ عَبَّاداً أنه يَسُبُّه ويَذْكُره وينالُ من عِرْضه ، وأجْرَى عبّاد الخيل فجاء سابقا ، فقال ابنُ مُفَرِّغ :

* سَبَق عَبَّادٌ وصَلَّت[٣] لِحْيَتُهْ *

عباد يحبسه بدين عليه ويبيعه الأراكة وبردا

وطلب عليه العِلَل ، ودَسَّ إلى قوم كان لهم عليه دَيْن ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ٥ ففعلوا ، فحبَسه وأضرَّ به ، فبعث إليه أنْ بِعْنى الأراكةَ وبُرْداً ، وكانت الأراكةُ قَيْنةً لابن مُفرِّغ ، وبُرْدٌ غُلامَه ، رَبَّاهما وكان شَديدَ الضَّنّ بهما ، فبعث إليه ابنُ مُفرِّغ مع الرَّسُول : أيَبيعُ المرء نَفسَه أو وَلدَه ؟ فأضَرَّ به عبّاد حتى أخذهما منه . هذه رواية مسلمة .

وأمّا لَقِيط وعُمرُ بنُ شَبَّة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه ، فاشتَراهما رجل من أهل ١٠ خُراسان . قال لقِيط : فلمَّا دَخلا منزِلَه قال له بُرْد ، وكان داهيةً أريباً : أتَدْرِى ما اشْتَرَيْت ؟ قال : نعم ، اشتريتُك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشتريْتَ إلاّ العَارَ والدَّمارَ والفَضيحةَ أبداً ما حَييت . فجَزِع الرجلُ وقال له : كيف ذلك ؟ ويلك ! قال : نحن لِيَزيدَ بنِ ربيعةَ بن مُفرِّغ ، والله ما أصارَه إلى هذه الحال إلا لِسانُه وشَرُّه ، أفتَراه يَهْجُو ابنَ زياد — وهو أميرُ خُراسان ، وأخوه أمير العِراقَيْن ، وعَمُّه ١٥ الخليفة — فى أن استَبْطأه ويُمْسِك عنك ، وقد ابتَعْتَنى وابتَعْتَ هذه الجارية وهى نَفْسُه التى بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخلَ بيته أشأمَ على نفسه وأهله مما أدخلتَه مَنْزِلك ، فقال : فاشْهدْ أنَّك وإيَّاها له ، فإن شِئْتُما أن تَمْضيا إليه فامْضيا ، على أنى أخافُ على نَفْسِى إنْ بَلَغَ ذلك ابنَ زياد ، وإن شِئْتُما أن تَكُونا له عِنْدِى فافعلا ، قال : فاكتب إليه بذلك . فكَتَب الرجلُ إلى ابن مُفرِّغ فى الحبْس بما ٢٠ فَعَله ، فكتب إليه يَشْكُر فِعلَه ، وسأله أن يكُونا عنده حتى يُفرِّجَ اللهُ عنه .

٥٤ / ١٧

(١) ب ، س : «الآن» . (٢) ف : «فتفضحنى قبلهم» . (٣) صلت : جاءت تالية .

قال : وقال عَبَّاد لحاجبه : ما أرى هذا ـ يعنى ابن مُفَرِّغ ـ يُبالى بالمُقام فى الحَبْس ، فَبِعْ فرسَه وسلاحَه وأثاثَه ، واقسِم ثَمَنَها بين غُرمائه ، ففعل ذلك وقَسَم الثَّمَن بينهم ، وبَقِيت عليه بَقِيَّةٌ حَبَسه بها . فقال ابنُ مُفَرِّغ يذكُر غُلامه بُرْداً وجارِيَتَه الأَراكَةَ وبَيْعَهما :

٥ شَرَيتَ بُرْداً ولو مُلِّكتُ صَفْقَتَه لَمَا تطلَّبت فى بَيْعٍ له رَشَدَا
لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعرَّض لى من الحوادث ما فارقتُه أبَدَا
يا بُرْدُ ما مَسَّنَا بَرْدٌ[1] أضرَّ بنا من قَبْلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدا[2]
أمّا الأراكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا عَيْشاً لَذِيذاً وكانت جَنَّةً رَغَدَا
كانت لنا جَنَّةً كُنَّا نَعِيشُ بها نَغْنَى بها إن خَشِينَا الأَزْلَ والنَّكَدا[3]
١٠ يالَيْتَنى قبلَ ما نابَ الزَّمانُ به أهلى لقيت على عُدْوانِه الأسدَا[4]
قد خانَنا زَمَنٌ لم نَخْشَ عَثْرَتَه[5] مَنْ يأْمَن اليومَ أم مَنْ ذا يَعِيش غَدا !
لامَتْنِيَ النفسُ فى بُرْدٍ فقلت لها لا تَهْلَكِى إثْرَ بُرْدٍ هَكَذا كَمَدا
كَمْ من نَعِيمٍ أصبْنا من لَذاذَتِه قُلْنا له إذ تولَّى لَيتَه خَلَدَا

خروجه من السجن وهروبه إلى البصرة

قالوا : وعَلِم ابن مُفَرِّغ أنه إن أقام على ذَمّ عبَّاد وهجائه وهو فى مَحْبِسه زاد ١٥ نفسَه شرًّا ؛ فكان يقولُ للنَّاس إذا سألوه عن حَبْسه ما سَبَبُه ؟ : رجل أدَّبه أميرُه ليُقَوِّم من أَوَدِه ، أو يَكُفَّ من غَرْبه[6] ، وهذا لعَمْرِى خيرٌ من جَرِّ الأميرِ ذيلَه على مُداهنة لصاحِبه ، فلما بلغ عَبّادا قوْلُه[7] رَقَّ له وأخرجه من السِّجن ،

(١) ف ، ورغبة الآمل ٢/٧٠ : « دهر » . (٢) ف : « ولا بعنا لنا ولدا » .
(٣) الأزل : الضيق والشدة .
٢٠ (٤) ف : « لقيت أهلى على عدوانه الأسدا » .
(٥) ف : « عبرته » .
(٦) ف : « ويكف من غربه » .
(٧) ب : « فلما بلغ ذلك عبادا من قوله » .

فهَرَب حتى أتى البَصرَة ، ثم خرج منها إلى الشّام وجَعَل ينتقل فى مدنها هاربا ويَهْجُو زِياداً وولدَه .

وقال المدائنىّ فى خبره :

لمَّا بلغ عَبَّادَ بن زِيادٍ أنَّ ابنَ المُفرّغ قال :

* سَبَق عَبَّادٍ وصَلَّت لِحْيَتُهْ *

هجاء فى ابن مفرغ ينشده ابنه فى مجلس عباد

دعا ابنَه والمجلسُ حافلٌ فقال : له أنشِدْنى هِجاءَ أبيك الذى هُجِىَ به ، فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّفَ أحدٌ قطُّ ما كَلَّفْتَنى ، فأمر غُلاما له أعْجميّاً وقال له : قُمْ على رأسِه ، فإن أنشد ما أمرتُه به وإلا فصُبَّ السّوطَ على رأسِه أبدا أو يُنْشِده ، فأنشدَه أبياتاً هُجِىَ بها أبوه أولها :

قَبَحَ الإلهُ ولا يُقَبِّح غيره وَجْهَ الحمار رَبِيعةَ بن مُفرِّغ

وجعل عَبَّاد يَتضاحك به ، فخرج ابنُ ابنِ مُفرِّغ من عنده وهو يقول : والله لا يَذهب شَتْم شيْخى باطلاً ، وقال يهجوه بقوله :

أَصَرَمْتَ حبلَك من أُمامَهْ من بعد أيّام بِرامَهْ

فالرِّيحُ تَبكِى شَجْوَها والبرقُ يَضْحَك فى الغَمامَهْ

لَهفى على الأمْرِ الذى كانت عواقبُه نَدامَهْ

تَرْكِى سَعِيداً ذَا النَّدى والبَيْت تَرْفَعُهُ الدِّعامهْ

فُتِحَت سَمَرْقَنْدٌ له وَبَنَى بعَرْصَتها خِيامَهْ

وتَبِعْتُ عَبْدَ بَنِى عِلاجٍ[1] ، تلك أشْراطُ القِيامَهْ !

جاءت به حَبَشِيّةٌ سَكّاء[2] تحسَبُها نَعامَهْ

(١) بنو علاج : بطن من ثقيف .
(٢) سكاء : صغيرة الأذنين .

وشَرَيْتَ بُرْدًا لَيْتَنِى من بَعْد بُرْد كُنتُ هامهْ
أو بُومَةً(١) تدعو صَدًى بين المُشَقَّر واليَمامهْ
فالهول يَرْكَبُه الفَتَى حَذَرَ المَخازِى والسَّآمهْ
والعَبْد يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تَكْفِيه المَلامهْ

٥ قال(٢): ثم لَجَّ فى هجاء بنى زِياد حتى تَغَنَّى أهلُ البصرة فى أشعاره، فطلبه عُبَيْد الله طلباً شديداً حتى كاد يُؤخذ، فلحق بالشام.

واختلفت الرُّواةُ فيمن ردَّه إلى ابن زِياد، فقال بعضهم: مُعاوِية، وقال بعضهم: يَزِيدُ، والصَّحيحُ أنه يَزِيد، لأن عَبَّادَ بنَ زِياد إنما وَلِى سِجِسْتانَ فى أيام يزيد. وقال بعضُهم: بل الذى ولاّه مُعاوِية، وهو الذى ولّى سَعِيد بن عُثمان خُراسان.

سعيد بن عثمان يعاتب معاوية لأنه جعل البيعة لابنه يزيد

١٠ أخبرنى مُحمّد بنُ العبَّاس اليَزِيدىُّ، وعُبَيْد الله بنُ محمد الرازىّ(٣) قالا: حدثنا أحمدُ بن الحارث عن المَدائنىّ قال:

دخل سَعِيدُ بنُ عُثمان على مُعاوِيَة بن أبى سُفْيان فقال: علام جعلتَ يَزِيدَ وَلِىَّ عهدك دونى؟ فوالله لأبِى خَيْر من أبيه، وأُمّى خير من أمه، وأنا خير منه، وقد وَلَّيناك فما عزلناك، وبنَا نِلْتَ ما نلتَ، فقال له معاوية: أمّا قولك: إنّ أباكَ خَير ١٥ من أبيه فقد صدقت لعَمْرُ الله؛ إن عُثمانَ لخيرٌ منّى، وأما قولك: إن أُمّك خير من أُمّه، فحسب المرأةِ أن تَكونَ فى بيت قَومِها وأن يَرْضاها بَعلُها وأن يَنْجُب ولدُها. وأما قولُك: إنّك خيرٌ من يَزِيد، فوالله يابنىّ ما يَسُرُّنى أنّ لى بيزِيدَ ملءَ الغُوطَة مثلك. وأما قولُك: إنكم ولَّيتمونى فما عزَلْتُمُونى، فما وَلَّيْتُمُونى، وإنما ولاّنى من هو خير منكم عُمَر، فأقرَرْتُمُونى، وما كنتُ بئس الوَالِى لكم، لقد قمتُ بثأركم، وقتلتُ

٢٠ (١) ب: «فهامة» وفى المختار: «هتاقة» بدل «أو بومة». وفى مد، ف: «هى هامة».
(٢) ف: «قالوا». (٣) ف: «عبد الله بن أحمد الرازى».

قَتَلَة أبيكم ، وجعلتُ الأمرَ فيكم ، وأغنيتُ فقيرَكم ، ورفعتُ الوَضِيعَ منكم ، فكلّمه يزيدُ فى أمره فولّاه خُراسان .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

ينتقل فى قرى الشام هاجيا بنى زياد

قالوا : فلم يَزَل يَنْتَقِل فى قُرَى الشام ونواحيها ، ويَهْجُو بنى زياد[1] ، وأشعارُه فيهم تَرِد البَصْرة وتنتشر وتبلغهم ، فكتب عُبَيْدُ الله بنُ زياد إلى مُعاوية ، وقال الآخرون : إنه كتب إلى يَزيدَ وهو الصحيح ، يقول له : إن ابنَ مُفَرِّغ هَجا زياداً وبنى زياد بما هَتَكه فى قبره ، وفضح بنيه طُولَ الدهر ، وتعدّى ذلك إلى أبى سُفْيان ، فقذفه بالزنا وسَبَّ ولده ، فهرب من خُراسانَ إلى البَصْرة ، وطَلَبْتُهُ حتى لَفَظَتْه الأرض ، فلجأ إلى الشام يَتَمَضَّغ لحومَنا بها ، ويهتِك أعراضَنا ، وقد بعثتُ إليك بما هَجَانا به لتَنْتَصِف لنا منه . ثم بعث بجميع ما قاله ابنُ مُفَرِّغ فيهم .

٥٦
―
١٧

فأمر يَزِيدُ بطلبه ، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لَفَظَتْه الشام ، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قَيْس ، فالتجأ به واستجار ، فقال له الأحنف : إنى لا أجير على ابن سُمَيّة[2] فأعزِل ، وإنما يُجير الرجلُ على عَشيرته ، فأما على سُلْطانه فلا ، فإن شئت أجَرْتُك من بنى سَعْد وشعرائهم ، فلا يَرِيبُكَ أحدٌ منهم ، فقال له ابنُ مُفرِّغ : بِأَسْتاه بنى سعد[3] وما عساهم أن يقولوا فِىَّ ؟ هذا مالا حاجة لى فيه .

ثم أتى خالدَ بنَ عبدِ الله بن خالد بن أَسِيدفاستجار به ، فأبى أن يُجيره ، فأتى عُمَرَ بنَ عُبَيْد الله بن مَعْمَر فوعده ، وأتى طَلْحَةَ الطَّلَحات فوعده ، وأتى المُنْذِرَ ابن الجَارُود العَبْدِىّ فأجاره ؛ وكانت بَحْرِيّةُ بنتُ المُنْذِر تحت عُبَيْد الله .

(١) ف : « ويهجو ابنى زياد » . (٢) ف : « بنى سمية » .
(٣) ب ، مد ، ما : « يا أستاذ بنو سعد » .

المنذر بن الجارود العبدى يجيره

وكان المنذر من أكرم النّاس عليه ، فاغترّ بذلك وأدلّ بموْضعه منه ، وطلبه عُبيدُ الله وقد بلغه ورُودُه البصرة فقيل له : أجاره المنذر بن الجارود ، فبعث عبيدالله إلى المنذر فأتاه ، فلما دَخل عليه بعث عُبيدُ الله بالشُّرَط ، فكبسوا داره(١) وأتوه بابن مُفرّغ ،فلم يَشعر المنذر إلا بابن مُفرّغ قد أُقيم على رأسه ، فقام المنذر إلى عُبيْد الله فكلّمه فيه فقال : أذكّرك اللهَ — أيُّها الأمير — أن تخفر(٢) جوارى فإنى قد أجرتُه ، فقال عُبيْد الله : يامُنذر لِيمدَحنَّ أباك وليمدَحنَّك ، ولقد هَجانى وهَجا أبى ثم تجيرُه علىّ ، لا هَا الله(٣) لا يكونُ ذلك أبداً ، ولا أغفِرُها له ، فغضِب المُنذر ، فقال له : لعلكَ تُدِلّ بكريمتك عندى ، إن شئتَ والله لأُبِينَنّها بتطليق البَتّة ، فخرَج المنذر من عنده ، وأقبل عُبيد الله على ابن مُفرّغ فقال له : بِئسما صَحِبت به عَبّاداً . قال : بِئسما صَحبنى به عَبّاد ، اخترتُه على سعيد وأنفقتُ على صُحبته كلّ ما أفدْته وكلّ ما أملكه ، (٤)وظننتَ أنه لا يخلو من عَقلِ زياد وحِلْم مُعاوية وسماحة قريش ، فعَدَل عن ظنى كله(٤) . ثمّ عاملني بكل قبيح ، وتناولَنى بكلّ مكْرُوه ، مِنْ حَبْس وغُرْم وشَتْم وضَرْب ، فكنتُ كمن شام برْقاً خُلّباً فى سَحاب جَهام ، فأراق ماءه طمعاً فيه فماتَ عطشاً ، وما هرَبتُ من أخيك إلا لمّا خفْتُ من أنْ يَجرىَ فىَّ إلى ماينْدم عليه ، وقد صرتُ الآن فى يَدك ، فشأنك فاصنع بى ما أحببْت ، فأمر بحبسه .

عبيد الله يستأذن يزيد بن معاوية فى قتله

وكتب إلى يزيد بن مُعاوية يسأله أن يأذَن له فى قتله ، فكتب إليه : إيّاك وقتْلَه ، ولكن عاقبْه بما يُنَكّله ويشدُّ سلطانك ، ولا تبلُغ نفسَه ، فإنّ له عشيرةً هى جُندى وبطانتى ، ولا تَرْضَى بقتله مِنىّ ، ولا تَقنع إلا بالقوَد

(١) كبسوا داره : هجموا عليه فجأة واحتاطوها .

(٢) ب : « ألاّ تخفر » . يقال : خفره : أجاره وحماه ، وخمره أيضا : نقض عهده وغدر به .

(٣) لاها الله ، أى لا والله . (٤–٤) التكملة من المختار ، ف .

منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنّه الجِدُّ منهم ومنى ، وأنك مُرْتَهَن بنفسه ، ولك فى دون تلفها مَندوحةٌ تشفى من الغَيظ . فورد الكتاب على عُبيد الله ابن زياد ، فأمرَ بابن مُفرّغ فسُقِىَ نبيذاً حُلواً قد خُلط معه الشُّبرُم[1] فأسهل بطنَه ، وطِيفَ به وهو فى تلك الحال ، وقُرِن بهِرّة وخِنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعُونه ويقولون له بالفارسية :

أين چيست ؟ فيقول :

آبَسْتَ نبيذَ استْ * عُصاراتُ زبيبسْت * سُمَيّة رُوسْبيد استْ[2]

وجعل كلما جرّ الخنزيرة ضجت ، فجعَل يقول :

ضَجّتْ سُميّة لما لزّها[3] قَرَنى لا تَجزَعى إنّ شرّ الشّيمة الجزَعُ

فجعل يُطافُ به فى أسواق البصرة والصِّبيان خلفَه يصيحون به ، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط ، فعرَف ابنُ زياد ذلك ، فقيل : إنه لما به لا نأمن أن يمُوت ، فأمر به أن يُغسَل ، ففعلوا ذلك به ، فلما اغتسل قال :

عبيد الله يرده إلى الحبس

يَغسل الماء ما فعلتَ وقَوْلى راسخٌ منك فى العِظام البَوالى

فردَّه عُبيدُ الله إلى الحبس ، وأمر بأن يُسلَمَ مِحجماً وقدّموا له عُلوجاً ، وأمر بأن يحجُمهم ، فكان يأخذُ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارَون[4] منه ، فتركه وردّه إلى محبسه ، وقامت الشُّرَط على رأسه تَصبّ عليه السياط ويقولون له : احجُمْهم ، فقال :

(١) الشبرم : نبات له حب كالعدس مسهل .

(٢) هذه أبيات بالفارسية وردت فى الطبرى ٦/١٧٧ وقد كثر فيها التحريف . والمعنى : الأولاد يسألون : ما هذا ؟ ويجيبهم ابن مفرغ : هذا ماء نبيذ ، هذه عصارة نبيذ ، هذه سمية البغى .

(٣) لزها قرنى : شدها وألزمها إياه .

(٤) ف : « فيهربون » .

وما كنتُ حجّاماً ولكن أحلّنى ... بمنزلةِ الحجّام نأيِى عن الأهل[1]

عباد بن زياد يجمع ماهجاه به ويرسله إلى معاوية

وقال عمرُ بنُ شبّة فى خبره : جمع عبّاد بن زياد كلَّ شىء هجاه به ابنُ مفرّغ ، وكتب به إلى أخيه عُبَيدِ الله وهو يومئذ وافدٌ على معاوية ، فكان فيما كتب إليه قولُه :

٥ إذا أَوْدَى مُعَاوِيةُ بنُ حربٍ ... فبشّرْ شَعْبَ قَعْبِك[2] بانصداعِ
فأشهدُ أن أمّك لم تباشر ... أبا سُفيان واضعةَ القِناعِ
ولكن كان أمرٌ فيه لَبْسٌ ... على وَجَل شديدٍ وامتناع[3]

وقوله :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلةً من الرّجل اليمانى
١٠ أتغضبُ أنْ يُقال أبوك عفٌّ ... وتَرْضى أنْ يُقال أبوك زانى
فأشهدُ أنّ رِحْمَك[4] من زياد ... كرِحْم الفيل من وَلَدِ الأتانِ
وأشهدُ أنها ولدت زياداً[5] ... وصخرٌ من سُمَيّةَ غيرُ دانى

فدخل عُبيد الله بنُ زياد على معاوية ، فأنشده هذه الأشعار ، واستأذنه فى قتله فلم يأذن له وقال : أدِّبه أدباً وجيعاً مُنكِّلا ، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القتل ، وذكر ١٥ باقى الحديث كما ذكره من تقدم .

قالوا جميعا : وقال ابنُ مفرّغ يذكر جِوار المُنْذِر بنِ الجارُود إيّاه وأمانه :

تركتُ قُريْشاً أن أجاوِر فيهمُ ... وجاورتُ عَبْدَ القَيْس أهل المُشَقَّرِ

(١) المختار : « عن الأصل » .
(٢) ب ، المختار : «قلبك» . والشعب : الإصلاح والالتئام . والقعب : القدح الضخم الغليظ .
٢٠ (٣) المختار : «وارتياع» . وفى معجم الأدباء ٢٠/٤٦ : « على عجل شديد وارتياع » .
(٤) الرحم : القرابة . وروى فى الشعر والشعراء :
وأشهد أنّ إلّك من زياد ... كإلّ الفيل من ولد الأتان
(٥) فى الشعر والشعراء : « وأشهد أنها حملت زيادا » .

أُناسٌ أجارونا فكان جِوارُهم أعاصيرَ من قَسْوِ العِراق المُبَذَّرِ (١)
فأصبح جارِى من خُزَيْمةَ (٢) قائما ولا يمنع الجِيرانَ غيرُ المُشَمَّرِ (٣)

وقال أيضاً فى ذلك :

يذكر ما فعله ابن زياد ويستثير قومه

أصبحتُ لامن بَنِي قَيْسٍ فتَنْصُرنِى قَيسُ العِراق ولم تغضَب لنا مُضَرُ
ولم تَكَلَّمْ قُرَيشٌ فى حَلِيفِهمُ إذ غابَ ناصِرُه بالشَّام واحتَضَرُوا (٤) ٥
والله يعلم ما تُخْفِى النفوس وما سَرَّى أُمَيَّةُ أو ما قال لى عُمَرُ
وقال لى خالدٌ قولاً قَنِعتُ به لو كنت أعلم أنّى يَطْلُع القَمَرُ
لو أنّنِى شَهِدَتْنِى حِمْيَرٌ غضِبَتْ دُونِى فكان لهم فيما رَأَوْا عِبَرُ
أو كُنتُ جارَ بَنِى هِنْدٍ (٥) تداركنى عوفُ بنُ نُعْمانَ أو عِمْرانُ أو مَطَرُ

وقال أيضاً يذكُر ذلك وما فعَل به ابنُ زِياد : ١٠

دَارَ سَلْمَى بالخَبْت ذِى الأَطلالِ كيف نومُ الأَسِير فى الأَغلالِ
أَينَ مِنِّى السَّلامُ من بَعْدِ نَأْىٍ فارْجِعِى لى تَحِيَّتِى وسُؤَالِى
أَينَ مِنِّى نَجائبِى وجِيادِى وغَزالِى ، سَقَى الإلهُ غَزالِى
أَينَ لا أَينَ جُنَّتِى وسِلاحِى ومَطايا سَيَّرْتُها (٦) لارْتِحالِى
هدَم الدَّهْرُ عَرْشَنا فتَداعَى قَبْلَنا إذ كُلُّ عَيْشٍ (٧) بالِى ١٥
إذ دعانا زَوالُه فأَجَبْنا كُلُّ دُنْيا ونِعْمةٍ لِزَوالِ

(١) ف : «المشذر» ، والقسو : الغلظ والصلابة .
(٢) ب : «حزيمة» .
(٣) المشمر : الجاد المصمم . (٤) احتضروا : جاءوا
(٥) ب ، ما ، مد : «نهد» . (٦) ف : «يسرتها» . ٢٠
(٧) ف : «كل شىء» .

أم قَضَيْنا حاجاتنا فإلى المَوْ ت مَصِيرُ المُلوك والأقْيالِ
لا وصَوْمى لِرَبِّنا وزكاتى وصَلاتى أدعو بها وابْتِهالِي
ما أتيتُ الغداةَ أمراً دَنِيًّا ولَدَى الله كابِرُ الأعمالِ[١]
أيُّها المالك المُرهَّب بالقَتْـ ـل بلَغْتَ النَّكال كُلَّ النَّكال
٥ فاخشَ ناراً تَشْوِى الوُجوهَ ويوْماً يَقذِفُ الناسَ بالدَّواهِى الثِّقال
قد تعدَّيْتَ فى القصاص وأدرَكْـ ـتَ ذُحولاً لمَعْشَرٍ أقْتالِ[٢]
وكَسَرْتَ السِّنَّ الصَّحِيحةَ مِنّى لا تُذِلَّنْ فمُنْكَرٌ إذْلالِى
وقَرَنْتُمْ مَعَ الخنازير هِرًّا ويَمِينى مَغْلُولة وشِمالِى
وكلاباً يَنْهَشْنَنِى من وَرائى عَجِبَ النَّاسُ مالهُنَّ ومَالِى!
١٠ وأطَلْتم مع العُقُوبة سِجْناً فكَمِ السِّجْن أو متَى إرْسالِى!
يَغسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلِى راسِخٌ مِنْك فى العِظام البَوالى
لو قبلتَ الفِدَاءَ أو رُمْتَ مالى قُلتُ: خُذْه فِداءَ نَفْسِىَ مالى[٣]
لو بِغَيْرِى من مَعْشرى لَعِبَ الدَّهْـ ـرُ لَما ذَمَّ نُصرَتى واحْتِيالى
كم بَكانى من صاحِبٍ وخَليل حافِظِ الغَيْبِ حامدٍ لِلخِصالِ[٤]
١٥ ليتَ أنِّى كُنتُ الحَليفَ للَخْمٍ وجُذامٍ أو طَيِّئِ الأجبالِ[٥]
بَدَلاً من عِصابةٍ من قُرَيْش أسلَمُونى للخَصْم عند النِّضالِ
البَهالِيلُ من بنِي عَبْدِ شَمْس فَضَلُوا النّاسَ بالعُلاَ والفِعالِ

(١) ف : «كانت الأعمال» .
(٢) الذحل : الثأر أو العداوة والحقد ، والجمع ذحول . والأقتال جمع قِتْل « بكسر القاف »
٢٠ وهو الشجاع أو المقاتل .
(٣) ف : « فدى لنفسى مالى » .
(٤) ف : « حامد لخصالى » .
(٥) ف : « وطيئ الأجبال » .

وبنو التَّيْمِ تَيْمِ مُرَّةَ لَمَّا لَمَعَ المَوتُ فى ظِلالِ العَوالِى
مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الحِجْــــرِ إذِ الطَّيْرُ عُــكَّفٌ فى الظِّلالِ[1]
والبَهاليـــلُ خالِدٌ وسعيـــد شَمْسُ دَجْنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ[2]
فى الأرُوماتِ والذُّرَى من بَنِى العِيــــصِ قُرومٌ إذا تُعَدُّ المَعالى
كُنتُ منهم ، ما حَرَّموا فحَرامٌ لم يُرامُوا ، وحِلُّهُم من حَلالِ[3]
وذَوُو النَّجْدِ من خُزاعَةَ كانوا أهلَ وُدِّى فى الخِصْبِ والإمْحالِ
خَذَلُونِى وهُم لِذاكَ دَعَوْنى لَيْس حامِى الذِّمارِ بالخَــذَّال
لا تَدَعنِّى فِداكَ أهلِى ومالِى إنَّ حَبْلَيْكَ من مَتِينِ الحِبالِ[4]
حَسْرَتا إذ أطَعْتُ أمْرَ غُواتى[5] وعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَلَّ ضَلالِى

يهجو عبادا ويذكر سعيد بن عثمان

وقال يَهْجُو عَبَّادَ بنَ زِيادٍ ويذكر سَعِيد بن عُثمان :

أيها الشاتِمُ جَهْلاً سَعِيدًا وسَعِيدٌ فى الحَوادِثِ نابُ
ما أبوكم مُشبِهاً لأبيــه فاسألوا الناسَ بذاكم تُجابُوا
سادَ عَبَّادٌ ومُلِّكَ[6] جَيْشًا سَبَّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلابُ
إنَّ عاماً صِرْتَ فيه أميرًا تَملِكُ النّاسَ لعامٌ عُجابُ

يمحو ما كتبه من هجاء على الحيطان بأظافره

قال : واتصل هِجاؤه زِيادًا وولده وهو فى الحبس ، فردَّه عُبَيدُ الله إلى أخيه عَبّاد بسِجِسْتان ، ووكَّل به رجالا ووجههم معه ، وكان لما هرب من عَبَّاد يهجوه

(١) ف : « كالظلال » .
(٢) ف : « والكريمان خالد وسعيد » ... « وواضح كالهلال » .
(٣) ف : « وحلهم بحلالى » .
(٤) ف : « متان الحبال » .
(٥) ف : « إذ أطعت فيك غواق » .
(٦) ب : « ومالأ جيشا » .

ويكتب كُلَّ ما هجاه به على حيطان الخانات ، وأمر عُبيدُ الله المُوَكَّلين به أن يأخذوه بمَحْو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، وأمرهم ألاّ يتركوه يُصلّى إلا إلى قِبْلة النصارى إلى المشْرق ، فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات التى نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء ، أخذوه بأن يَمحوَه بأظافره ، فكان يفعل ذلك ويَحكّه حتى ذهبت أظافرُه ، فكان يَمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتى سلّموه إلى عَبّاد فحبسه وضيّق عليه . قال عُمرُ بن شَبَّة فى خبره : فقال ابنُ مُفَرّغ :

سَرتْ تحت أقطاع من اللّيل زَينَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لما فاتَ مَطْلَبُ !

ويروى :

* ألاَ طرَقْتنا آخرَ اللّيل زَيْنَبُ *

أصابَ عذابى[1] اللونَ فاللّونُ شاحِبٌ ... كما الرأسُ من هَوْل المنيّة أشيبُ

قُرِنتُ بخِنْزير وهِرٍّ وكَلْبةٍ ... زمانا وشَانَ الجلدَ ضربٌ مُشذَّبُ

وجُرّعتُها صَهباء من غير لَذّة ... تُصعِّد فى الجُثْمان ثم تُصوَّبُ

وأُطعمْت ما إن لا يَحلّ لآكلٍ[2] ... وصَلّيْتُ شَرْقاً بَيتُ مكّة مَغرِبُ

من الطَّفّ مَجْنوباً[3] إلى أرض كابُلٍ ... فملُّوا وما مَلَّ الأسيرُ المُعذَّبُ

فلو أنَّ لَحْمِي إذ هَوَى لَعِبتْ به ... كِرامُ المُلوكِ أو أُسودٌ وأَذْؤُبُ

لَهوَّن وَجْدِى أو لزَادت بَصيرَتِى ... ولكنما أودَتْ بلَحْمِيَ أَكْلُبُ

أَعبّادُ ما لِلُؤْمِ عنك مُحوَّلٌ ... ولا لَكَ أمٌّ فى قُرَيْش ولا أبُ

سيَنصُرنى مَنْ ليس تَنفَعُ عِنْده ... رُقاكَ وقَرْمٌ من أُميّة مُصْعَبُ[4]

(١) ما ، مد : «عداتى» .

(٢) ما ، مد ، ب : «وأطعمت مالا إن يحل لآكل» .

(٣) ب : «مجلوبا» . ومجنوبا أى مقودا إلى جنب فرس .

(٤) القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

وقل لعُبَيْد الله : مالَكَ والِدٌ بحَقٍّ ولا يَدرِى امرؤٌ كيف تُنْسَبُ!

فى أول هذا الشعر غناء نسبته .

صوت

ألا طرَقَتْنا آخِرَ اللَّيلِ زينَبُ سلامٌ عليكم هَلْ لِما فاتَ مَطْلَبُ !

وقالت : تَجَنَّبْنا ولا تَقْرَبَنَّنَا فكَيْفَ وأنتم حاجَتِى أَتَجَنَّبُ ! ٥

الغناء لسياط ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ .

استشارته قومه ببيتين يقرآن على المصلين بجامع دمشق

وقالوا جميعاً : فلما طال مُقام ابن مُفَرِّغ فى السجن استأجر رسولا إلى دمشق ، وقال له : إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع[1] دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يُمكِنُك من صوتك ، وكَتبَهما فى رُقعة ، وهما :

أبلِغْ لديك بنى قَحْطانَ قاطِبةً عَضَّتْ بأيْرِ أبيها سادةُ اليَمَنِ ١٠

أضحَى دَعِىُّ زِيادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ[2] —ياللْعجائب— يَلْهو بابنِ ذِى يَزَنِ !

ففعل الرسولُ ما أمره به ، فحَمِيت اليمانيةُ وغضبوا له ، ودخلوا على مُعاوية فسألوه فيه فدَفَعَهم[3] عنه ، فقاموا غضاباً ، وعرف معاوية ذلك فى وجوههم ، فردَّهُم ووهبَه لهم ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خَمْخام ـ ويقال : جهنام ـ بَرِيدا إلى عبَّاد ، وكتب له عهداً ، وأمرَه بأن يَبدأ بالحبْس فيُخرِج ابنَ مُفرِّغ منه ويُطْلِقَه ، قبل أن يعلَمَ عَبَّاد فيمَ قدِم فيغتاله ، ففعل ذلك به ، فلما خرج من الحبس قُرِّبتْ إليه بغلة من بغال البريد فركبها ، فلما استوى على ظهرها قال : ١٥

٦٠/١٧

عَدَسْ[4] ما لِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ نَجَوتِ وهذا تَحْمِلين طَلِيقُ

(١) ف : « مسجد » .

(٢) يقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر ، أى أذل من كأة فى أرض منخفضة ؛ لأنه لا يمتنع على من جناه، أو لأنه يداس بالأرجل. وفى مد ، ما : «فوق قرقرة». وفى ب : « نقع قرقرة » ، تحريف . ٢٠

(٣) ف : « فدافعهم عنه » . (٤) عدس : اسم البغلة ، أو كلمة زجر للبغال .

فان الّذى نجّى من الكرب بعدَ ما   تلاحمَ فى دَرْبٍ عليك مضيقُ
أتاك بخَمْخامٍ فأنجاك فالحَقِى   بأهلك[1] لا تُحبَسْ عليك طَريقُ
لعمرى لقد أنجاك من هُوّةِ الرَّدَى   إمامٌ وحبلٌ للأنام وَثيقُ
سأشكرُ ما أوليتَ من حُسْنِ نعمة   ومِثْلى بشُكْرِ المُنْعِمين حَقيقُ[2]

معاوية يعفو عنه

٥ قال عمرُ بن شَبَّة فى خبره، ووافقه لقيط بن بكير : فلما أُدخل على مُعاوية بكى وقال : رِكِب منى ما لم يَرْكَب من مسلم قطّ ، على غير حدث فى الإسلام ولا خَلْع يدٍ من طاعةٍ ولا جُرْم ، فقال : ألست القائل :

ألا أبلِغْ مُعاوِيةَ بنَ حَرْبٍ   مُغَلْغَلةً من الرَّجل اليَمانى
أتغضَبُ أن يُقالَ أبوكَ عفٌّ   وتَرضَى أن يُقال أبوكَ زانِ!
١٠ فأشهدُ أنَّ رِحْمَك من زيادٍ   كرِحْم الفيل من وَلَد الأتانِ[3]
وأشهدُ أنَّها وَلَدت زيادًا[4]   وصَخْرٌ من سُمَيّةَ غيرُ دانِ

فقال : لا والذى عظَّم حقَّك يا أميرَ المؤمنين ما قُلتُه ، ولقد بلغنى أنَّ عبد الرحمن ابن الحكَم قاله ونسبه إلىَّ . قال : أفلم تقل :

شَهِدتُ بأنَّ أُمَّك لم تُباشِر   أبا سُفْيانَ واضعةَ القِناعِ
١٥ ولكن كان أمرٌ فيه لَبْسٌ   على وَجَلٍ شَديدٍ وارتياعِ

أو لستَ القائل :

إنَّ زيادًا ونافعًا وأبا   بَكْرةَ عِنْدِى من أعْجَبِ العَجَبِ

(١) ب : « بأرنسك » . وفى ف : « فنجاك فالحقن »
(٢) التجريد ، ب : « خليق » .
٢٠ (٣) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٦٥
(٤) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٦٥

إنّ رِجالاً ثلاثةً خُلِقُوا فى رَحْمِ أُنثَى ما كُلهم لأبِ
ذا قُرشِىٌّ كما يَقُولُ ، وذا مَوْلًى ، وهذا بزَعْمه عَرَبِى

فى أشعـار كثيرة قُلتَها فى هِجاء زِياد وبنيه ، اذهَبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك ، ولو إيَّانا تعامل لم يكُنْ شىء مما كان ، فاسكُن أىَّ أرضٍ شئتَ(١) .

٥ فاختار الموصلَ فنزلهـا ، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدمها ، فدخل على عُبَيد الله ابن زياد ، واعتذَر إليه وسأله الصَّفح والأمان ، فأمَّنه وأقام بها مُدّة ، ثمّ دَخل عليـه بعد أنْ أمَّنَه فقال : أصلَحَ اللهُ الأمير ، إنى قد ظَنَنْتُ أنّ نفسـك لا تَطيب لى بخير أبداً ، ولى أعداء لا آمن سعيَهم علىّ بالباطل ، وقد رأيتُ أن أتباعد ، فقال له : إلى أينَ شئت ؟ فقال : كَرْمان ، فكتب له

١٠ إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقَطِيعة وكُسْوة ، فشَخص فأقام بها حتى هَرَب عُبيد الله من البَصْرة ، فعَاد إليها . هذه رواية عُمَر بنِ شَبَّـة .

رواية أخرى فى سبب إنقاذه من ابنى زياد

وقال محمـد بنُ خلَف فى روايته ، عن أحمد بنِ الهيْثم ، عن المَدائنىّ ، وعن العمرىّ ، عن لقيط :

أنّ ابنَ مُفرِّغ لمّا طالَ حَبسهُ وبلاؤه ، ركب طلحةُ الطَّلحات إلى الحجَاز ،

١٥ ولقى قُريشاً ـ وكان ابنُ مُفَرِّغ حَليفاً لبنى أُميَّة ـ فقال لهم طَلحة : يا مَعْشَر قُريش ، إنَّ أخاكم وحَليفكم ابنَ مُفرِّغ قد ابتُلى بهذه الأعبُد من بنِى زياد ، وهو عَديدكم وحليفكم ورُجلٌ منكم ، ووالله ما أُحب أن يُجرِىَ الله عافيتَه على يدى دونـكم ، ولا أفوز بالمكرمة فى أمره وتخلوا منها ، فانهضُوا معى بجماعتكم إلى يزيدَ بن مُعاوية ، فإنَّ أهلَ اليمن قد تحرّكوا بالشَّام ، فركب خَالدُ بنُ عبد الله بن خالد(٢) بن أسيد ، وأُمية

٢٠ ابن عبد الله أخوه ، وعُمرُ بن عبيد الله بن معمر ، ووجوه خُزاعة(٣) وكنانة

٦١
١٧

(١) ف : «أحببت» .
(٢) ب : «إلى خالد بن أسيد» .
(٣) ب : «فى وجوه خزاعة» .

وخَرجُوا إلى يزِيد ، فبَينْا هم يَسيرُون ذات ليلة إذ سَمِعوا راكباً يتغنَّى فى سوادِ الليل بقول ابن مُفرِّغ ويقول :

إنَّ تركِى نَدَى سَعيدِ بنِ عُثما ... نَ بن عفَّانَ(١) ناصِرى وعديدِى
واتِّباعى أَخَا الضَّرَاعةِ واللُّؤ ... مِ لنقصٌ وفَوتُ شَأوٍ بَعيدِ
قلتُ واللَّيلُ مُطبِقٌ بعُرَاه : ... ليتنى مِتٌّ قبل تركِ سَعيدِ
ليتنى مِتٌّ قبل تَرْكِى أخا النَّجْـ ... ـدة والحَزْم والفَعَالِ السَّديدِ
عَبْشمىٌّ أبُوه عبدُ مَنافٍ ... فازَ منها بتاجها المَعقُودِ
ثُمَّ جُودٌ لو قِيلَ : هل من مَزِيدٍ(٢) ... قلتُ للسائلين : ما من مَزيدِ
قُلْ لقَوْمِى لَدَى الأباطِح مِنْ آ ... لِ لُؤَىٍّ بنِ غالبٍ ذِى الجُودِ :
سامَنِى بعدَكم دَعِىٌّ زيادٍ ... خُطَّةَ الغادر(٣) اللئيم الزَّهيد
كانَ ما كانَ فى الأرَاكة واجتَـ ... ـبَّ ببُرْدٍ سَنامَ عِيسِى وجِيدى
أوغلَ العَبدُ فى العُقوبة والشَّتْـ ... ـمِ وأوْدَى بطارِفى وتليدِى
فارحلوا فى حليفكم وأخيكم ... نحوَ غَوْث المُستَصرِخين يزيدِ
فاطلبوا النِّصفَ(٤) من دَعِىِّ زيادٍ ... وسلونى بما ادَّعيتُ شُهودِى

قال . فدعا القوم بالراكب فقالوا له : ما هذا الذى سَمِعْناه منك تغنِّى به ؟ فقال : هذا قولُ رجل والله إنَّ أمرَه لعجَب ، رجل ضائعٌ بين قريش واليمن ، وهو رجل الناس ، قالوا : ومن هو ؟ قال : ابنُ مفرِّغ ، قالوا :

(١) فى الشعر والشعراء : «... سعيد بن عثمان فتى الجود ....» .
(٢) ب : «لو قيل فيه مزيد» .
(٣) ف : « خطة العار واللئيم الزهيد » .
(٤) النصف : الإنصاف .

والله مارحلنا إلا فيه ، وانتسبوا له ، فضحك وقال : أفلا أُسمعكم من قوله أيضاً ؟ قالوا : بلى ، فأنشدَهم قولَه :

لَعمْرِىَ لو كان الأسيرُ ابنَ مَعْمَرٍ ... وصاحبَه أو شِكلَه ابنَ أُسيدِ
ولو أنَّهم نالوا أُميَّة أرقلَتْ(١) ... براكبها الوَجناءُ نحوَ يزيدِ
فأبلغتُ عذراً فى لؤىِّ بنِ غالب ... وأتلفتُ فيهم طارفى وتَليدى ٥
فإن لم يُغيِّرْها الإمامُ بحقِّها ... عَدلتُ إلى شُمٍّ شَوامخَ صِيدِ
فناديتُ فيهم دعوةً يَمنيَّةً ... كما كان آبائى دَعَوْا وجُدُودِى
ودافعتُ حتى أبلغ الجهدَ عنهمُ ... دِفاعَ امرئٍ فى الخير غير زَهيدِ
فإن لم تكونوا عند ظَنىِّ بِنَصْركم ... فليس لها غيرُ الأغرِّ سَعيدِ
بِنَفسى وأهلى ذاك حيًّا وميِّتاً ... نُضارٌ وعُودُ المرء أكرمُ عُودِ ١٠
فكم من مُقامٍ فى قريش كفَيْته ... ويومٍ يُشيبُ الكاعِباتِ شَديدِ
وخَصْمٍ تحاماه لُؤىُّ بنُ غالبٍ ... شَبَبتُ له نارى فهاب وَقُودِى
وخيرٍ كثيرٍ قد أفأتُ عليكمُ ... وأنتم رُقودٌ أو شَبيهُ رُقودِ

قال : فاستَرْجع القومُ لقوْله وقالوا : والله لا نَغْسِل رُءوسنا فى العرب إن لم نَغْسِلها(٢) بفكِّهِ . فأغذّ القومُ السّيرَ حتى قدموا الشأم . ١٥

(٦٢/١٧)

(وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية)

وبعث ابنُ مُفرِّغ(٣) رَجُلاً من بنى الحارث بن كَعْبٍ ، فقامَ على سُور حِمْص ، فنادى بأعلى صوتهِ الحُصيْنَ(٤) بنَ نُميرٍ ـ وكان والى حمص ـ بهذه الأبيات وكان عظيمَ الجبهة :

(١) أرقلت : أسرعت ، من الإرقال وهو ضرب من الخبب .
(٢) مد : « إن لم يغتسلها » . وفى ما : « إن لم نغتسلها » . وفى ف : « إن لم نستقلها » . ٢٠
(٣) ب « وبعث إلى ابن مفرغ رجلا ... » . تحريف .
(٤) ف : « الحصن بن نمير » .

أبلغْ لدَيك بَني قَحْطانَ قاطبةً ... عَضَّتْ بأيْرِ أبيها سادَةُ اليَمَنِ

أمسى دَعِيُّ زيادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ... يا لَلْعجائبِ يَلهو بابن ذِي يَزَنِ!

والحِميرِيُّ طريحٌ وسط مَزْبلةٍ ... هذا لَعمرُكُمُ غَبنٌ من الغَبنِ

والأَجبَهُ ابنُ نُمير فوق مَفْرشه ... يدنُو إلى أحْوَرِ العَيْنيْن ذي غُنَنِ(١)

قُوموا فقُولُوا: أميرَ المؤمنين لنا ... حَقٌّ عليك ومَنٌّ ليس كالمِنَنِ

فاكْفُفْ دَعِيَّ زيادٍ عنا أكارمنا ... ماذا يُريدُ على الأحقادِ والإِحَنِ!(٢)

فاجتمعت اليمانية إلى حُصَيْن ، فعيّروه بما قاله ابن مُفرِّغ ، فقال الحُصَيْن : ليس لى رأىٌ دونَ يزيد بنِ أسد ، ومَخْرمة بن شُرَحْبيل ، فأرسل إليهما ، فاجتمعوا فى مَنزلِ الحُصَيْن ، فقال لهما الحُصَيْن : اسمَعا ما أهْدَى إلىّ ١٠ شاعرُكم وقاله لكم فى أخيكم — يعنى نَفْسَه — وأنشدهم ، فقال يَزيدُ بنُ أسَد : قد جِئتُكم بأعظَمَ مِنْ هذا ، وهو قولُه :

وما كنتُ حجّاماً ولكنْ أحلَّنى ... بمنزلةِ الحَجّام نَأْيى عن الأصلِ(٣)

فقال الحُصَين : والله لقد أساء إلينا أميرُ المؤمنين فى صاحِبنا مرّتين ، إحداهما أنه هرَب إليه فلم يُجِرْه ، وأُخرى أنَّه أمرَ بعَذابه غيرَ مُراقِب لنا ١٥ فيه ، وقال يزيدُ بن أسد : إنّى لأظن أنَّ طاعتَنا ستَفسُد ويَمحوها ما فعل(٤) بابن مفرِّغ ، ولقد تطلَّع من نفسى شىء ، لَلموْت أحبُّ إلىَّ منه . وقال مَخْرمةُ ابنُ شرَحْبيل : أيها الرَّجلان ، اعقِلا فإنه لا مُعاوية لكما(٥) ، واعرِفا أنَّ صاحِبَكما لا تقدَح فيه الغِلْظة ، فاقْصِدا التّضرُّع ، فركب القومُ إلى دمشْقَ

(١) الأجبه : العظيم الجبهة . والغنن جمع غنة ؛ وهو صوت من اللهاة والأنف .
٢٠ (٢) ب ، ما ، مد : «ماذا تريد إلى الأحقاد والإحن» .
(٣) ب : «الأهل» . (٤) ف : «ما صنع» .
(٥) يشير إلى حلم معاوية الذى مات ، وغضب يزيد .

وقَدِموا على يزيدَ بن مُعاوية ، وقد سبقهم الرَّجل ، فنادَى بذلك الشِّعر يوم الجمعة على دَرَج مَسْجِد دِمشق ، فثارت اليمانية وتكلَّموا ، ومَشى بعضُهم إلى بعض ، وقدِم وفدُ القرشيِّين فى أمره مع طلحة الطَّلَحات ، فسبَقوا القرشيِّين ، ودخلوا على يَزيدَ بن مُعاوية ، فتكلم الحُصَينُ بن نُمَيْر ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الذى أتاه ابنُ زياد إلى صاحبنا ، لا قرارَ عليه ، وقد سامنا عُبيدُ الله وعَبَّادُ خُطَّةَ خَسْف ، وقلّدانا قِلادةَ عار ، فأنصِف كريمَنا من صاحِبه ، فوالله لئن قدرْنا لنَعْفُونّ ، وَلئن ظُلِمنا لننتَصرنّ . وقال يزيد بنُ أسد : يا أمير المؤمنين ، إنّا لو رَضينا بمُثْلَةِ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه ، لم يَرْضَ الله عزّ ذكره بذلك[1] ولئنْ تقرّبنا إليك بما يُسخطُ الله ليُباعدنَّنا الله منك ، وإن يمانيّتك قد نفَرتْ لصاحبها نَفرةً طار غُرابُها ، وما أدرى متى يَقع ، وكلّ نائرة[2] تقدَح فى المُلك وإن صَغرتْ لم يُؤمن أن تكبر ، وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيما إذا كانت فى أنفٍ لا يُجْدَع ، ويد لا تُقْطَع ، فأنْصِفنا من ابنَى زياد[3] .

وقال مَخْرَمَة بنُ شُرَحْبيل ، وكان مُتألِّها عظيمَ الطاعة فى أهل اليمن : إنه لا يد تَحجُزك[4] عن هواك ، ولو مَثّلتَ بأخينا وتولَّيتَ ذلك منه بنفسك لم يَقُم فيه قائم ولم يُعاتِبك فيه مُعاتِب ، ولكنّ ابنَىْ زياد استَخَفَّانا[5] بما يثقُل عليك من حقّنا ،

(١) ف : « لم يرض الله عمّن رضى بذلك » .
(٢) النائرة : العداوة والشحناء .
(٣) ف : «ابن زياد» .
(٤) فى ب ، مد : «إنه لا يدع تحجزك عن هواك دون الله ولو مثلت ... الخ » .
(٥) ف : « استخفا بما يثقل عليك من حقنا »

وتَهاوَنا بما تُكرِمُه منّا ، وأنت بيننا وبين الله[(١]ونحن بينك وبين الناس[١)] ، فأنصفنا من صاحبَيْك ، ولينفَعْنا بلاؤنا عندك .

فقال يزيد : إنّ صاحبَيكم أتى عظيما ؛ نفى زياداً من أبى سُفيان ، ونفى عَبّاداً عُبَيْدَ الله من زياد ، وقلّدهم طوقَ الحمامة ، وما شجّعه على ذلك إلا نَسَبُه فيكم ، وحِلفُه فى قُرَيش ، فأمّا إذ بلَغَ الأمرُ ما أرى ، وأشفَى بكم على ما أشفَى ، فهو لكم ، وعلىّ رضاكم .

وفد القرشيين يقابل يزيد بن معاوية

قال : وانتهى القُرشيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم ، وقال لليمانيِّين : قد أتتْكم بُرَى الذهب من أهل العراق ، فدخلوا وسلّموا والغَضبُ يتبيّن[٢] فى وجوههم ، فظنّ يَزيدُ الظنون ، وقال لهم : ما لكم ؟ انفتَق فَتْقٌ أو حدَثَ حدَثٌ فيكم ؟ قالوا : لا ، فسكَن .

فقال طَلْحة الطلَحات :

يا أميرَ المؤمنين ، أما كفَى العربَ ما لَقِيَتْ من زياد ، حتى استعمَلْتَ عليها ولدَه يستكثِرُون لك أحقادَها ، ويُبَغِّضُونك إليها ، إنّ عُبَيْدَ الله وأخاه أتَيا إلى ابن مُفَرِّغ ما قد بلغك ، فأنصِفْنا منهما إنصافاً تَعلَم العرب أنّ لنا منك خَلَفاً من أبيك ، فو الله ، لقد خَبأ لك فعلُهما خَبْثاً عند أهل اليمن لا تَحمَدُه لك ، ولا تَحمَدُه لنفسِك .

وتكلّمَ خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أُسيد فقال :

يا أميرَ المؤمنين ، إنّ زيادا رُبِّىَ فى شَرِّ حِجْر ، ونشأ فى أخبَثِ نَشْء ، فأثبتُّم نِصابَه فى قريش ، وحمَلْتُموه[٣] على رِقاب الناس ، فوَثَب ابْناه على أخِينا وحَليفِنا

(١ - ١) التكملة من ف . (٢) ف : « يبين » .

(٣) ب ، مد ، ما : « فأثبتهم نصابه فى قريش وحملت .... الخ » .

وحليفك ، ففعلا به الأفاعيل التى بلغتك ، وقد غضبت له قريش الحجاز ويمن الشأم ممن لا أحب والله لك غضبه ، فأنصفنا من ابنَى زياد .

وتكلم أخوه أمية بنحو مما تكلم أخوه وقال :

والله يا أمير المؤمنين لا أحط رحلى ، ولا أخلع ثياب سفرى ، أو تنصفنا من ابنَى زياد ، أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا ، ووصلت ابنى زياد بقطعنا ، ٥ وحكمت بغير الحق لهما علينا .

وقال ابن معمر : يا أمير المؤمنين ، إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك ، ورمى عن جمرة أهلك ، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيا لم يرض به ، وهذا رجل له شرف فى قومه ، وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها ، فأعتبهم وأنصف الرجل [1] ولا تؤثر مرضاة ابنَى زياد على مرضاة ١٠ الله عز وجل .

يزيد يرحب بالوفدين ويرسل من يطلق ابن مفرغ

٦٤
—
١٧

فقال يزيد : مرحبا بكم وأهلا ، والله لو أصابه خالد ابنى بما ذكرتم لأنصفته منه ، ولو رحلتم فى جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم ، وما عندى إلا إنصاف المظلوم ، ولكن صاحبكم أسرف على القوم . وكتب يزيد ببناء داره ، ورد ماله وتخلية سبيله ، وألا إمرة لأحد من بنى زياد عليه ، وقال : لولا أن فى القود بعد ما ١٥ جرى منه فسادا فى الملك لأقدته من عباد .

وسرح يزيد رجلا من حمير يقال له خمخام ، وكتب معه إلى عباد بن زياد : نفسك نفسك وأن تسقط من ابن مفرغ شعرة فأقيدك والله به ، ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيرى عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهارا من الحبس [2] بمحضر الناس وأخرجه .

٢٠

(١) ف : «فأعتبهم وأنصفهم من الرجل» .
(٢) ب ، ما ، مد : «من المجلس» .

دخوله على يزيد وما دار بينهما

قالوا : فلما دخل على يَزِيدَ قال له : يا أمير المؤمنين ، اخْتَرْ مِنِّي خَصْلَةً من ثلاث خصال ، في كلِّها لي فَرَج ، إما أن تُقِيدَني من ابن زياد ، وإما أن تُخَلِّي بيني وبينه ، وإما أن تُقَدِّمَني فتضربَ عُنقي .

ففال له يَزِيدُ : قَبَّح الله مااخترته وخَيَّرْتَنيه[1] ، أما القَوَد من ابن زياد فما كنتُ لأُقِيدَك من عامل كان عليك ، ظلمتَه وشتمتَ عِرضَه وعِرْضِي معه ، وأما التَّخْلِية بينك وبينه فلا ، ولا كَرَامة ، ما كنتُ لأُخَلِّي بينك وبين أهلي تقطعُ أعراضَهم ، وأما ضَرْبُ عُنُقِك، فما كنتُ لأضربَ عُنُقَ مسلم من غير أن يستحِقَّ ذلك ، ولكني أفعلُ ما هو خير لك مما اخْتَرْتَه لنفسك ، أعطيك دِيَتَك ، فإنهم قد عَرَّضُوكَ للقتل ، واكْفُفْ عن ولد زياد ، فلا يَبْلُغنِي أنك ذكرتَهم ، وانزل أيَّ البلاد شئتَ ، وأمر له بعشرة آلافِ درهم .

اعتذاره لعبيد الله ابن زياد

فخرج حتى أتى المَوْصِلَ وأقام بها ما شاء اللهُ ، ثم خَرَج ذات يوم يتَصَيَّد ، فلقي دِهْقاناً على حمار له ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق . قال : من أيها ؟ قال : من البصرة ، ثم من الأهواز[2] . قال : فما فعل المَسْرُقان[3] ؟ قال : على حاله ، قال : أفتعرِف أناهِيدَ بنت أعْنق ؟ قال : نعم ، قال : ما فعلت ؟ قال : على أحسنِ ما عَهِدْت .

قال : فضَرَب بِرْذَوْنَه وسار حتى أتى الأَهْوَازَ ، ولم يعلم أهلُه ولا غيرُهم بمَسِيره . ثم أتى عُبَيْدَ الله بنَ زياد ، فدخل عليه واعتذر إليه ، وسأله الأمانَ فأمَّنه ، ثم سأله أن يَكْتُبَ له إلى شَرِيك بن الأعور فكتب له ووَصَلَه .

عودته إلى البصرة وهجاؤه بني زياد

وخرج فأقام بكَرْمان حتى غَلَب ابنُ الزُّبَيْر على العراق ، وهرب ابنُ زياد

(١) ف : « وحيرته » . (٢) ب ، ما ، مد : «من الإيوان» .
(٣) المسرقان : نهر بخوزستان عليه عدة قرى (معجم البلدان) .

وكان أهلُ البصرة قد أجمعُوا على قتله ، فخرج عن البصرة هارباً ، فعاد ابن مُفَرِّغ إلى البصرة ، وعاود هجاء بنى زياد ، فقال يذكر هَرَب عُبَيْد الله وتركه[1] أُمَّه بقوله :

أُعُبَيْدُ هلَّا كنتَ أوَّلَ فارسٍ يوم الهِياج دعا بحَتْفِك داعِ
أسلمْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ تَنوشُها يا ليتَنِي لك ليلةَ الإفزاعِ
إذ تستغيث وما لنفسِك مانعٌ عبْدٌ تردِّدُه بدارِ ضَياعِ
هلّا عجوزك إذ تُمَدُّ بثَدْيِها وتَصيحُ ألاّ تَنْزِعُنَّ قِناعِي
أنقذتَ من أيدى العُلوجِ كأنها رَبْداء مُجفِلةٌ ببطن القاعِ[2]
فركبتَ رأسك ثم قلتَ : أرى العِدا كَثُروا وأخلفَ مَوْعِدى أشياعِى[3]
فانجى بنفْسِك وابتغى نَفَقاً فما لى طاقةٌ[4] بك والسلامُ وَداعِى
ليسَ الكريمُ بمَنْ يُخلِّفُ أُمَّه وفتاتَه فى المَنزِل الجَنْجاعِ[5]
حَذَرَ المَنيَّةِ والرِّماحُ تَنوشُه لم يَرْمِ دون نسائه بكُراعِ[6]
مُتأبِّطاً سيفاً عليه يَلْمَقٌ[7] مثل الحمارِ أثرتَه بيَفاعِ
لا خيرَ فى هَذِرٍ يهُزُّ[8] لسانَه بكلامه والقلبُ غيرُ شُجاعِ
لابنُ الزُّبير غداةَ يَذْمُرُ[9] مُنْذِراً أوْلى بغايَة كلِّ يوم وِقاعِ
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرئٍ كَزٍّ أناملُه قصيرِ الباعِ
جَعْدِ اليدين عن السَّماحة[10] والنَّدى وعن الضَّرِيبة فاحِشٍ مَنَّاعِ

(١) ف : « ويذكر أمه » .
(٢) المختار ، ف : «من أيدى العبيد» . والربداء : السوداء الضاربة إلى الغُبرة ، يشبهها بالنعامة . وفى ف : «ربداء مخلفة» . (٣) ب : «وأخلف موعد الأشياع» (٤) ف ، المختار : «لى حيلة» .
(٥) الجنجاع : الضيق الخشن الغليظ .
(٦) الكراع : الخيل . ويقال : فلان ما ينضح الكراع أى ضعيف الدفاع .
(٧) اليلمق : القباء . (٨) ف : «يهد لسانه» .
(٩) يذمر : يهدد . (١٠) ب ، ف : «على السماحة» .

كم يا عُبَيْدَ الله[1] عندك من دَمٍ يسعى ليُدْرِكَهُ بقَتلك ساعِ

ومعاشرٍ أُنُفٍ أبحْتَ حريمَهم فرَّقتَهم من بعد طُولِ جِماعِ

اذكُرْ حُسَيْناً وابنَ عُرْوَةَ هانئاً وابنَى عَقِيلٍ فارس المِرْباعِ

وقال أيضاً يذكر هربه :

٥ أقَرَّ بعينى أنَّهُ عَقَّ أُمَّه[2] دعَتْه فولَّاها استَه وهو يَهرُبُ

وقال : عليكِ الصبرَ كُونى سَبِيَّةً كما كنتِ أو مُوتى ؛ فذلك أقرَبُ

وقد هتفتْ هنْدٌ : بماذا أمرتَنى ؟ أبِنْ لى وحدِّثنى إلى أينَ أذهبُ ؟

فقال : اقْصِدِى للأزْدِ فى عَرَصاتِها[3] وبَكْرٍ فما إن عَنهُمُ مُتَجَنَّبُ

أخافُ تميماً والمَسالِحُ[4] دونَها ونيرانُ أعدائى علىَّ تلهَّبُ

١٠ ووَلَّى وماءُ العين يَغسِلُ وَجْهَها[5] كأن لم يكُن والدَّهر بالناس قُلَّبُ

بما قَدَّمَتْ كَفَّاكَ لا لكَ مَهْرَبٌ إلى أىِّ قَوْمٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ

فكمْ من كَرِيمٍ قد جرَرْتَ جَرِيرَةً عليه فمَقبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ

ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسُحْرَةٍ تُبكِّى قتيلا أو صَدًى يَتأَوَّبُ[6]

فصبراً عُبَيْدُ بنَ العَبِيد فإنما يُقاسِى الأُمورَ المُسْتَعِدُّ المُجَرِّبُ

١٥ وذُقْ كالذى قد ذاقَ منك معاشرٌ لَعِبْتَ بهم إذ أنت بالنَّاس تلعَبُ

فلو كنتَ حُرًّا أو حَفظْتَ وَصِيَّةً عطَفْتَ على هِنْدٍ وهِنْدٌ تُسَحَّبُ

(١) ف : «يا عدى الله» .
(٢) ب : «أقر عبيد والسيوف عن أمه» .
(٣) العرصة : ساحة الدار ، وهى البقعة الواسعة بين الدور التى ليس فيها بناء .
٢٠ (٤) المسالح جمع مسلحة وهى موضع السلاح أو القوم ذوو السلاح .
(٥) ف : «يغسل جفنها» .
(٦) ف : « وكم حرة زهراء » . وفى ب ، ما : « أوفى بتأوب » . ويتأوب : يرجع .

وقاتلتَ حتى لاترى لك مَطْمَعاً(١) بسَيْفِك فى القومِ الذين تحزَّبُوا
وقلتَ لأُمِّ العَبْدِ أُمِّكَ : إننى وإن كَثُر الأعداء حامٍ مُذَبِّبُ(٢)
ولـكن أبَى قلبٌ أُطِيرَتْ بَناتُه(٣) وعِرْقٌ لـكم فى آل مَيْسان يَضرِبُ

وقال فى ذلك أيضاً :

ألاَ أبلِغْ عُبَيْدَ اللهِ عنى عُبيدَ اللُّؤمِ عبدَ بنى عِلاجِ ٥
عَلَىَّ لـكم قلائدُ باقِياتٌ يُثِرْنَ عليـكمُ نَقْعَ العَجاجِ
تَدَّعَيْتَ الخضارِمَ من قُرَيشٍ فـا فى الدِّين بعدك من حِجاجِ(٤)
أبِنْ لى هل بِيثْرِبَ زَنْدُ وَرْدٍ قُرَى آبائك النَّـبَطِ العَجاجِ !(٥)

وقال فيه أيضاً :

عُبَيدُ الله عَـبْدُ بنى عِلاجٍ كذاكَ نسبتُه وكذاكَ كانا ١٠
أعَبْدَ الحارثِ الـكِنْدىِّ ألَّا جعلتَ لإسْتِ أمِّك دَيْدَبانا(٦)
فتَستُرَ عَورةً كانتْ قديماً وتمنع أُمَّك النَّبَطَ البطانا

وقال يَهجو عُبَيْدَ اللهِ وَعبَّاداً ، أنشَدْناه جماعة ، منهم هاشِمُ بن محمد الخُزاعىُّ ، عن دَماذ ، عن أبى عُبَيْدة ، وهذا من قصيدة له طويلة أوّلها :

جرَتْ أُمُّ الظِّباء بِبَيْنِ لَيلى وكلُّ وِصالِ حَبْلٍ لانقطاعِ ١٥

(١) ف : « مطعما »
(٢) مذبب : مدافع . (٣) ب : «ثيابه» .
(٤) ف : «خلاج» . والخضارم جمع خضرم ، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء .
(٥) ما ، مد : «برنى إيليا النبط العجاج» . وفى ب ، س : «قرنى إيليا ... » . وزندورد : بلد قرب واسط ، والعَجاجُ : رعاع الناس (قاموس) ٢٠
(٦) الديدبان : الرقيب .

يقول فيها :

وما لاقيتُ من أيّام بُؤْس(١) ... ولا أمرٍ يَضيقُ به ذراعى

ولم تكُ شِيمتِى عجزاً ولؤْماً ... ولم أكُ بالمُضلَّل فى المساعى

سِوَى يوم الهَجِين ومَنْ يُصاحِبْ ... لئامَ الناس يُغضِ على القذاع(٢)

حلفتُ بربٍّ مكّةَ لو سلاحى ... بكفى(٣) إذ تُنازعنى متاعى

لباشَرَ أمَّ رأسِك مَشْرَفىٌّ ... كذاكَ دَواؤنا وجع الصُّداعِ

أفى أحسابِنا تُزْرِى علينا ... هُبلْتَ وأنتَ زائدةُ الكُراعِ(٤)

تبغَّيْتَ الذُّنوب علىَّ جَهْلاً ... جُنوناً ما جُننتَ ابنَ اللَّكاعِ(٥)

فما أسفى على تَرْكِى سَعيداً ... وإسحاقَ بنَ طَلحةَ واتّباعِى

ثنَايا الوَبْر عبدَ بنى عِلاجٍ ... عُبيْدَةَ(٦) فقْعَ قَرْقَرةٍ بِقاعِ

إذا ما رايةٌ رُفِعت لمجد ... وودّع أهلُها خيرَ الوَداعِ

فأيْرٌ فى استِ أمِّك من أمير ... كذاكَ يقال للحمق اليراعِ(٧)

وَلا بُلّتْ سماؤكَ من أميرٍ ... فبِئْس مُعرَّسُ الرَّكْب الجياعِ(٨)

ألم تَرَ إذْ تحالِف حِلْفَ حَرْبٍ ... عليكَ غدَوْت(٩) من سَقَط المتاعِ

وكدتَ تَمُوتُ أنْ صاحَ ابنُ آوَى ... ومثلُك مات من صوت السِّباعِ

ويوْمَ فتحتَ سيفَك من بَعيدٍ ... أضِعْتَ وكلُّ أمرِك للضَياعِ

(١) ف : « شرّ »

(٢) القذاع : الفحش والمشاتمة .

(٣) ف « لو بكفى سلاحى » .

(٤) ف : « وأنت هبلت زائدة الكراع » . والكراع من كل شىء : طرفه .

(٥) امرأة لكاع : لئيمة ، ولم يرد هذا البيت فى ف .

(٦) ف : «عبيدا» . والوبر : حيوان فى حجم الأرنب .

(٧) اليراع : الجبان : وجاء هذا البيت فى ف مكان الذى قبله .

(٨) «ولا بلت سماؤك» : يدعو عليه بالجدب . والمعرّس : مكان التعريس أى النزول .

(٩) ف : « عددت » .

إذا أودَى مُعاويةُ بنُ حَرْبٍ فبشِّرْ شَعْبَ قَعْبِك[1] بانْصداعِ
فأشهدُ أنّ أمَّك لم تُباشر أبا سُفيانَ واضعةَ القِناعِ
ولكن كانَ أمراً فيه لَبْسٌ على عَجَلٍ شديدٍ وارْتياعِ

قال: وكان عبّاد فى بعض حروبه ذاتَ لَيلة نائماً فى عَسكره، فصاحت بناتُ آوى، فثارت الكلابُ إليها، ونفر بعضُ الدَّوابّ ففزع عبّاد وظنها كَبْسَةً من العدوّ، فركب فرسه ودَهِش، فقال: افتحوا سيفى، فعيّره بذلك ابنُ مفرّغ.

ومما قاله ابن مُفرّغ فى هجاء بنى زياد وغُنِّى فيه:

صوت

كم بالدُّروب وأرضِ الهند من[2] قَدَمٍ ومِنْ جَماجمِ قَتلى ما هُمُ قُبِرُوا
ومن سَرابيلِ أبطالٍ مُضرّجةٍ ساروا إلى الموت ما خاموا[3] ولا ذُعِرُوا
بقُنْدُهارَ[4] ومَنْ تُختَمْ مَنيّتُهُ بقُنْدُهارَ يُرجَّم دونَه الخَبَرُ

غنّى فى هذه الأبيات ابنُ جامع.

أجَدَّ أهلُك، لا يأتيهمُ خَبَرٌ منّا ولا منهم عَيْنٌ ولا أثَرُ
ولم تكلَّم قُريشٌ فى حَليفِهمُ إذ غابَ أنصارُه بالشّام واحتُضِروا
لو أنّنى شَهِدتنى حِمْيَرٌ غَضِبتْ إذاً فكان لها فيما جَرَى غِيَرُ
رَهطُ الأغرِّ شَراحيلِ بن ذى كَلَعٍ ورهطُ ذى فائشٍ ما فوقهم بَشَر[5]
قُولاَ لطَلْحة ما أغنتْ صَحيفتُكم وهل لجارِك إذ أوردْتَه صَدَرُ!

(١) القعب: القدح الضخم. وفى المختار: «سعب قلبك».
(٢) ب، ما، مد: «... وأرض الروم من قرم». وفى معجم ياقوت: «كم بالجروم ...»
(٣) خاموا: جبنوا. وفى ف: «ما خافوا».
(٤) فى معجم ياقوت: قندهار: مدينة من بلاد السند أو الهند، سار إليها عباد بن زياد وفتحها.
(٥) ب: «ذى قابس». وفى ما: «ما مثلهم بشر».

فمَنْ لنا بشَقِيقٍ أو بأسرته ... ومَنْ لنا ببنى ذُهْلٍ إذا خطَرُوا !
همُ الذينَ سَمَوْا والخيلُ عابسَةٌ ... والناسُ عند زياد كلهم حَذِرُ
لولاهمُ كان سلاّمٌ بِمَنْزِلتى ... أَوْلَى لهم ثمَّ أولَى بعد ما ظَفِرُوا

أخبرنى محمد بنُ خَلَف ، عن أبى بكر العامرىّ ، عن إسحاق بن محمد ، عن القَحْذَمِىّ[1] قال : هجا سلامُ الرّافعىُّ مُقاتلَ[2] بنَ مِسْمَع فقال فيه :

أَبَى لكَ ياذا المَجْدِ أنَّ مُقاتِلا ... زَنَى واستَحَلَّ الفارِسِىَّ المُشَعْشَعَا[3]

فى أبيات هَجاه بها فحبَسه مقاتل بالعربة[4] فركب شَقِيقُ بنُ ثَوْر فى جماعة من بنى ذُهْل إلى الحبْس فأخرجه ؛ فضَرَب به ابنُ مفرَّغ المثَل فى الشِّعر الماضى .

أخبرنى محمدُ بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدَّثنى أبو عبد الله اليمانىُّ ، قال : حدَّثنا الأصمعِىُّ ، عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد قال :

قال لى عُبَيْدُ الله بنُ زياد : ما هُجِيتُ بشىءٍ أشدَّ علىَّ من قَوْل ابنِ مُفرِّغ :

فكِّرْ ؛ ففى ذاك إن فكَّرْتَ مُعْتَبرٌ ... هل نِلْتَ مَكرُمَةً إلا بتأمير !
عاشَتْ سُمَيَّةُ ما تَدْرِى وقد عَمِرَتْ ... أنَّ ابنَها من قُرَيْشٍ فى الجماهير

وروى[5] اليَزِيدِىُّ فى رِوايته عن الأحْوَل : قال أبو عبيدة :

كان زِياد يزعمُ أنأُمَّه سُمَيَّة بنْتَ الأعور من بنى عبد شَمْس بن زيد مَناة بن تَميم، فقال ابنُ مُفرِّغ يرُدّ ذلك عليه :

فأُقسِم ما زِيادُ من قُرَيْشٍ ... ولا كانت سُمَيَّةُ من تَميمِ
ولكنْ نَسْلُ عَبْدٍ من بَغِىٍّ ... عريقِ الأصل فى النَّسَب اللئيمِ

(١) ما ، مد ، ب : القحذمى « تصحيف » . والقحذمى هو الوليد بن هشام القحذمى .
(٢) ف : « مهلهل بن مسمع » .
(٣) ب ، مد : «أمالك ...» . واستحل الفارسىّ المُشَعْشَعا يريد الخمر .
(٤) العربة : موضع . وفى مد : « بالغربة » ، تصحيف . وفى ب : « بالغرفة » ، تحريف .
(٥) ف : «وقال الزيدى» .

يتابع هجاء ابن زياد ويرميه بالأبنة

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد قال: حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ قال: أنشدنى أبو عُبَيْدة لابن مفرِّغ يَهْجو ابنَ زِياد ويرميه بالأُبْنَة.

أَبلغْ قُريشاً قَضَّها وقَضيضَها ... أهلَ السَّماحةِ والحُلومِ الرَّاجِحَهْ

أنّى ابتُليت بحيَّةٍ ساوَرْتُه[1] ... بيَدٍ لعَمْرِى لم تَكُن لِىَ رابِحَهْ

صَفْقَ المُبَخَّلِ صَفْقةً ملعُونَةً ... جرَتْ عليه من البلايا فادِحَه[2]

شتَّانَ مَنْ بَطحاءُ مَكَّةَ دارُه ... وبَنُو المُضافِ إلى السِّباخِ المالِحَهْ

جَعُدَتْ أناملُه ولامَ نِجارُه ... وبذاك تُخبِرُنا الظِّباءُ السانِحَهْ

فإذَا أُميَّةُ صَلْصَلَتْ أحسابُها ... فبَنُو زِياد فى الكلاب النَّابِحَهْ

قالوا: يُناكُ، فقلتُ: فى جَوْفِ استِه ... وبذاك خَبَّرَنِى الصَّدوقُ الفاضِحَهْ

لم يبقَ أيرٌ أسودٌ أو أبيضٌ ... إلاّ له استُكَ فى الخلاءِ مُصافِحَهْ

مقتل عبيد الله وشعر ابن مفرغ فى ذلك

وأخبرنى إبراهيم بنُ السرىّ بن يحيى، قال: حدَّثنى أبى، عن شعيب، عن سيف، قال: لما قُتِل عُبَيْدُ الله بن زياد يوم الزَّاب، قتَلَه أصحابُ المُخْتار بن أبى عُبَيد ويقال: إن إبراهيمَ بنَ الأشْتَر حمل على كَتِيبته فانهزَموا، ولَقِىَ عُبَيْدَ الله فضرَبه فقتله، وجاءه إلى أصحابه فقال: إنّى ضربتُ رجلا فقدَدْتُه نِصفَين فشرَّقَتْ يداه وغَرَّبتْ رِجْلاه، وفاح منه المِسْك، وأظنُّه ابنَ مَرْجانَة، وأومأ لهم إلى مَوْضِعه، فجاءوا إليه وفَتَّشُوا عليه، فوجدوه كما ذكر، وإذا هو ابنُ زِياد، فقال ابنُ مُفرِّغ يَهْجُوه:

إنّ الّذِى عاش خَتَّاراً[3] بذِمَّتِه ... وعاش عَبْداً قَتِيلُ الله بالزَّاب

العَبْدُ للعَبْدِ لا أصلٌ ولا طَرَفٌ[4] ... أَلْوَتْ به ذاتُ أظْفارٍ وأنْياب

إن المَنايا إذا مازُرْنَ[5] طاغِيةً ... هَتَكْن عنه سُتوراً بين أبْواب

(١) ب: «ساورتهم». والحية (الأفعى (تذكر وتؤنث) فيقال: هو الحية وهى الحية.

(٢) لم يرد هذا البيت والذى بعده فى ف.

(٣) الختّار: الغادر.

(٤) الطرف: الشريف.

(٥) ب: «رزن».

هلاّ جُموع نِزار إذ لقِيتَهمُ كنتَ امرأً من نِزارٍ[١] غيرَ مُرتابِ

لا أنتَ زاحَمْت عن مُلْكٍ فتمنَعه ولا مَدَدْت إلى قَوْم بأسْبابِ[٢]

ما شُقَّ جَيبٌ ولا ناحَتْك نائِحةٌ ولا بَكَتْك جِيادٌ عند أسلابِ

لا يترُكُ اللهُ أنفًا تَعْطِسُون بها بنى العَبيد شُهوداً غيرَ غُيَّابِ

٥ أقولُ بُعْدًا وسُحْقًا عند مَصْرعه لابنِ الخَبيثةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكَابي[٣]

والقَصِيدَةُ المَذْكُورَة بها غِناء فيه منها، وقال:

الحسين بن على يتمثل بالبيتين الأخيرين من هذه القصيدة

حَيِّ ذَا الزَّوْرَ وانهَهُ أن يَعُودَا إنّ بالباب حارِسَينِ قُعودَا

من أساوِيرَ ما يَنُون قِياماً وخَلاخيلَ تُذْهِل المَوْلُودا

[٤]وطماطِيمَ من مشايخ جُونٍ[٥] ألْبَسُونِى مع الصَّباح قُيُودَا

١٠ أىّ بلوى معيشة قد بلَوْنا فنَعِمْنا وما رَجونا خُلودا

ودهورٍ لَقِينَنا مُوجِعاتٍ وزمانٍ يُكسِّر الجلُودا

فصبرنا على مواطن ضِيقٍ وخطوبٍ تُصيِّر البِيضَ سُودا

ظلّ فيها النصيحُ يُرسِل سِرًّا لا تَهالَنّ إن سمعتَ الوعيدا

أفإنسٌ ما هكذا صَبْرُ إنْسٍ أم من الجنّ أم خُلِقتَ حَديدَا

١٥ لا ذَعَرْتُ السَّوامَ فى فَلَق الصبح مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا[٦]

يومَ أُعطِى مخافةَ الموت ضَيْماً والمنايا يرصُدنَنِى أن أحيدا[٤]

---

(١) ف ، التجريد : « من قريش » . (٢) التجريد ، ف : «بأحساب» .

(٣) الكودن : البرذون الهجين أو البغل . والكابى : المنكب على وجهه .

(٤-٤) التكملة من ف .

٢٠ (٥) الشعر والشعراء ١-٣٢٢ . « وطماطيم من سابيح غتم » . والطماطم الأعاجم فى لسانهم طمطمة أى عجمة لا يفصحون .

قال : وهى قصيدة طويلة .

وتمثَّل الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ صَلَوات الله عليه بهذين البَيْتَيْن لَمَّا خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد :

لاذَعَرْتُ السَّوَامَ فى فَلَق الصُّبْـــح مُغِــيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدَا

يوم أُعطِى مَخافَةَ المَوْتِ ضَيْماً والمَنايَا يَرْصُدْنَنِى أن أَحِيدَا ٥

حدَّثنى أحمدُ بنُ عِيسَى أبومُوسَى العِجْلىّ العَطَّار بالكوفة قال : حدَّثنى الحُسَين[1] ابن نصر بن مُزاحم المِنْقَرِىّ ، قال : حدَّثَنِى أَبِى ، قال : حدَّثنا عمر بن سعد ، عن أبى مِخْنَف ، قال : حدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبى سعيد المَقْبرىّ قال :

والله لرأَيْتُ حُسَيْنا عليه السلام وهو يمشى بين رَجُلَين ، يعتَمِد على هذا مَرَّة ، وعلى هذا مرة ، حتى دَخَل المَسْجِد وهو يقولُ : ١٠

لاذَعَرتُ السَّوام . . . البيتين .

قال : فقلت عند ذلك إنّه لا يلبَثُ إلا قليلاً حتى يَخْرُج ، فما لَبِث أن خَرَج فلَحِق بمكة ، فلما خَرَج من المَدِينة قال : ﴿ فخَرَج منها خائفاً يترقَّب قال : رَبِّ نَجِّنى من القَوْم الظَّالِمين[2] ﴾ . ولما تَوَجَّه نحو مكة قال : ﴿ ولما تَوجَّه تلقاء مَدْيَنَ قال عَسَى رَبِّى أن يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيل ﴾[3] . ١٥

مروان بن الحكم يعطيه ويكسوه

أخبرنى جعفرُ بن قُدامة ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال : حدَّثنى علىّ ابن الصبَّاح ، عن ابن الكلبىّ قال :

لما قَدِم ابنُ مُفَرِّغ إلى مُعاوية مع خَمْخام الذى وجَّهه إليه ، فانتزعه من عبّاد ابن زياد ، نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذ عند معاوية ، فأعطاه وكساه ، وقام بأمره واسترفد له كُلَّ مَنْ قدر عليه مَن بَنِى أبى العاص[4] بن أمية ، فقال ابنُ مُفَرِّغ يَمْدَحُه من قصيدته : ٢٠

(١) ب ، مد ، ما : «الحسن بن نصر» (٢) القصص/٢١ . (٣) القصص/٢٢ .
(٤) ف : « من بنى العاص بن أمية » .

وأقمتُمُ سُوقَ الثَّناء ولم تكُن سُوقُ الثَّناء تُقامُ فى الأسْوَاقِ[١]
فكأنما جَعل الإلهُ إليكُمُ قَبضَ النُّفوسِ وقِسْمةَ الأرزاقِ

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ ، قال : حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ ، عن أبى عبيدة قال :

كان يهوى أناهيد بنت الأعنق

٥ كان ابنُ مُفرِّغ يهوَى أناهِيدَ بنتَ الأعنق ، وكان الأعنَق دِهقاناً من الأهواز ، له ما بين الأهْواز وسُرَّقَ ومَناذِر والسُّوس ، وكان لها أخوات يقال لهنَّ : أسماء والجُمانَةُ ، وأخرى قد سقط اسمها عن دَماذ ، فكان يذكُرُهن جميعاً فى شعره ، فمن ذلك قولُه فى صاحبتِهِ أناهِيد من أبيات :

سِيرِى أناهِيدُ بالعَيْرَيْنِ آمنةً قد سلَّم اللهُ من قومٍ بهم طَبَعُ[٢]
١٠ [٣]لا بارك الله فيهم معشراً جُبُناً ولا سقى دارَهم قَطْراً ولا رُبِعوا
السارقين إذا جاءوا نَزِيلَهُمُ والأخبَثِين بطُوناً كلما شَبِعُوا
لا تأمَنَنَّ حِزامِيًّا نزلتَ به قوم لديهم تناهى اللُّؤمُ والضَّرَعُ
جاوِرْ بنى خَلَفٍ تَحْمَدْ جِوارَهُمُ الأعْظَمِينَ دفاعاً كلما دفعوا
والمطعِمين إذا ما شَتْوَةٌ أزِمَتْ فالناس شتَّى إلى أبوابهم شَرَعُ[٤]
١٥ هم خير قَومِهمُ إن حَدَّثوا صدقوا أو حاولوا النفعَ فى أشياعهم نفعوا
المانعين من المخزاة جارَهُمُ والرَّافعين من الأدنَيْنَ ما صَنَعُوا
انزِلْ بطلحةَ يوما إنّ مَنْزِلَه سَهلُ المباءة بالعلياء مرتفع[٣]

وفى أسماء أختها يقول :

(١) ف : « وأقام سوقاً للثناء ... تعد فى الأسواق » . (٢) الطبع : الشيْن والعيب .
٢٠ (٣ — ٣) التكملة من ف . (٤) يقال : الناس فى هذا شرع أى سواء .

تَعلَّقَ من أسماء ما قد تَعلَّقا ... ومثل الذى لاقَى من الحبّ(١) أرَّقا
وحَسبُكَ من أسماء نَأىٌ وأنها ... إذا ذُكِرتْ هاجَتْ فؤادًا مُعلَّقا
سَقى هَزِمُ الإرعادِ مُنبَجِسُ العُرَى ... منازلَها بالمَسْرُقانِ فَسُرَّقا(٢)
وتُسْتَرَ(٣) لا زالت خَصِيباً جنابُها ... إلى مَدْفَعِ السُّلَّانِ من بطن دَوْرَقا
إلى الكَوْثَجِ الأعلى إلى رامهُرْمُزٍ ... إلى قَرَياتِ الشَّيحِ من فوق سَفْسَقا(٤) ٥

رامهرمز : بلد من أعمال الأهواز معروف .

بِلادُ بنات الفارسيــــة إنَّها ... سقتنا على لَوْحٍ شراباً مُعَتَّقا(٥)

يترك زوجته عند أخواله ويذهب إلى محبوبته أناهيد

أخبرنى عمّى، قال : حدثنا الكُرانِيّ ، قال : حدثنا العُمَرِىّ ، عن الهيثم بن عدىّ . وأخبرنا هاشم بن محمد قال : حدثنا دَمَاذُ أبو غسَّان ، عن أبى عبيدة ، قالا :

لما فَصَلَ ابنُ مفرِّغ من عند معاوية ، نزَل بالمَوْصل على أخواله من آل ذى ١٠ العشراء من حمير ، قال الهيثم فى روايته : فزوَّجوه امرأةً منهم — ولم يذكُر ذلك أبو عُبَيْدة — فلما كان اليوم الذى يكونُ البناء فى لَيلَته ، خرج يتَصيَّدُ ومعه غلامه بُرد، فاذا هو بدهقان(٦) على حمار يبيع عِطراً وأدهاناً .فقال له ابنُ مفرِّغ : من أين أقبلت؟قال: من الأهواز ، قال : ويحك ! كيف خلّفت المَسرُقانَ وبَرْدَ مائه ؟ قال : على حاله . قال:ما فعلتْ دِهْقانَةٌ يقال لها أناهِيدُ بنت أعنق؟ قال : أصديقةُ ابنِ مُفرِّغ ؟ قال : ١٥ نعم ، قال : ما تَجِفُّ جفُونُها من البكاء عليه ، فقال لغلامه : أىْ بُرد ، أما تسمع ؟

(١) ف ، وشرح نهج البلاغة : «من الشوق» . وفى معجم البلدان : «من الوجد» .
(٢) معجم البلدان : «من مسرقان فسرقا» ، ومسرقان : نهر بخوزستان عليه عدة قرى . وفى ف : «بالمشرقان فشرقا » تصحيف. وسُرَّق إحدى كُوَر الأهواز . وفى شرح نهج البلاغة «منبعج الكلى» بدل «منبجس العرى» .
(٣) تستر : أعظم مدينة بخوزستان (ياقوت). ٢٠
(٤) ف : « إلى الكرج» . وفى شرح البلاغة : «إلى الشرف الأعلى...إلى قريات الشيخ من نهر أربقا ».
(٥) ف : «نبات» بدل «بنات» ، «وشرابا مروقا» بدل «شراباً معتقاً» .
(٦) ب ، مد ، ما : «بدهان».

قال : بلى . قال : هو بالرَّحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها ، فقال له بُرد : أكرمك القومُ وقاموا دُونك ، وزوَّجوك كريمتَهم ، ثم تصنع هذا بهم ، وتُقدِم على ابن زِياد بعد خلاصك منه من غير أمْرِه ولا عهْد منه ولا عقْد ! أبْقِ أيها الرجل على نفسك ، وأقِم بمَوْضعِك ، وابنِ بأهلِكَ ، وانظُر في أمرك ، فإن جَدَّ عزْمُك كنتَ حينئذ وما تختاره . قال : دَعْ ذا عنك ، هو بالرحمن كافر إن عَدَل[1] عن الأهواز ولا عرَّج على شيء غيرها ، ومضى لوجهه من غير أن يُعلِم أهلَه ، وقال قصيدته :

تَمَا[2] برقُ الجُمانة فاستَطارا ... لعلَّ البرقَ ذاك يَحور[3] نارا

قعدتُ له العِشاء فهاج شَوْقِي ... وذَكَّرَني المَنازِلَ والدِّيارا

دِيارٌ للجُمانة مُقفِراتٌ ... بَلِينَ وهِجْن للقَلْب ادِّكارا

فلم أملِك دُموعَ العَيْن مِنِّي ... ولا النَّفسَ التي جاشَت مِرارا

بسُرَّقَ فالقُرَى من صَهرتاجٍ[4] ... فدير الراهب الطلل القِفارا

فقلتُ لصاحبي : عرِّجْ قَليلاً ... نُذاكِرْ شوقَنا الدُّرسَ البَوارا

بآية ما غدَوْا وهُمُ جَميعٌ ... فكاد الصبُّ ينتَحِر انتحارا

فقال : بكَوْا لفقدك منذُ حِينٍ ... زمانا ثم إنَّ الحيَّ سارا

بدِجْلةَ فاستمرَّ بهم سَفِينٌ ... يَشُقُّ صُدُورُها اللُّجَجَ الغِمارا

كأن لم أغْنَ في العَرَصاتِ منها ... ولم أذْعَرْ بقاعَتِها صِوارا[5]

ولم أسمع غِناء من خَلِيل ... وصوتَ مُقَرْطَقٍ خَلَع العِذارا[6]

قال : فقَدِم البصرة فذُكِر لعُبَيْد الله بن زِياد مَقدمُه ، فلم يَعرِض له ، وأرسل

---

(١) ف : « إن عاج عن الأهواز » . (٢) ب ، ما ، مد : «سق». (٣) يحور : يرجع .

(٤) ب ، ما ، مد : «صهرياج» ، تصحيف ، وهي موضع بالأهواز . (معجم ياقوت) .

(٥) الصِّوار (بالضم ويكسر) : القطيع من البقر .

(٦) ف : « وصوت مقصب خلع العذارا » . والمقرطق : الذي يلبس القرطق ؛ وهو قباء ذو طاق واحد (معرب) .

إليه أن أقم آمنا ، فأقام بالبصرة أشهراً يختلف من البصرة إلى الأهواز ، فيزورُ أناهِيدَ ، ويقيم عندها .

ثم أتى عُبَيْدَ الله بن زياد فقال له : إنى امرؤٌ لى أعداء ، ولستُ آمنُ بعضَهم أن يقولَ شيئاً على لسانى يَحْفظ الأميرَ علىَّ ، وأُحِبّ أن يأذن لى أن أتنحَّى عنه ، فقال له : حُلَّ حيث شئت ، فخرج حتى قدم على شَرِيك بن الأعور الحارثىّ وهو يومئذ عاملُ عُبَيْد الله بن زياد على فارِسَ وكِرْمان ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم ، فقَدِم بها الأهواز فأعطاها أناهِيدَ .

ذهب إلى عبيد الله ابن أبى بكرة فأعطاه وأكرمه

أخبرنى أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدّثنا سُلَيمان بن أبى شيخ ، قال : حدثنى محمد بن الحكم ، عن عَوانة :

أنّ عُبَيْدَ الله بن أبى بَكْرة كتب إلى يزيدَ بن مُفرِّغ : إنى قد توجهت إلى سِجِستانَ فالحَقْ بى ، فلعلك إن قدِمتَ علىَّ ألاّ تندم ولا يُذَمّ رأيُك . فتجهَّزَ ابنُ مفرِّغ وخرج حتى قدم سِجِسْتانَ مُمْسِياً ، فدخل عليه فشغله بالحديث ، وأمر له بمنزل[1] وفَرْش وخدم ، وجعل يُطاوِلُه حتى علم أنه قداستَتمّ له ما أمر له به ، ثم صرفه إلى المنزل الذى قد هُيِّئ له ، ثم دَعا به فى اليوم الثانى فقال له : يا بن مُفرِّغ ، إنّكَ قد تجشَّمتَ إلىّ شُقّة بعيدة ، واتّسع لك الأملُ فرحلتَ إلىّ لأقضىَ عنك دَيْنَك ولأُغْنِيَك عن الناس ، وقلتَ : أبو حاتم بسِجِسْتان فَمَنْ لى بالغِنى[2] بعده ! فقال : والله ما أخطأتَ أيُّها الأمير ما كان فى نَفْسى ، فقال عُبَيْدُ الله : أما والله لأفعلنّ ولأقِلَّنّ[3] لبثك عندى ، ولأُحسِنَنّ صِلتَك ، وأمر له بمائة ألف دِرْهم ، ومائةَ وَصيفة[4] ومائةَ نَجِيبة ،

(١) ف : «وأمر له سراً بمنزل وفرش» .

(٢) ب : «بالغناء» .

(٣) ب ، مد : « ولأقيمن لبثك» .

(٤) ف : « ومائة وصيفة ومائة وصيف ، ومائة نجيبة ... » .

وأمرَ له بما يُنفقه إلى أن يبلغ بَلده سوى المائة الألف، وبمَنْ يكفيه الخِدْمةَ من غِلْمانه وأعوانه[1]، وقال له: إن من خِفَّة السَّفر ألاّ نهتمّ بخُفٍّ ولا حافرٍ، وكان مقامُه عنده سبعةَ أيّام.

ثم ارتحل وشيَّعه عُبَيدُ الله[2] إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زالِقُ، ثم قال له: يا بن مفرّغ، إنه ينبغى للمودِّع أن ينصرف، وللمتكلِّم أن يسكُت، وأنا مَنْ قد عرَفت، فأبْقِ على الأمل وحُسْن ظنّك بى ورجائكَ فىّ، وإذا بدا لك أنْ تَعودَ فعُدْ، والسلام.

قال: وسار ابنُ مُفرِّغ حتى أتى رامَهُرْمُزَ، فنزل بقرْية[3] أبجَر، فنزلَت إليه بنتُ الأبجر فقالت: يا بن مفرّغ، لمنْ هـذا المـال؟ قال: لابنة أعنق دهقانة الأهواز، وإذا رسولها فى القافلة بكتابها: إنك لو كنتَ على العهد الأول لتعجّلت إلىّ ولم تسـاير ثُقَلَك، ولكن قد علمتُ أن المـال الذى أعطاكه عُبَيدُ الله قد شغلك عنّى، قال: فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً، وقد قال لابنةِ أبجر فى جواب قولها له:

حَبانى عُبيْدُ الله يا بنةَ أبجرٍ ... بهـذا، وهـذا للجُمانة أجْمعُ
يَقَـرّ بعيني أن أراهـا وأهلَها ... بأفضل حالٍ ذاك مرْأًى ومَسمَعُ
وخَـبرْتُها قالت: لقد حال بَعدنا ... فقد جعلت نفسى إليها تَطَلّعُ
وقلتُ لهـا لمّا أتانى رسولُها ... وأىُّ رَسـولٍ لا يضرُّ وينفعُ
أُحبُّك ما دامتْ بنَجْد وشيجةٌ[4] ... وما رُفِعت يوما إلى الله إصبعُ
وإنى مَـلىء يا جُمـانةُ بالهـوَى ... وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقْنِعُ

(١) ف: «من غلمانه ومواليه».
(٢) ف: «عبيد الله بن أبى بكرة».
(٣) ف: «بقلعة أبجر».
(٤) الوشيجة: عرق الشجرة.

قال : فلما انتهت رُسُل عُبَيْد الله بن أبى بكْرة معه إلى الأهواز قالوا له : قد بلغنا حيث أُمِرنا ، قال : أجل ، ثم أمر ابنةَ أعنَق أن تَفْتح الباب وقال لها : كلُّ ما دَخل دارَك فهو لك .

يمدح عبيدالله بن أبى بكرة

وأقام بالأهواز ، ودَعا نُدماء كانوا له مِن فِتْيان العَرب فلم يبق ظَريفٌ ولا مُغَنّ إلا أتاه ، واستَماحه جماعةٌ قَصدُوه من أهل البَصْرة والكوفة والشّام فأعطاهم ، ولم يُفارق أناهيدَ ومعه شئٌ من المالِ ، وجعل القومُ يَسألونَه عن عُبَيْد الله بنِ أبى بكْرة وكيف هو وأخلاقه وجوده فقال :

يُسائلُنى أهلُ العِراق عن النَّدَى ... فقلتُ : عُبَيْدُ اللهِ حِلْفُ المكارِمِ

فتى حاتِمِىٌّ فى سِجِستانَ رَحله ... وَحسبُك جُوداً أن يكون كحاتِمِ

سَما لِينالَ المكْرُماتِ فنالَها ... بِشِدّة ضِرْغام وَبَذْلِ الدّراهِمِ

وحِلْمٍ إذا ماسَوْرةُ الحقْدِ[1] أطلَقت ... حُبَا القَوْم عند الفادِح المُتفاقِمِ

وإنّ له فى كلِّ حىٍّ صَنيعةً ... يُحدِّثها الرُّكبانُ أهلَ المَواسِمِ

دَعانى إليه جودُه وَوفاؤه ... ومنْ دون مَسراه عُداةُ الأعاجِمِ

فلم أبْقَ إلا جُمْعةً فى جِوارِه ... ويَوْمَيْنِ حلاً من ألِيَّةِ آثِمِ[2]

إلى أن دَعانى زَانَه اللهُ بالعُلاَ ... فأنبَت رِيشى من صَميم القَوادِمِ[3]

وقال : إذا ما شئتَ يا بنَ مُفرِّغ ... فعُدْ عودةً ليست كأضغاثِ حالِمِ

فقلتُ له ـ لا يُبعدِ اللهُ دارَه ـ : ... أعودُ إذا ما جئتُكم غيرَ حاشِمِ

وأحمدْتُ وِرْدِى إذْ وردتُ حِياضَه ... وكلُّ كريم نُهزَةٌ[4] للأكارِمِ

(١) ف ، المختار : « سورة الجهل » . وسورة الحقد : حدته وشدته .

(٢) الألية : القسم . وفى ف ، المختار : « فلم أثْو » بدل : « فلم أبق » .

(٣) ف ، المختار : « فأنبت من ريشى مهيض القوادم » . (٤) النهزة : الفرصة .

فأصبح لا يرجو العِراقُ وأهلُه ... سِواه لنفع أو لِدَفع العظائم
وإنّ عُبيدَ الله هنّأ رفدَه ... سَرَاحا وأعطى رفدَه غيرَ غانم[1]

وقال الهيثم فى خبره : كان عَمرُو بنُ مُفرِّغ ، عمُّ يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، رجلا له جاه وقَدْر عند السُّلطان ، وكان ذا مال وثروة ، وذا دِين وفَضْل وصَلاح ، فكان يُعنِّف ابنَ أخيه فى أمر أناهيدَ عَشيقته ، ويعذِله ويُعيِّره بها ، فلما أكثر عليه أتاه يوما فقال له : ياعمّ ، جُعِلتُ فداك ، إنّ لى بالأهْواز حاجةً ، ولى على قوم بهـا نحوٌ من ثلاثين ألفَ دِرْهم قد خفتُ أن تَتْوَى[2] علىّ ، فإن رأيتَ أن تتجشَّم العَناء معى إليها حتى تطالبَ لى بحقى ، وتُعينَنى بجاهك على غُرمائى . وكان عَمرُو بن مُفرِّغ قد استَخلفه ابنُ عبّاس عليها ؛ إذ كان عاملَ أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب صلوات الله عليه وعلى آله على البصرة ، وكان عاملَ الأهواز — حين سأل ابنُ مُفرِّغ عمَّه أن يخرج معه — ميمونُ بنُ عامر أخو بنى قيس بن ثعلبة الذى يقال لدراهمه اليوم الميمونية[3] . فلم يزل ابنُ مفرِّغ بعمه حتى أجابه إلى الخرُوج فاستأجر سَفينة وتوجّه إلى الأهواز ، وكتب إلى أناهيد أن تَهيَّئى وتزيَّنى بأحسن زينتك ، واخرُجى إلىّ مع جواريك فإنى موافيك ، ومنزلُها يومئذ بين سُرَّق ورامهُرْمز .

يخدع عمه فى أناهيد

فلمـا نزلوا منزلها خرجَتْ إليهم ، وجلست معهم فى هَيئتها وزيّها وحُليّها وآلتهـا ، فلما رآها عمُّه قال له : قبّحك الله ! أفهلاّ إذ فعلتَ ما فعلتَ كنت عَلِقت مثل هذه ![4] فقال : ياعمّ ، أوقد أعجبتك ؟ فقال : ومن لا تعجبه هذه[4] قال : أَجِدٌّ هذا منك ؟ قال : نعم والله ، قال : فإنها والله هذه بعينها ، فقال : يا خبيث إنما أشخصتَنى لهذا ، يا غلام ارحَلْ بنا . فانصرف عمُّه إلى البصرة

(١) هنّأ رفده : أكثره . وفى المختار : « غير عاتم » أى غير كافّ عنه بعد أن مضى فيه .
(٢) تتوى : تذهب وتهلك . (٣) ب : «المأمونية» . (٤-٤) تكملة من ف .

وأقام هو معها ، ولم يزل يتردّد كذلك حتى مات فى الطاعون فى أيام مصعب ابن الزبير .

لزوم غرمائه له لديون ركبته واحتياله لقضائها

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهرىّ وحبيب بن نَصْر المُهَلّبىّ قالا : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا القَحذمىّ قال :

لزم يزيدَ بنَ مُفرّغ غُرماؤه بدَيْن ، فقال لهم : انطلقوا نَجْلس على باب الأمير ، عسى أن يَخْرجَ الأشرافُ من عنده فيَرَوْنى فيَقْضوا عنّى ، فانطلقوا به ، فكان أوّل مَنْ خَرج إما عُمَرُ بنُ عبيد الله بن مَعْمَر وإما طلْحةُ الطَّلحات ، فلما رآه قال : أبا عُثمان ، ما أقْعدَك ها هنا ؟ قال : غرمائى هؤلاء لزمونى بدَيْن لهم علىّ ، قال : وكم هو ؟ قال : سبعون ألفاً ، قال : علىّ منها عَشرةُ آلاف درهم .

ثمّ خرج الآخرُ على الأثر ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقال : هل خَرَج أحدٌ قبلى ؟ قالوا : نعم ، فلان ، قال : فما صنع ؟ قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم ، قال : فعلىَّ مثلُها .

قال : ثمّ جعل الناس يَخْرُجون ، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك ، حتى ضَمِنوا أربعين ألفاً[1] .

ابن أبى بكرة يقضى دينه فيمدحه

وكان يأمل عُبَيدَ الله بن أبى بكرة ، فلم يخرج حتى غربت الشمس ، فخرج مبادراً ، فلم يَره حتى كاد يبلغ بيتَه ، فقيل له : إنك مررتَ بابْنِ مُفرّغ ملزوماً[2] ، وقد مرَّ به الأشرافُ فضَمِنوا عنه ، فقال : واسَوْأتاه ! إنّى أخاف أن يظُنّ أنّى تغافَلْتُ عنه ، فكرَّ راجعاً ، فوجده قاعداً ، فقال له : أبا عُثمان ما يجلسك هاهنا ؟ قال : غرمائى هؤلاء يلزموننى ، قال :

(١) ف : « أربعين ألف درهم » .
(٢) لزم المال فلاناً : وجب عليه ، فهو ملزوم .

كم عليك ؟ قال : سبعون ألفاً ، قال : وكم ضُمِن عنك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قال : فاستَمتِعْ بها وعلىّ دَيْنُك أجمع ، فقال فيه يخاطب نفسه :

لو شئتِ لم تَعْنَىْ ولم تَنْصَبِى ... عِشْتِ بأسبابِ أبى حاتِم

عِشْتِ بأسباب الجَواد الذى ... لا يَخْتِمِ الأموالَ بالخاتِمِ

من كفّ بُهلولٍ له عُدّةٌ[1] ... ما إن لمَن عاداه من عاصِمِ

المُطعِمِ النّاسَ إذا حاردتْ ... نكباؤها فى الزّمن العارم[2]

والفاصِلِ الخطة يوم الّلجا ... للأمر عند الكُرْبةِ الّلازم

جاورتُه حيناً فأحمَدْتُه ... أُثنى وما الحامدُ كالّلائم

كم من عدُوٍّ شامتٍ كاشِحٍ ... أخزيْتَه يوماً ومن ظالِمِ

أذقْتَه الموتَ على غِرّةٍ ... بأبيضَ ذى رَوْنَقٍ صارِمِ

٧٣ / ١٧

بُدَيح يغنى شعراً لابن مفرغ فيصله ويكسوه

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ ، قال : حدّثنى حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

قدم بُدَيح[3] الكُوفة ، فغَنّى بها دهراً ، وأصاب مالاً كثيرًا ، ثمّ خرَج إلى البصرة ، ثمّ أتى الأهواز ، ثمّ عاد إلى البَصرة ، فصَحِب ابنَ مُفرّغ[4] فى سفينة حتى إذا كان فى نهر مَعْقِل تغنّى وهو لا يعرفُ ابنَ مُفرّغ بقوله :

(١) البهلول : السيد الجامع لصفات الخير . وفى ب : « له غُرّةٌ » .

(٢) حاردت السنة : قلّ مطرها . والنكباء : ريح انحرفت عن مهابّ الرياح . والزمن العارم : الشديد .

(٣) ب : « بدوى » .

(٤) ف : « ابن مفرغ الحميرى » .

سَمَا برقُ الُجمانة فاستطارا   لعلّ البرقَ ذاك يعودُ نارا[1]

قال : فَطرب ابنُ مُفرّغ وقال : يا مَلاَّح ، كُرّ بنا إلى الأهواز ، فكرّ وهو يُغنِّيه ، ثمّ كَرّ راجعاً إلى البصرة ، وكرّوا معه ، وهو يُعيد هذا الصوت . قال : ووصل ابن مُفرّغ بُدَيْحاً[2] وكساه .

(١) ف : «يحور نارا» . (٢) ب : «بدويا» .

صـوت

رَضِيتُ الهَوى إذ حَلَّ بي مُتَخَيَّراً ندِيماً وما غَيرِي له من يُنادِمُهْ
أُعاطِيه كأْسَ الصَّبرِ بَيني وبينَه يُقاسِمُنِيها مرّةً وأُقاسِمُهْ

يقال : إنّ الشعر لبشّار، والغنـاء للزُّبير بن دَحْمان، هزج بالوسطى عن الهشامىّ وأحمد بن المكّىّ .

أخبار الزبير بن دحمان

قدم على الرشيد من الحجاز والمغنون حزبان

قد مضت أخبارُ أبيه ، ونسبُه وولاؤه فى متقدّم الكتاب ، وكان الزُّبيرُ أحدَ المُحسنين المُتقِنين الرّواة الضُّرّاب ، المتقدّمين فى الصَّنْعَة ، وقدِم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنون فى أيّامه حِزْبين : أحدُهما فى حِزْب إبراهيم المَوْصِلىّ وابنه إسحاق ، والآخر فى حزْب ابن جامِع وابن المَهْدِىّ ، وكان إبراهيمُ بنُ المَهدِىّ أوْكَدَ أسبابِ هذا التَّحزُّب والتَّعصُّب لِما كان بَيْنه وبين إسحاق[1] وكان الزبيرُ ابن دَحمان فى حِزب إسحاق ، وأخوه عبيد الله فى حِزب إبراهيم بن المهدى[1] .

يغنى الرشيد من غناء المتقدمين فيفضل أخاه

فأخبرنى محمدُ بنُ مزيد قال : حدَّثنى حمَّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه قال :

لما قَدِم الزُّبيرُ بنُ دَحْمان على الرَّشيد من الحجاز ، قَدِم رَجُلٌ ما شئْتَ من رَجُلٍ؛ عَقْلاً ونُبْلاً ودِيناً وأدباً وسُكُوناً ووَقاراً ، وكان أبُوه قبله كذلك ، وقدم معه أخُوه عُبَيْد الله[2] ، فلماوصلا إلى الرشيد ، وجلسا معنا ، تَخيَّلتُ فى الزُّبيْر الفَضل فقلت لأبى : يا أبتِ ، أخْلِقْ بالزُّبير أن يكون أفضلَ من أخيه ، فقال : هذا لا يَجىء بالظَّنّ والتَّخَيُّل[3] ، والجَوادُ إنَّما يُمتَحن فى الميدان ، فقلت له:فالجوادُ عينه فِرارُه[4] ، فضَحِك وقال : نَنظُر فى فِراسَتِك ، فلما غنَّيا بان فَضْلُ الزُّبَير وتَقدُّمه ، فاصْطَفاه أبِى واصْطَفَيْتُه لأنفسنا ، وقرَّظْناه[5] ووَصَفْناه ، وصار فى حيِّزنا. وغنَّى الرَّشيدَ غِناء

(١-١) التكملة من ف .

(٢) ب : « عبد الله » .

(٣) المختار : « والتخمين » .

(٤) المثل « إن الجواد عينه فراره » فى مجمع الأمثال بترتيب الكرمانى - ٣٧ ط طهران،وجاء فيه : الفرار - بالكسر - النظر إلى أسنان الدابة ليعرف قدر سنه ، وهو مصدر ، ومنه قول الحجاج : فررت عن ذكاء ، ويروى فراره - بالضم - وهو اسم منه ؛يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه فيُغنى عن الاختبار حتى لقد يقال : إن الخبيث عينه فراره .

(٥) ف : « وقرّبناه» .

كثيرا من غناء المُتَقَدِّمين فأجادَ وأحسَن ، وسأله الرَّشيدُ أن يُغَنِّيَه شيئا من صَنْعَتِه ، فالتَوَى بعضَ الالتواء وقال : قد سمع أميرُ المؤمنين غناء الحُذَّاق من المتقدمين وغناء مَنْ بحضْرته مِن خَدَمه ، ومَنْ وَفَدَ عليه من الحجازِيّين ، وما عسى أن يأتِيَ من صَنْعَتِي ؟ فأقسم عليه أن يُغَنِّيه شيئا من صَنْعَتِه ، وجَدَّ به فى ذلك ، فكان أولَ صوتٍ غَنَّاه منها :

الرشيد يستعيده صوتاً من صنعته ثلاث مرات

صوت

٧٤ / ١٧

ارحَلاَ صاحِبَيَّ حانَ الرَّحِيلُ وابكِيانِي فليس تبْكِي الطُّلُولُ
قد تولَّى النَّهارُ وانقضتِ الشَّمْسُ يَمِيناً وحان منها أُفولُ

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل .

قال :

فسمعتُ واللهِ صَنْعَة حَسنة مُتْقَنة لا مَطْعَن عليها ، فَطرِب الرَّشيدُ واستعادَه هذا الصوتَ ثلاثَ مرَّات ، وأمر له بثلاثين ألف درْهم ، ولأخيه بعِشرين ألف درهم . ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا ، وانحاز عُبَيْد الله[1] إلى جنبة إبراهيم ابن المهديّ ، فكان معه . قال حمّاد : فقلتُ لأبي : كيف كانت صَنْعة عُبَيْدالله[1] ؟ قال : أنا أُجمِل لك القَول ، لو كان زبير مملوكا لاشترَيْتُه بعِشرين ألف دِينار ، ولو كان عُبَيْد الله مملوكا ما طابت نَفسى على أن أشتَرِيَه بأكثر من عشرين دينارا ، فقلت : قد أجبْتَنِي بما يكْفِينِي .

يغنى الرشيد بشعر مدحه به

حدثَّنِي رضوان بنُ أحمد الصَّيْدلانِيّ قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو إسحاق إبراهيم بنُ المَهدِيّ، ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أنَّ الرَّشيد كتب فى إشْخاصِ الزّبَير بن دَحْمانَ إلى مدينة السَّلام[2]، فوافاها واتَّفق قُدومُه فى وقت خروج[3] الرَّشيد إلى الرَّيّ لمحاربة بِنْدارهُرْمُز أصبهبد طَبَرِسْتان، فأقام الزُّبيرُ بمدينة

(١) ب : «عبد الله» . (٢) مدينة السلام هى بغداد . (٣) ب : «يخرج الرشيد ..» .

السَّلام إلى أنْ دَخَل الرَّشيد ، فلما قدم دخل عليه بالخَيْزُرانَة[1] ، وهو الموضع الذى يعرف بالشمَّاسِيَّة[2] ، فغنَّاه فى أول غنائه صوْتا فى شعْر قاله هو أيضا فى الرَّشيد مدَحه به ، وذكر خُرُوجه إلى طبرستان وهو :

صــوت

ألاَ إنَّ حِزْبَ الله ليس بمُعْجِزٍ   وأنصـــارُه فى مَنْعَة المُتَحرِّزِ ٥
أَبَى اللهُ أن يُعْصَى لِهارُونَ أمرُه   وذَلَّت له طَوْعاً يَدُ المُتَعزِّزِ
إذا الرَّايَةُ السَّوداءُ راحتْ أو اغْتَدتْ   إلى هاربٍ منهـــا فليس بمُعْجِزِ
لَطاعَتْ لِهارُونَ العُداةُ لدى الوغا   وكَبَّر للإِســلام بنــدارُ هُرْمُزِ[3]

لم أجِدْ هذا الصَّوتَ منسوبا فى شىءٍ من الكُتُب إلاّ فى كتاب بَذْل ، وهو فيه غير مُجنس . ١٠

وذكر إبراهيمُ بنُ المَهْدِى أنَّ الشِّعْر للزُّبَيْر بنِ دَحْمان ، وهذا خطأ ؛ الشِّعْر لأبى العَتاهِيَة وهو موْجود فى شِعْرِه من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد .

قال أبو إسحاق : فاستَحسَن الرَّشِيدُ الشِّعْرَ والغِناء ، وأمَر له بألْفِ دِينار فدُفِعَت إليه ، ومكث ساعة ثم غَنَّى صوتا ثانيا وهو :

صــوت ١٥

وأحورَ كالغُصْن يشْفِى السَّقامَ   ويَحكِى الغَزالَ إذا مارَنا
شَرِبتُ المُدامَ على وَجْهِه   وعاطَيْتُه الكأسَ حتى انْثَنَى
وقُلتُ مَدِيحــاً أُرَجِّى به   من الأجْرِ حَظًّا ونَيْلَ الغِنَى
وأعنِى بذاك الإمامَ الذى   بــه اللهُ أعطى العِبــادَ المُنَى

(١) ف : «الخيزرانية» . ٢٠
(٢) الشماسية: منسوبة إلى بعض شماسى النصارى ، وهى مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد . « معجم ياقوت » .
(٣) ف : « أطاعت .. لدى الوغا * وكفّر للإسلام » .

لحن هذا الصوت ثانى ثقيل مطلق .

قال : فما فرَغ من الصوْت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبَضه ، وخَفّ على قَلْبِه واستَظرفَه ، فأغناه فى مُدّة يَسيرة من الأيّام .

يغنى الرشيد بشعر يزيد ندمه على ما فعله بالبرامكة

أخبرنى عيسَى بنُ الحُسَيْن الورّاق ، قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبِى سَعْد قال : حدثنى أبو توبة ، عن القطرانىّ ، عن محمد بن حبيب قال :

٧٥
١٧

كان الرّشيد بعد قَتْله البرامكة شديدَ الأسفِ عليهم ، والتّندُّم على ما فعَله بهم ، ففَطِن لذلك الزُّبَيْرُ بنُ دَحْمان ، فكان يغنّيه فى هذا المعنى ويُحرّكه ، فغنّاه يوما والشعر لامرأة من بَنى أسَد :

مَنْ للخُصومِ إذا جدّ الخِصامُ بهم ... يومَ النِّزال ومَنْ للضُّمَّر القُودِ[1]

وموقفٍ قد كَفيتَ النّاطِقين به ... فى مَجْمَعٍ من نَواصِى النّاسِ مَشْهودِ[2]

فَرّجتَه بلسان غيرِ مُلْتَبِسٍ ... عند الحِفاظ وقولٍ غيرِ مردودِ[3]

فقال له الرّشيد : أعِدْ ، فأعاد ، فقال له : ويحك! كأنّ قائلَ هذا الشّعر يَصِف به يَحْيَى بنَ خالد ، وجعفرَ بنَ يَحْيى . وبَكَى حتى جرَت دُموعُه ، ووصَل الزُّبيرَ صِلةً سَنِيّةً .

أخبرنى الحُسَيْن بنُ يَحْيى ، عن حماد قال :

إسحاق يفضّل الزبير على أبيه وأخيه فى الغناء

كان أبى يقول : ما كان دَحْمان يُساوى على الغناء أربَعمائة دِرْهم ، وأشبهُ خَلْق الله به غناء ابنه عبيد الله ، وكان يُفضّل الزبيرَ بن دحمان على أبيه وأخيه[4] تفضيلا بعيدا . وفى الزبير يقول إسحاقُ وله فيه غناء وهو :

(١) ف . «يوم الجدال» بدل «يوم النزال» والقود جمع أقود ، وهو من الخيل الذلول المنقاد ، أو الشديد العنق لقلة التفاته .

(٢) نواصى الناس : أشرافهم والمتقدمون منهم .

(٣) ف : «بلسان غير مشتبه» . وفى المختار ، ف . «وقول غير مزءود»

(٤) ب . «وإخوته» .

صـــوت

أسعِدْ بدَمْعك يا أبا العَوَّامِ صَبًّا صريعَ هَوًى ونِضْوَ سقامِ
ذَكَرَ الأحبَّةَ فاستُجِنَّ وهاجه للشوق نوحُ حَمامةٍ وحَمامِ
لم يُبدِ مافى الصَّدْر إلّا أنّه حيَّا العِراقَ وأهلَه بسـلامِ
ودَعاه داعٍ للهوَى فأجابَه شَوقاً إليـه وقادَه بزِمامِ ٥

الشّعر والغِناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرّقّة مع الرّشيد يتشوّق إلى العراق .

إسحاق يغنى الرشيد بالرقة شعرا يحن فيه إلى بغداد

أخبرنى عمّى قال : حدثنى علىّ بن محمد بن نصر قال : حدّثنى جدّى حَمْدون[1] ابن إسماعيل قال : قال لى إسحاق :

كنّا مع الرشيد بالرّقّة ، وخرج يوما إلى ظَهْرها يَصيد[2] ، وكنتُ فى موكبه أسايرُ ١٠ الزُّبَير بنَ دَحْمان فذكّرنى بغدادَ وطِيبَها وأهْلِى وإخوانى وحُرَمِى فتَشوّقتُ لذلك شَوْقاً شديداً ، وعَرض لى هَمٌّ وفِكْرٌ حتى أبْكانى ، فقال لى الزُّبير : مالك يا أبا محمد ؟ فشكَوتُ إليه ما عَرَض لى ، وقلت :

أســعِدْ بدَمْعِكَ يا أبا العَوَّامِ صَبًّا صريعَ هَوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقى الأبياتِ ، وعلمت أن الخبَر سيَنْمِى إلى الرشيد ، فَصَنعتُ فى ١٥ الأبياتِ لحنا ، فلما جلس الرَّشيدُ للشُّرْب ابتَدأْتُ فغَنَّيتُه إياه ، فقال لى : تشوّقْتَ واللهِ يا إسحاق وشوّقتَ وبلغْتَ ما أردْتَ ، وأمَر لى بثلاثين ألفَ دِرْهم ، وللزُّبيرِ بعِشْرين ألفاً ، ورحَل إلى بغداد بعد أيّام .

أخبرنى يَحْيى بنُ علىّ بنِ يحيى المُنَجّم قال : أخبرنى أبى قال : قال لى إسحاق ،

(١) ب : «جدى عن حمدون بن إسماعيل» . (٢) ف : « يتصيّد » . ٢٠

الفضل بن الربيع يغضب من إسحاق

وأخبرنى به الحسن بنُ علىّ قال: حدَّثنا عبدُ الله بن عمرو[1] بن أبى سَعْد قال: حدَّثنى محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال:

جاءنى الزُّبَيْر بنُ دَحْمان ذات يوم مُسَلِّما، فاحتبسته فقال: قد أمرنى الفَضْل ابنُ الرَّبيع بأن أصيرَ إليه فقلت:

٥ أقِمْ يا أبا العَوَّامِ وَيْحك نَشْرَبُ ... ونَلْهُو مع اللاَّهين يوما ونَطربُ

إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خَيرُه ... فخُذْه بشُكْرٍ واترك الفَضْلَ يَغْضبُ

٧٦/١٧

قال: فأقام عندى فشربنا باقى يومنا، ثم سار[2] الزُّبَيْر إلى الفَضْل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدَّثه بالحديث، وأنشده الشعر، فغضب وحوَّل وجهه عنِّى، وأمر عَوْناً حاجبَه ألاَّ يُدْخِلنى اليوم ولا يستأذن لى عليه، ولا يُوصِلُ لى رُقعة إليه، قال: فقلت:

١٠ حَرامٌ علىَّ الكأسُ ما دُمْتَ غَضْبانا ... وما لم يَعُد عنِّى رِضاكَ كما كانا

فأحسِنْ فإنِّى قد أسأتُ ولم تَزَل ... تُعَوِّدُنى عند الإساءة إحسانا

قال: وأنشدته إياهما، فضحك ورضى عنّى، وعاد لى إلى ما كان عليه.

وأخبرنى الحسين[3] بن يَحْيَى، عن حمّاد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران[4] وزاد فيه: وقلت فى عَوْن حاجبه:

١٥ عونُ يا عونُ ليس مثلَك عَوْنُ ... أنتَ لى عُدَّةٌ إذا كان كَوْنُ

لكَ عندى والله إن رَضِىَ الفَضْـ ... ـلُ غُلامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْنُ

فأتى عونٌ الفَضْلَ بالشِّعْرَيْن جميعاً، فلما قرأهما ضحك وقال له: ويلك إنما عَرَّض لك بقوله: «غُلامٌ يرضيك» بالسَّوْأة، فقال: قد وعدنى ما سمعتَ، فإن شئتَ أن تَحْرِمنيه فأنتَ أعلم، فأمره أن يُرسل إلىّ وأتانى رسولُه، فصرت إليه ورَضى عنِّى.

٢٠ (١) ف: «عبد الله بن عمر».
(٢) ف: «صار».
(٣) ب: «الحسن بن يحيى».
(٤) ب: «الآخر».

إسحاق والزبير يحكمان حبشيا فى غنائهما

أخبرنى الحسَنُ بنُ علىّ قال : حدّثنى عبدُ الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد ابن عبد الله بن مالك قال : حدّثنى إسحاقُ قال :

كان عندى الزُّبَير بن دَحْمان يوما ، فغنَّيت لحن أبى[1] :

أَشاقَك من أرض العِراق طُلُولُ تَحَمَّل منها جِـيرَةٌ وحُمولُ !

فقال لى الزُّبَير : أنت الأستاذ وابن الأُستاذ السيد ، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنِّيه أحسن ، فقلت له : والله إنى لا أُحِبُّ أن يكون ذلك كذلك[2] فَغضِب وقال : فأنا والله أحسنُ غِناء منك . وتلاحَيْنا طويلا، فقلتُ له : هلُمَّ نخرج إلى صحراء الرَّقّة ، فيكون أكلُنا وشربُنا هناك ، ونَرْضَى فى الحكم بأول من يَطلُع علينا ، قال : أفعلُ . فأخرجنا طعامَنا وشرابَنا وجلَسنا نشرب على الفُراتِ ، فأقبلَ حَبَشِىٌّ يحفِر الأرض بالبال[3] ، فقلت له : أترضى بهذا ؟ قال : نعم، فدعوْناه فأطعمْناه وسقَيْناه ، وبدرنى الزبير بالغناء ، فغنَّى الصوت ، فطَرِب الحبَشِىُّ وحرّك رأسَه حتى طمع الزبير فىّ ، ثم أخذت العود فغنيته فتأملنى الحبشىُّ ساعة ثم صاح : وأىّ شيطان هوه ! ومدّ بها صوته ، فما أذكُر أنى ضَحِكت مثلَ ضَحِكى يومئذ ، وانخزَل الزُّبَير .

نسبة هذا الصوت

صـوت

شعر لأبى العتاهية يمدح به الفضل ابن الربيع وفيه غناء

أَشاقَك من أرضِ العِراق طُلُولُ تحمَّل منها جِيرة وحُمولُ !
وكيف ألذُّ العيشَ بعد مَعاشرٍ بهم كنتُ عند النّائبات أَصولُ !

الشعر لأبى العتاهية ، والغِناء لإبراهيم ثَقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر ، عن أحمد بن المكّىّ ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى .

وهذان البيتان من قصيدة مَدَح بها أبو العَتاهية الفَضْلَ بن الرَّبيع ، قال : أنشَدَنيها

---

(١) ب : «لحن إسحاق» . (٢) ب : « والله إنى لأحب » .
(٣) البال : مايعتمل به فى أرض الزرع . وفى ب : « بالناب » .

٧٧
١٧

عبدُ الله بن الرَّبيع الربيعىّ ، قال : أنشدنيها أبو سُوَيد عبدُ القَوِىّ[1] بنُ محمد بن أبى العَتاهِية لجدّه يمدحُ الفَضلَ بن الربيع ، وإنما ذكرتُ ذلك هاهنا لأنَّ من الناس من يَنْسُبُهما إلى غيره ، فذكرتُ الأبياتَ الأول ، وفيها يقولُ فى مدح الفَضْل بن الرَّبيع :

قبائلِ مِنْ أقصَى وأدْنَى تجمّعَتْ ... فهُنّ على آلِ الرَّبيع كلولُ

تمرُّ رِكابُ السَّفْرِ تُثْنِى عليهمُ ... عليها من الخيرِ الكثيرِ حُمولُ

إليكَ أبا العبَّاس حنَّتْ بأهلِها ... مغانٍ وحنَّت ألسنٌ وعُقولُ

وأنت جَبينُ المُلكِ بل أنتَ سَمعُهُ ... وأنت لِسانُ المُلْك حين تَقولُ

وللمُلك مِيزانٌ يَداكَ تُقيمُه ... يزول مع الإحسان حيث يَزُول

الرشيد يرضى عن أم جعفر بعد أن سمع غناء الزبير من شعر ابن الأحنف

حدثنى الصُّولىُّ قال : حدثنى المُغيرةُ بنُ محمد المهلَّبىّ ، قال : حدَّثنا الزُّبَيْر قال : حدثنى رجل من ثَقِيف ، قال :

غضب الرشيد على أمّ جَعفَر ، ثم ترضَّاها فأبَت أن تَرْضَى عنه ، فأرِق ليلتَه ثم قال : افرِشُوا لى على دِجْلة ، ففعلوا ، فقعد يَنظرُ إلى الماء وقد رأى زِيادةً عَجيبة ، فسمع غِناء فى هذا الشعر :

صوت

جَرَى السيلُ فاستبْكانِىَ السَّيْلُ إذ جرَى ... وفاضَت له من مُقْلَتَىَّ غُرُوبُ

وما ذاكَ إلاّ حين خُبِّرتُ أنّهُ ... يمُرُّ بوادٍ أنت منه قَريبُ

يكونُ أُجاجاً ماؤه فإذا انتَهى[2] ... إليكم تَلَقَّى طِيبَكم فيطِيبُ

فياساكِنِى شَرْقِىّ دِجْلة كُلُّكم ... إلى القَلْب من أجل الحَبيب حَبيبُ

(١) ف : « عبد العزيز » .
(٢) ف : « يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى » .

الشعر للعَبّاس بن الأحنف، والغناء للزُّبَير بن دَحْمان، خفيف رمل بالوسطى، عن المشامى.

فسألَ عن النّاحية التى فيها الغِناء فقيل : دارُ ابنِ المُسَيَّب ، فبعث إليه أن ابعَثْ بالمُغَنّى، فإذا هو الزُّبَير بنُ دَحْمان ، فسأله عن الشعر فقال: هو للعَبّاس بن الأحنَف ، فأحضِر واستَنْشَدَه ، فأنشده إياه ، وجعل الزُّبَير يُغَنّيه وعبّاس يُنشده ، وهو يَسْتَعيدُهما ، حتى أصبح ، وقام فدخَل إلى أمّ جعفر ، فسألتْ عن سبب دخوله ٥ فعرَّفَتْه ، فوجَّهتْ إلى العَبّاس بألفِ دِينار ، وإلى الزُّبَير بألف دينارٍ أخرى .

الرشيد يفضل لحنه على عشرين لحنا صنعها زملاؤه

أخبرنى عمّى ، قال : حدَّثنى علىُّ بنُ محمد ، عن جدِّه حَمْدون قال :

تشوَّق الرَّشيد بغدادَ وهو بالرَّقّة ، فانحدر إليها ، وأقام بها مدّة ، وخلّف هناك بعضَ جواريه ، وكانت حَظِيَّةٌ له فيهن خلَّفها لِمُغاضَبةٍ كانت بينه وبينها ، فتشوَّقها تَشَوُّقاً شديداً ، وقال فيها : ١٠

صوت

سَلامٌ على النّازح المُغْتَرِبْ تحيّـةَ صَبٍّ به مُكْتَئِبْ
غزالٌ مراتِعُه بالبَلِيخِ إلى دير زَكّى فجِسْر الخَشَبْ(١)
أيا مَنْ أعان على نَفْسِه بتخليفِه طائِعاً مَنْ أحَبّْ
سأسْتُر والسِّتر من شِيمَتى هَوَى من أُحِبّ لمن لا أُحِبّْ(٢) ١٥

وجمع المغنين ، فحضر إبراهيم الموصلىّ ، وابن جامع ، وفُلَيح ، وزبير بن دحمان ، والمُعَلّى بن طريف ، وحسين بن محرز ، وسليم بن سلام ، ويَحْيى المكىّ ، وابنه ، وإسحاق ، وأبو زَكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : لِيعْمَلْ كل واحد منكم فيه

٧٨/١٧

(١) ب : «بقصر الخشب» ، وفى ف : «بقصر الحزب» . والبليخ : نهر بالرقة . ودير زكى : دير بالرها.
(٢) ب : «هوى من أحب بمن لا أحب» . ٢٠

لحناً . قال : فلقد عملوا فيه عشرين لحناً ، فما أُعجِب منها إلا بلحن الزُّبَير وحده ، أُعجِب به إعجاباً شديداً ، وأجازه خاصةً دون الجماعة بجائزة سَنِيَّة .

غنّى إبراهيمُ في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى[١]، ولفُلَيح فيها ثانى ثقيل بالوسطى ، ولابن جامع رمل بالبنصر ، ولابن المَكِّيِّ ثقيل أول بالوسطى ، وللزبير ابن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر ، وللمُعَلَّى خفيف رمل بالوسطى ، ولإسحاق رمل بالوسطى ، وللحُسَيْن بن محرز هزج بالوسطى .

(١) ف : « ولحنه ماخورى بالوسطى ولابن صغير العين خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر والمعلى خفيف رمل ... الخ » .

صوت

يا ناعِشَ الجدِّ إذا الجدُّ عثَرْ وجابِرَ العَظْم إذا العَظْمُ انكَسَرْ

أنتَ ربيعِى والرَّبيعُ يُنْتَظَرْ وخيرُ أنواء[1] الرَّبيع ما بَكَرْ

الشعر للعُمانِىّ الراجز، والغِناء لشَارِيَةَ خفيف رمل، من كتاب ابن المعتز وروايته.

(١) ب : «أنواع» .

نسب العمانيّ وخبره[١]

نسبه

اسمه محمد بنُ ذُؤَيْب بن مِحْجن بن قُدامَة بن بَلْهِيَةَ[٢] الحَنْظَليّ ثمّ الدّارِىّ صَلِيبَة، وقيل له: العُمَانىُّ، وهو بَصْرىٌّ؛ لأنه كان شديدَ صُفرة اللون، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً، من شعراء الدولة العباسية، ليس من نُظَراء الشعراء الذين شاهدهم فى عصره، مثل أشْجَع وسَلْم ومَرْوان، ولكنه كان لطيفاً داهِياً مقبولا، فأفادَ بشعره[٣] أموالا جليلة. ٥

يدخل على الرشيد وينشده فيجزل صلته

أخبرنى ابنُ أبى الأزهر قال: حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جَبْر بن رباط الأسدِىّ:

أنّ عبدَ المَلك بنَ صالح أدخل العُمانِىَّ على الرَّشيد فأنشده:

١٠ يا ناعشَ الجدّ إذا الجدّ عَثَرْ ... وجابرَ العَظْمِ إذا العَظْمُ انكَسَرْ

أنت رَبِيعى والربيع يُنْتَظَرْ ... وخير أنواء الربيع ما بَكَرْ

فقال له الرشيد: إذاً يَبكُر عليك رَبِيعُنا، يا فَضْل، أعطه خمسة آلاف دينار، وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جَبْر: لما دخل الرَّشيدُ الرَّقَّةَ استقبله العُمانِىّ، فلما بَصُر به ناداه:

١٥ هارونُ يابنَ الأكْرمِين مَنْصِبا ... لما ترحَّلْتَ فصرت كَثَبا

من أرضِ بَغْداد تؤُمّ المَغْرِبا ... طابت لنا رِيحُ الجَنُوبِ والصَّبا

ونَزَل الغيْثُ لنا حتى ربا ... ما كان من نَشْزٍ وما تَصَوَّبا[٤]

* فمَرْحباً ومرحَباً ومرحَبا *

---

(١) ف: «وأخباره». (٢) ب: «باسية».

(٣) ب، ما: «بفعله». وفى مد: «فأفاد أموالا جليلة».

(٤) ف: «حيث ربا» بدل «حتى ربا». وتصوب: انحدر، ومنه قول الصنوبرى: ٢٠

وكأنّ محمرّ الشقيـــق إذا تصوّب أو تصعّدْ

أعلام ياقوت نُشِرْ ... نَ على رماح من زبرجدْ

فقال له الرّشيد : وبك سرحباً يأعمانِىّ وأهلا ، وأجْزل صِلتَه .

ينشد الرشيد أرجوزة طويلة أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد

أخبرنى محمد بنُ جعفر النّحوىُّ صِهرُ المُبَرّد المعروف بابن الصَّيْدلانِىّ[١] قال : حدّثنا محمدُ بنُ موسَى عن حَمّاد قال : قال العُتْبِىّ[٢] :

لما وجّه الفَضلُ بنُ يَحْيى الوفدَ من خُراسان إلى الرّشيد يَحُضُّونه على البَيْعة لابنه مُحمّد قَعَدَ لهم[٣] الرّشيد ، وتكلم القومُ على مراتبهم ، وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه ، وكان فيمن حضر محمد بن ذُؤَيب العُمانِىّ ، فقام بين صفوفِ القُوّاد ، ثم أنشأ يقول :

لَمّا أتانا خَبرٌ مُشَهَّرُ أغرُّ لا يَخْفَى على مَنْ يُبصِرُ
جاء به الكُوفِىُّ والمُبَصَّرُ والراكبُ المُنْجِدُ والمُغَوِّرُ
يُخَبِّر النّاسَ وما يَسْتَخْبِرُ قلتُ لأصحابى ووَجْهِى مُسْفِرُ
وللرجال : حَسْبُكُم لا تُكْثِرُوا فاز بها محمد فأقصِرُوا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ فى كُتُبِ العِلم التى تُسطَّرُ[٤]
فقل لمن كان قَدِيماً يَتْجَرُ : قد نُشِر العَدْلُ[٥] فبيعُوا واشْتَرُوا
وشرِّقوا وغَرِّبوا وبَشِّروا[٦] فقد كَفَى اللهُ الذى يُسْتَقْدَرُ
بمَنّه أفعال ما قد يُحْذَرُ والسيفُ عَنّا مُغمَدٌ ما يُشهَرُ
وقُلِّد الأمرَ الأغرُّ الأزهَرُ نَوءُ السِّماكَيْن الذى يُسْتَمْطَرُ
بوَجْهِه إن كان عام أغْبَرُ سُرَّت به أُسرَّةٌ ومنبرُ
وابتَهَج[٧] النّاسُ به واستَبْشَرُوا وهَلَّلوا لرَبِّهم وكَبَّرُوا

٧٩/١٧

(١) ف : « المعروف بالصيدلانى » .
(٢) ف : «الفقيمى» .
(٣) ب : « فعلهم » ، تصحيف .
(٤) ب : «الذى يسطر» .
(٥) ف : «قد يسر العدل» .
(٦) ف : « وغربوا وسيروا » .
(٧) ف : « وانجع الناس » .

شُكْرًا ومن حقهم أن يَشْكُروا إذ ثَبَتَتْ أوتادُ ملك يَعْمُرُ

من هاشمٍ فى حَيْث طاب العُنْصرُ وطاح مَنْ كان عليها يزفِرُ

إنّ بنى العَبّاسِ لم يُقَصِّروا إذ نهضوا لملكهم فشَمَّروا

وعَقَدوا ونَزَعوا وأمَّرُوا ودَبَّروا فأحْكَمُوا ما دَبَّرُوا

٥ وأوردُوا بالحَزْم ثم أصدَرُوا والحَزْم رأىٌ مثلُه لا يُنْكَرُ

إذا الرِّجال فى الرِّجال خُيِّروا يا أيها الخليفة المُطَهَّر

والمؤمنُ المُبارَكُ المُوقَّرُ[(١)] والطَّيِّب الأَغْصانِ والمُظَفَّرُ

ما النَّاس إلا غَنَم تَنَشَّرُ إن لم تداركْهُم براعٍ يَخْطِرُ

على قَوَاصِي طُرْقِها ويستُرُ[(٢)] ويمنَع الذِّئبَ فلا يُنفِّرُ

١٠ فامْنُنْ علينا بيَدٍ لا تُكْفَر مَشْهورةٍ ما دام زَيْتٌ يُعصَرُ

وانظر لنا وخلِّ مَنْ لا ينظُر واجْبِر كما كان أبوك يَجْبِرُ

لا خير فى مُجَمْجَمٍ[(٣)] لا يَظْهَرُ ولا كتابٍ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ

وقد تربَّصت فليس تُعْذَرُ[(٤)] فليت شِعْرى ما الذى تَنْتَظِرُ!

أأنت قائمٌ به أم تَسْخَرُ[(٥)] مالك فى محمدٍ لا تَعذِرُ!

١٥ وليتَ شِعْرِى والحديثُ يُؤْثَرُ أترقُدُ الليلَ ونحن نَسهرُ!

خوفًا على أمورنا ونَضْجَرُ والله والله الذى يُستَغفرُ

---

(١) ف : « المؤمر » .

(٢) مد : « على قواصى طوقها ويستر » . وفى ب : «على قلوص طرقها ويستر» .

(٣) جمجم الشىء فى صدره : أخفاه ولم يبده فهو مجمجم .

٢٠ (٤) ب : «فلست تغدر» .

(٥) ف : «أنائم أنت به أم تسهر» .

لأَنْ يموتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ خيرٌ لنا من فتنةٍ تَسَعَّرُ
يَهلِك فيها دينُهم ويُوزَرَوا وقد وَفَى القومُ الذين انْتَصَروا(١)
لصاحب الرُّوم وذاك أصغرُ منه وهذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ
وذاكم العِلْجُ وهذا الجَوْهرُ يَنْمِي به محمدٌ وجعفرُ
والخُلَفاء والنَّبيُّ الأكبَرُ ونَبعةٌ من هاشمٍ وعُنْصُرُ ٥
واعلمْ وأنتَ المرء لا يُبَصَّرُ (٢والله يبقيك لنا وتجبر٢)
منّا ذوى العُسْرة حتى يُوسِرُوا أَنَّ الرِّجالَ إن وَلُوها آثَرُوا
ذَوِى القَراباتِ بها، واستأثَرُوا بها، وضَلَّ أمرهم واستكبروا
والمُلك لا رِحْم له فيأْصِرُ ذا رَحِمٍ والناسُ قد تَغَيَّروا
فأَحكِمِ الأمرَ وأنتَ تَقْدِرُ فمِثْلُ هذا الأمرِ لا يُؤَخَّرُ ١٠

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أَبشِرْ يا عُمانىّ بولاية محمد العَهْد ، فقال : إى والله يا أمير المؤمنين ، بُشْرَى الأرض المُجدِبة بالغيث ، والمرأةِ النَّزُور بالوَلد ، والمَريض المُدنَف بالبُرء ، قال : ولم ذاك ؟ قال : لأنه نسيج وحده ، وحامى مجده ، ومُورِى زَنْده . قال : فمالك فى عبد الله(٣) قال : مَرعًى ولا كالسَّعدان ، فتَبسّم الرّشيد وقال : قاتله الله من أعرابىّ ما أعرَفه بمواضع الرغبة ، وأسرعَه إلى أهل البَذْل والعائدة ، وأبعدَه من أهل الحزْم والعَزْم ، والذين لا يُستَمنح ما لديهم بالثّناء ، أما والله إنى لأعرف فى عبدِ الله حَزْمَ المنصور ونُسْكَ المهدِىّ ، وعِزَّ نَفْس الهادى ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرّابعة لنسبتُه إليها . ١٥

(١) مد ، ما : «انتظروا» . وفى ف : «نصّروا» . ويوزروا : يصابوا بالوزر ، وهو الذنب . ٢٠
(٢-٢) التكملة من ف . (٣) يعنى المأمون .

يرشح القاسم لولاية العهد فى أرجوزة ينشدها الرشيد

أخبرنى الحَسَن بنُ علىّ ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرُويَه قال : حدثنا علىّ بن الحسَن الشَّيبانىّ ، وأخبرنى به محمد بن جعفر ، عن محمد بن موسى ، عن حمّاد ، عن أبى محمد المطبخىّ[1] ، عن علىّ بن الحسن الشّيبانِىّ قال : أخبرنى أبوخالِد الطائىّ ، عن جبير بن ضُبينة الطائىّ ، قال : أخبرنى الفضلُ[2] قال :

٥

حضرتُ الرّشيد يوماً وجلس للشعراء ، فدخل عليه الفضلُ بنُ الرّبيع وخلفه العُمانىّ ، فأدْناه الرّشيد واستنشده ، فأنشَده أرجوزةً له فيه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع :

قُلْ للإمام المُقتدَى بأمِّهِ:[3] ما قاسمٌ دُون مَدى ابنِ أُمِّهِ

١٠ * وقد رَضِيناه فقُمْ فسمِّهِ *

قال : فتبسّم الرّشيد ثم قال : ويحك ! أما رَضِيتَ أن أُولِّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رِجلى ! فقال له العُمانىُّ : ما أردتُ يا أمير المؤمنين قِيامكَ على رِجلَيكَ ؛ إنما أردتُ قِيام العَزم ، قال : فإنا قد وَلّيناه العهد ، وأمر بالقاسم أن يحضر . ومرّ العُمانىّ فى أرجوزته يهدِر حتى أتى على آخرها ،

١٥ وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخَوَيه فقال له : يا قاسم ، عليك جائزة هذا الشّيخ ، فقد سَألنا أن نُولِّيَك العهد وقد فعلنا ، فقال : حكمك يا أمير المؤمنين فقال : وما أنا وهذا ! بل حكمك ، وأمر له الرّشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مفْردَة .

---

(١) ب : «المفهنجى» .

٢٠ (٢) ف : « أبو خالد عن يحيى بن صفية الطائى ، قال : أخبرنى الفضل » .

(٣) أمّ القوم وبهم : تقدّمهم .

يمدح أبا الحرّ التميمى

أخبرنى محمدُ بنُ مزيد، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال :

دخل محمد بن ذؤيب العُمانِىّ على أَبى الحرّ التّميمىّ بالبصرة ، فأطعمه وسقاه وَجَلَّله بكساء فقال فيه :

إن أبا الحرِّ لَعَيْنُ الحرِّ ... يدفع عنّا سَبرات القُرِّ(١)

باللحم والشّحم وخُبز البُرّ ... ونُطفة مكنُونة فى الجرّ(٢)

يَشْربُها أشياخُنا فى السِّرِّ ... حتى نَرَى حديثَنا كالدُّرِّ

ويمدح عبد الملك ابن صالح فيثيبه

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد قال : حدّثنا حمّاد(٣) ، عن أبيه قال :

قصد العُمانىُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشمىّ مُتوسِّلا به إلى الرشيد فى الوصول إليه مع الشعراء ، ومدَح عبدَ الملك بقصيدته التى يقول فيها :

نَمَتْه العَرانينُ(٤) من هاشمٍ ... إلى النَّسَب الأوضح الأصْرحِ

إلى نبْعةٍ فرعُها فى السماء ... ومغرسُها سُرّةُ الأبطحِ

فأدخَله عبدُ الملك إلى الرّشيد بالرّقة فأنشده :

هارونُ يابنَ الأكرمين حَسبَا ... لما ترحّلتَ فكنت كَثَبا

من أرض بغدادَ تؤمُّ المغرِبا ... طابَتْ لنا ريحُ الجنوب والصَّبا

وَنزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا ... ما كان من نَشْزٍ وما تصوّبا(٥)

* فمرحباً ومرحباً ومرحبا *

---

(١) السبرات جمع سبرة ، وهى الغداة الباردة .

(٢) ب : « فى الحر » . والجر جمع جرّة ، وهى إناء من خزف .

(٣) ف : «حماد بن إسحاق» .

(٤) ف : « الغرانيق » . وعرانين القوم : سادتهم وأشرافهم .

(٥) انظر ص ٣١١ (الحاشية ٤) .

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

أخبرنى عمِّى والحسينُ بنُ القاسم الكوكبيّ ، قالا : حدثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد ، قال : حدّثنا إسحاق بن عبد الله الأزدىّ ، عن محمد بنِ عبد الله العامرىّ القُرشىّ ، عن العُمانىّ الشاعر :

يصف طعاماً قدمه له محمد بن سليمان

أنه تغدّى مع محمدِ بن سليمان بن علىّ ، فكان أوّل ما قُدِّم إليهم فُرْنيّةً[1] فى لبن عليها سكر ، ثم تتابع الطّعام ، فقال له: قل فيما أكلت شعراً تصفه ، فقال :

جاءوا بفُرْنَى لهم مَلبونِ ... بات يُسَقَّى خالصَ السَّمُّونِ
مُصَوْمَعٍ أكومَ ذى غضون[2] ... قد حُشيتْ بالسكّر المُطحونِ
وَكوّنوا ما شئْت من تلوينِ ... من باردِ الطّعام والسّخينِ
ومن شراسيف ومن طُرْدِين ... ومن هُلامٍ ومَصُوصٍ جُون[3]
ومن إوَزٍّ فائقٍ سَمينِ ... ومن دَجاجٍ قِيتَ بالعجين[4]
فالشّحم فى الظّهور والبُطونِ ... وأتبَعُوا ذلك بالجَوْزينِ
وبالخَبيصِ الرَّطب واللَّوْزين ... وَفكّهوا بعِنَبٍ وتِينِ
والرُّطب الأزاذِ[5] والهيْرون[6] ... محمد يا سيّد البَنينِ

(١) الفرنية : خبز مستدير.

(٢) مصومع : مجمع عال . وفى ف : «أكرم» بدل «أكوم» .

(٣) الشراسيف جمع شرسوف : وهو مقطّ الضلع ، وهو الطرف المشرف على البطن . والطردين : طعام للأكراد . والهلام: طعام من لحم عجلة بجلدها أو مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن . والمصوص: طعام يطبخ وينقع فى الخلّ أو من لحم الطير خاصة .

(٤) ب : «فت» .

(٥) الأزاذ : نوع جيد من التمر .

(٦) الهيرون : البَرْنِىّ من التمر والرطب .

وبِكْرِ بِنْتِ المُصطفى الأمينِ (١) الصادقِ المُباركِ المَيْمُونِ
وابنِ وُلاةِ البَيْتِ والحَجُونِ اسمعْ لنعتٍ غيرِ ذى تَفنينِ
يَخْرُج من فنٍّ إلى فُنونِ إن الحديثَ فيكَ ذو شُجونِ

سبب تسميته العمانى

أخبرنا الحَسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال : حدّثنى أحمد بنُ أبى كامل قال : حَدّثنى أبوهاشم القَيْنِىّ قال : ٥

كان محمد بن ذُؤَيْب العُمانىُّ الراجز من أهل البَصْرة ، ويُكنى أبا عبد الله وإنّما قِيل له العُمانىّ ؛ لأنّه أقبل يوما وقد خرج من عِلّة ووجهُه أصفر ، فقال له بعضُ أصحابنا : يا أبا عبدَ الله قد خرجت من هذه العِلّة كأنك جمل عُمانىٌّ . قال : وكانت جِمال عُمان تحمل الوَرْس من اليَمن إلى عُمان فتصفرّ ، قال : وهو من بنى تميم ، ثم من بنى فُقَيْم . ١٠

يمدح عيسى بن موسى فيصله

قال : فقَدم على عيسى بن موسى ، فلمّا وصل إليه أنشده مديحاً له وَفَد إليه به ، فاستَحسنَه ووَصله واقْتَطَعَه إليه وخصّه ، وجعله فى جُلَسائه ، فقال العُمانىُّ فيه :

٨٢ / ١٧

ما كنتُ أدرى ما رَخاءُ العَيْشِ ولا لبستُ الوَشْى بعد الخَيْشِ
حتى تمدَّحْتُ فتى قُرَيْشِ عِيسى ، وعِيسى عند وقت الهَيْشِ (٢) ١٥
حين يخفّ غَيْرُه للطَّيْشِ (٣) زَيْنُ المقيمين وعِزّ الجَيْشِ
* راش جَناحِىَّ وفوق الرِّيشِ *

ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقلة يذكر فيها بغداد

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر المهلبىّ قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال : حدّثنى أحمدُ بنُ علىّ بن أبى نعيم قال : حدّثنا مُوسَى بنُ صُبيح المروزىّ قال :

(١) ف : « وابن عم المصطفى الأمين » .
(٢) الهيش : الفتنة .
(٣) ب ، مد ، ما : «حين تجف عبرة للطيش» .

٢٠

خرج الرّشيدُ غازياً بلادَ الرّوم ، فنزل بهِرَقْلَةَ ، ونَصَب الحربَ عليها ، فدخل عليه العُمانيّ وهو يذكر بغدادَ وطيبَها وما فيه أهلُها من النِّعْمة ، فأنشده العُمانيّ قصيدةً له في هذا المعنى ، يذكُر فيها طيبَ العَيْش ببغدادَ ، وسَعة النعم، وكثرة اللذّات ، يقول فيها :

٥ ثم أتَوْهم بالدَّجاج الدُّجَّجِ بين قَديدٍ وشِواءٍ مُنضَجِ
وبِعَبيطٍ ليس بالمُلهْوَجِ فدُقَّ دَقَّ الكودَنيّ الدَّيْزَجِ[١]
حتى مَلاَ أعفاجَ[٢] بطنٍ نُفَّجِ وقال للقَيْنَة : صُبّي وامزُجي

قال : فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف دِرْهم .

ابن جامع يغني الرشيد شعرا في ضرب هرقلة

ثم دخل إليه ابنُ جامع وقد أمَر الرّشيد أن يُوضَع الكِبريتُ والنّفط الأبيضُ
١٠ على الحِجارة ، وتُلَفّ بالمُشاقة[٣]، وتُوقد فيها النار ، ثم تُوضَع في كِفّة المنجنيق ويُرْمَى بها السُّور ، ففعلوا ذلك ، وكانت النار تَثْبُت في السُّور وتُصَدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذ ، فغنّاه ابن جامع وقال :

هوَتْ هِرَقْلةُ لمّا أن رأتْ عَجَباً حَوائماً[٤] ترْتَمِي بالنِّفط والنّارِ
كأنّ نيرانَنا في جَنْب قَلْعَتهم مُصبَّغاتٌ على أرسانِ قَصّارِ

١٥ فأمر له بثلاثين ألفَ درهم أخرى .

يرتجل شعراً في فرس المهديّ فيجيزه

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدّثني أبو هِفّان قال : حَدّثني أحمدُ بنُ سليمانَ قال : قال يَزيد بنُ عِقال[٥] :

---

(١) لحم عبيط : طرى . والكودني : الفيل . وفي ف : « فدق دق الكودرن الديرج » .
(٢) الأعفاج جمع عفج ، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة . وفي ف : « حتى ملا أنفاج بطن
٢٠ تنتجي » .
(٣) المشاقة : ما سقط من الشعر والكتان ونحوها عند المشط .
(٤) ب ، مد ، ما : « جوائما » .
(٥) ب ، ما ، مد : « يزيد بن عفان » .

كنا وُقوفاً والمهدىُّ قد أجرى الخيلَ فسبَقَها فَرسٌ له يُقال له الغَضْبان، فطلب الشُّعراء فلم يحضُر أحدٌ منهم إلا أبو دُلامة، فقال له: قلِّده يا زَنْدُ، فلم يفهم ما أراد فقلَّده عِمامتَه، فقال له المهدىّ: يا بْنَ اللَّخْناء، أنا أكثرُ عمائمَ منك؛ إنما أردتُ أن تُقلِّدَه شِعْرا، ثم قال: يا لَهَفِى على العُمانىّ، فلم يتكلَّم بها حتى أقْبل العُمانىّ، فقيل له: ها هوذا قد أقْبل الساعة يا أمير المؤمنين، فقال: قدِّموه، فقدَّموه فقال: قَلِّدْ فَرَسى هذا، فقال غير مُتوقف: ٥

قد غَضِبَ الغَضْبانُ إذ جدَّ الغَضَبْ وجاء يحمى حَسَباً فَوقَ الحسَبْ
من إرْثِ عَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبْ وجاءت الخيلُ به تَشْكو التَّعَبْ
* له عليها ما لَكُم على العَرَبْ *

فقال له المهدىُّ: أحسنتَ واللهِ، وأمَرَ له بعشرة آلاف دِرْهَم. ١٠

صــوت

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقى   أن الذى هو رِزْقِى سوفَ يأْتِينى
أسعَى له فيُعَنِّينى تَطَلُّبُــــه   ولو قَعَـــدتُ أتانى لا يُعنِّينى

الشعر لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَة، والغِناء لمُخارِق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو .

أخبار عروة بن أذينة ونسبه[١]

نسبه

هو عُروةُ بنُ أُذَيْنَةَ ، وأُذَيْنَةُ لَقَبُه ، واسمُه يَحْيَى بنُ مالكٍ[٢] بنِ الحارث ابنِ عَمْرو بنِ عبد الله بن زُحَل بن يَعْمُر ، وهو الشَّدّاخ بنُ عَوْف بنِ كَعب ابنِ عامرِ بنِ لَيْث بنِ بكر بن عبدِ مَناة بنِ كِنانَة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلْياس ابنِ مُضَر بنِ نِزار . وسُمّى يعمُر بالشّدّاخ لأنه تَحمَّل دِيات قتلى كانت بين قُرَيش وخُزاعة ، وقال : قد شَدَخْتُ هذه الدِّماء تحت قدمىّ ، فسُمّى الشّدّاخ .

قال ابنُ الكَلْبىّ : الشُّدَّاخ ، بضمّ الشين .

شاعر وفقيه ومحدّث

ويُكنَى عُروةُ بنُ أُذينة أبا عامر ، وهو شاعر غَزِل مُقدَّم ، من شُعَراء أهل المَدينة ، وهو مَعدُودٌ فى الفُقَهاء والمُحدِّثين ، روى عنه مالكُ بنُ أنَس ، وعُبَيْدُ الله ابنُ عمر العَدَوىّ . أخبرنى بذلك أحمدُ بنُ عبدِ العَزيز الجَوْهَرىّ ، عن عُمَر ابنِ شَبَّة ، ورَوَى جَدُّه مالكُ بنُ الحارث عن عَلِىّ بنِ أبى طالب عليه السلام .

روى قصة عن جده مالك

أخبرنى الحَسَنُ بنُ علىّ قال : حدَّثَنا محمد بنُ مُوسَى قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث ، عن المَدائنىّ ، عن ابن دَأْب ، عن عُرْوَة بن أُذَيْنَة ، عن أبيه قال : حدَّثَنِى أبى مالكُ بنُ الحارث قال :

خَرَج مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام رجلٌ من قومى كان مُصْطَلَما[٣] ، فخرجتُ فى أثره وخَشِيت انقراضَ أهلِ بيْتِه ، فأردْتُ أن استأذِن له من علىّ ، فأدركتُ عَلِيًّا عليه السلام بالبَصْرة ، وقد هَزَم النَّاسَ ودَخَل البَصْرة ، فجِئْتُه فقال :

(١) جاءت هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين ١٠٥-١١١ بعد أن سقطت من نسخة بولاق وموضعها هنا ، كما جاءت فى نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة .

(٢) مهذب الأغانى : «يحيى بن مالك الليثى الكنانى» .

(٣) المصطلم : المقطوع .

مرحباً بك يابنَ الفُقَيْمة ، أبدَا لك فينا بَداء؟[1] قلتُ: والله إنّ نُصْرتَك لَحقٌ ، وإنّى لَعَلى ما عهدْتَ أُحِبّ العُزلَة ، ثم ذاكرتُه أمرَ ابن عمّى ذلك ، فلم يبعد عنه[2] ، فكنت آتيه أتحدَّث إليه . فركب يوما يطُوف وركبت معه ، فإنى لأسِير إلى جانبه إذْ مرَرْنا بقبْر طَلْحة ، فنظَر إليه نَظَراً شديدا ، ثم أقبل علىّ فقال : أمسَى والله أبو محمد بهذا المكان غريبا ، ثم تمثّل :

٥

وما تَدْرِى وإن أزمعْتَ أمرًا بأىّ الأَرْض يُدْرِكُك المَقِيلُ

والله إنّى لأَكْرَه أن تكون قريش قَتْلَى تحت بُطون الكَوَاكِب . قال : فوقع العِراقيُّون يَشْتُمون طَلْحَة وسكَتَ علىٌّ وسكَتُّ ، حتى إذا فرَغوا أقبل علىٌّ عليه السلام علىّ فقال : إيه يابنَ الفُقَيْمة ، والله إنه وإن قالوا ما سمعت لكما قال أخو جُعْفِىّ :

١٠

فَتًى كان يُدْنيه الغِنى من صَدِيقه إذا ما هو اسْتَغْنى ويُبْعِدُه الفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكلِّمَه بشىء فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وما منَعك أن تقُول : يا أبا الحَسَن[3] ! فقلتُ : أبَيْتُ ، فقال : والله إنّها لأحبُّهما إلىّ لولا الحُمْق ، ولَوَدِدْتُ أنى خُنِقْت بحَبْل حتى أمُوت قبل أن يَفعَل عُثْمان ما فعَل ، وما أعْتَذِر من قِيامٍ بحَقٍّ ، ولكنَّ العافيةَ مما ترى كانَتْ خيرا .

١٥

ذهب مع أبيه لمكة ورأى حريق الكعبة

حدَّثنا محمد خَلَف وَكِيع ، والحسنُ بن علىّ الخفّاف ، قالا : حدَّثنا الحارثُ ابنُ أبى أُسامة قال: حدَّثنا محمدُ بنُ سعْد ، عن الواقدىّ ، عن عبدِ الله بن يَزِيد ، عن عُرْوَة بن أُذَيْنة قال :

قدِمْتُ مع أبى مكّة يوم احترقَت الكَعْبة ، فرأيتُ الخشب وقد خلَصتْ إليه

(١) البداء ، بفتح الباء : ظهور الرأى بعد أن لم يكن . ويقال : بدا لى فى هذا الأمر بداء : ظهر لى فيه رأى آخر .

٢٠

(٢) ف : «يبعد منه» .

(٣) ف : « يا أبا حسن » .

النّارُ ، ورَأيتُ الكَعْبَةَ مُتَجَرِّدَة ، من الحَريق ، ورأيتُ الرُّكنَ قد اسودَّ وتصدّع من ثَلاثَةِ أمْكِنة ، فقلتُ : ما أصاب الكَعْبَةَ ؟ فأشاروا إلى رجُل من أصحاب ابن الزُّبَيْر فقالوا : هذا احْتَرَقتْ بسببه ؛ أخذَ قَبَساً فى رأس رُمْح ، فطَيّرت الرِّيحُ[1] منه شَيْئا ، فضَرَبتْ أستارَ الكَعْبة فيما بَيْن اليَمانِىّ إلى الأسود .

وفد على هشام فذكّره بشعره فى القناعة ولامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة

حدّثنى محمد بن جَرِير الطَّبَرِىّ وحفِظتُه ، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ ، وحبيبُ بن نَصْر المهَلَّبىّ قالوا : حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال : حدّثنى عُمَر ابن مَحْرُوس الورّاق بن أُقَيْصَر السُّلمِىّ قال : حدّثنا يَحْيَى بن عُروة بن أُذَيْنَة قال :

أَتى أبى وجماعةٌ من الشعراء هِشامَ بن عبد الملك ، فنَسَبهم ، فلما عرف أبى قال له : أنت القائل :

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقِى ... أنَّ الذى هو رِزْقِى سوفَ يَأتينى[2]

أسعَى له فيُعَنِّينى تَطَلُّبُه ... ولو جَلستُ[3] أتانِى لا يُعَنِّينى

هذان البيتان فقط ذكرهما المهَلَّبىُّ والجَوْهَرِىُّ ، وذكر محمد بن جَرِير فى خبره الأبيات كلها :

وأنَّ حظَّ امرئٍ غيرِى سَيَبْلُغُهُ ... لا بُدَّ لا بُدَّ أن يَحتازَه[4] دُونى

لا خَيرَ فى طَمعٍ يُدْنِى لِمنْقَصةٍ ... وغُفَّةٌ[5] من قَوام العيش تكْفِينى

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٥-٤٩٩ ط المعارف : « فطيرت الريح به » .

(٢) فى الشعر والشعراء ٢-٥٧٩ : « ... فيا الإسراف فى طمعى » . وفى اللسان (شرف) ، : « وما الإشراف فى طمعى » .

(٣) ف ، والشعراء والشعراء ٢-٥٧٩ ، والتجريد : « ولو قعدت » .

(٤) مج ، التجريد . «يجتازه» .

(٥) ف ، التجريد ، س : «وغبر من كفاف العيش» . وفى المختار : «وغمة من كفاف العيش» . والغفة : البلغة من العيش .

لا أركبُ الأمرَ تُزْرِى بى عوَاقبهُ ... ولا يُعابُ به عِرْضِى ولا دِينى

كم مِنْ فَقيرٍ غنِىِّ النَّفْسِ تعرفُهُ ... ومن غَنِىٍّ فَقيرِ النَّفس مِسْكِينِ

ومن عَدُوٍّ رَمانِى لو قَصدتُ له ... لم يَأخُذِ النِّصفَ منى حين يرمينِى[1]

ومن أخٍ لى طوى كَشْحاً فقلتُ له : ... إنَّ انطِوَاءك عنى سوف يَطوِينى

إنى لأنْطِقُ فيما كان من أَرَبِى ... وأُكثِرُ الصَّمْتَ فيما ليس يَعْنِينِى

لا أبْتغِى وَصْلَ من يَبغِى مفارقتى[2] ... ولا ألِينُ لمَنْ لا يَشْتَهِى لِينِى

فقال له ابنُ أُذَيْنة : نعم أنا قائلها ، قال : أفلا قعدتَ فى بيتِك حتى يأتيك رزقُك !

وغَفَل عنه هِشامٌ ، فخرج من وقته وركب راحلتَه ومضى مُنصرِفا ، ثم افتقده هِشامٌ فعرفَ خبرَه ، فأتبعَه بجائزة وقال للرَّسُول : قل له : أردتَ أن تُكَذِّبنا وتُصَدِّق نفسَك . فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماء يَتغَدّى عليه ، فأبلغه رسالتَه ودفَع الجائزة . فقال : قل له : صَدَّقنى رَبِّى وكَذَّبك .

قال يَحيى بنُ عُروة : وفرض له فريضتين ، فكنت أنا فى إحداهما .

أخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارُون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثنى الزُّبَير ابنُ بَكَّار قال : حدَّثنى أبو غَزِيَّة قال : حدَّثنى أَنَسُ بنُ حَبيب قال :

خرج ابنُ أُذَيْنَةَ إلى هشام بن عبد الملك فى قوم من أهل المدينة وَفَدوا عليه ، وكان ابنُه مَسْلَمة بن هشام سَنَة حَجَّ أذن لهم فى الوفود عليه ، فلما دخلوا على هِشام انْتَسَبوا له وسلَّموا عليه ، فقال : ما جاء بك يابنَ أُذَيْنة ؟ فقال :

أتينا نُمُتُّ بأرحامِنا ... وجئْنا بإذن أبى شاكِرِ

فإنَّ الذى سارَ معروفُه ... بنجْدٍ وَغار مع الغائِرِ

(١) هذا البيت ساقط من ف . والنِّصفُ : الإنصاف . يقال : ما جعلوا بينى وبينهم نصفا .

(٢) المختار : «مقاطعتى» .

إلى خَيْر خِنْدِفَ فى ملكها ... لبادٍ من النَّاس أو حَاضِرِ

فقال له هِشام : ما أراك إلا قد أَكْذَبْتَ نفسك حيث تقول :

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرَافُ من خُلُقِي ... أنَّ الذى هو رِزْقِى سوف يَأْتينِي

أَسْعَى له فيُعَنِّيني تَطَلُّبُه ... ولو جَلَسْتُ أتانِى لا يُعَنِّينى

٥ فقال له ابن أُذَيْنَةَ ما أَكذبْتُ نفسى يا أميرَ المؤمنينِ ، ولكنى صدَّقْتُها ، وهذا من ذاك . ثم خرجَ من عِنده فركب راحِلَته إلى المدينة ، فلما أمَرَ لهم هِشامٌ بجَوَائزِهم فَقَدَه ، فقال : أين ابنُ أُذَيْنَةَ ؟ فقالوا : غَضِب من تَقْريعك له يا أميرَ المؤمنين ، فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فبَعَث إليه هِشام بجائزَته .

مرّ بغنمه وراعيه نائم فضربه وقال شعرا

١٠ أخبرنا وَكِيع قال : حدَّثنا هارونُ بنُ محمد قال : حدّثنا الزُّبَيرُ بنُ بَكَّار قال : حدَّثنى عمى ، عن عُرْوَة بنِ عُبَيْد الله قال :

كان عُرْوَةُ بن أُذَيْنَةَ نازلاً مع أبى فى قصر عُرْوَة بالعَقِيق ، وخرج أبى يوماً يمشى وأنا معه وابنُ أُذَيْنَةَ ، ونظر إلى غنم كانت له فى يَدىْ راعٍ يقال له كَعْب، وهى مُهْمَلَة ، وكَعْب نائم حَجْرَةَ(١) ، فجعل ابن أُذَيْنَةَ يَنْزو حوله وهو يَضربُه ويقول :

لو يَعْلَم الذِّئبُ بنَوْم كَعْبِ ... إذاً لأمْسَى عندنا ذا ذَنْبِ

١٥ أضرِبُه ولا يَقُول حَسْبِي ... لا بدَّ عند ضَيْعَةٍ من ضَرْبِ

غنّى ابن عائشة بشعره

أخبرنى أحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجَوهرىُّ ، وحَبيبُ بنُ نَصْرٍ المُهَلَّبيُّ ، وإسماعيل ابنُ يونس الشِّيعىّ قالوا : حدّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّةَ قال : حدّثنى أبو غسّان محمد ابنُ يحيى ، عن بعض أصحابه ، قال :

(١) حجرة : ناحية .

مرّ ابنُ عائشة المغنى بعُرْوةَ بنِ أُذَينَة ، فقال له : قل لِى أبياتاً هزَجاً أغنِّى فيها ، فقال له : اجلس ، فجلس ، فقال :

صوت

سُلَيْمى أجمَعَتْ بَيْناً فأينَ تقولُها أينا !

وقد قالت لأترابٍ لها زُهرٍ تلاقَينا :

تعالَيْنَ فقد طابَ لنا العيشُ تَعالَيْنا

وغاب البَرِمُ[1] الليْلة والعَيْنُ فلا عَيْنا

فأقبلنَ إليها مُسرعاتٍ يتهادَيْنا

إلى مثل مَهاة الرّمـ ـل تكسو المَجلسَ الزَّينا

تمنّين مُناهُنّ فكُنّا ما تمنّينا

قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابنَ عائشة رَواها ، ثم ضحك لمّا سَمِع قوله :

تمنّين مُناهُنّ فكُنّا ما تمنّينا

ثم قال : يا أبا عامر تمنّيْنَك[2] لمّا أقبل بَخرُك وأدْبر ذَكَرُك .

ذُكر عند عمر ابن عبد العزيز فامتدحه

قال عمرُ بن شبَّة : قال أبو غَسَّان : فحدّثني حمّاد الحُسَينيّ قال : ذُكر ابنُ أُذينه عند عمرَ بنِ عبد العزيز : فقال : نِعْمَ الرّجل أبو عامر ، على أنه الذى يقول :

وقدْ قالَتْ لأتْرابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَينَا

(١) البرِمُ : الضجير السئوم .

(٢) المختار : «تمنتك» .

وأَخبَرَنى بهذا الخَبر وكيع قال : حدّثنى هارُون بن محمد بنِ عبد الملك الزّيّاتُ ، عن الزُّبَير ، عن محمد بن يَحْيى ، عن إسحاق بنِ إبراهيم ، عن قسطاس قال :

مَرَّ ابنُ عائِشة بابنِ أُذَيْنة ، ثمّ ذكر الخَبرَ مِثْلَ الذى قبله .

اعتراض سكينة على ادعائه العفة مع شعر قاله

أخبرنى حَبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبىّ ، والحَرَمىّ بنُ أبى العَلاء قالا : حدّثَنا الزّبيرُ بنُ بَكّار قال : حدثنى أبو مُعاوية عبدُ الجَبّار بُن سَعيد المساحقىّ ، وأخبرنا به وَكيع قال : حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينىّ ، عن الحارث بن محمد العَوْفىّ قال :

وقفت سُكَينةُ بنتُ الحُسين بنِ علىّ عليهما السّلام على عُرْوَةَ بن أذينة فى موكبها ومعها جَوارِيها ، فقالت : ياأبا عامِر ، أنت الذى تَزعمُ أن لك مُروءةً ، وأنّ غَزَلَك من وراءِ عِفّة وأنّك تقىٌّ ؟ قال : نعم : قالت : أفأنتَ الذى تقول :

صــوت

قالت وأَبْثَثْتُها وَجْدِى فبُحتُ به : قد كنتَ عندى تُحبُّ السّترَ فاستَتِرِ
ألستَ تُبصِرُ مَنْ حَوْلى؟ فقلتُ لها : غَطّى هواكِ وما ألقَى على بَصرِى[1]

قال لها : بلى ، قالت ، هُنّ حرائرُ إن كان هذا خَرَج مِن قلْبٍ سليمٍ ، أو قالت : من قلْبٍ صحيحٍ .

فى هذيْن البيتين لِعَلُّوية رَمَل بالبنصر ، وفيهما لإسحاق هَزَج بالوسطى ،

(١) البيتان فى الشعر والشعراء ٢-٥٧٩ ط المعارف . وفى التنبيه - ٢٧ ط دار الكتب .

وفيهما لمخارِق ثقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ وعمرو بن بانة، وذكر حَبَش أنّ الثقيل الأول لمعبد اليَقطِينيّ.

تمثل المتوكل المنتصر بشعره

وذكر علىُّ بنُ محمد بن نصر البسَّامىّ أن خاله أبا عبد الله بنَ حمدون بنِ إسماعيل قال:

كنت جالساً بين يدى المُتوكل، وبين يديه المنتصر، فأحضر المعتزّ وهو صبيّ صغير، فلعبَ فأفرَط فى اللّعب، والمنتصر يرمُقه كالمنكِر لفعله، فنظَر إليه المُتوكِّل عدّة دفعَات، ثم التفَت إلى المُنتصِر فقال: يا محمد:

قالتْ وأَبْثثُها وَجدِى فبُحتُ به: قد كُنتَ عندى تُحب السّتر فاستتِرِ

قال: فاعتذر إليه المنتصرُ عُذراً قبله وهو مُقطِّب مُعرِض. قال: وكان المنتصرُ أشدَّ خلقِ الله بُغضاً للمعتز، وطَعناً عليه. ولقد دخلْتُ إليه يوما ودخل إليه أبو خالد المُهلَّبىُّ بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه، ومع المُهلبىّ دِرْع كأنها فضة، فقال: ياأميرَ المؤمنين، هذه دِرْع المهلَّب، فأخذها وقام فلبسها، ورأى المُعتزّ وعليه وشىٌ مُثقل وما أشْبهَ ذلك، فتمثّل ببيتِ جرير:

لَبِستُ سِلاحِى والفرزدقُ لُعبةٌ عليه وشاحا كُرَّجٍ[1] وجلاجلُهْ

عترضت امرأة على شعر قاله

أخبرنى وكيع قال: حدثنى هارُونُ بنُ محمد قال: حدّثنى عبدُ الله بن شُعيب الزُّبَيْرِىّ قال: حدثنى عبدُ العزيز بنُ أبى سَلَمة قال:

مرّت امرأةٌ بابْنِ أُذَينة وهو بفِناء داره فقالت له: أأنتَ ابنُ أُذَينة؟ قال: نعم، قالت: أأنتَ الذى يَقولُ النّاس إنّك امرؤٌ صالح،[2] وأنتَ الّذى تقول:

إذا وَجدتُ أُوارَ الُحبِّ فى كَبِدِى عَمَدتُ نحوَ سِقاءِ القَوْمِ أبْتَرِدُ

(١) الكُرَّج: مهر خشبى يلعب عليه الأطفال.

(٢) ف، التجريد: «يقول الناس: إنك برىء وإنك صالح».

هَبْنِى بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَه فمَنْ لِحَرٍّ على الأحشاءِ يَتَّقِدُ ! [1]

أبو السائب المخزومى يطلب إنشاده شعرا قاله عروة

أخبرنى الحَرَمِىّ بنُ أبى العَلاء قال : حدّثنا الزُّبَيْر بنُ بَكّار قال : حدّثنى عَمّى ، عن عُرْوَة بنِ عبدِ الله ، وأخبرنا به وَكِيعٌ ، عن هارونَ بن الزّيّات ، عن الزُّبَيْرىّ ، عن عمه ، عن عُرْوَةَ بن عبد الله ، وذكره حمّاد ، عن أبيه ، عن الزُّبَيْرىّ ، عن عروة هذا قال :

كان عُرْوةُ بنُ أُذَيْنة نازلاً فى دار أبى بالعَقِيق ، فسَمِعَه ينشد :

صوت

إنّ التى زعَمَتْ فُؤادَك ملَّها جُعِلَتْ هَواكَ كما جُعِلْتَ هوًى لها

فَبِكَ الّذِى [2] زَعَمَتْ بها وكلاكما يُبْدِى لِصاحِبه الصَّبابةَ كلَّها

ويَبِيتُ بين جَوانِحى حُبٌّ لها لو كان تحت فِراشِها لأقلَّها [3]

ولعمرُها لو كان حبُّك فوقها يوما وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلَّها

وإذا وجدتُ لها وَساوسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الفُؤادُ إلى الضَّمِير فسلَّها [4]

بيضاء باكَرَها النَّعِيمُ فَصاغَها بِلَباقَةٍ فأدَقَّها وأجلَّها [5]

لما عَرَضْتُ مُسَلِّماً لى حاجَةٌ أرجُو مَعُونَتَها وأخشَى دَلَّها [6]

مَنَعَتْ تحيَّتَها فقلتُ لصاحِبى : ما كان أكثَرَها لنا وأقلَّها

---

(١) البيتان فى التنبيه — ٢٦ ط دار الكتب ، وروى الشطر الأخير من البيت الثانى : « ومن لنار على الأحشاء تتقد » .

(٢) مج ، المختار : « التى زعمت » .

(٣) أقلها : أصابها وأتعبها . وهذا البيت ساقط من ف .

(٤) فى الأمالى ١—١٥٦ : « شفع الضمير لها إلى فسلها » ، وفى المختار : «شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها».

(٥) فى الأمالى ١—١٥٦ : «بلبانه فأرقها وأجلها » .

(٦) س : « دُلَّها » .

فـــدنا فقال : لَعَلَّها مَعْذُورةٌ   من أجل رِقْبتِها ، فقلتُ : لَعَلَّها

قال : فأتانى أبو السَّائِب المَخْزُومىُّ وأنا فى دارى بالعَقيق ، فقلت له بعد التَّرحيب:هل بدت لك حاجة ؟ فقال : نعم ، أبيات لعُرْوة بن أُذينة ، بلغنى أنَّك سمعتها منه ، فقلت له : وأيَّة أبيات ؟ فقال : وهل يَخْفى القَمَر ؟ قوله :

٥ * إنَّ الَّتِى زَعَمَتْ فؤادك مَلَّها *

فأنشدْتُه إيّاها ، فلما بَلَغتُ إلى قوله :« فقلت : لَعَلَّها ». قال : أحسَنَ والله ، هذا والله الدّائمُ العَهْد ، الصادِقُ الصبابة ، لا الذى يقول :

إن كان أهلُكِ يمنَعونكِ رَغْبةً   عَنّى فأهْلِى بى أضَنُّ وأرغَبُ

اذهَبْ لاصَحِبك الله ولا وَسَّع عليك ــ يَعْنِى قائِلَ هذا البيت ــ لقد عدا ١٠ الأعرابِىُّ طَوْرَه ، وإنى لأرجُو أن يَغْفر الله لصاحِبك ــ يَعْنى عُرْوةَ ــ لحُسْن ظَنِّه بها ، وطَلَبِه المُنْذر لها . قال : فعَرَضْتُ عليه الطَّعام فقال : لا ، والله ما كُنْتُ لآ كُل بهذه الأبيات طَعاماً إلى اللَّيل ، وانصرف .

ذكر ما فى هذا الخبر من الغناء

فى الشِّعر المذكور فيه لعُرْوة فى البَيْت الأول والرَّابع من الأبيات خَفِيف رَمَل ١٥ بالوسطى ، نسبه ابنُ المَكِّىّ إلى ابن مِسْجَح ، وقيل : إنّه من مَنْحُوله إليه ، وفيهما وفى البيت الثالث من شعر ابن أُذَيْنة خَفِيف ثَقِيل لابن الهرْبذ ، والبَيْت :

وَيبيتُ بين جَوانِحى حُبٌّ لها   لو كان تحت فِرَاشِها لأَقَلَّها

رأىٌ لأبى السائب فى شعر قاله

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبَيْر بنُ بكّار قال : حدَّثنا عُمرُ بن أبى بَكْر المُؤَمَّلىّ قال : أخبرنا عبدُ الله بن أبى عُبَيدة[1] قال : قلتُ : ٢٠ لأبى السَّائِب المَخْزُومى : ما أحسَنَ عُروة بنَ أُذَيْنة حيث يقول :

---

(١) ف : « أخبرنا عبد الله بن عبيدة » .

صوت

لَبِثُوا ثَلاثَ مِنًى بمَنْزِلِ غِبْطةٍ وهُم على غَرَضٍ لَعَمْرُكَ ماهُمُ
مُتجاوِرين بغَيْر دارِ إقامةٍ لو قد أجدَّ رَحِيلُهم لم يَنْدَمُوا
ولهُنّ بالبَيْت العَتِيق لُبانةٌ والبَيْتُ يعرفهنّ لَوْ يَتَكلَّمُ[1]
لو كان حيًّا قَبْلَهنّ ظعائنا حَيًّا الحَطِيمُ وُجُوهَهنّ وزَمْزَمُ
وكأنّهنّ وقد حَسَرْنَ لَواغِباً بَيْضٌ بأكْناف الحَطِيمِ مُرَكَّمُ

فى هذه الأبيات الثلاثة لابْنِ سُرَيْج ثانى ثَقِيل بالبِنْصَر عن عمرو .

قال : فقال : لا ، واللهِ ما أحسَن ولا أجمَل ، ولكنّهُ أهْجَر وأخْطَل فى صِفَتِهِنّ بهذه الصفة ، ثم لا يَنْدَم على رَحِيلهن ، أهكذا قال كُثَيِّر حيث يقول :

صوت

تَفرّق أهواءُ الحَجِيج على مِنًى وَصدَّعهم شَعْبُ النَّوَى صُبْحَ أرْبَعِ[2]
فَرِيقان : مِنْهُم سالكٌ بَطْنَ نَخْلَة وآخرُ منهم سالِكٌ بطنَ تَضْرُعِ[3]

— فى هذين البيتين للدلال ثانى ثقيل بالوسطى عن الهِشامِىّ وحَبَش —

فلم أرَ داراً مِثْلَها دارَ غِبْطَةٍ وملقًى إذا التَفّ الحَجِيجُ بمَجْمَعِ
أقلَّ مُقِيمًا راضِياً بمَكانِهِ وأكْثَرَ جاراً ظاعِناً لم يُوَدِّعِ

انظُرْ إليه كيف تَقدَّمت شهادتُه عِلمَه وكَبا لسانُه ببيانه[4] ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به[5] ، ولكن مُكْرَهٌ أخُوكَ لا بَطَل ، والعَرْجِىّ كان أوْفَى بالعَهْد منهما وأوْلَى بالصَّواب ، حين تَعرَّض لها نافرةً من مِنًى ، فقال لها عاتباً مُشْتَكِيا :

---

(١) ف : « لا يتكلم » .
(٢) فى ف : « منذ أربع » . وفى معجم البلدان ١-٨٥٣ : « إلى منى ... مشى أربع » .
(٣) فى معجم البلدان ١-٨٥٣ : تضرع : جبل لكنانة قرب مكة .
(٤) ف : « وكَبى لسانه ببيانه » .
(٥) ف : « وجعل يغتبط عاقل بمقام ولا يرضى به » .

عُوجِى علىَّ فَسَلِّمى جَبْرُ … فِيمَ الصُّدودُ وأنتمُ سَفْرُ !

ما نَلْتَقِى إلاّ ثَلاثَ مِنًى … حتى يُفرِّق بَيْنَنا النَّفْرُ

فى هذين البيتين غناء قد تَقَدَّمت نِسْبَتُه فى أخبار ابنِ جامِع فى أوّل الكِتاب(١).

٥ أخبرنى الحَرَمِىُّ بنُ أبى العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبَيْر بنُ بَكّار قال : حَدَّثنى جعفر بنُ مُوسى اللَّهَبِى قال :

كان عبدُ المَلِك بنُ مَرْوان إذا قَدِم مَكّةَ أَذِن للقُرَشِيِّين فى السَّلام عليه، فإذا أراد الخُروج لم يأذَن لأحد منهم وقال : أكذبنا إذاً قول المُلَحّى - يعنى كُثَيِّراً - حيث يَقولُ :

١٠ تَفرَّق أهواء الحَجِيج على مِنًى … وصدَّعهم شعبُ النوى صُبحَ أرْبَع

وذَكَر الأبيات الأربعة .

أخبرنا علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يَزِيد: قال حَدَّثَ الزبيرىّ، عن خالد صامة ، وكان أحدَ المُغَنِّين قال :

خالد صامة يغنى شعره بين يدى الوليد بن يزيد

قَدِمْتُ على الوَلِيد بنِ يَزِيد ، فدخلت إليه وهو فى مَجلسٍ نَاهِيك به ، وهو على سرير ، وبين يَدَيْه مَعْبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامِل ، فجَعَلوا ١٥ يُغَنّون ، حتى بلغت النَّوبَةُ إلىَّ فغَنَّيْته :

صوت

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المَرْء يَسْرِى … وغارَ النَّجْمُ إلا قِيسَ فِتْرِ(٢)

---

(١) البيتان فى الجزء الأول ص٤٢٢ (طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) معزوان للعرجى ، وهو يشبب ببجيرة المخزومية زوجة محمد بن هشام وجاء بعدها بيت ثالث وهو :

٢٠ الحول بعد الحول يجمعنا … ما الدهر إلا الحول والشهر

(٢) فى رغبة الآمل ٢-٢٣٨ : « وغار النجم إلا قيد فتر » . وقيس فتر : مقداره .

أُراقِبُ فى المَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ للمَجَرَّةِ كيف يَجْرِى
لِهَمٍّ ما أزال له مُدِيمـاً كأنَّ القَلْبَ أُضْرِم حرَّ جَمْرٍ[1]
على بَـكْرٍ أخِى وَلَّى حَمِيداً وأىُّ العَيْشِ يَصْفو بعد بَـكْرِ !

فقال لى الوَلِيدُ : أَعِدْ ياصام[2] ، فَفَعَلْتُ ، فقال لى : مَنْ يَقولُ هذا الشِّعر ؟ قُلْتُ : عروة[3] بن أذينة يَرْثى أخاه بَـكْرا . فقال لى : وأىّ العَيْش لا يَصْفُو بعده هذا العَيْش واللهِ الذى نحن فيه على رَغْمِ أَنْفه ، والله لقد تَحَجَّر واسعاً[4] .

لابن سُرَيْج فى هذه الأبيات ثانى ثَقِيل بالوُسْطى عن عَمْرو وابْنِ المَكِّىّ وغيرهما وفيها رمل يُنْسَب إلى ابن عباد الـكاتب ، وإلى حاجب الخَزَوَّر[5] ، وإلى مسكين ابن صدقة .

حدّثنا الأخفش ، عن محمد بن يزيد قال : قال الزُّبَيرِى :

حُدِّثتُ أن سُكَيْنَةَ بنتَ الحُسَين عليه السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت : مَنْ بَـكْر هذا ؟ أليس هو الأسودُ الدَّحْداح[6] الذى كان يَمُرُّ بنا ؟ قالوا : نعم، فقالت : لقد طابَ كلُّ شىء بعده حتى الُخبز والزَّيت .

اعترض ابن أبى عتيق على شعره فى رثاء أخيه فخاصمه

وأخبرنى الحسَنُ بن علىّ الخَفَّاف قال : حدّثنا أحمدُ بن سَعيد الدِّمَشْقىّ قال : حدّثنا الزُّبَير بن بـكّار قال : حدثنى عمِّى قال :

لَقِىَ ابنُ أبى عَتِيق عُروة بن أُذَيْنَةَ فأنشده قوله :

لا بَكْوَ لى إذ دَعَوْتُ بَـكْراً ودُونَ بَـكْرٍ ثَرًى وطِينُ

(١) ف . «قديماً» بدل : « مديما » . وفى رغبة الآمل ٢–٢٣٨ : « كأن القلب سعر حر جمر » .
(٢) ف ، مج : «يا أصم» . (٣) ف : « عمر بن أذينة» .
(٤) تحجّر واسعا : ضيّق على نفسه .
(٥) س : « ينسب إلى أبى عباد الكاتب ، وإلى صاحب الحرون » .
(٦) الدحداح : القصير .

حتى فرغَ منها ، ثم أنشده :

* سَرَى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسرِي *

حتى بلغ إلى قوله :

* وأَيُّ العَيْشِ يَصلُحِ بعد بَكْرِ ! *

فقال له ابنُ أبي عَتيق[1] : كلُّ العَيْشِ والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت .

فغَضِب عُروةُ من قوله ، وقام عن مَجْلِسه ، وحلف ألاَّ يُكَلِّمه أبداً ، فماتا مُتَهاجِرَين .

(١) س ، مج : «ابن عتيق» .

ذكر مخارق وأخباره(١)

نسبه

هو مُخارِق بنُ يحيى بن ناووس الجَزَّار مَوْلَى الرَّشيد ، وقيل : بل ناوُوس لقَب أبيه يحيى ، ويكنى أبا المُهَنَّأ ، كناه الرشيد بذلك .

وكان قبله لعاتِكة بنت شُهْدَة ، وهى من المُغَنِّيات المُحْسِنات المُتقدِّمات فى الضَّرب ، ذكر ذلك مُخارِقٌ واعترفَ به . ونَشَأ بالمدينة ، وقيل : بل كان مَنْشَوُه بالكُوفة .

بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء

وكان أبوه جزّاراً مملوكا ، وكان مُخارِق وهو صبىّ ينادى على ما يبيعهُ أبوه(٢) من اللحم ، فلما بانَ طِيبُ صوتِه علّمته مولاتُه طَرَفاً من الغِناء ، ثم أرادت بيعَه ، فاشتراه إبراهيمُ الموصِلىُّ منها ، وأهداه للفَضْل بن يَحْيى ، فأخذه الرَّشيد منه ، ثم أعتقَه .

أخبرنى الحُسَين بن يحيى قال : قال حَمَّاد : حدّثنى زَكَرِيَّا مولام ، وأخبرنى محمدُ بن يَحْيى الصُّولِىُّ قال : حدّثنى عُبَيْدُ الله بن محمد بن عبدِ الملِك قال : حدّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن زَكَرِيَّا مَوْلاهم قال :

اشتراه إبرهيم الموصلى ثم وهبه إلى الفضل بن يحيى ثم صار إلى الرشيد

قَدِمَتْ مَولاةُ مُخارِق به من الكُوفه ، فنزلت المُخرِّمَ(٣) ، وصار إبراهيمُ إلى جَدِّى الأَصْبغ بن سِنان المُقَيِّن(٤) وسِيرين(٥) بن طَرْخان النَّخّاس ، فقالا له : إن

---

(١) جاءت هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين ١٤٣-١٥٩ ، وسقطت من طبعه بولاق ، وموضعها هنا ، كما جاءت فى نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة .

(٢) ف : «أبو مخارق» .

(٣) المخرم (بكسر الراء) : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى منسوبة إلى مخرم بن يزيد ابن شريح .

(٤) المقين من قَيَّنه تقييناً : زيَّنه .

(٥) فى المختار : « شير بن بن طرخان » . وفى مج : «بشر بن طرخان»، وفى ما : «ابن طرخان» .

هاهنا امرأةٌ من أهل الكوفة قد قَدِمت ومعها غلام يَتَغَنَّى ، فأُحبّ أن تنفعها فيه ، قال : فوجَّهنى مع مولاته لأَحمِلَهَ ، فوجدته مُتَمرِّغا فى رمل الجزيرة التى بإزاء المُخَرِّم وهو يلعب ، فَحَمَلْتُه خلفى وأتيتُ به إبراهيمَ ، فتغنّى بين يديه فقال لها : كم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرة آلاف درهم ، قال : قد أخذتُه بها وهو خيرٌ منها .

٥ فقالت : أَقِلْنى قال : قد فعلتُ ، فكم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرون ألفاً ، قال : قد أخذتُه بها وهو خيرٌ منها . فقالت : والله ماتَطيبُ نفسى أن أَمتَنِع[1] من عشرين ألف درهم بكَبِدٍ رطبة ، فهل لك فى خَصْلة تُعطينى به ثلاثين ألفَ درهم ولا أستَقِيلك[2] بعدها ؟ فقال : قد فَعلتُ وهو خير منها ، فَصَفَقَت على يَدِه[3] وبايَعَتْه ، وأمر بالمال فأُحْضِر ، وأمرَ بثلاثة آلاف درهم فزِيدَت عليه ، وقال : تكونُ هذه لهَدِيَّة تُهْدِينها

١٠ أو كُسْوة تَكْتَسِينها ، ولا تَثْلِمِين المال .

وراح إلى الفَضْل بن يحيى فقال له : ما خبرُ غلامٍ بلغنى أنك اشتريتَه ؟ قال : هو ما بلغَك ، قال ، فأَرِنيه ، فأحضَره ، فلما تَغَنَّى بين يدى الفَضْل قال له : ما أرى فيه الذى رأيت ، قال : أنتَ تُريد أن يكون فى الغِناء مثلى فى ساعة واحدة ، ولم يَكُن مثلُه فى الدّنيا ولا يكون أبداً . فقال : بكم تَبيعُه ؟ فقال : اشتريتُه بثلاثة وثلاثين

١٥ ألف دِرهم ، وهو حرٌ لوجه الله تعالى إن بعتُه إلا بثلاثة وثلاثين ألف دِينار ، فغضب الفَضْل وقال : إنما أردتَ أن تَمْنَعَنيه أو تجعلَه سبباً لأن تأخذَ منّى ثلاثةً وثلاثين ألف دِينار ، فقال له : أنا أصنعُ بك خَصْلَةً ، أُبيعُك نِصفَه بنِصْف هذا المال ، وأَكون شَرِيكك فى نصفه وأُعلّمه ، فإن أعجَبَك إذا علّمتُه أتممتَ لى باقى المال . وإلا بعتُه بعد ذلك وكان الرِّبحُ بينى وبينك . فقال له الفَضْل : إنما أردتَ أن تأخذ

٢٠ منّى المال الذى قَدَّمتَ ذِكرَه ، فلما لم تقدر على ذلك أردتَ أن تأخُذَ نصفَه .

(١) ف ، المختار : « والله ما تطيب نفسى أن أمنع كبدا رطبة عشرين ألف درهم » .

(٢) ف : « ولا أستقلك » . واستقاله البيع : طلب إليه أن يفسخه .

(٣) صفقت على يده : ضربت يدها على يده ، وذلك وجوب البيع .

وغضِب ، فقال له إبراهيمُ : فأنا أَهَبُه لك ، على أنه يُساوى ثلاثةً وثلاثين ألفَ دِينار ، قال : قد قَبِلْتُه ، قال : قد وهَبْتُه لك ، وغدَا إبراهيمُ على الرَّشيد ، فقال له : يا إبراهيم ما غُلامٌ بلغَنى أنك وهبتَه للفَضْل ؟ قال : فقلتُ : غُلام يا أميرَ المؤمنين لم تملِك العَربُ ولا العجَمُ مِثلَه ، ولا يكون مِثلُه أبداً ، قال : فوجَّه إلى الفَضْل فأمره بإحضاره ، فوجَّه به إليه فتغنَّى بين يديه ، فقال لى : كَمْ يُساوِى ؟ قال : قلت : يُساوى خَرَاجَ مِصْر وضِياعَها .

فقال لى : ويلك ، أتدْرى ما تقول ! مبلغُ هذا المال كذا وكذا ، فقلت : وما مِقْدارُ هذا المال فى شىء لم يَملِكْ أحدٌ مِثلَه قَطّ ! قال : فالتفتَ إلى مسرور الكبير وقال :

قد عرفْتَ يمِينى ألاَّ أسألَ أحداً من البَرامِكة شيئاً بعد فَنْفَنَةَ[1] ، فقال مَسْرور : فأنا أمضِى إلى الفَضْل فأستَوْهِبُهُ منه ، فإذا وهبه لى وكان عبدِى فهو عبدُك ، فقال له : شأنك . فمضى مَسْرور إلى الفَضْل فقال له : قد عرفْتم ما وَقَعْتُم فيه من أمر فَنْفَنَةَ[1] ، وإن منَعْتُموه هذا الغُلام قامَت القيامة ، واستَوْهَبه منه فوَهبه له ، فبلغَ ما رأيت . فكان عَلُّويةُ إذا غَضِب على مُخارق يقول له — حيث يقول : أنا مَولَى أميرِ المؤمنين — متى كنت كذلك ؟ إنما أنت عَبْدُ الفَضْل بن يحيى أو مَوْلَى مَسْرُور .

سبب تلقيب أبيه بناووس

أخبرنى ابنُ أبى الأَزْهر قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال :

كان مُخارقُ بنُ ناوُوس الجزَّار ؛ وإنما لُقِّب بناوُوس لأنه بايعَ رجلا أنه يمضى إلى ناوُوس[2] الكُوفَة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تَنْضَج ، فطَرَح رَهْنه بذلك ، فدسَّ الرجلُ الذى راهَنَه رَجُلا ، فألقى نفسه فى النَّاوُوس[2] بين الموتَى ، فلمَّا فرَغ من الطَّبيخ[3]

(١) المختار : « قنقنة » ، ولعله خادم أو جارية .

(٢) الناووس : مقبرة النصارى .

(٣) ف ، التجريد : « فلما فرغ ناووس من طبيخه » .

مَدَّ الرَّجل يدَه من بين الموتى وقال له : أَطعِمْنى ، فغرَف مِلْءَ المِغْرَفة من المَرَقة فصبَّها فى يد الرجل فأحرقَهـا ، وضَربَها بالمِغْرفة وقال له : اصبر حتى نُطعِم الأحياء أولا ثم نتفرَّغ للموْتى ، فلُقِّب بناووس لذلك ، فنشأ ابنُه مُخارِق ، وكان يُنادِى عليه إذا باعَ الجَزورَ ، فخرَج له صوتٌ عَجيب ، فاشتراه أبى وأهداه للرَّشيد فأمرَه بتَعْليمِه فعلَّمه حتى بلغ المَبْلَغَ الذى بلَغه . ٥

غنى الرشيد بعد ابن جامع فغاته

وكان يقِف بين يدى الرَّشيد مع الغِلمان لا يجلِس ، ويُغَنِّى وهو واقف ، فغَنَّى ابنُ جَامِع ذاتَ يوم بين يَدىِ الرَّشيد :

كأنَّ نِيرانَنا فى جَنْب قلْعتهم   مُصَبَّغاتٌ على أرسانِ قصَّار[1]

هَوَتْ هِرَقْلة لمّا أنْ رأتْ عَجَباً   حَوَائماً[2] تَرْتمِى بالنِّفْط والنَّار

١٠ فطَرِب الرشيد واستعاده عِدَّة مَرَّات ، وهو شعر مُدِح به الرشيد فى فتح هِرَقْلة ، وأقبل يومئذ على ابن جامِع دُون غيره ، فغَمز مُخارقُ إبراهيم بعينه ، وتقدَّمه إلى الخَلاء ، فلما جاءه قال له : مالى أراكَ مُنكَسِراً[3] ؟ قال : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد والله أخذتُه ، فقال له : ويْحَك إنه الرَّشيد ، وابنُ جامع مَنْ تَعلم ، ولا يُمكن ١٥ مُعارَضتُه إلا بما يَزيد على غِنائه ، وإلا فهو الموت ، قال : دَعْنى وخلاكَ ذَمٌّ ، وعرِّفه أنِّى أُغَنِّى به ، فإنْ أحسنتُ فإليك يُنسَب ، وإنْ أسأتُ فإلىَّ يَعود[4] . فقال لِلرَّشيد : يا أميرَ المُؤمنين ، أراكَ مُتعجباً من هذا

(١) المصبغات : الملونات . والأرسان من الأرض : الحزنة . والقصار : المبيض الثياب .

(٢) المختار : «جواثما» . وجاء البيت الثانى فى التجريد مكان الأول .

٢٠ (٣) ف : «مالى رأيتك مفكرا» .

(٤) التجريد ، ف : «وإن أسأت نعلىَّ يعود» .

الصوت بغير ما يُستحقه وأكثر مِمَّا يَسْتَوْجِبُه ، فقال : لقد أحسنَ ابنُ جامع ما شاء ، قال : أوَ لابنِ جامع هو ؟ قال : نعمْ ، كذا ذَكَر ، قال له : فإن عبدَك مُخارقاً يغنّيه ، فنَظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هاته ، فغَنَّاه وتحفَّظَ فيه ، فأتى بالعجائب، فطرب الرّشيد حتى كاد يطير فرَحًا ، وشَرِب ، ثم أقبل على ابنِ جامع فقال له : وَيْلك ، ما هـذا ! فابتدأ يَحلف له بالطّلاق وكلّ مُحرِجَةٍ أنّه لم يُسْمَع ذلك الصوت قطّ إلّا منه ، ولا صنَعه غيرُه ، وأنها حِيلةٌ جرَتْ عليـه ، فأقبل على إبراهيم وقال : أصدِقنى بحياتى ، فَصدَقَه[1] عن قصَّة مُخارق ، فقال له : أكذلك هو يا مُخارق ؟ قال : نعم يا مولاى ، فقال : اجلِس إذَن مع أصحابك ، فقد تجاوزْتَ مَرْتبةَ مَنْ يَقومُ ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار ، وأقطَعه ضَيْعةً ومنزِلا .

كان سبب عتقه وغناء لحنا غناه أمام الرشيد

أخبَرنى محمدُ بنُ خلَف وكيع ، وحدَّثنى محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان قال وَكيع : حدّثنى هارُون بنُ مُخارق ، وقال ابنُ المَرْزُبان : ذَكر هارونُ ابن مُخارق قال :

كان أبى إذا غنّى هذا الصوت :

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لى طَرَباً زدْتَ الفؤادَ على عِلاّتِه وَصَبَا[2]

رَبْعٌ تبدَّل مِمّن كانَ يَسكُنُه عُفْرَ الظّباء وظِلماناً به عُصَبَا[3]

يبكى ويقول : أنا مَولَى هذا الصَّوت ، فقلتُ له : وكيف ذاكَ يا أبَتِ ؟ فقال : غنَّيته مولاى الرَّشيد فبكى وشرب عليه رطلا ، ثمَّ قال : أحسنْتَ يا مُخارق فسَلْنى حاجتَك ، فقلتُ : أن تُعتِقَنى يا أمير المؤمنين أعتقك الله من

(١) المختار : « فصدق » .
(٢) ف : «نصبا» .
(٣) العصب : جمع عُصْبة ، وهى الجماعة .

النَّار ، فقال : أنت حرٌّ لوجه الله ، فأعِدِ الصوتَ ، فأعدْتُه فبكى وشرب رطلاً ثم قال : أحسنتَ يا مُخارق فَسَلْني حاجتَك ، فقلت : ضَيْعةٌ تقيمُني غَلَّتُها ، قال : قد أمرتُ لك بها ، أَعِدِ الصوت ، فأعدْتُه فبكى وقال : سَلْ حاجتك ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين تأمر لى بمنزل وفرش وخادم ، قال : ذلك لك ، أَعِد الصَّوت ، فأعدته ، فبكى وقال : سَلْ حاجتَك ، فقبَّلتُ الأرْض بين يديه وقلت : حاجتى أن يُطيل الله بقاءك ويُديم عزَّك ويجعلنى من كلّ سوءٍ فداءك ، فأنا مَولى هذا الصوت بعد مولاى .

المأمون يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدى

[1] وذكر محمدُ بنُ الحسن الكاتب أنَّ أبان بنَ سعيد حدَّثه :

أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدىّ ومخارق فقال : يا أمير المؤمنين إذا تغنَّى إبراهيمُ بنُ المَهدىّ بعلمه فَضَل مخارقاً ، وإذا تَغَنَّى مخارق بطبعِهِ وفضْل صوته فَضَل إبراهيم ، فقال له : صدقت [1] .

أخبرنى علىُّ بنُ سُليمان الأخفش قال : حدَّثنا المُبردُ بهذا الخبر فقال : حدَّثنى بعضُ حاشية السلطان :

أنَّ إبراهيم المَوْصلىّ غنّى الرَّشيدَ يوما هذا الصوت فأُعجِب به وطرب له واستعاده مراراً ، فقال له : فكيف لو سمعتَه من عَبْدِك مُخارِق ، فإنَّه أخذه عَنِّى وهو يَفضُل فيه الخَلْقَ جميعاً ويفْضُلُنى ، فدعا بمخارق فأمره أن يُغَنِّيَه ، وذكر باقى الخبر مِثْلَ الذى تقدَّم .

كناه الرشيد أبا المهنأ لإحسانه فى الغناء

أَخْبَرَنى الحسَنُ بنُ علىّ قال : حدثنا ابنُ أبى الدُّنيا ، عن إسحاق بن محمد النَّخعىّ ، عن الحُسَين بن الضَّحاك ، عن مُخارق :

أن الرَّشيد قال يوما للمُغنِّين وهو مُصطبِح ، من منكم يغنِّى [2] :

* يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هَيَّجْتَ لى طَرَبًا *

(١-١) هذا الخبر ساقط من ف . (٢) ف : «يغنينى» .

فقمتُ فقلتُ : أنا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : هاته ، فغنّيتُه ، فطَرِب وشَرِب ثم قال : علىّ بِهَرْثَمةَ بنِ أَعْيَنَ ، فقلتُ فى نفسى : ما يُريد منه ؟ فجاءوا بهرثمة ، فأُدخِل إليه وهو يَجُرّ سيفَه ، فقال له : يا هَرْثَمة ، مُخارق الشّارى[1] الذى قَتَلْناه بناحية المَوْصل ما كانت كُنْيَته ؟ فقال : أبو المُهَنّأ ، فقال : انصَرِفْ ، فانصرفَ ، ثم أقبل علىّ وقال : قد كَنَيْتُك أبا المُهنّأ لإحسانك ، وأمر لى بمائة ألف دِرْهم ، فانْصَرَفْتُ بها وبالكُنْية . ٥

الواثق يعذر غلمانه حين تركوا قصره وذهبوا لسماع غنائه

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال : حدثنى علىُّ بنُ محمد بن نَصْر البَسّامِىّ قال : حدّثنى خالى أبو عبد الله بن حَمْدُون قال :

رُحْنا إلى الواثق وأُمّه عَليلة ، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أُمه ، وأمَر بألاّ نَبرح ، وكان فى الصّحن حُصْرٌ غيرُ مَفْرُوشة . فقال لى مخارق : ١٠ امْضِ بنا حتى نَفْرِش[2] حَصيراً من هذه الحُصْر فنجلس على بعضه ونَتّكِئَ على المُدَرَّج منه ، وكانت ليلةً مُقمِرةً ، فمضينا ففرشنا بعض تلك الحُصْر ، واستلقينا وتحدثنا ، وأبطأ الواثق عند أُمّه ، فاندفع مُخارق فغنّى :

أيا بَيْتَ لَيلَى إنّ لَيلَى عَريبةٌ ... بِراذانَ لا خالٌ لديها ولا ابنُ عَمّ[3]

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح : يا غلام ، فلم يُجبه أحدٌ ، ١٥ ومشى من المجلس إلى أن تَوسّط الدّار ، فلما رأيتُه بادرتُ إليه ، فقال :

---

(١) الشارى : من يبيع نفسه فى طاعة الله ، واحد الشراة . والشراة : فرقة من الخوارج .

(٢) فى س ، ف : «نبسط حصيرا» ،

(٣) راذان «بعد الألف ذال معجمة» الأسفل ، وراذان الأعلى : كورتان بسواد بغداد تشتملان على قرى كثيرة ، وأورد ياقوت فى معجمه ٢ — ٧٣٠ البيت بعد قوله : وقال سُرّة بن عبد الله الهدى فى راذان المدينة ، وجاء بعده البيتان : ٢٠

ويا بيت ليلى لو شهدتك أعولت ... عليك رجال من فصيح ومن عجم

ويا بيتَ ليلى لا يبست ولا تزل ... بلادك يسقيها من الواكف الدّيم

وفى ف : «بداران» بدل «براذان» .

لى : وَيلك ، هل حدَث فى دارى شىءٌ ؟ (١ فقلت : لا ياسيِّدى ، فقال : فمالِى أَصِيح فلا أُجاب ! ١) فقلت : مُخارق يغنِّى والغِلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لسماعِ غيرِ ما يسمعونه منه ، فقال : عُذْرٌ واللهِ، لهم يا بن حمْدُون وأىُّ عُذْر ! ثم جلس وجَلسْنا بين يديه إلى السَّحَر .

إبراهيم الموصلى يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم

وذكر هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك أنَّ مُخارقا كان ينادِى على اللَّحْم الذى يَبيعه أبوه ، فيُسمَع له صوتٌ عجيب ، فاشترته عاتكةُ بنتُ شُهدة وعلّمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير ، ثم باعَتْه من آل الزُّبير ، فأخذه منهم الرَّشيد وسلمه إلى إبراهيم المَوْصِلىّ ، فأخذ عنه ، وكان إبراهيم يُقدِّمه ويؤْثِره ويخُصّه بالتَّسليم لمَّا تَبيَّنه منه ومن جودة طبعه .

كان عبدا لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء

أخبرنى علىُّ بنُ عبدِ العزيز الكاتب قال : حدَّثنى ابن خُرداذْبَه قال : كان مُخارق بن يحيى بن ناوُوس الجَزّار ، وكان عبدًا لعاتكةَ بنتِ شُهْدة ، وكانت عاتكة أحذقَ الناس بالغناء ، وكان ابنُ جامع يلوذ منها بالتَّرْجيعِ (٢) الكثير ، فتقول له : أينَ يُذهب بك ؟ هلُمَّ إلى معظم الغناء ودَعْنى من جُنونك ، قال : فحدَّثنى مَنْ حَضرها أنَّ عاتكة أفرطت يوْماً فى الردِّ على ابن جامع بحضْرة الرَّشيد ، فقال لها : أىْ أُمَّ العبَّاس ، أنا — يَشْهد الله — أُحِبّ (٣) أن تحْتَكّ شِعْرَتى بِشِعرتِك ، فقالت له : اسكت قَطع الله لسانَك ، ولم تُعاود بعد ذلك أذيّته ، قال : وكانت شُهدةُ أمُّ عاتكة نائحة . هكذا ذكر ابنُ خُردَاذْبَه ، وليس الأمر فى ذلك كما ذكره .

حدَّثنى محمد بنُ يحيى الصُّولىّ قال : حدَّثنا الغلابىُّ قال : حدَّثنى علىٌّ

(١ — ١) ساقط من ف .

(٢) [illegible] وفيه : ردده فى حلقه .

(٣) ف : « أشتهى » .

محمد بن داود يغنى الرشيد بلحن أخذه عن شهدة فيفوق المغنين

ابن محمد النَّوفلىّ عن عبدِ الله بنِ العبَّاس الرَّبيعىّ ، أنَّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ المَوْصلىُّ وإسماعيلُ بنُ علىّ عند الرَّشيد ، ومعهم محمدُ بن داودَ بنِ علىّ ، فغنَّى المغنُّون جميعاً ، ثم اندفع محمد بن داود فغنَّاه :

صــوت

أُمَّ الوَليد سَلبْتِنى حِلمى ... وقتلْتِنى فتَحلَّلى إثْمِى[1]

بالله يا أُمَّ الوَليد أَمَا ... تَخْشَين فىَّ عواقبَ الظّلْمِ !

وتَركْتِنى أبغى الطّبيبَ وما ... لطبِيبنا بالدَّاء من عِلمِ[2]

قال : فاستحسنه الرَّشيد وكلُّ مَنْ حضر وطر واله ، فسأله الرَّشيدُ : عمَّنْ أخذتَه ، فقال : أخذْتُه عن شُهدة جاريةِ الوَليد بنِ يزيد ، قال عبدُ الله بن العبَّاس ، وهى أمُّ عاتـكةَ بنتِ شُهدة .

الأبياتُ المذكورة التى فيها الغِناء لعُبيد الله بن قَيْس الرُّقيَّـاتِ ، وتمامُها :

لِلّه دَرُّكِ فى ابن عَمِّك قَدْ ... زَوَّدتِه سُقْماً على سُقْمِ

فى وجهها ماء الشَّباب ولم ... تُقْبِل بمَكْرُوهٍ ولاجَهْمِ[3]

والغناء فيه لابنِ مُحْرِز لحنان ، كلاهما له ، أحدهما ثقيل الأوَّل بالخِنصَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن

---

(١) تحللى إثمى : أبيحيه أو اجعليه حلالا . وفى الديوان — ١٤٩ ط بيروت : « فتحمل إثْـمى » وفى ف : « فتجللى » .

(٢) فى الديوان —١٤٩ :

بالله يا أم البنين ألم ... تخشى عليك عواقب الإثم

وتركتنى أدعو الطبيب وما ... لطبيبكم بالداء من علم

(٣) فى الديوان — ١٥٠ : « وبوجهها ماء الشباب ولم * تقبل بملعون ولاجهم » والجهم : الاستقبال بوجه كريه .

عمرو بنِ بانةَ ، وفيه لمالك ثانى ثَقيل عن الهِشامىّ وحَبَش ، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنْصر عنهما ، وثقيل أوّل للحسين بن مُحْرِز .

الواثق يوازن بين جماعة من المغنين ويذكر أثر غناء مخارق

وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزّيات : قال أبى :

قال الواثقُ أميرُ المؤمنين : خَطأُ مخارِق كصواب عَلُّوية ، وخطأُ إسحاق كصَوَاب مُخارق ، وما غنّانى مُخارِق قطّ إلا قُدِّرت أنّه من قلبى خُلِق ، ولا غَنَّانى إسحاق إلا ظننت أنه قد زِيد فى ملكى ملكٌ آخر .

قال : وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فَضلَ مخارق على جميع أصحابه : انظُروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون فى السِّماط . فكانوا يتفقّدونهم وهم وُقوف ، فكلهم يسمَعُ الغناء مِن المُغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا تغنّى مخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرّكت أرجلُهم ومناكِبُهم ، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم ، وازْدحمُوا على الحَبل الذى يقفون من ورائه .

يستوقف الناس بحسن صوته فى الأذان

قال هارون : وحُدِّثتُ أنه خرج مرّة إلى باب الكُناسة بمدينة السّلام ، والنّاسُ يرتحلون[1] للخروج إلى مكة ، فنظر إليهم واجتماعهم وازْدِحامهم[2] ، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه : قد جاء فى الخبر أنّ ابنَ سُرَيْج كان يَتغنّى فى أيام الحجِّ ، والنّاس بِمِنًى فيَستوقفُهم بغنائه ، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وَأستلْهِيهم جميعا ، لتعلمُوا أنه لم يكن ليفضُلنى إلا بصنعته دون صوْته ، ثم اندفع يؤذّن ، فاستوقف أولئك الخَلْق واستلهاهم ، حتى جعلت المحاملُ يغشَى بعضُها بعضاً ، وهو كالأعمى عنها لِمَا خامر قَلْبَه من الطَّرب لحُسنِ ما يسمع .

أخبرنى أحمدُ بن جعفر جحظة قال : حدثنى ابنُ أخت الحاركىّ وأبو سعيد

(١) ف ، مج : «يترحلون» . وفى ما : «يرحلون» .

(٢) س : «فنظر إلى كثرتهم واجتماعهم وازدحامهم» .

أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجابا شديدا

الرّامَهُرْمُزِىُّ ، وأخبرنى علىُّ بنُ سُليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بنُ يزيد الأزدىُّ[1] ، عن أحمد بن عيسى الجلودىّ عن محمد بن سعيد التّرمذىّ — وكان إسحاقُ إذا ذكر محمداً وصفه بحسن الصّوت ، ثم قال : قد أُقلِتْنا منه ، فلو كان يُغنّى لتقدّمنا جميعاً بصوته — قالوا :

جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستفتح[2] ، فإذا مخارق قد خرج إليه ، فقال له أبو العتاهية : ياحُسّان[3] هذا الإقليم ، ياحكيمَ أرض بابل ، اصبُبْ فى أذنى شيئاً يَفرحْ به قلبى ، وتنعم به نفسى ، فقال : انزلوا ، فنزلنا ، فغنّانا ، قال محمدُ بنُ سعيد : فكدت أسعى على وجهى طرباً . قال : وجعل أبو العتاهية يبكى ، ثم قال له : يادواء المجانين لقد رقّقتَ حتى كِدتُ أحسُوك ، فلو كان الغِناء طعاماً لكان غِناؤك أُدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

أبو العتاهية يشتهى سماعه حين حضرته الوفاة

نسختُ من كتاب ابن أبى الدُّنيا : حدّثنى بعضُ خَدَم السُّلطان قال :

قال رجل لأبى العتاهية وقد حضرتْه الوفاةُ : هل فى نفسك شئ تَشْتهيه ؟ قال أن يَحضُر مخارق الساعة فيُغنّيني .

سيُعرَضُ عن ذِكْرى وتُنْسَى مودّتى[4] ويحدثُ بعدى للخليل خليلُ
إذا ما انقضت عنّى من الدهر مُدّتى فإن غَناء الباكيات قليلُ

سأل أبا العتاهية عن شعره فى تبخيل الناس

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا محمدُ بن علىّ بن حمزة العَلوىُّ قال : حدّثنا على بن الحسين بن الأعرابىّ قال :

لقى مُخارقٌ أبا العتاهية ، فقال له : يا أبا إسحاق ، أأنت القائل :

(١) س : « محمد بن يزيد المبرد الأزدى » .
(٢) ف : « إلى باب مخارق واستفتح » .
(٣) حَسُن الشىءُ : جَمُل ، فهو حاسِنٌ وحَسَن وحَسِين وحُسّان .
(٤) ف ، المختار : « ستعرضُ عن ذكرى وتَنْسَى مودتى » بالبناء للفاعل .

اصْرِف بطَرْفِك حيثُ شِئـ ـتَ فلن تَرى إلاَّ بخيلا

قال له : نعَمْ . قال : بخَّلتَ الناسَ جميعا ، قال : فاصْرِف بطرفك يا أبا المُهنَّأ فانظُر فإنَّك لن ترى إلاَّ بخيلا ، وإلا فأَكْذِبنى بجواد واحد ، فالتفَت مُخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال : صـدَقْتَ يا أبا إسحاق ، فقال له أبو العَتاهية : فَدَيْتُك ، لوكنتَ ممَّا يُشْرَب لَدُرِرْتَ على الماء وشُرِبْتَ .

غنّى بين قبرين فترك الناس أعمالهم والتفوا حوله

أخبرنى إسماعيلُ بنُ يونُس الشِّيعىُّ قال : حدثنا عمرُ بن شبَّة قال : حدَّثنى بعضُ آل نُوبَخْت قال :

كان أبى وعبدُ الله بنُ أبى سهل وجماعةٌ من آل نُوبَخْت وغيرهم وُقوفاً بكُناسةِ الدَّوابّ فى الجانب الغربىّ من بغداد يتحدَّثون ، فإنهم لـكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود ، وعليه قميص رَقيق ورداء مُسَهَّم[1] ، قال : فِيمَ كنتم ؟ فأخبَرُوه ، فقال : دَعُونى من وَسْواسِكم هذا ، أىُّ شىء لى عليكم إن رميْتُ بنفسى بين قبرين من هذه القُبور وغطَّيتُ وجهى وغنَّيت صَوْتاً ، فلم يبق أحدٌ بهذه الكُناسة ولا فى الطَّريق من مُشْترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلا ترك عمله وقرُب منِّى واتَّبع صوتى ؟ فقال له عبد الله : إنِّى لأحِبّ أن أرَى هذا ، فقل ما شِئتَ ، فقال : فَرسُك الأشقرُ الذى طلبتُه منك فمنَعْتَنِيه ، قال : هو لك إن فعلتَ ما قلتَ ، ثمّ دَخَلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه ، ثمّ اندَفع يُغنِّى فغنَّى فى شعر أبى العتاهية :

نادَتْ بوَشْك رَحِيلكَ الأيامُ أفلسْتَ تسمعُ أمْ بك استِصْمامُ !

(١) سهّم الثوب : صور فيه سهاما ؛ فهو مُسَهَّم .

قال : فرأيتُ النـاسَ يتقوَّضُون إلى المقبرة أرسالاً[١] من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحِب جَدْى[٢] ومارٍّ بالطريق ، حتى لم يبق بالطريق أحدٌ ، ثم قال لنا من تحْت ردائه : هل بَقِيَ أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرَّهن ، فقام فركب حمارَه ، وعاد النَّاسُ إلى صَنائِعهم ، فقال لعبدِ الله : أَحْضِر الفَرسَ ، فقال : على أن تُقيم اليومَ عندى ، قال : نعم ، فانصرفنا معهما ، وسَلَّم الفرسَ إليه وبَرّه وأحسن إليه وأحسن رفده .

نسبة هٰذا الصوت

صـوت

نادتْ بوَشْك رحيلِك الأيّامُ أَفلستَ تَسْمَعُ أم بك استِصْمامُ !

ومَضَى أمامكَ مَنْ رأيتَ وأنتَ لِلْ باقين[٣] حتىّ يَلْحقوك إمامُ

مالى أراكَ كأنَّ عينكَ لاترَى عِبراً[٤] تمرُّ كأنّهنّ سِهامُ

تمضِى الخُطوبُ وأنت مُنْتَبِهٌ لها فإذا مَضَتْ فكأنّها أحلامُ

الشِّعْر لأبى العَتاهية ، والغناء لإبراهيمَ ثقيل أول بالوسطى ، وفيه لمُخارِق هزَج بالوُسطى ، كلاهما عن عمرو ، وفيه رمل يقال : إنه لعلُّوية ، ويقال : إنه لمخارق عن الهشامىّ .

بكى أبو العتاهية حين سمع جارية تغنى لها لمخارق فى شعر له

أخبَرنى جحْظةُ قال : ذكر ابنُ المكّىّ المرتَجلُ عن أبيه :

أنَّ أبا العَتاهيةَ دخل يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغنىّ ، فقال :

(١) يتقوضون : يجيئون ويذهبون ، وفى المختار : « ينفضون » . والأرسال جمع رسل : الجماعة من الناس .

(٢) ما ، المختار : « وصاحب شوك وصاحب كرى » . والشول جمع شائلة على غير قياس ، وهى من الإبل : التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها .

(٣) ف : « وأنت فى الباقين » . (٤) ف : « عيراً » .

يا أبا إسحاق إن هذه الجارية تُغنّى صوتاً حسناً فى شعرٍ لك، أفتَنشَط إلى سماعه؟ قال : هاتيه، فغنّته لحناً لعمْرو بن بانة فى قوله :

* نادَت بِوَشْك رحيلك الأيّامُ *

فعبَس وبَسَر وقال : لاجزَى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصَّنعةَ فى شِعْرى، قال : فإنّها تُغنّى فيه لحناً لمخارِق، قال . فلتُغَنِّه فغنَّته، فأعجبَه وطرب حتى بكى ثم قال : جَزى اللهُ هذا عنّى خيراً، وقام فانصرف .

وقد روى هذا الخبرَ هارونُ بنُ الزيّات، عن حمّادِ بن إسحاق عن أبيه، عن غَزْوان : أنه كان وعُبَيْد الله بنُ أبى غسّان، وأبو العتاهية، ومحمد بنُ عمرو الرُّومىّ، عند ابن أبى مَرْيم[1] ومعهم مُغنّية يقال لها بنتُ إبليس، فغنّى عبيدُ الله ابن أبى غسّان فى لحن مخارق .

* نادَت بِوَشْكِ رحيلك الأيّامُ *

فلم يَستحسِنه أبوُ العتاهية، ثمّ غنّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهدىّ فأطربه، وقال : جزى الله عنّى هذا خيراً .

أخبرنى إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعىّ قال : حدّثنا عمرُ بن شبّة قال : بلغنى أنّ المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهى تُغنّى :

صــوت

أمِنْ قَطْرِ النّدى نظَمْــتَ ثغرَك أم من الـبَرَدِ!
وريقُكَ من سُـلافِ الـكَرْ م أم من صفْوة الشُّهُدِ!
أيا مَنْ قد جرى مِنّى كمجْرَى الرُّوح فى الجسَدِ[2]
ضَمِيرُك شـاهِدى فيما أُقاسِيه من الـكَمَـدِ

(١) ف : « عند ابن أبى موسى » . (٢) ف : « فى جسدى » .

والغناء لمخارق رَمَل ، فقال لها : وَيْحك ، لِمَنْ هذا الغناء ؟ فقالت : أخذتُه من مُخارق ، قال : فألقِيه على الجوارى جميعا ، ففعلت ، فلما أخذْنَه عنها أمر بإخراجهنّ إليه ، ودعا بالنَّبيذ ، وأمر بألاّ يُغنِّينه غيره ثلاثة أيام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

أدخل أبا المضاء الأسدى بيته وسقاه وغنّاه وكساه فقال فيه شعرا

وأخبرنا إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعىّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبَّة قال : قال عُمَرُ بن نوح بن جرير :

سألتُ أبا المَضاء الأسدىّ أن يُنشِدنى فقال : أُنشِدُك من شِعْرى شيْئاً ، قُلتُه لرجل لقيتُه على الجسر ببغداد ، فأعجبه منى ما يرى من دماثتى ، وأقبلتُ أحدِّثُه وهو يُنصِت لى ، وأُنشِده وهو يُحسِن الإصغاء إلى إنشادى ، ويُحدِّثنى فيُحسن الحديث ، حتى بَلَغْنا منزله ، فأدْخلنى فغدَّانى ثم لم يَرِمْ حتى كسانى وسقانى فروّانى ، ثم أسمعنى والله شيئاً ما طار فى مسامعى شىء قطّ أحسن منه ، فلما خرجتُ سألت عنه ، فقال لى غِلمانُهُ : هذا أبو المُهنَّأ مُخارق ، فقلتُ فيه :

أعاد اللهُ يوم أبى المُهنَّا ... علينا إنَّه يوم نضيرُ[1]
تغيَّبَ نَحسُهُ عنَّا وأرْخَى ... علينا وابلٌ جَودٌ[2] مطيرُ
فلمَّا أن رأيتُ القَطْر فوق ... وأقداحاً يَحُثّ بها المُديرُ
وأَسعدَنا بصوْتٍ لو وعاه ... ولىُّ العهد خفّ به السّرير[3]
تذكَّرتُ الحبيبَ وأهلَ نجْدٍ ... وروضاً نبتُه غَضٌّ نضيرُ

قال : فقلتُ له : ولِمَ ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه ؟ وكان ينبغى لك أن تنساه ، قال : كلاَّ ، إنّ المرء إذا كان فيما يُحِبّ تذكّرَ أهلَه ، قلت : فما غنَّاك ؟ قال : غنّانى :

---

(١) ف : « يوم قصير » .
(٢) الجوْدُ : المطر الغزير ، وقد يأتى وصفا كما ورد فى البيت .
(٣) مى : « خف به السرور » .

وما رَوْضَةٌ جاد الرَّبيعُ بِهَطْلِهِ عليها فروَّاها وَرَقَّتْ غُصونُها
وهبَّت عليها الرِّيحُ حتى تبسَّمت وحتى بدَت فوق الغُصون عيونُها
بأحسنَ منها إذ بدَتْ وسطَ مجلسٍ وفى يدها عودٌ فصيحٌ يَزينُها
وقد أنطقَتْه والشِّمالُ جَرِيَّةٌ على عَقْدِ ما تُلقى عليها يمينُها(١)

قال : فلم يزل يُردِّدُه علىَّ حتى قَضَيْتُ وطرى من لَذَّتى وحَفظْتُه عنه .

غنى لإبراهيم الموصلى فجرت دموعه ونشج أحرّ نشيج

أخبرنى جَحْظة قال : حدَّثنى حمَّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه قال :
دخلتُ على جدِّك إبراهيم وهو جالسٌ بين بابَيْن له ، ومُخارقٌ بين يديه يُغنِّيه :

يا رَبْعَ بِشْرةَ إن أضرَّ بك البِلَى فلقد رأيتُك آهِلاً معمورًا

قال : واللَّحنُ الذى كان يُغنِّيه لمالِك ، وفيه عِدَّةُ ألحانٍ مشتركة ،
فرأيتُ دُموعَ أبى تَجْرِى على خَدَّيه من أربعة أماكن وهو يَنْشِج أحرَّ نشيج(٢) ،
فلمّا رآنى قال : يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواء غدًا إن مات أبوك .

رأى رؤيا فسّرها إبراهيم الموصلى بأن إبليس قد عقد له لواء صنعة الغناء

أخبرنى الحسنُ بن علىّ الخفَّاف قال : حدَّثنى محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنى هارونُ بنُ مُخارق ، عن أبيه قال :
رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأنّ شيخًا جالسًا على سرير فى روضة حسنة قد دعانى ،
فقال لى : غنِّنى يا مُخارق ، فقلت : أصوتًا تقترحه أم ما حضر ؟ فقال :
ما حضر ، فغنَّيته بصَنْعتى فى :

صوت

دَعِى القَلبَ لا يزْدَدْ خَبالاً مع الذى به منكِ أو داوِى جَواه المُكَتَّما
وليس بتزْويق اللسانِ وصوْغِه ولكنَّه قد خالط اللَّحمَ والدَّما

(١) ف : « ماتلقى عليه يمينها » ، والشمال : الريح التى تهب من جهة الشمال وتقابل الجنوب . والجرية : الوكيلة .
(٢) نشج الباكى نشيجا : غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .

ولحنُ مُخارق فيه ثقيلٌ أول ، وفيه لابن سُرَيج رمل

قال : فقال لى : أحسنتَ يا مُخارق ، ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفَّه على المِضراب ، ودَفعه إلىّ ، فجعل المِضرابُ يَطُول ويغلُظ، والوتر ينتشِر ويَعرُض حتى صار المِضرابُ كالرُّمح ، والوتر كالعَذبة عليه ، وصار فى يدِى علماً ، ثم انتبهْتُ فحدَّثْتُ برؤياى إبراهيمَ المَوْصلىّ ، فقال لى : الشّيخُ ، بلا شك ، إبْليسُ ، وقد عقَد لك لواء صَنْعتِك ، فأنت ما حييتَ رئيسُ أهلها . ٥

قال مؤلِّف هذا الكتاب : وأظُنُّ أنّ الشاعرَ الذى مدح مخارقاً إنما عنَى هذه الرؤيا بقوله :

لقد عَقَد الشَّيخُ الذى غرَّ آدما ... وأخرجَه من جنّةٍ وحدائقِ

لِواءىْ فُنُونٍ للقريض وللغِنا ... وأقسَم لا يُعطيهما غيرَ حاذِقِ ١٠

وذكر محمدُ بنُ الحسَن الكاتب ، أنّ هارونَ بنَ مُخارق حدَّثه فقال :

أرسل الواثق جواريه إلى بيته ليصحح لهن صوتا

كان الواثقُ شديدَ الشَّغف بأبى ، وكان قد اقْتطعه عنّا ، وأمر له بحُجْرة فى قصره ، وجعل له يوما فى الأسبوع لنَوْبته فى منزلِه ، وكان جَواريه يَختلفن(١) لذلك اليوم ، قال : فانصرف إلينا مرّةً فى نَوْبته فصلّى الغداةَ مع الفجر على أسِرَّةٍ فى صحن الدّار فى يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح ، فما راعنا إلا خَدمٌ بيضٌ قد دخلوا فسلّموا عليه وقالوا : إن أمير المؤمنين قد دعا بنا فى هذه الساعة ، فأعَدْنا عليه الصوتَ الذى طرحتَه علينا فلم يَرْضَه من أحدٍ منا ، وأمرنا بالمصير إليك لنصحِّحه عليك ، قال : فأمر غلمانَه فطرحوا لهم عِدَّة كراسىّ فجلسوا عليها ، ثم قال لهم : رُدّوا الصوت ، فردُّوه ، فلم يرضَه من أحدٍ منهم ، فدعا بجاريته عَميم ، فردَّته عليهم ، فلم يرضَه منها ، قال : ١٥ ٢٠

(١) فى ما ، ف : « يحتفلن » .

فتَحَوّل إليهم ثم اندفع فَرَدّ الصوت على الخَدَم ، فخرج الوصائفُ مِنْ حُجَر جَواريه حتى وقَفن حوالَى الأسِرَّة ، ودَخل غلامٌ من غِلمانه وكان يستقى الماء ، فهَجَم على الصَّحْن بدلوه ، وجاءت جارية على كتفِها جرّة من جِرار المُزَمَّلات[1] ، حتى وقفتْ بالقُرب منه ، قال : وسبقتنى عيناى فما كففتُ دموعها[2] حتى فاضت .

٥ ثمّ قطع الصوتَ حين استوفاه ، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سَعياً إلى حُجَر الجوارى ، وخَرج الغُلام السَّقّاء يشتدُّ إلى بغلة ، ورجعت الجاريةُ الحاملة الجرة المُزَمَّلة شَدًّا إلى الموضع الذى خَرجت منه ، فتبَسَّمَ أبى وقال : ما شأنُك يا هارون؟ فقلت : يا أبتِ جَعلنِى اللهُ فداءك ، ما ملكتُ عَيْنِى ، قال : وأبوك أيضاً لم يَملك عينَه .

نام فى بيت إبراهيم ابن المهدى وهو يغنى ثم انتبه وأكمل الغناء

١٠ وذكر هارونُ بن الزَّيات عن أصحابه قال :

جمع إبراهيم بنُ المهدىّ المغنِّين ذات يوم فى منزله ، فأقاموا ، فلمّا دخلوا فى الليل نَمِل مُخارِق وسَكِر سُكراً شديداً ، فسألوه أن يغنى صوتاً ، فغنّى هذا البيت من شعر عُمَر بن أبى ربيعة المَخزُومىّ :

قال : سارُوا وأمعَنوا واستَقلّوا وبرَغْمِى لو اسْتَطعتُ سبيلا

١٥ فانتهى منه إلى قوله : واستقلوا . وانثنى نائماً ، فقال إبراهيم بن المَهدىّ : مَهِّدُوه[3] ولا تُزعِجوه ، فمهَّدُوه ونام ، حتى مضى أكثر الليل ، ثم استقلّ من نَوْمه فانتبه وهو يُغنّى تمام البيت :

* وبرَغْمِى لو استَطعتُ سبيلا *

[4] وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته[4] .

٢٠ (١) المزملات : جمع مزمّلة ؛ وهى الجرة يبرد فيها الماء ، وفى وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) .

(٢) ف : «دموعهما» .

(٣) مهدوه : مكنوه من النوم .

(٤–٤) التكملة من ف .

قال : فجعل إبراهيم يتعجّب منه ، ويَعْجب منه مَنْ حَضَره ، من جودة طَبْعِهِ وذكائِهِ وصحّة فهمه .

محمد بن الحسن ابن مصعب يسأل إسحاق عنه وعن إبرهيم بن المهدى: أيهما أحذق غناء

حدثنا يحيى بنُ علىّ بن يحيى المُنجّم قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قال محمد بن الحسن بن مصعب :

قلت لإسحاق يوماً : أسألك بالله إلاّ صدَقْتَني فى مُخارق وإبراهيم بن المَهدىّ ، أيهما أحذَق وأحسنُ غِناء ؟ فقال لى إسحاق : أجادٌ أنت ؟ والله ما تقاربا قطّ ، والدّليل على فضل مُخارق عليه أنّ إبراهيم لايؤدِّى صوتا قديما ثقيلا جيّدًا أبدًا ولايستوفيه ، وإنما يُغنِّى الأهزاج والغناء الخفيف ، وأمّا الذى فيه عمل شديد فلا يُصيبه .

طلب منه سعيد ابن سلم الغناء فى شعر ضعيف

أخبرنى يحيى قال : حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينىّ قال : حدثنى بعضُ ولد سعيد ابن سَلْم قال :

دخل مُخارقٌ على سَعيد بن سَلْم فسأله حاجَةً ، فلما خرج قيل له : أما تعرف هذا ؟ هذا مُخارق ، فقال : ويحكم ! دخل ولم نَعرفه ، وخرج ولم نَعرفه ، رُدُّوه ، فردُّوه ، فقال له : دَخلْتَ علينا ولم نعرفك ، فلمّا عَرَفناك[1] أحبَبْنا ألاّ تخرُج حتى نسمعك ، فقال له : أىّ شىء تشتهى أن أُسمِعك ؟ فقال :

يا ريحُ ما تَصنَعِين بالدِّمَنِ[2] كم لك من مَحْوِ مَنْظرٍ حَسن !

فغنَّاه مُخارق ، فلمَّا خَرَج قال لبعض بنيه : أبوكم هذا نِكْس[3] يتشهَّى على مثلى :

* ياريحُ ما تصنعِينَ بالدِّمَنِ *

---

(١) ف : «عرفنا» .

(٢) الدمن جمع دمنة ، وهى آثار الدار .

(٣) النكس : الضعيف الذى لا خير فيه .

أخبرنا يحيى بنُ عليّ قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال: حدّثنى عمّى محمد قال: سمعتُ أبى يقول وقد غنّى مُخارق: نعم الفسيلة[1] غَرْسُ إبليس فى الأرض.

جارية تغنى صوتا له بحضرته فتحسن

أخبرنى عمّى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى محمد بن محمد قال: سمع محمد بن سعيد القارئُ مهديّةَ جارية يعقوب بن السّاحر تغنى صوتاً لمخارق بحضرته، وقد كانت أخذته عنه وهو:

ما لقلبى يزداد فى اللهو غيّـا والليـالى قد أنضجتنىَ كيّـا
سَهُلت بعدك الحوادثُ حتّى لستُ أخشَى ولا أُحاذِر شيّـا

فأحسَنتْ فيه ما شاءت، وانصرف محمد بن سعيد، وقرأ على لحنه: ﴿ يا يحيى خُذِ الكِتابَ بقوّة ﴾[2]

قصة رجل حلف بالطلاق أن يسمعه ثلاث مرات

حدّثنى عمّى قال: حدثنا عبدُ الله قال: حدثنى محمد قال:

كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بنُ أحمد بن هشام، فلعب مع هارون بالنّرد فقَمَره مُخارق مائتى رطل باقلاّ طريًا، فقال مُخارق. وأنتم عندى أُطعمكم من لحم جَزُور من الصناعة، يعنى من صِناعة أبيه يحيى بن ناوُوس الجزّار.

قال: ومرّ بهارون بن أحمد فصيلٌ يُنادَى عليه، فاشتراه بأربعة دنانير. ووجّه به إلى مُخارق، وقال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُوريّة، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضائر[3] شُويت فى التّنّور، وعمل من لحمه لونا يشبه الهريسة بشعير مقشّر[4] فى نهاية الطّيب، فأكلنا وجلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطّ:

(١) الفسيلة: جزء من النبات يفصل عنه ويغرس، أو النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس.

(٢) مريم / ١٢.

(٣) ف، ما: «ضفائر». والغضائر: القطع. (٤) ف: «مقشور».

يا أبا المُهَنّا، اللهَ اللهَ فىّ ، حلَف زوجِى علىّ بالطّلاق أن يَسْمع غِناءك ويَشْرب عليه ، فقال : اذهبى وجيئى به ، فجـاء فجلس ، فقال له : ما حَملَك على ما صنَعْتَ ، فقال له : يا سيِّدى ، كنتُ سَمِعت صوتاً من صَنْعتك فطَرِبْتُ عليه حتى استَخفَّنى الطّربُ ، فحلفت أنْ أسمَعه منك ثِقةً بإيجابك حقّ زَوْجتى ، وكانت زوجتُه دايةَ هارُونَ بنِ مُخارِق . فقال : وما هو الصوت ؟ فقال :

صوت

بكَرتْ علىّ فهيَّجتْ وَجْـدًا هُوجٌ[1] الرياح وأذْكرتْ نَجْدًا
أتحِنُّ من شوْق إذا ذُكِرتْ نجـدٌ وأنْتَ تركتَها عَمْدًا

الشعر لحُسَين بن مُطَير ، والغِناء لمُخارق ثقيل أول ، وفيه لإسحاق ثقيل أول آخر ، فغنّاه إياه وسَقاه رِطْلا ، وأمره بالانصراف ، ونهاه أن يُعاودَ ، وخرَج . فما لبِثْنا أن عادَت المرأةُ تصرُخ : اللهَ اللهَ فىّ يا أبا المُهنّـا ، قد أعادَ زَوْجى المَشْئوم اليمـينَ أنك تُغنِّيه صوتاً آخر ، فقال لهـا : أَحْضِريه ، فأحضرته أيضاً ، فقال له : ويلك ، مالى ولك ! أىُّ شىء قصّتك[2] ! فقال له : ياسيِّدى أنا رَجل طَرُوب ، وكنتُ قد سِمعتُ صوتاً لك آخر فاستَفزّنى الطّربُ إلى أن حلَفت بالطلاق ثلاثاً أنّى أسمعه منك ، قال : وما هو ؟ قال لَحنُك :

أبلغْ سَلامةَ أنّ البَينَ قد أفِدَا[3] وأنّ صَحْبكَ عنها رائحُون غدَا
هذا الفِراق يقيناً إن صَبرتَ لهُ أوْ لا فإنّكَ منها ميِّتٌ كَمَدا
لاشكّ أنّ الذى بى سَوْف يُهلِكُنى إن كانَ أهلكَ حُبٌّ قبله أحدَا

(١) الهُوج : جمع هوجاء ؛ وهى الرياح المتداركة الهبوب كأن بها هَوَجا .
(٢) س : « أيش قصتك » ! (٣) أفد : دنا أو عجل .

فغنّاه إيّاه مُخارق وسقاه رِطلاً ، وقال له : احذرْ ويلك أن تُعاود ، فانصرف . ولم تلبثْ أن عاودت الصيّاح تصرُخ : ياسيّدى ، قدعاود اليمينَ ثلاثة ، اللهَ اللهَ فىّ وفى أولادى ، قال : هاتيه ، فأحضرتْه ، فقال لها : انصرفى أنت ، فان هذا كلما انصرف حلَفَ وعاد ، فدَعيه يُقيم يومه كلّه ، فتركَتْه وانصرفَتْ ، فقال له مُخارق : ما قصتُكَ أيضاً ؟ قال : قد عرَّفتك يا سيّدى أنّى رجل طَرُوبٌ ، وكنت سمعت صوتاً من صنْعتك فاستخفَّنى الطَّربُ له فحلفْتُ أنّى أسمَعُه منك ، قال : وما هو ؟ قال :

أَلِفَ الظَّبيُ بِعادى وَنَفَى الهمُّ رُقادِى
وعَدَا الهجرُ على الوصْـ ـلِ بأسيافٍ حِدادِ
قل لِمَنْ زَيَّف وُدّى : لستَ أهلاً لِودادى

قال : فغنّاه إيّاه وسقاه رطلاً ، ثم قال : يا غُلام ، مقارعَ ، فجىء بها ، فأمرَ به فبُطِح ، وأمر بضَرْبه فضُرِب خمسين مِقرعةً ، وهو يستغيث فلا يُكلّمه ، ثم قال له : احلِفْ بالطَّلاق أنك لا تذكرنى أبداً ، وإلّا كان هذا دأْبَك إلى الليل ، فحلف بالطَّلاق ثلاثاً على ما أمرَه به . ثمّ أُقيم فأُخرج عن الدار ، فجعلنا نَضحك بقيَّةَ يومِنا من حُمقه .

أشرف من بيته على القبور وغنى باكيا

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال : حدّثنا أحمد بنُ محمد قال : حدّثنى إسحاقُ بنُ عُمرَ بنِ بَزِيع قال :

أتيتُ مُخارقاً ذات يوم ومعى زُرْزُورٌ الكبير لنُقيمَ عنده ، فوجدتُه قد أخرج رأسَه من جناح له ، وهو مُشرف على المقابر يُغنّى هذا البيتَ ويبكى :

* أينَ الملوكُ التى كانت مُسلَّطةً *

قال : فاستحسنّا ما سمعناه منه استحسانَ مَنْ لم يَسمع قطّ غناء غيره ، فقال

لنا : انصَرِفوا ، فليس فىَّ فضلٌ اليوم بعد مارأيتم . قال محمد : وكان والله مُخارق مِمّن لو تنفّس لأَطْرب مَنْ يسمعه استماع نَفَسِهِ .

سمعت الظباء غناءه فوقفت بالقرب منه مصغية

وذكر محمد بنُ الحسن الكاتب أنَّ محمد بنَ أحمد بنِ يحيى المكِّىَّ حدّثه عن أبيه قال :

خرَج مُخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنَزَّهات ، فنظر إلى قوسٍ مُذْهَبة مع أحد مَن خرج معه ، فسأله إيَّاها ، فكأنَّ المسئول ضنَّ بها . قال : وسَنَحتْ ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القَوْس : أرأيتَ إن تغنَّيتُ صوتاً فعطفتُ عليك به خُدودَ هذه الظباء ، أتدفع إلىّ هذه القوْسَ ؟ قال : نعم ، فاندفع يغنى :

صــوت

ماذا تقُول الظِّباء أفُرْقةٌ أمْ لِقاء !
أمْ عهْدُها بسُلَيْمَى وفى البيان شِفاء !
مرَّت بنا سانحاتٍ وقد دَنا الإمساء
فما أحارَتْ جواباً وطال فيها(١) العَناء

فى هذه الأبيات ليَحيى المكِّىِّ ثقيل أول بالوسطى .

قال : فعَطفت الظِّباء راجِعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه ، مُستَشرِفةً تنظر إليه مصغية تَسمعُ صوتَه ، فعَجب مَنْ حضر من رجُوعها ووقوفها ، وناوله الرّجلُ القوسَ فأخذَها وقَطَع الغِناء ، فعاودت الظِّباء نِفارَها ، ومضَت راجعةً على سَنَنِها (٢) .

(١) ف : «وطال منها» .
(٢) السنن : الطريقة .

غنى وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه

قال ابنُ المكىّ : وحدَّثنى رجلٌ من أهل البصرة كان يألف مُخارقاً ويَصحبه قال: كنتُ(١) معه مرَّة فى طيَّار ليلا وهو سكران ، فلما توسَّط دجْلة اندفَع بأعلى صوته فغنّى ، فما بقى أحَدٌ فى الطيّار من ملاّح ولا غلام ولا خادم إلا بكَى من رِقّة صوته ، ورأيت الشمع والسُّرُج من جانبى دجلة فى صُحون القُصور والدُّور يتساعَون بين يَدى أهلها(٢) يستمعون غناءه .

ابن الأعرابى يستكثر الهبة التى أخذها لشعر غناه

حدَّثنى الصُّولىُّ قال : حدثنى محمدُ بنُ عبد الله التَّميمىُّ الحُزُنبل قال : كنا فى مجلس ابنِ الأعرابىّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابن الأعرابىّ ، وكان يُحِبّه ويأنس به ، فقال له : ما أخَّرَك عنّى ؟ فاعتذر بأشياء منها أنه قال : كنتُ مع مُخَارق عند بعض بنى الرَّشيد ، فوَهب له مائة ألف دِرْهم على صوت غنّاه إياه ، فاستكثر(٣) ابنُ الأعرابىّ ذلك واستهوله ، وعجب منه وقال له : بأىّ شىء غنَّاه ؟ قال : غنّاه بشعر العبَّاس بنِ الأحنَف :

صوت

بكتْ عَينِى لأنواعٍ ... من الحُزْن وأوْجاعِ
وإنى كلَّ يوم عنـ ... ـدكم يَحْظَى بىَ السَّاعِى

فقال ابنُ الأعرابِىّ : أمّا الغناء فما أدرِى ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح .

لَحْنُ مُخارق فى هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته ، وفيهما لإبراهيم المَوْصلىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن عَمْرو بن بانة . وذكَر حبَش أنّ فيهما لإبراهيم ابن المهدىّ لحناً ماخوريًّا .

(١) ف ، ما : «ركبت معه فى طيار ... الخ » . والطيار : القارب السريع .
(٢) يتساعون بين يدى أهلها : يتسابقون .
(٣) ف : « فاستكبر ذلك ابن الأعرابى واستهاله » .

نصح إبراهيم بن المهدى شارية بألا تتشبه به فى تزايده وإلا هلكت

أخبرنى أحمدُ بنُ جعفر جَحظةُ قال : حدّثنى هِبةُ الله بنُ إبراهيم بن المهدىّ قال :

غنّت شاريةُ يوماً بحضرة أبى صَوْتاً ، فأحدَّ النظر إليها وصبر حتى قطعَتْ نَفَسَها ثم قال لها : أمسِكى ، فأمسكت ، فقال لها : قد عرَفتُ إلى أىّ شىءٍ ذهَبتِ ، أردتِ أن تَتَشبَّهى بمُخارق فى تزايُدِه ، قالت : نعم يا سيدى . قال : إيّاكِ ثمّ إياك أن تَعُودى ، فإن مُخارقاً خلقه الله وحده فى طبعه وصوته ونَفَسه ، يتصرّف فى ذلك أجمعَ كيف أحبّ ، ولا يلحقه فى ذلك أحد ، وقد أراد غَيرُك أن يتشبه به فى هذه الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه ، فلا أسمَعَنَّك تتعرّضين لمثل هذا بعد وقتك هذا[1] .

غلمان المعتصم يتركونه ويجتمعون لسماع مخارق فيعذرهم

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر البسّامى قال : حدثنى خالى أبو عبدالله عن أبيه قال :

كُنّا بين يَدىِ المُعتَصِم ذاتَ ليلة نَشْرب إلى أن سَكِرْنا جميعاً ، فقام ، فنام [2]وتوسّدْنا أيدِينا[2] ونِمْنا فى مواضعِنا ، ثمّ انْتَبَهَ فصاح فلم يُجِبه أحد ، وسمِعْنا صياحه فتبادَرْنا نسأل عن الغلمان ، فإذا مُخارق قد انتَبه قبلنا فخرج إلى الشَّطّ يتنسّم الهواء ، واندَفع يُغَنّى ، فتلاحق به الغِلمان جميعاً ، فجئتُ إلى المُعتَصم فأخبرتُه وقلتُ : مُخارق على الشّطّ يُغَنّى والغلمانُ قد اجتَمعُوا عليه ، فليس فيهم فَضلٌ لشىء غيرِ استماعِه ، فقال لى : يابن حَمْدُون ، عُذْرٌ والله وأىُّ عُذْر ! ثم جلس وجلَسْنا بين يديه إلى السَّحر .

المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق وإبراهيم ابن المهدى

وذكر محمد بن الحَسَن[3] الكاتب أنّ أبانَ بن سعيد حدّثه :

أنّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهْدِىّ ومُخارق ، فقال : يا أميرَ

(١) ف : «بعد وقبل هذا» .
(٢-٢) التكملة من ما .
(٣) ف : « محمد بن الحسين الكاتب » .

المؤمنين ، إذا تغنّى إبراهيم بعلمه فضَل مُخارقاً ، واذا تغنّى مُخارقُ بطَبْعه وفَضْل صوْتِه فَضَل إبراهيم ، فقال له : صدَقْتَ .

نَسختُ من كتاب هارُون بن الزّيات :

غنى الأمين فخلع عليه جبة ثم ندم حين رآها عليه

حدّثني هارُونُ بنُ مُخارق عن أبيه قال : دعاني محمدٌ الأمينُ يوماً وقد اصطبَح فاقترح علىّ :

استقبلَتْ وَرَقَ الرّيحانِ تَقطِفُهُ وَعنْبرَ الهِنْد والوَرْدِيّةَ الجُدُدا
ألستَ تَعرفني في الحَيّ جاريةً وَلم أخُنْك وَلم ترْفع إلىّ يدا[1]

فَغَنّيْتُه إياه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثةَ أرطال وِلاء ، وأمر لى بألف دينار وخَلع علىّ جُبّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبة ، ودُرّاعةً مثلها وعمامة مثلها تكاد تُعْشي البصر من كثرة الذّهب ، فلمّا لبِسْتُ ذلك ورآه علىّ نَدِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ، فقال لبعض الخَدَم : قُل للطبّاخ يأتينا بمَصْلِيّة[2] مَعقُودَة الساعة ، فأتى بها ، فقال لى : كُلْ معى ، وكنتُ أعرفَ النّاس بمذهبه وبكراهته لذلك ، فامتنعتُ . فحلَف أن آكلَ معه ، فحين أدْخلْتُ يَدى فى الغَضارة[3] رفع يَده ، ثم قال: أُفٍّ نغّصْتَها عَلَىّ والله وقذّرْتَها عندى بإدخالك يدك فيها، ثمّ رَفس القَصعة رفسةً فإذا هى فى حِجْرى ، وَودكُها[4] يَسيل على الخِلعة حتى نَفَذ إلى جلدِى ، فقُمْتُ مُبادِراً فنزعتها ، وبعَثتُ بها إلى منزلى وغيّرت ثيابى وعُدتُ وأنا مغمُومٌ منها وهو يَضْحك ، فلمّا رجعتُ إلى منزلى جَمعتُ كُلّ صانع حاذِق فجهدوا فى إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرُج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقتُها فأخذتُ ذهبها ، وضَرب الدّهرُ بعد ذلك ضَرباته .

---

(١) س : « .. ولم أرفع إليك يدا » .
(٢) صَلَى اللحمَ يَصْليه صَلْياً : شواه فهو مَصْلِىّ ، ويقال : أتى بشاة مَصْلِيّة .
(٣) الغضارة كسحابة : القصعة الكبيرة .
(٤) الودك : ما يتحلب من اللحم والشحم من دسم .

يؤاكل المأمون ويغنيه فيعبس فى وجهه ثم يدعوه ثانية ويكافئه

ثم دعانى المأمونُ يوماً ، فدخلتُ إليه وهو جالس ، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان ، فقال لى : تعالَ فكُلْ ، فامتنعتُ ، فقال لى : تَعالَ وَيْلك فساعِدْنى . فجلستُ فأكلت معه حتى استوفَى ، ووضع النبيذ ودعا عَلُّوية فجلس ، وقال لى : يا مُخارق ، أتغَنِّى :

أقولُ التِماسَ العُذرِ لمَّا ظلمْتِنِي وحَمَّلْتِنى ذَنباً وما كنتُ مُذْنِبا ٥

فقلتُ : نعم يا سيِّدى ، قال : غنِّه ، فغنَّيته فعبس فى وَجْهى ثم قال : قبَّحك الله أهكذا يُغنَّى هذا ! ثم أقبل على علُّويَةَ فقال : أتُغنِّيه ؟ قال ، نعم يا سيِّدى ، قال : غَنِّه ، فَغَنَّاه ، فوالله ما قارَبَنِى فيه ، فقال : أحسنْتَ والله ، وشرب رطلا ، وأمر له بعشرةَ آلاف دِرْهم ، واستعادَه ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كُلِّ عشرةَ آلاف دِرْهم ، ثم خذَف بِإِصْبَعِه[1] وقال : بَرْقٌ يمانٍ ، وكان إذا أراد ١٠ قَطْعَ الشرب فعل ذلك ، وقمنا فعلِمْتُ من أين أُتيتُ .

فَلَمَّا كان بعد أيام دَعانى فدخلتُ إليه وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه يأكل هناك ، فقال لى : تَعالَ وَيْلك فساعِدْنى ، فقلت : الطلاق لى لازم إن فعلتُ ، فضحك ثم قال : وَيْلك ، أتَراني بخيلا على الطَّعام ! لا والله ، ولكننى أرَدتُ أن أُؤدِّبك ، إنَّ السادة لاينبغى لعبيدها أن تؤاكلها ، أفهمت ؟ فقلتُ : نعم ، ١٥ قال : فتَعالَ الآن فكُلْ على الأمان فقلتُ : أكون إذاً أوّل من أضاع تأديبك إياه واستحقَّ العُقوبة من قريب ، فضحك حتى استغرَب[2] ، ثمّ أمر لى بألف دينار ، ومضيت إلى حُجْرتى المَرْسومة لى[3] للخدْمة ، وأُتيتُ هناك بطعام فأكلتُ ، ووُضِع النَّبيذ ودعانِى وبِعلُّويَة ، فلمّا جلسنا قال له : يا علىّ ، أتُغنِّى :

---

(١) خذف بإصبعه : حركه كأنه يرمى شيئا .
(٢) استغرب : بالغ فى الضحك .
(٣) ف ، ما : « المرسومة بى » .

٢٠

ألم تَقُولى : نَعَمْ ، قالت : أرَى وَهَماً   منىّ وهل يُؤخذ الإنسانُ بالوَهمِ ! [١]

فقال : نَعمْ يا سيّدى ، فقال : هاته ، فغنّاه ، فعبس فى وَجْهه وبَسَرَ [٢] وقال : قبّحك الله ، أتغنّى هذا هكذا ! ثمّ أقبل علىّ فقال : أتُغَنّيه يا مُخَارق ؟ فقلتُ : نعم ياسيّدِى ، وعلمت أنه أراد أن يَستقيد [٣] لى من عَلُّوية ويرفع منى ، وإلا فما أتى علُّويةُ بما يُعاب فيه ، فَغَنّيتُه ، فَطرِبَ وشَرِب رطلاً ، وأمر لى بعَشرة آلاف دِرْهم ، وفعل ذلك ثلاثَ مرّات كما فعل به .

ثُمّ أمر بالانصراف فانصرفنا ، وما عاودْتُ بعد ذلك مُؤاكلة خليفة إلى وقْتِنا هذا .

نسبة مافى هذا الخبر من الغناء

صوت

استقبلتْ ورَقَ الرّيحان تقطفُهُ   وعَنبرَ الهنْد والورديَّةَ الجدُدَا

ألستَ تعرفنِى فى الحىّ جاريةً   ولم أخنك ولم تَمْـدُد إلىّ يَدَا

الشعر — فيما يُقال — لعُمرَ بن أبى ربيعة ، والغنـاء للغريض خفيف رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وأصله يمانى ، وفيه لابن جامع هزج .

صوت

أقولُ التِماسَ العُذرِ لما ظلَمتِنى   وحمَّلتِنى ذَنباً وما كنتُ مُذْنِبا

هبينى آمرأً إمّا بريئاً ظلمتِه   وإمّا مسِيئاً قد أناب وأعْتبا [٤]

الشعر للأحوص ، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عَمرو .

(١) الوهم : السهو أو الخطأ .   (٢) بسر : أظهر العبوس .
(٣) يستقيد لى : يأخذ لى بثأرى .
(٤) أعتبه : أرضاه بعد العتاب .

صـوت

أَلم تَقولى : نَعم ، قالت : أَرَى وَهَمَا ... مِنّى وهل يُؤخَذ الإنسان بالوَهَمِ !

قُولِي: نَعمْ، إنّ «لا» ــ إن قُلت ــ قاتِلتِي ... ماذا تُرِيدِين من قَتلى بغير دَمِ !

الغناء لسياط خفيف رمل بالبِنصر عن عَمْرو ، ولم يقع إلىّ لمن الشعْر .

يتنافس هو وعلوية فى غناء صوت فيسبق علوية

قال هارون : وحدّثنى أبو مُعاوية الباهلىّ قال :

حَضَرتُ عَلُّوَيَةَ ومُخارقاً مُجتمعين فى مجلس ، فغنّى علويةُ صوتاً فأحسن فيه وأجادَه ، فأعادَه مُخارق وبَرّزَ عليه وزاد ، فردّه علُّوَيَة وتعمّل فيه واجتهد فزاد على مُخارِق ، فجثا مُخارق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزّ منكباه ، فما ظَنَنّا إلا أنّ الأرضَ قد زُلزِلت بنا ، وغلب والله ما سمِعنا على عُقولنا ، ونظرتُ إلى لَوْن عَلُّوِيَة وقد امتُقِع وطار دمُه ، فلمّا فرَغ مُخارق توقّعنا أن يُغنّى علّوَية ، فما فعل ولا غنّى بقية يومه . قال : وكان مُخارق إذا صاح قطع أصحاب النايات .

سأله الأمين أن يغنيه أصواتا فلم يحسن فأرسله إلى إسحاق ليعلمه

أخبرنى وَسواسةُ بنُ الموْصلىّ ، وهو أحمدُ[1] بنُ إسماعيل بن إبراهيم قال : حدّثنا حمّادُ بن إسحاق قال :

قال لى مُخارق: دعانى يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهدىّ ، فقال : غنّنى يا مُخارق ، فغَنّيتُه أصواتاً عديدة ، فلم يَطْرب لها وقال : هذا كله مُعاد ، فغَنّنى :

* لقد أزمعتْ للبين هِنــدُ زِيالَها[2] *

فقلت : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنّنِى :

* لا والذى نُحِرتْ له الــبُدْنُ *

(١) ف : « وهو ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم » . (٢) ف : «زوالها» .

فقلتُ : لا والله ما أحسنه ، فقال : غَنّني :

* يا دارَ سُعْدَى سقى أطلالك الدِّيَمـا *

فقلتُ : لا والله لا أحسنه ، فغضب وقال : ويلك ! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسن منها واحداً ! فقال له إبراهيمُ بنُ المهديّ : ما ذَنبه ؟ إسحاقُ أستاذُه وعليه يَعْتمد ، وهو يُضايقه(1) في صوت يُعلّمه إياه ، فقلتُ : قد والله صدق ، ما يُعطيني شيئاً ولا يُعلّمنيه ، قال : فما دَوَاؤه ؟ فقد والله أعياني ، فقال له إبراهيمُ : تُوَكّل به مَنْ يَصُبّ على رأسه العَذابَ حتى يُعلّمه مائةَ صوت ، قال : أمّا هذا فبَعيد ، ولكن اذْهَبْ إليه عني فمُرْه أن يُعلّمك هذه الثلاثة الأصوات ، فإن فعل وإلا فصُبَّ السوطَ على رأسه حتى يُعلّمك .

يذهب إلى إسحاق ليعلمه فيكله إلى جارية له

فدخلتُ إلى إسحاقَ ، فجلست بغير أمْره ، وسلّمت سلاماً مُنْكَراً . ثم أقبلتُ عليه فقلت : يأمُرك أميرُ المؤمنين أن تُعلّمني كذا وكذا قال : ما أُحسِنه ، فقلت : إني أُنفّذ فيك ما أمرني به ، فقال : تُنفّذ فيّ ما أُمِرْتَ به ، ألا تَستحي ويحَكَ مني ومن تربيتي إياك ! قلت : فلا بُدَّ من أن تُعلّمني ما أمرك به أميرُ المؤمنين ، قال : فإني لستُ أُحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه ، هاتُوها . فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخذتُ الأصواتَ الثلاثة ، وجعل كلّ مَنْ جاء يومئذ لا يَحجُبُه لِيَرَوْني وجاريتَه تُطارحني .

فلمّا أخذتُ الأصوات رَجَعتُ إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاقُ ، فغنّيتُه إياها ، فطرب ، وجعل إبراهيمُ بن المهديّ يقول . أحسن والله ، أحسن والله ، فلما فرغتُ قال إسحاق : لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحسانه ، ولقد جَهَدت الجاريةُ جَهدَها أن يأخذَه عنها فلم يَتوجّه له ، ثم اندفع فغنّاها ، فكأني والله كنتُ ألعب عند ما سمعتُ .

(1) س : « وهو يطابقه » .

ثم أقبل على إبراهيم بن المهدىّ فقال له : كم أقولُ لك : ليس هذا من عِلْمك ولا ممّا تحسنه وأنتَ تكابِر وتُدخِل نفسك فيما لا تُحسنه! فقال : ألاَ تراه ياأمير المؤمنين يُصيِّرنى مُغنِّيا! فقال له إسحاق: ولم تجحد ذلك! أوَ أسررتَ إلىّ منه شيئا لم تُظْهِرْه للناس وتُعلِّمهم إياه! ومتى صِرْتَ تأنف من هذا وأنت تتبجّح به! فليتك تُحْسِنه ، والله ما تَفْرُق بين الخطأ والصواب فيه ، وإن شئت الآن ألقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أىّ علم شئت ، فإن أجبْتَ فى واحدة منهن وإلّا علمتُ أنك مُتكلِّف . فقال : يا أمير المؤمنين يَستقبلُنى بهذا بين يديك! قال[1] : وما هذا مما لا أستقبِلُك به؟ فقال له محمد : نعم اخْتَر ما شئتَ حتى نسألك عنه فقال: إنما يفعل هذا الصبيان[2]،وانكسر حتى رَحِمْتُه ، فقلتُ لمحمد : يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القَوْل أنه لا يُحسن ، بلى والله انه ليُحسن كلّ شىء وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيرى ، وإنه ليتقدّم كثيرا من الناس فى كل شىء ، فجعل محمد يضحك وهو يقول ، تَشُجُّهُ بيدٍ وتَدْهُنُهُ بيَد ، وتجرحه بيَد وتَأسوه بيَد!

نسبة هذه الأصوات

صــوت

لقد أزمعتْ لِلبيْن هندٌ زيالَها ... وزَمُّوا[3] إلى أرْض العِراق جمالَها

فما ظبيةٌ أدْماء واضحةُ القرَا ... تَنُصُّ إلى بَرْد الظِّلال غزَالها[4]

(١) ف : « فقلت » .
(٢) ف : « بالصبيان » .
(٣) يقال ، زمّ القوم : تقدّمهم كأنه زمام . وزموا جمالها : أرسلوها متقدمة .
(٤) القرا : الظهر . والنص من الشىء : منتهاه ومبلغ أقصاه . وتنص غزالها : تستحثه

تَحُتُّ بقَرنيها بَرِيرَ أراكةٍ وتَعطو بظِلْفَيْها إذا الغُصنُ طالها[1]
بأحسنَ منها مُقلةً ومُقلَّداً وجيداً إذا دانتْ تنوطُ شِكالَها[2]

الشِّعرُ لكُثَيِّر ، والغِناء لمعبَد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لابن سُرَيْج فى الثّالث والثّانى ثقيل أول بالسّبابة فى مجرى البنصر ، عن إسحاق ، ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمْرو ، فى الثّانى ثمّ فى الثّالث ، وفى كتاب حَكَمٍ : لحَكَم فيه خفيف ثقيل ، وعن حبش لطُوَيْس فيه رمل بالوُسطى ، وذكر أيضا أن لحنَ معبَد ثانى ثقيل .

صوت[3]

يا دارَ سُعدَى سَقَى أطلالَكِ الدِّيما مُسْقِى الرَّوايا وإن هيَّجتِ لى سَقمَا
دارٌ خلَتْ وعفَتْ منها معالِمُها إلاّ الثُّمامَ وإلاّ النُّؤْىَ والحُمَماَ[4]

الغِناء لقَفا النَّجّار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والِهشامىّ وإبراهيم .

صوت

لا والذى نُحِرتْ له البُدُنُ وله بمكّةَ قُبِّلَ الرُّكُنُ
ما زلتُ ياسَكَنِى أخا أرَقٍ مُتكنَّفًا بى الهمُّ والحزَنُ
أخشى عليك وبعضه شَفَقٌ أن يَفتنوك وأنت مُفتَتِنُ

الغِناء لابْن سُرَيْج رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر ، عن إسحاق

(١) البرير : ثمر الأراك . وتعطو بظلفيها : ترتفع بهما . وطالها : ارتفع عنها
(٢) تنوط : تعلق . الشكال : وثاق بين الحقب والبطان وبين اليد والرجل .
(٣) فى ف جاء هذا الصوت تاليا للذى بعد .
(٤) الثمام : نبت ضعيف لا يطول . والنؤى : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . والحمم جمع حممة وهو الفحم وكل ما احترق بالنار .

وذكر الهشامىُّ أنه لسليمان الوادى أوله فيه لحن ، ونسبه إبراهيم إلى ابن عَبَّاد ولم يُجنِّسه .

أخبرنى عمى : حدّثنا أحمدُ بن أبى طاهر قال :

حدّثنى عبدُ الوَهّاب المؤذِّن قال : انحدَرْنا مع المُعتَصِم من السنِّ[1] ونحن فى حَرَّاقته[2]، وحضر وقتُ الأذان فأذَّنتُ ، فلما فرغت من الأذان اندفع مُخارق بعدى فأذّن وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتمنيتُ والله أن دجلة أهرقتْ[3] لى فغرقتُ فيها .

أخبرنى عمِّى قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ عبد الله بنِ حَمْدون قال : حدّثنى أبى قال :

غضب عليه المعتصم ثم صالحه وأعاده إلى مرتبته

غَضِب المعتصمُ على مُخارق فأمر به أن يُجعَل فى المؤذِّنين ويَلزَمهم ، ففعل ذلك ، وأمهَلَ حتى علم أنّ المعتصم يشرب وأُذِّنَت العصرُ ، فدخل هو إلى السِّتر حيثُ يقِفُ المؤذّن للسلام ، ثمّ رفع صوته جُهْدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، الصّلاة يرحمك الله ، فبكى حتى جَرَتْ دُموعُهُ ، وبكى كلُّ مَنْ حضره ، ثمّ قال : أَدْخِلوه إلىّ ، ثم أقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قطُّ ! هذا الشيطان لايترك أحداً يغضب عليه ، فأُمر به فأُدخِل إليه ، فقبَّل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يدَه فقبَّلها ، وأمره بإحضار عودِه فاحضِر ، فأعاده إلى مرتبته .

وَجدتُ فى بعضِ الكتب ، عن علىِّ بن محمد[4] البسّامىّ ، عن جدّه حمدون ابن إسماعيل قال :

---

(١) السن : مدينة على دجلة .
(٢) الحرّاقة : سفينة خفيفة المرّ .
(٣) س ، ف : « انفرقت » .
(٤) ف : « عن على بن البسامى » .

إسحاق الموصلى يبدى رأيه فى علوية ومخارق

غنّى علُّوية يوما بين يدى إسحاق الموْصلىّ :

هجرْتكِ إشفاقًا عليكِ من الأذى وخَوْفَ الأعادِى واتّقاء النَّمائمِ

فقال له إسحاقُ : أحسنت يا أبا الحسَن أحسنت ، واستعاده ثلاثاً وشرب ، فقال له عَلُّويةُ : يا أُستاذ ، أين أنا الآن من صاحبى — يعنى مُخارِقا — مع

٥ قولك هذا لى ؟ فقال : لا تُرِد أن تَعرِف هذا ، قال : بَلى والله إلى معرفته أعظمُ الحاجة ، فقال : إذا غنيتما مَلِكًا اختاره عليك وأَعطاه الجائزة دُونك، فضَجِر عَلُّويةُ وقال لإسحاق : أُفٍّ من رضاك وغَضَبِك !

نسبة هذا الصوت

صوت

١٠ هجرتُكِ إشفاقا عليكِ من الأذَى وخوفَ الأعادى واتّقاء النمائِمِ

وإنّى وذاك الهجْرَ لو تَعلمينَه كسالِيةٍ عن طِفلها وهى رائمُ(١)

الشّعر لهلال بن عمرو الأسَدىّ ، والغناء لعَلُّويَة ثقيل أوّل بالوسطى ، عن عمرو .

رأى أبى يعقوب الخريمى فى علوية ومخارق

وقال الجاحظ : قال أبو يعقوب الخُرَيْمِىّ(٢) :

ما رأيتُ كثلاثة رجال كانوا يأكلون النّاس أكلاً ، حتى إذا رأوا

١٥ ثلاثة رجال ذابوا كما يَذُوب الرّصاص على النّار : كان هِشامُ بن الكلبىّ علاّمةً نسّابةً وراويةً للمثالب عيّابة ، فإذا رأى الهيثَمَ بن عَدىّ ذاب كما يَذُوبُ الرّصاص ، وكان علىُّ بنُ الهيثم جُونقا مُفقِعاً(٣) نيًّا صاحب تَقعّر يستولى على كل كلام ، لا يَحفِل بخطيب ولا شاعر ، فإذا رأى موسى الضَّبّىّ

(١) رائم من رأمت الناقة ولدها : عطفت عليه ، فهى رائم . وفى الشعر إقواء لاختلاف حركة

٢٠ الروى بالرفع فى هذا البيت ، والجر فى البيت الذى قبله .

(٢) ف : « قال أبو عمرو الخريمى » .

(٣) المفقع : الفقير المجهود ، وجو نقاً : لقب له .

ذاب كما يَذُوب الرَّصاص . وكان عَلُّويةُ واحدَ الناس فى الغناء روايةً وحكاية ودراية وصنعة وجودَةَ ضَرْبٍ وأضرابٍ وحُسْنَ خلق ، فإذا رأى مُخارقا ذاب كما يذُوب الرَّصاص على النار .

حج فى السنة التى حجت فيهـا أم جعفـر بسبب جاريتها بهار

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرداذْبَه قال :

هَوِىَ مُخارقٌ جارية لأمّ جعفر ، فحَجَّ فى السنة التى حُجت فيها أمُّ جعفر بسبب الجارية ، فقال أحمدُ بنُ هشام فيه :

يحجُّ النَّاسُ من بِرٍّ وتقْوى وحجُّ أبى المُهنّا للتّصابى

وهب المعتصم دار مخارق ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى بن زينب شعراً فى ذلك

قال : وكان المُعْتصِمُ قد وهب دارَ مُخارِق لمَّا قدم بَغْدادَ لِيُونازةَ خَليفةِ الأَفْشين ، فقال عيسى بن زَينب فى ذلك :

يا دارُ غيَّر رسمَها يُونَازهْ وبَقِى مُخارِق قاعداً فى فازهْ[1]

لا تجْزَعنّ أبا المهنَّا إنّها دُنيا تُنالُ بِذلّة وعَزازهْ

أم جعفر تهب له جاريتها بهار

أخبرنى إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعىّ قال : حدَّثنا عُمر بنُ شَبَّة ، وحَدَّثنى محمد بن يحيى الصّولىّ قال : وَجدْتُ بخطٍّ عبد الله بن الحسين : حدثنى الحَسنُ بنُ إبراهيم بن رياح ، قالا :

كان مُخارق يهوَى جَارية لأم جعفر يقال لها بَهارُ[2] ، ويَستُر ذلك عن أمّ جعفر ، حتى بلغها ذلك ، فأقصَتْه ومنَعته من المرور ببابها ، وكان بها كلِفاً . قال الصولىّ فى خبره : فلما علم أن الخبر قد بلغ أمّ جعفر قطعها وجَفاها ، إجلالا لأم جعفر ، وطمعاً فى السلوّ عنها ، وضاق ذَرْعُه بذلك ، فبينا

(١) الفازة : مظلة من نسيج أو غيره تمد على عمود أو عمودين .

(٢) ف ، س : « نهار » .

هو ذاتَ ليلة فى زَلاّلٍ[1] ، وقد انصرف من دار المأمون ، وأمُّ جعفر تشرب على دجلة ، إذ حاذَى دارَها ، فرأى الشمع يَزْهَر فيها ، فلما صار بمَسْمَعٍ منها ومَرْأًى انْدَفع فغنَّى :

صوت

إنْ تمنعونى ممَرِّى قُربَ دارِهِمُ · فسوف أنظُرمن بُعْدٍ إلى الدَّارِ
سِيما الهوَى شُهِرَتْ حتى عُرِفتُ بها · أنِّى مُحِبٌّ وما بالحبِّ من عارِ
ما ضَرّ جيرانَكم — والله يُصلِحهم · لولا شَقائَى — إقْبالِى وإدْبارِى
لا يَقدِرون على منْعِى ولو جَهَدُوا · إذا مررتُ وتَسْلِيمى بإضْمارى

الشعر للعباس بن الأحنَف ، والغناء لمخارق رمل بالوسطى .

فقالت أمُّ جعفر : مُخارقٌ والله ، رُدُّوه ، فصَاحُوا بملاّحه : قَدِّمْ ، فقَدَّم ، وأمَرَه الخَدم بالصُّعود ، فصعد ، وأمرت له أمُّ جعْفر بكُرسىٍّ وصينيّة فيها نَبيذ ، فشرب ، وخَلَعَت عليه ، وأمرت الجوارى فغنَّيْن ، ثمّ ضَربن عليه فغنّى فكان أوّل ما غنّى :

صوت

أغيبُ عنكِ بوُدٍّ ما يُغيِّرُه · نأىُ المَحلِّ ولاصَرفٌ من الزمَنِ
فإن أعِش فلعلّ الدّهرَ يجمعُنا · وإن أمُتْ فقتِيلُ الهمِّ والحزَنِ
قد حسَّن الله فى عينىّ ماصنعتْ · حتى أرى حسَناً ماليس بالحسنِ

الشعْرُ للعَبّاس بن الأحنَف ، والغِناء لمُخارِق رمل .

---

(١) زلال : شبه قارب يسير فى النهر .

قال : فاندَفعتْ بَهارُ فغنَّت كأنها تُباينهُ ، وإنما أجابَتْه عن مَعْنَى ما عرَّض لها به :

تعتلُّ بالشُّغل عنا ما تُلِمُّ بنا   والشُّغلُ للقلب ليس الشُّغل للبَدَنِ

ففَطِنت أُمُّ جعفر أنها خاطبتْه بما فى نفسها ، فضَحِكتْ وقالت : ما سمعنا بأملحَ ممَّا صَنَعْتما ، وقال إسماعيل بن يُونس فى خبره : ووَهبتْها له .   ٥

وقال هارون بنُ الزّيات :

غنّى المأمون حين قدم مكة أحدث صوت صنعه

حدَّثنى هارون بن مخارق عن أبيه : أنّ المأمون سأله لما قَدِم مكّة عن أحدث صوت صنعه ، فغنّاه :

صوت

أقبلَتْ تحصِب الجِمارَ وأقبلْـ   ـتُ لرَمْى الجِمار من عرَفاتِ   ١٠

ليتَنِى كُنتُ فى الجِمار أنا المحـ   صُوب[1] من كَفِّ زَيْنبٍ حَصياتِ

الشِّعْرُ للنّميرىّ ، والغناء لمخارق خفيف رَمَل بالبنصر ، قال : فضحك ، ثمّ قال : لعَمرى إن هذا لأحْدَثُ ما صنعت ، ولقد قنِعتَ بيسير ، وما أظُنّ بهار كانت تبخل عليك بأنْ تحصِبك بحصاة كما تحصِب الجِمارَ . واستَعاده الصوتَ مرّات .

غنى بشعر للمأمون فى جارية له فأبكاه

أخبَرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :   ١٥

حدَّثنى هارونُ بنُ مخارق قال : حدثنى أبى قال : كنَّا عند المأمون يوماً ، فجاءه الخَادم الحرَمىّ فأسرّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثمّ أبطأ علينا ساعة وعاوَد وعَيْنُه تذرِف ، فقال لنا : دخلتُ الساعةَ إلى جارية لى كنت أحظاها ، فوجدْتها

(١) ف : « ليتنى فى الجمار كنت أنا المحصوب » .

فى المَوْت ، فسلَّمتُ عليها فلم تستطع رَدَّ السَّلام إلا إيماء بإصبعها ، فقلتُ هذين البيتَيْن :

سَلامٌ على مَن لم يُطِق عند بَيْنِه سلامًا ، فأَوْمى بالبَنان المخضَّبِ

فما اسطَعْتُ توديعًا له بسوَى البُكا وذلك جُهْد المُسْتَهام المعذَّبِ

٥ ثمّ قال : غَنِّ فيها يا مُخارق ، ففعلتُ ، فما استعادَنى ذلك الغناء قطّ إلا بكى .

حج رجل معه وغناء صوتاً فوهب له حجته

أخبرنى الحسين بنُ القاسم الكَوْكبىُّ إجازةً قال : حدَّثنى أحمدُ بن أبى العَلاء قال : حدَّثنى أبى قال :

حجَّ رجُل مع مخارق ، فلما قضَيا الحَجَّ وعادا ، قال له الرَّجل فى بعض طريقه :

١٠ بحقِّى عليك غَنِّنى صوتًا ، فغنّاه :

رَحلنا فشَرَّقْنا وراحوا فَغَرَّبُوا ففاضَتْ لرَوْعات الفراقِ عُيونُ

فرفع الرجل يدَه إلى السماء وقال : اللهمّ إنى أُشهِدُك أنِّى قد وَهبْتُ[1] حَجَّتِى له .

وفاته

وتوفِّى مخارق فى أوَّل خلافة المتوكِّل ، وقيل : بل فى آخر خلافة الواثق ،

١٥ وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أن سبب وفاته أنه كان أكل قَنَبيطيَّةً باردةً فقتَلتْه من فوره[2] .

---

(١) ف : « وجهت حجتى له » .

(٢) ف : « فقتلته من يومه » .

صــوت

إذا متّ فادفنِّى إلى جنب كَرْمة ترُوِّى مُشاشِى[1] بعد موتى عرُوقُها

ولا تَدْفِنَنِّى بالفــلاة فإنّــنى أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذوقَها

عروضه من الطويل ، ويُرْوَى :

* إذا رحت مدفونًا فلستُ أذوقها *

الشــعر لأبِى مِحْجَن الثقفىّ ، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لحُنَيْن لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجَنِّسْه .

(١) المُشاش : العَظْم .
(٢) فى هذا البيت إقواء ، و بالرواية الأخرى لا إقواء فيه .

إلى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من كتاب الأغانى ، ويليه الجزء التاسع عشر ، وأوله « ذكر أبى محجن ونسبه » .

فهارس

الجزء الثامن عشر من كتاب الأغانى

تراجم هذا الجزء

فهرس الموضوعات

ذكر خبر ابراهيم

ذكر مقتل الزبير وخبره

ذكر اخبار دنانير واخبار عقيد

اخبار خفاف ونسبه

اخبار جبهاء ونسبه

اخبار والبة بن الحباب

اخبار سعيد بن حميد ونسبه

صفحة

أخبار ابن مناذر ونسبه

نسب أشجع وأخباره

صفحة

صفحة

أخبار ابن مفرغ ونسبه

أخبار الزبير بن دحمان

نسب العمانى وخبره

أخبار عروة بن أذينة ونسبه

ذكر مخارق وأخباره

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

(غ)

(ف)

(و)

(ى)

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(ذ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ن)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

فهرس الاماكن

فهرس القوافي

(ز)

(س)

(ن)

(هـ)

(ى)

فهرس أنصاف الأبيات

(مرتبة بحسب أوائل كلماتها)

فهرس أيام العرب

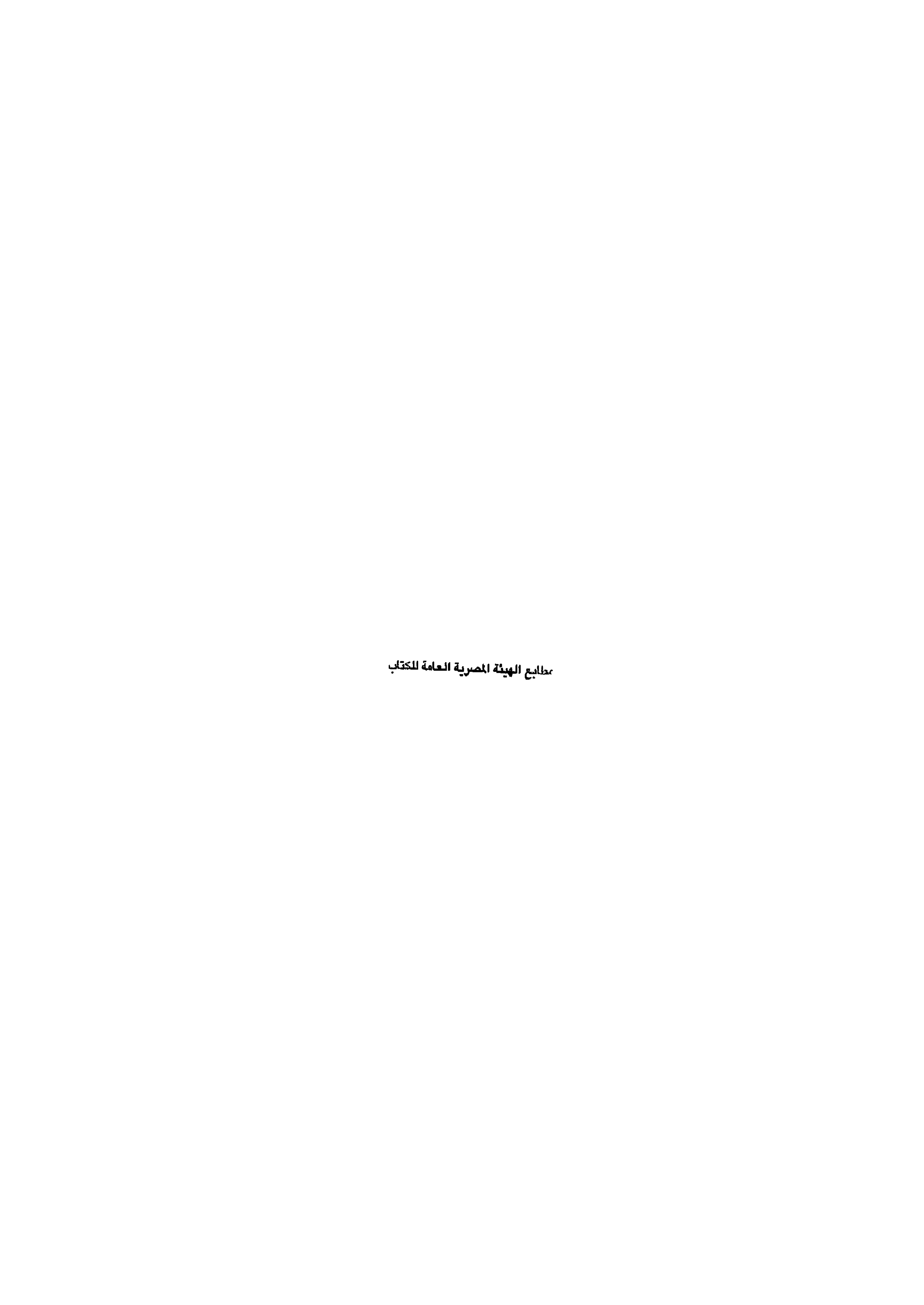
فهرس الأمثال

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

أنواع الفهارس





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٨١٥ / ١٩٩٣

ISBN - 977 - 01 - 3238 - 1

